

مجلة الآداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -



مجلة الآداب و اللغات

مجلة دورية محكمة تصدرها كلية الآداب و اللغات



العدد: الرابع و العشرون
2017

ردمك: SSN 1112-3494
الإيداع القانوني: 2001 – 1590

قواعد النشر:

- ❖ ترحب الهيئة العلمية للمجلة بجميع المقالات التي تتوفر على الشروط التالية :
- ❖ أن يكون المقال أصيلا، و لم ينشر من قبل، و لا يكون مقدما للنشر في جهة أخرى.
- ❖ يجب أن يتضمن المقال ملخصين: الأول بلغة المقال و الثاني باللغة الانجليزية
- ❖ التأكد من ضبط الآيات القرآنية و الأحاديث الشريفة و الأبيات الشعرية والألفاظ غير المألوفة و التي هي بحاجة إلى ضبط.
- ❖ يجب أن يتضمن المقال ورقة مستقلة فيها مختصرا للسيرة الذاتية للباحث (هاتف، بريد إلكتروني...)
- ❖ الاهتمام بسلامة اللغة، و قوة العبارة مع جميع التوثيقات و الإحالات في نهاية الدراسة ، علاوة على ثبت قائمة المصادر و المراجع.
- ❖ الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء الباحثين، و لا مسؤولية للمجلة في آراء أصحابها.
- ❖ يقدم البحث بصيغة (Word) خط Traditionnel Arabic رقم 18 والحواشي السفلية (Manuelle) برقم : 14 في قرص مضغوط، مع نسخة ورقية. على ألا يتجاوز (15) صفحة.
- ❖ إن انتقاء المقالات و نشرها في المجلة خاضع لمعايير علمية دقيقة و صارمة.
- ❖ الدراسات و البحوث التي تصل المجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

ترسل الأعمال إلى العنوان التالي:

مجلة الآداب و اللغات.
كلية الآداب و اللغات
جامعة أبي بكر بلقايد .ص.ب: 138
تلمسان
البريد الإلكتروني: faclettre@mail_univ-tlemcen.dz

مجلة " الأداب و اللغات "

أسرة المجلة

المدير المسؤول: أ.د. بومدين كروم – مدير المجلة المسؤول
رئيس التحرير: أ.د. طول محمد. مدير النشر: د. والي دادة عبد الحكيم
هيئة التحرير:
أ.د:محمد زمري.العراقي لخضر . د: حجوي غوثي .
د. ملياني محمد

. أ.د: بن منصور صبيحة .أ.د: سرير إلهام.د: بن سهلة ثالث سيدي محمد

. د: نصيرة بن ديمراد. د: طرشاوي بلحاج

الهيئة الاستشارية

جامعة تلمسان -	أ.د.محمد عباس .	جامعة تلمسان	أ.د. محمد مرتاض .
جامعة وهران	أ.د. عزوز بن عامر .	جامعة تلمسان	أ.د. عبد الجليل مرتاض .
السعودية	د. عوض بن عبد الله القرني -	جامعة تلمسان	أ.د.غيثي سيدي محمد .
جامعة قسنطينة	أ.د. دوب راجح.	جامعة وهران	د. عزوز أحمد.
جامعة بجاية	أ.د. معوش سليمة	المغرب	أ.د. طايبي أحمد .الرشيدية –
فرنسا	أ.د. دونيس جريل . باريس 2	جامعة تلمسان	د.عبد اللطيف شريقي .
جامعة بشار	أ.د. محمد تحريشي.	الجزائر	أ.د. رشيد بن مالك .
جامعة تلمسان	أ.د. ديدوح عمر.	قطر	أ.د. خير الدين خوجا الكوسوفي-
		جامعة تلمسان	أ.د. سلامي عبد القادر .
فرنسا	د. خوان أنسو ألدما –	فرنسا	أ.د. برنارد فانسون – باريس .
جامعة تلمسان	أ.د. عبد العالي بشير.	جامعة تلمسان	أ.د. خالد هشام
فرنسا	أ.د.سان أغيستانت فلوغيال . جامعة ليون 2.	جامعة بشار	أ.د. كوارى ميروك.
ملحقة مغنية	أ.د. زين الدين مختاري.	غرداية	أ.د. يحي بوتردين .
		المغرب	أ.د. سبيل عبد القادر. الجديدة
جامعة تلمسان	د. ساسي عبد الحفيظ	جامعة تلمسان	د. بن خنافو رشيد .

فهرس

08	كلمة العدد رئيس التحرير
09	النظام اللساني والسيمويطيقا الأدبية أ.د. عبد الجليل مرتاض / جامعة تلمسان
18	المرأة الغربية والمرأة الشرقية د. نضال الأميوني دكاش أستاذة متفرغة في الجامعة اللبنانية الأمريكية LAU
34	الهمز الوظيفيا لإسقاط والإبدال) في قراءة ابن كثير عصماني مختارية / بإشراف:أ.د مصطفىاوي عبد الجليل
49	مستويات المنطوق بين جدلية الفصيح والعامي في الجزائر الطالبة: عاموش كهينة جامعة: عبد الرحمان ميرة قطب ابوداو بجاية. المشرف: الأستاذ محمد بوادي جامعة سطيف
65	الانسجام في النص التعليمي وأبعاده عليوة أمين جامعة حسبية بن بوعلي " أولاد فارس/ إشراف دأحمد بن عجمية
81	العدول في المفردة القرآنية وأثره في تأويل السياق القرآني - مقارنة تداولية - الدكتور: المغيلي خدير جامعة أحمد دراية أدرار
99	الترتيب المعجمي في القاموس المدرسي محمد بن رمضان وحدة البحث الموطنة بجامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان
110	"صور من شعر الحرب خلال عهد الموحدين"- مقارنة وصفية - المشرف: أ.د محمد مرتاض جامعة تلمسان
117	المنحى الاجتماعي للكتاب المدرسي - الطور الأول أنموذجا- الطالبة: بورقيعة سليمة جامعة تلمسان إشراف د. حمزة شريف علي
125	الأساليب الحجاجية والإقناعية في القرآن الكريم ابتسام صغيور جامعة الجزائر 2 : أبو القاسم سعد الله
136	تعالق الروائي والسيري في رواية دمية النار للروائي بشير مفتي عولمي دليلة كلية الآداب و اللغات جامعة طاهري محمد - بشار (الجزائر)
145	ترجمة المصطلح اللساني ومشكلاته (نماذج تطبيقية من المعاجم المتخصصة) الأستاذة: إيمان بوشوشة إشراف د.غريبي صالح جامعة العربي التبسي- تبسة-

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

162	صورة تلمسان في رحلة ابن بطوطة يامنة جبور اشرف د. ابن عزة عبد القادر كلية الآداب واللغات جامعة تلمسان
169	التواصل اللغوي في حياتنا اليومية . د . طول أمال جامعة تلمسان
188	مقارنة جهود ابن حزم الصوتية بالدراسات الصوتية الحديثة أ. محمد بو علي وحدة البحث تلمسان
197	أنواع الصراع في رواية "لا أحب الشمس في باريس "" لعبد الجليل مرتاض" حنبلي سميرة إشراف د . أمينة بن جماعي جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان-
208	الجموع في بردة المديح لكعب بن زهير - دراسة نحوية صرفية دلالية - د . إبراهيم أحمد سلام الشيخ عيد جامعة الأقصى - غزة- فلسطين
223	أولوية التنظير وتغيب خصوصيات النصّ العربيّ ديش هاشمي إشراف : ا.د. لخضر العرابي جامعة ابي بكر بلقايد . تلمسان
238	التحول الهوياتي في المجتمع العربي- من الكائن الاجتماعي إلى الكائن الرقمي- ماحي فتحي اشرف: ا.د. قريصات الزهرة جامعة ابن خلدون
250	آليات ضمان جودة تدريس علوم اللسان الطالبة: لعدي سليمة المشرفة: د. قصري خيرة جامعة بجاية
264	الحركة الثقافية خلال العهد الزياني- تلمسان في القرنين السادس والسابع للهجرة. الطالبة: فضيلة بو عياد بإشراف ا.د. محمد زمري جامعة تلمسان
275	التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب العربي من خلال الرحلة العياشية (ماء الموائد) الطالب :بناهض عبد الكريم اشرف د. والي دادة عبد الحكيم جامعة تلمسان
286	بعض مظاهر التقابل الثقافي من خلال الترجمة عربي/انجليزي. د. سعيد بن عامر جامعة تلمسان - ملحقة مغنية
295	تأثير اللججة في المهارات اللغوية وطرق علاجها الباحثة : آمنة شنتوف وحدة البحث-تلمسان-
303	أعمال بيتر نيومارك من منظور تعليمية الترجمة مليكة باشا المركز الجامعي أحمد زبانة - غليزان

كلمة العدد

يعمل فريق المجلة بكل إخلاص على استمرار إصدار أعدادها عدداً بعد عدد ، على الرغم من المعوقات والانتقادات (التي نصغي اليها ونستفيد منها حين تتضمن نقداً حقيقياً مسؤولاً و ليس عدائياً)، وهذا من أجل إبقاء المجلة منبراً مفتوحاً للكتاب وللقرء ، تتساجل على صفحاتها أفكارهم وآراؤهم و تتواصل ...، مهما اختلفت توجهاتهم الإبداعية والفنية ، و تنوعت أجيالهم ، وتعددت مواقعهم ..

و كنا نطمح إلى رسم مؤشرات وجهة المجلة نحو نموذج ثقافي هادف ، يتوسل التنوير الجاد والترحال خارج المعتاد والمتكرر..، إلا أن البعض يرى بأن زمن تشكيل المجلات الورقية لفكر يعمل عل إحداث تيار فاعل للتغيير في مسارات الإبداع وفي التاريخ لم يعد ممكناً أو أن أثرها ضئيل، في زمن الرقمنة والعولمة والتكنولوجيات الحديثة الهائلة .. (التي تنفتح على وسائط تفاعلية متعددة ؛ كالصوت والصورة والحركة والمشهد السينمائي والتشكيل والرسم والبرامج المعلوماتية..، وهو ما سيؤدي إلى تجديد الوعي بالنص والإبداع والنقد العربي..).

ذلك أن الأجهزة الذكية يسّرت للكاتب التواصل مع المتلقي وسماع رأيه وتقييم عمله في أيّ وقت..، وأزالت عنه التوتّر الذي يسببه حرّاس قوانين النصوص...، وقد تفتح الباب أمام أشكال جديدة لا تزال قيد التّشكل ونبلاغة أدبية جديدة ، و جنس أدبي جديد يعبر عن منطق جديد من التفكير .. ،
(كل وسيط جديد يُنتج شكلاً أو أشكالاً جديدة..، وكل شكل تعبيرى جديد يقترح بلاغة جديدة)

ومع ذلك نقول إن النص الورقي الغني يبقى محافظاً على مكانته السامية وعلى عمر أطول من عمر النص في زمن الأزرار التي حولت التجربة الإبداعية فيه إلى تجربة معلقة بالهواء .. وانتزعت منها قداستها وأصالتها ..
قال الجاحظ:

" القلم أبقي أثراً، واللسان أكثر هذراً "

البيان والتبيين 79/1

رئيس التحرير

النظام اللساني والسيميوطيقا الأدبية

أ.د. عبد الجليل مرتاض
جامعة تلمسان

(I) النظام اللساني في مستوى النص

(1 - I) النص؟

(1-1-I) النص مُستلّة من جنس لفظي

لقد مررنا بنا تعريفات ومقاربات نظرية حول ماهية النص من جهة، والمدونة من جهة أخرى، وكنا انتهينا إلى التمييز مبدئياً بين كل من المدونة والنص، وألحنا إلى أن المدونة أعمّ والنص أخص، حتى وإن كان الوقوف على مرجعية أحدهما ينمّ آلياً عن الإطلاع على آخرهما، ولربما وجدنا من يذهب عكس هذا الاتجاه في التقدير بين إشكالية المدونة والنص، لأنك من الصعب أن تنكر أن "سلهاماً" أو "برنوساً" أو نظاماً كلامياً خطياً كان أم شفهيّاً هو نص دون أن يكون مدونة أو العكس⁽¹⁾.

ولكننا هنا نتحدث عن مجال النص اللساني لغوياً، وسبق أن أشرنا، فيما أشرنا، إلى أنّ النص في إطار هذا المجال مجموعة من الملفوظات أو الجمل اللغوية الخاضعة إلى التحليل، ومن ثمّ فإنّ النص ليس إلا عينة مقتدّة من جنس أدبي معين تشير في مجملها إلى تصرف لساني يمكن أن تكون خطية أو منطوقة، لأن القواعد الوصفية لأية لغة قابلة لأن تحلّل انطلاقاً من ملفوظاتها التي تنتظم فيها، وأهم مرحلة في هذا التحليل تتعلق برغبة المحلل اللساني من جهة، وبالظروف التي عملت على إنتاج النص المُستشهى من جهة أخرى، وهكذا فإنّ الديالكتوجي الذي يهتم أساساً بمجموعة من الكلمات ذات الأصل الأجنبي في تواصل كلامي معين يجب أن تتوفر لديه قبل أي شيء كتلة كبيرة من الملفوظات المنطوقة سلفياً أو بحرية أو يُقدّم على ذلك العمل بإيحاء ممن تقصّوا المسألة، لأن هذه المدونة التي اتخذها سبيلاً لعمله الديالكتولوجي لاشك في أنها تحوي تراكمات كثيرة لا توجد لها أي علاقة مع البحث المقصود بالنسبة للديالكتولوجي (أو العُلّهجي)⁽²⁾.

(2-1-I) النص بنية كلية

ما من شك في أن النص يسلم لنا في بنية كلية مرتبة في ذاتها سواء أكان هذا النص خطياً أم منطوقاً قصيراً أم طويلاً، وسبق أن ألمحنا إلى هلمسليف الذي يضيف على كلمة النص معنى أوسع أيّاً كان نوعه وكثافته. فكلمة "قف" نصّ مثلها مثل رواية، بمعنى أي مادة لسانية تحلل أو تدرس تشكّل على حد سواء نصّاً يعود إلى لغة أو لغات عديدة، ويكون في الوقت نفسه منظومة قابلة إلى التحليل إلى مستويات وأجناس⁽³⁾.

وأما الملفوظات المتلقاة التي يتألف منها نصّ فتعدّ في مجموعها كونية univers، ولا تختلف إلا في نطقها وتَمظُّهَرُ أصواتها و تناغم إيقاع مقاطعها بين لغة وأخرى، فإذا قلنا نحن في العربية:

- جُبلوا أو عَجُنوا من طينة واحدة.

- Ils sont pétris dans une même pate

I - 2) وجوب ضلعة المتلقي للغة النص

وانطلاقاً من هذه الملفوظات الكونية الكامنة في كل نص، والتي يفترض فيها سلفاً، بل إجبارياً أن تكون متباينة بين كل نص وآخر، فإن اللساني يتلقاها غير مرتبطة en vrac، وليست مهمته تكمن وحسب في فرز مستوياتها، بل مهمته الجوهرية تقوم على تحليل عناصرها وفق الغاية أو القراءة التي يتوخاها، وفق المنهج الذي يتبعه سبباً لذلك، وأهمُّ مما أومأنا إليه أن تكون الحدود مرسومة رسماً واضحاً وصارماً بين مستويات التحليل حسب اهتمامنا من خلال الجمل أو التراكيب التي تعد مادة لسانية أساساً لمدونتنا أو نصنا، إذ من الغرابة بمكان ألا نفصل بين ما هو فونيتيكي ودلالي مثلاً، بل علينا أن نراعي أحياناً العناصر أو البنيات اللغوية في ذواتها تبعاً للتصرفات أو الملابس التي تمثلها أو الحالات التي تنبئ عنها، إذا لا يعقل ألا يأخذ بعين الاعتبار اللساني السياقات الزمنية وهو يحلل تركيباً لغوياً، يجب أن نتساءل مثلاً: لماذا جرى على السنة و شفاه المسلمين سلفهم وخلفهم المضارع "أشهد" بدل الماضي "شهدت" بل ذهب العلماء إلى أنه لا يجوز "شهدت" على أن الماضي حدث أو تصرف وضع للإخبار كقوله تعالى حكاية عن أولاد يعقوب "وما شهدنا إلا بما علمنا"، في حين أن المضارع موضوع للإخبار في الحال كقوله تعالى: "قالوا نشهد إنك لرسول الله"، فضلاً عن كون هذا الفعل "أشهد" يتضمن معنى المشاهدة، لأن الشهادة ليست إلا اسماً من المشاهدة، ومعنى القسم والإخبار في الحال، وينبغي أن نكون ضليعين في لغة النص ذاته، إذ لا يعقل مثلاً أن يجرؤ لساني على تحليل تركيب قرآني مثل قوله تعالى: "والملائكة بعد ذلك ظهير" وهو لا يدرك أن الظهير الدال على المعين هنا يطلق على الواحد والجمع، أو يقدم على لغة قوم دون معرفته بتصرفات أصحابها وهم يلهجون بها حتى يصير الإشكال فيها أحياناً كالوضوح، والوضوح كالأشكال، ومن ذلك التخاطبات المقلوبة لدى العرب، كقولهم: "عرضت الحوض على البعير" و"أدخلت القبر الميت" و"أدخلت القلنسوة رأسي".... لأن الأهمية تعطى للحوض، والقبر، والقلنسوة،... فهذا يشبه التقديم و التأخير، كما على اللساني المحلل أن يراعي مقتضى المقام وحافظ الكلام، من ذلك ما رواه أبو عمرو بن العلاء أنه سمع أعرابياً يمينياً يقول: فلان لغوب (أحمق) جاءت كتابي فاحتقرها. فقال له أبو عمرو: أتقول جاءت كتابي؟ أجابه الأعرابي: أليس بصحيفة؟، نشير إلى هذا إشارة عابرة حتى لا نقول: يجب أن يعرف التطور الدلالي للكلمات المورّعة في نصين متباينين زمنياً، من ذلك أن "القاروزة" مثلاً إناء كان يشرب فيه الخمر، ونحن نعلم ماذا أضحت تدل عليه الكلمة نفسها.

ولعل المفاهيم التي حاولنا أن نضيفها على النص تسمح لنا بإدراك أن هذا الأخير الذي هو مجموعة من الملفوظات التي قد تعادل لدى البعض مدونة أو خطاباً حسب المفارقات الأربع التي رسمها ميشال أريفي بنية متميزة بذاتها، وهذه البنية المقترضة فيها بنية نهائية هي أحد المبادئ الأساس لأي تحليل بنيوي تتبنى منهجية تقيماً من الإحالات

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

اللامتناهية إلى مرجعيات تعدّ خارج النص، ممّا يمكّننا من التركيز على دراسة النص ذاته كبنية مستقلة قائمة بذاتها. ويبقى الحديث عن النظام اللساني داخل النص يقتضي منا إثارة ماهية النظام اللساني بالنسبة للسانيات نفسها.

I - 3) البنية اللسانية

I-3-1) لسانيات النص

لا يختلف اللسانيون البنيويون إزاء اللسانيات البنيوية بأنها طورت تقنياتها الإجرائية والوصفية تطويراً مثمراً في ميدان كل من الفونولوجيا (علم وظائف الأصوات)، والمورفولوجيا (علم أصوات البنى)، والمرفولوجيا (علم الصرف)، ومقابل تطوير هذه التقنيات التي تساعد على تأويل معرفي داخلي أفضل، ظهرت أنها أقل فعالية فيما يخص المقاربة المنهجية والتطبيقية المتعلقة بمستويات السانتكس الوصفية.

أما لسانيات النص فتدرس موضوعاً يدخل في مجالها، لكن النص بوصفه نظاماً متميزاً نسقياً بنفسه أقل تبعية لنظام لساني شامل لا يخصه، لأنه منذ بداية التحليل يتمظهر لنا في أنه ينزع نزوعاً أكثر فأكثر إلى لسانات الكلام منه إلى لسانيات اللغة، بمعنى أنه عادة ما يتبنى استعمالات شائعة حتى ولو تبدو ظاهرياً خرقاً قواعدياً، ويصبح الخطأ الأكثر شيوعاً هو ما تلوكه أسنة العوام ولربما حتى الخواص، والإقرار بكون لسانيات النص يجب أن تدرس ظواهر الكلام فإننا "نلفت الانتباه مع ذلك، وفي إطار البحث البنيوي، بأن تحليل النص ينتمي كذلك أولاً إلى اللسانيات بوصفها علماً لنظام"⁽⁴⁾.

I-3-2) النص بين علاقتي التركيب والاستبدال

والنص لسانياً ما هو إلا تتابع وحدات تتابعا نظامياً فيما يصدر من بلاغات بين باث يقول شيئاً ومثلّق يلتقط ما يقال، وهذا التعبير يستدعي طبيعياً تتابع حلقات مربوطة الواحدة منها إلى الأخرى، "ويوحى هكذا بأن الوحدات اللسانية المتتابعة ليست موضوعة الواحدة بعد الأخرى بدون طائل"⁽⁵⁾. وأما دراسة هذه العناصر في السلسلة الكلامية فيقال لها تركيبية syntagmatique، والتركيبية تعترض مع الاختيارات التي يرغب فيها المتكلم في كل نقطة على السلسلة الكلامية، وهذه الاختيارات تنتمي إلى مجال آخر هو المجال الإبدالي paradigmatic⁽⁶⁾.

ويطلق اللسانيون العلاقات التركيبية على القياسات التوافقية régularités combinatoires بين الوحدات التي تشكل التركيب، وهذا يذكرنا ببعض المحاولات التي ظهرت خلال القرن التاسع عشر، والتي كانت تصف كل لغة بواسطة التنظيم الذي تفرضه كلماتها، وميّز ساعتها شليشير SCHLEICHER في الكلمة نوعين من المركبات الممكنة: الجذر الحمال لمعنى الكلمة، والعناصر النحوية التي تبين وظيفته في الجملة، مما جعله يميز لاحقاً بين ثلاثة نماذج من اللغات⁽⁷⁾، والنقطة الضعيفة في هذا البحث أن التركيبية الواحدة la seul syntagmatique المقصودة تتموضع في إطار الكلمة، مع أن تعريف الكلمة في حدّ ذاتها أبعد من أن يكون واضحاً.

I-3-3) دي سوسور والتركيب

كان علينا إذاً أن ننتظر ظهور "محاضرات في اللسانيات العامة" لدى سوسور الذي لم يأل جهداً في التمييز بين أنواع من التراكيب les syntagmes أي من بين توافق الوحدات المحققة من قبل المتكلمين حسب ما توحى به اللغة، وحسب ما هو معزوّ إلى مبادرة الكلام الفردي، وبناء على الرؤية الديسوسورية فإن تركيباً يرجع إلى اللغة حين يوجد بين هذا التركيب وعناصره علاقة متطابقة في المعنى والصوت بالنسبة لما يربطه بتراكيب أخرى وما يتصل به من عناصر، فالتركيب "poirier" (شجرة إجاص) منه poire (إجاصة)، ومثله ceriser (شجرة الكرز) منه séries (كرز)، و pommier (شجرة تفاح) منه pomme (تفاحة)، ونقول الشيء نفسه بالنسبة للأفعال: faire (عَمِلَ) ← dé-faire (خَرَبَ)

- coller (طلا شيئاً بغراء) ← dé-coller (فَكَّ)

ويوضح دي سوسور أن الكلمات التي تمثل خطاباً تقيم فيما بينها، وضمن تعاقدها معين، علاقات مبنية على صفة الدال الخطية الممتد في الزمن والمتمتع بالاتساع والقياس في بعد واحد، وبعبارة أخرى يقوم خطابنا على صفة الدال الخطية التي لا تسمح بلفظ عنصرين في آن، يسمى الأنساق الناتجة عن السلسلة الكلامية والتي يكون المدى سندا لها تراكيب syntagme، والتركيب عنده متشكل دائماً من وحدتين متعاقبتين أو أكثر.

والرؤية الديسوسورية لاتعني إلا الكلمات داخل الخطاب، والتي تكسب قيمتها من تقابلها مع ما يسبقها أو ما يليها أو الاثنين معاً، وأما الكلمات التي تكون خارج الخطاب فتتسم بشيء مشترك مترابط في الذاكرة بحيث تسود مجموعاتها علاقات مختلفة، فالفعل (علم) في العربية مثلاً قد يوحي لنا بما لا يقل عن مائة وعشرين ترابطاً خارجياً منبثقاً من جذر واحد، ومن ثم يرى أن العلاقة التركيبية علاقة حضورية على حين أن العلاقات الترابطية علاقات غيائية في سلسلة موجودة بقوة الفعل.

ونبه الرجل إلى أنه لا يكفي اعتبار العلامة الرابطة بين مختلف أجزاء التركيب مثلاً contre tous وفي: contre tous (أي ضد الجميع) contre و maitre في كلمة contremaitre (رئيس ورشة عمال)، بل يجدر بنا أن نراعي ما يربط الكل بأجزائه، أي أن contretous تقابل من جهة الجزء الأول contre ومن جهة أخرى تقابل tous أو contremaitre تقابل كلا من contre و maitre مشيراً إلى أن الجملة التي يعدها النمط الأفضل للتركيب تنتمي إلى الكلام لا إلى اللغة نافعياً أن يكون التركيب عائداً إلى الكلام، باعتباره الكلام خاصية من خاصيات حرية الإنسان، وما يعود إلى اللغة من تراكيب جاهزة ومبتذلة، وهي قليلة، لا تنم عن استبعاد انتماء الجملة إلى الكلام، مقرأً بوجوب أن نسند إلى اللغة لا إلى الكلام جميع أنماط التراكيب المبنية معترفاً بأنه لا توجد حدود واضحة في مجال التراكيب بسبب وقائع اللغة التي هي علامات الاستعمال الجمعي ووقائع الكلام التي هي من حرية الفرد.

II ميشال أريفي والسيميوطيقا الأدبية

II - 1 كيف نتعامل

مما عاد تقليدياً أن قارئنا يدّعي أنه يقرأ نصاً قراءة لسانية أو سيميوطيقية جديدة نسبياً يجد نفسه أمام شبكة أو "عصابة" من النظريات أو الإحالات المتقاطعة والمتناصّة تارة إلى درجة التضامن والتعصب، أو المرجعيات والأفكار المتضاربة والمتصادمة تارة أخرى إلى درجة العداوة والقطيعة، وإذا كنت أنا لست من هؤلاء ولا أولئك لسبب بسيط، هو أنني لم أبلغ بقراءتي السطحية والتابعة بعدُ أحدَ هذين المستويين، لكوننا ألفينا أنفسنا نعمل في محيط لا يتناص ولا يتضامن هنا إلا ليتضارب ويتصادم هناك.

الحق أقول، إلى جانب الآراء والأفكار الجليلة التي أشرت إليها عرضاً فيما سلف للسانين ونقده غربيين أجلاء، فإنه من غير المنصف، ونحن نتحدث عن بنية النص الأدبي في هذا العرض، أن نتجاهل أو نتناسى ميشال أريفي Michel arrivé، وسنجرئ هنا بالإحالة على أفكاره المنهجية والإجرائية الثيرة التي جاءت في أحد أعماله "السيميوطيقية الأدبية la sémiotique littéraire"، بحيث يعد هذا المبحث زبده ما اهتدى إليه ميشال أريفي ربما حتى الآن.

ولا يمكن أن نشير - فضلاً عن أن نتحدث - إلى كل العناصر التي درسها وأثارها الرجل في محثه هذا، بل سنقصر إشارتنا على ما نحسبه أن له صلة بالنص الأدبي من جهة، وعلى ما نعتقد أنه يعمل على إثراء هذه القراءة النصية التي مهما بلغت، فإنها ستظل قاصرة وعميقة أمام هذه المدونة الأدبية الكلاسيكية التي عدّها من تقدمنا منذ قرون، مدونة تجاوزت كونها نصاً كسائر النصوص التي سبقتها أو عاصرتها أو لحقتها، بما في ذلك النصوص الأموية والعباسية التي يبتكر مثلها في فضاء الأجناس الأدبية العربية حتى الآن.

II - 2 الأدب في تصور أريفي

II-2-1 الأدب نظام من العلامات

فبعد أن يطرح ميشال أريفي تساؤلات حول الأوصاف والمضامين التي عادة ما تتوّج بها كلمات مثل : littéraire (أدبي) أو littéarité (وضعية النص الأدبي) أو littérature (أدب)، وبعد أن يطمئن إلى حدّ ما إلى أحد نصوص ألجيرداس جليان قريماس بأن "الأدب بوصفه خطاباً مستقلاً في ذاته يتضمن قوانينه ونوعيته الجوهرية littéarité intrinsèque" التي كانت تريد أن تؤسّسه فهتت بسهولة على أنها دلالة اجتماعية ثقافية connotation socioculturelle⁽⁸⁾ قابلة للتغيير variable تبعاً للزمن والفضاء الإنساني⁽⁹⁾ دون أن يأخذ به كلياً، وبعد أن يعرف السيميوطيقا تعريفاً تقليدياً للسانيين على أنها الوصف لأنظمة من العلامات، ودوال تطبيقية، فإنه يلاحظ أن حضور الأدب في مدونات سواء أكانت شفوية أم كتابية، لسانية أم غير لسانية، إنسانية أم ترجع إلى لوائح فضائية أخرى، لا يعدو أن يعتبر كنظام من العلامات أو دوال تطبيقية⁽¹⁰⁾.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

وبناء على ما ألمح إليه أعلاه، فإن ميشال أريفي يَجَنَحُ، ومنذ البداية إلى تعريف الأدب سيميوطيقياً مشوباً بالاتجاه السيميولوجي الديسوسوري العام الذي يجعل كل ما هو لساني منضوياً تحت ما هو غير لساني.

إننا لنرى بادئ ذي بدء أن مفهوم الأدب في غير تصور ميشال أريفي مجموعة من النصوص المستقبلية (بفتح الباء) كأدبيات وسط تزامن اجتماعي ثقافي معين، غير أن ميشال يعلّق على هذا التصور المعطى للأدب بقوله: "نلاحظ أن هذا التعريف يراعي مشاكل التحديد لتصور وضعية النص الأدبي التي تفهم كنوعية لنمط من النصوص، ومن جهة أخرى، فإن التدخل لمفهوم التزامن الاجتماعي الثقافي يقصي المشاكل التي تطرحها التغيرات التي تلاحظ من عصر إلى عصر في الأحكام المصوغة حول أدبية النصوص"⁽¹¹⁾.

II-2-2) النص والخطاب

وبشأن النص، فإنه يورد له أحد التعاريف التي ترى أنه تلك المجموعة المؤلفة من قبل الخطاب و الحكى *le récit*، إلى جانب تلك العلاقات التي تستقر بين الخطاب والحكي وأما الخطاب فليس إلا ذلك الترابط أو التسلسل لوحدات لسانية صرف من الفونيمية إلى الجملة، والتي تفصح عن النص، ومن نواحي أخرى، فإن النص الأدبي يُشَبَّه بجمل كبرى أو بتسلسل بعدد محدود من الجمل الكبرى ضارباً المثل بنص الغريب لكاموس *l'étranger de camus* الذي يمكن أن يحلل إلى عدد من المقاطع التي يمكن لكل واحد منها أن يشكل صفة جملة "فلوصف هذه الجمل للقصة تستعمل إذاً المفاهيم الشبيهة بتلك التي تستعمل لوصف الجمل للخطاب، وهكذا، فإن المفاهيم التي وضعت من فريماس مستعارة *empruntées* بعد خضوعها مع كل ذلك إلى عدة تعديلات من تلك التي كان لوسيان تنيير *LUCIEN TESNIERE* يستعملها من أجل وصف البنية لجمل للغة طبيعية"⁽¹²⁾ مستلهماً تعريف تنيير *TESNIERE* للعوامل *les actants* بوصفهم كائنات *les êtres* أو أشياء تشترك في العملية داخل العمل الأدبي.

II-2-3) الفواعل والفئات

ومن ثم فإن الفواعل⁽¹³⁾ *les actants* تحدد هوياتهم في ثلاثة أقسام:

(1) *le prime actant* أول العوامل الذي يقابل الذات *le sujet*

(2) العامل الثاني (الموضوع *l'objet*)

(3) العامل الثالث (الموضوع الثانوي *l'objet secondaire*)

ولكي يجعل فريماس هذه المفاهيم مؤهلة ليس فقط لبنيات الجمل، بل حتى لبنيات

القصة *le récit* فَمَفْصَلْ هذه العوامل الثلاثة إلى ثلاث فئات:

(1) فئة ذات *vs* (versus) ضد الموضوع.

(2) فئة المرسل *vs* المرسل إليه، ويرى فريماس أن المرسل *le destinataire*

هو العامل الذي يعمل على تحريك الذات ليحصل منها رد فعل يكلفه بمهمة ما، في حين

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

أن المرسل إليه le destinataire يكون في فائدة الذات التي تسعى إلى الحصول على الموضوع، ومن ثم فإنه في بعض الحالات يوجد لبس بين المرسل إليه و الذات (3) فئة معارضة vs للعامل المساعد adjuvant

II-2-4) الحكى عند أريفي

وبناء على هذه المعطيات المشار إليها أعلاه، ومع ما يكتفها من التباسات، فإن ميشال أريفي ينتهي إلى صياغة تعريف مختصر للقصة le récit أو الحكى "مع أخذ هذه الملاحظات بعين الاعتبار، يمكن تعريف الحكى أو القصة le récit كمجموعة من العلاقات التي تتمركز qui s'établissent بين مختلف الوحدات العاملة actantielles"⁽¹⁴⁾.

II - 3) الإنهاء البنيوي الحكى المنتهي

وبعد أن يستعرض ميشال أريفي بعض الأفكار النقدية اللسانية كفكرة هنري ميتران الذي كان يرى أن نص عمل أدبي نص مستمر ونهائي ومغلق clos محتجز بين أول كلمة في السطر ونقطة نهاية صفحته، ينتقل إلى إعطاء كل ما هو حكي أو خطاب قصصي تشريحاً أقرب إلى صيغة منطقية وعلمية منه إلى قراءة لسانية أكاديمية، تشريحاً خص به ما أسماه الإنهاء البنيوي la finition structurelle قائلاً: "يمكن لنا أن نعتبر أن الإنهاء البنيوي يعني القصة le récit منها التي تشكّل الانتهاء clôture. ويمكن أن نتصور تعريفاً للإنهاء البنيوي⁽¹⁵⁾ بوساطة البرمجة للقصة: كان نقول تكون القصة مغلقة عندما تكون مجموعة مقاطعها مورطة impliquée من قبل أول مقطع من مقاطعها، وتمثل المأساة الكلاسيكية في إطار هذه الرؤية أحسن مثال للقصة المغلقة، غير أنه من الممكن ألا يتم تدخل لتحديد الانتهاء للقصة إلا خلال المقطع الأخير لهذه الأخيرة، وعدة حالات، فإن الفعل المركزي لهذا المقطع الأخير لا يمكن له أن يتواصل أبعد من عبارة مورط terme impliquée بوساطة البنية نفسها لمحتوى هذا الفعل action: تعدّ القصة بنيوية إذا كانت منتهية أي مغلقة، لكن في حالات أخرى، يمكن لفعل المقطع الأخير أن يتواصل أبعد من نهاية الخطاب: قصة مفتوحة..."⁽¹⁶⁾.

II - 4) التلاعبات السردية داخل العمل الحكائي

ويواصل حديثه لبيان التلاعبات الفنية والسردية والتقنيات البنيوية للفئات الثلاث وتفاعلها داخل العمل الحكائي ليخلص إلى القول بأن القصة مثلها مثل الخطاب يمكن أن تكون، وحسب الحالات، مفتوحة أو مغلقة، ليعلن أن هناك، من الناحية النظرية أربع فئات للنص:

- (1) خطاب مغلق، قصة مفتوحة discours clos, récit clos
- (2) خطاب مغلق، قصة مفتوحة discours clos, récit ouvert
- (3) خطاب مفتوحة، قصة مفتوحة discours ouvert, récit ouvert
- (4) خطاب مفتوح، قصة مغلقة discours ouvert, récit clos

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

وإلى هذه النتائج النظرية التي لا نعتقد أنها الوحيدة الممكنة لاستنتاج عمل قصصي أو تحليل نص أدبي، نعتقد أن الرجل ينحو منحى بعيدة عن أفكار لسانية نابغة من دي سوسور وهلمسليف بوجه أخص، ولكنه لا يلبث أن يعود من بعيد ليحوم على الإشارة اللسانية في منظور هلمسليف الذي كان يرى أن العلامة اللسانية مؤلفة بوساطة العلاقة السيميوطبقية المتمركزة بين التعبير والمحتوى، وهذه الثنائية الهلمسليفية تقابل تتابعاً الدال والمدلول لدى دي سوسور.

II – 5) النص الأدبي موضوع سيميوطيقي

والأهم مما ذكره وفصله ميشال أريفي أن النص الأدبي يعتبر كموضوع سيميوطيقي *comme un objet sémiotique* مثله مثل حلم من الأحلام *le rêve* *aussi est un objet sémiotique* بمعنى أن موضوعاً سيميوطيقياً ذو عدة محتويات منتها إلى القول "إذا أخذنا بعين الاعتبار الوصف الذي أسقطناه حتى الآن على النص الأدبي بوصفه موضوعاً سيميوطيقياً، فإنه من السهولة بمكان أن المناهج التي وضعت للتوضيح بغية وصف ألسنة طبيعية معرضة لفقد جزء كبير من فعاليتها بالنسبة إلى الأدب" (17).

II – 6) تعقيب وتحليل

ومما أعتقده أن هذه الأفكار أخص بأجناس أدبية حديثة تخضع سلفاً لتقنية بنائية تتناسب مع طبيعة جنسها الأدبي أو الإبداعي، ولا أحسب أنها تُمارَس شمولياً على كل النصوص، ولا سيما النصوص التي لا تدخل في إطار هذه التحديدات الأربعة، كما أحسب أن هذه المجالات الأربعة هي كل ما تسكن وتتحرك فيه القصة، بل أجزم أن النص هو الذي يميّط لثامه، ولكنه لا يميّطه بصورة معينة سلفاً، وليس من باب الضرورة الملحّة أن تكون القصة، وفي كل حال، مثلما وصفها ميشال أريفي، إذ ما أدرانا أن ثمت قصصاً و(لاسيما الروايات) غير مغلقة ولا مفتوحة، أو غير مفتوحة ولا مغلقة، بل هي عَوَان بين ذلك.

كل عملية إبداعية من تصميم خيالي أو حقيقي ليست جديرة بعالم الإبداع، وسواء انطلق من شيء (+) أو لا شيء (-)، ولربما يسود نقدنا اعتقاد راسخ بأن النصوص المسماة كلاسيكية غالباً ما تتخذ خطابها سلفاً من معطيات مبتدلة، كالنصوص الشعرية العربية القديمة، ولذا فهي تتحرك من معلوم إلى مجهول (+ ، -)، ولربما تحركت من معلوم إلى معلوم (+ ، +)، وقلما تتحرك من مجهول إلى معلوم (- ، +)، فضلاً عن تحركها من مجهول إلى مجهول (- ، -)، وهذه الانطباعات غير منصفة لهذه النصوص التراثية، لأن أصحابها سلفيون، وكان نسجها طبيعياً، وإنتاجها ورد نتيجة لردودات فعلية بريئة، وما فيها من مظاهرات تكرارية لا ينم في روحه عن تكرار، بل عن ثقافة معيشة، وفلسفة فنية، ودواعي جمالية، وعوامل نفسية واجتماعية موروثة.

هوامش الدراسة :

- 1 - أي عالم اللهجات، أما علم اللهجات نفسه، فيمكن نحتة بكلمة "العلّهجة"، والنسبة إليه: علّهجيّ، علّهجيون، والاشتقاق منه: علّهج (فعل) يُعلّهج علّهجة، ... إلخ.
- 2 - في عملنا "في عالم النص والقراءة" الذي هو الآن بصدد الطبعة الثانية (ديوان المطبوعات الجامعية).
- 3 - Introduction à la méthodologie structurale de la linguistique, Roger, G. Van de valide, éditions Labor, Bruxelles, 1973, P :115
- 4 - La linguistique (guide alphabétique), sous la direction d'André, éditions de Noël, p :25.
- 5 - أنظر المرجع أعلاه، ص:25.
- 6 - أنظر: التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، عبد الجليل مرتاض، دار هومة (الجزائر)، ط: 2005، ص: 112-114، و مباحث لغوية في ضوء الفكر اللساني الحديث، عبد الجليل مرتاض، دار ثالة (الجزائر)، ص:103
- 7 - في الواقع أن مصطلح connotation لا يبرح غامضاً فيما نترجمه من مصطلحات لسانية غربية (ظل المعنى، دلالة غير مباشرة، مفهوم مرافق للمفهوم الأصلي، تضمين، دلالة حافة مفهوم مقترن... إلخ)
- 8 - Pour comprendre la linguistique, Mrina Yaguello, éditions du seuil, 1981, Paris , p :106
- 9 - نفسه ص:107
- 10 - المرجع السابق ص:107
- 11 - مرجع سابق ص:108
- 12 - قلنا فواعل حملا على ما لا يعقل مثل: حائط وحوائط، وليس على ما يعقل مثل: حائض وحوائط أو على من يعقل مما هو مذكر (لان هذا الأخير لم يأت فيه فواعل إلا في كلمات جمع مشهورة مثل: فوارس، نواكس ... لفارس وناكس).
- 13 - المرجع السابق ص:109
- 14 - ترجمنا: الإنهاء البنيوي مقابل la finition structurelle ، ويمكن أن تترجم هذه الجملة الإنجاز البنيوي تبعاً للسياق المفضل.
- 15 - المرجع السابق ص:114-115
- 16 - المرجع السابق ص:121

المرأة الغربية والمرأة الشرقية

* د. نضال الأميوني دكاش

أستاذة متفرغة في الجامعة اللبنانية الأمريكية LAU

مقدمة:

إنّ عصر النهضة، ثورة العالم الحديث الأولى، أوجد المعطيات الأولى لتحرير المرأة ثم أغلق عليها بأحكام أبواب دارها. فتح أمامها الدروب العريضة للثقافة الفعلية وأوجد، في الوقت نفسه، عالماً عقلاً من العلم والتقنية يتميز بطابعه الذكوريّ الخشن. حكم على عداء الكنيسة للمرأة وبالتهقير بعد أن علمنا الفكر ونهلنا من المنابع الوثنية، وهكذا بقي وضع المرأة يتأرجح بين عالم مفتوح وآخر مغلق وبقي العالم يتخبط تارة في النور وطوراً في الديجور. ففي عام 1468، كتب الإيطالي أنطونيو إيفانو كلمة تنضح بالعقلية الليبرالية وتشهد على أنّ تزمّت التقاليد وقسوتها تجاه المرأة سجلاً تراجعاً في القرن الخامس عشر بفعل إرادة الرجل قال: "لا يجوز لجم النساء وإبعادهنّ عن الملذات الشريفة إلى حدّ حملهنّ على الاندهاش بكل ما يشاهدن، أسوةً بسجناء طالّت فترة حبسهم"⁽¹⁾. إذن، لقد أخذت بوارق التحرر تلمع في سماء التفكير، الأمر الذي دفع كاستليونه⁽²⁾ في كتابه "جليس الأمراء" أن يقدم لنا إلى جانب صورة "رجل البلاط" النموذجي صورة سيدة القصر النبيلة المطالبة بمعرفة سائر الفنون الجميلة، والمتمتعة بثقافة أدبية رفيعة، والمتمتعة العزف على آلة الموسيقى، فقد "جاء الزمن الذي لم تعد فيه قوانين الرجال الصارمة قادرة على منع النساء من السعي وراء العلم والأدب"⁽³⁾ " وأنه على نصف البشرية المذكر أن يقرّ بذنبه ويندم على خطيئته"⁽⁴⁾ ويصرخ جيللي في وجه معاصريه قائلاً: "أنتم تعاملون النساء كإماء وكخادמות لا كرفيقات كما يقتضي العدل، وهذه المعاملة تخالف النظام الطبيعي أشدّ المخالفة بحيث لا يجرؤ أي حيوان على ارتكاب نظيرها"⁽⁵⁾. وكان من نتائج هذه الصرخات أن تربيّت المرأة على العرش، ونالت أكثر حقوقها ولكنّ عصر النهضة هذا، عصر التناقضات أوجد إزاء عالم منفتح وتحرريّ النزعة عالماً آخر منغلقاً، متحفظاً، جعل المرأة من جديد تفقد معظم فوائد الحرية التي كانت قد لاحت أمامها.

* المرأة الغربية من النهضة إلى القرن العشرين

1- الإصلاح الديني وموقفه من المرأة

يوم انطلقت النهضة من مهدها المتوسطي حيث يعيش المرء خارج بيته ووصلت إلى الشمال، حيث المرء داخل بيته، وجدت الأبواب موصدة أمامها. فانكفأت على نفسها بعدما كَلّت يدها من قرع الأبواب دون جدوى. فتراجعت حالها إلى الوراء أمام تعاليم لوثر⁽⁶⁾ وكلفن⁽⁷⁾. فقد رسم لوثر صورة عن المرأة القوية مستوحاة من تلك التي وردت في الأمثال "المرأة الورعة والتي تخاف الله هي نعمة نادرة... إنها تدخل المتعة إلى قلب زوجها... تغزل الكتان والصوف وتحب أشغال يديها، تكسب قوتها في بيتها، وتشبه سفينة التاجر التي تعود بالخيرات والسلع من البلاد النائية. تنهض باكراً في الصباح ولا تتفاسع عن

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

العمل مع قدوم الليل" بل تمدّ يدها إلى مغزلها... العمل والنظافة هما حليها(8). أما كلفن فقد شدد من جديد على الفصل بين اختصاص الرجل والمرأة وجعل الأول في مكتبه والثانية وراء طناجرها. ومن يتصفح رسوم ذلك القرن يقف على حقيقة الأمر. فرسوم جان فرنر فندلفت تظهر المرأة في المطبخ وراء طناجرها(9). وهكذا نرى أنّ اليد التي فتحت الباب أمام المرأة عادت فأوصدتها من جديد في وجهها. فعاد الجهل إلى شوارع فرنسا مثلاً، وقرع أبواب الكنائس حتى أنّ القديس منصور(10) اشتكى مرّ الشكوى من جهل الكهنة في مطلع القرن السابع عشر، وشاركته الشكوى الأنسة دوغو رناي من جهل النساء. وهكذا أغلقت الحياة أبوابها في وجه المرأة من جديد، واستوطنت الحرب الأهلية في تلك الشوارع فمحت من ذاكرة الفرنسيين مثلاً أصول المجتمع ولباقتها، فالهمجية عادت إلى نصب خيامها في ساحات البلاط الملكي. وقصر اللوفر في باريس راح يجمع بين عطور السرايا وروائح الإسطلب الكريهة. وتحولت حفلات الباليه في تلك القصور إلى تهريج فاحش، تخشى النساء حضورها سافرات. ولكن رغم هذا كله، ظهرت نساء شهيرات تفوقن على الرجال في شتى الميادين ومختلف المجالات. وقد ذكر لنا جان غليوم أسماءهنّ في كتابه "النساء الشهيرات" الذي نشره عام 1665(11).

أ-القرن الثامن عشر يغلق أبوابه على خيبات أمل

في بداية هذا القرن، أصبحت المرأة سلعة استهلاكية يملكها الرجل الذي كان يجد متعة في عذابها. فقد أصبحت العلاقات بين الرجل والمرأة على جانب كبير من الخطورة. عبّر عنه بطل رواية "لاكلو" فهو يهجر ضحيته بلا مبالاة ولا اكتراث ويقول لها: "إننا نملّ من كل شيء في النهاية يا ملاكي... وداعاً، لقد أخذتكم بكثير من المتعة ولسوف أتركك دون أي أسف(12)". إلى هذا الحدّ وإلى أبعد منه، وصلت العلاقات بين الجنسين، حتى أنّ مفهوم الحب قد تغيّر فلم يعد حسب مفهوم "شامفور"(13) أكثر من "تبادل نزوتين لدى احتكاك بشرتين". ويسدل التاريخ ستاره على الربع الأول من هذا القرن ويطالعنا الربع الثاني بأراء فلاسفة الثورة الفرنسية التي كانت بمثابة بذور نضجت بسرعة فانفجرت لتكوّن نبتة جديدة جديرة بالعناية. إذ فتحت الثورة باب الطلاق للمرأة وأعطتها حقاً في مساواة أخيها في طلب العلم، وفي إدارة ممتلكاتها. أما الحقوق السياسية التي طالبت بها النساء فقد بقيت كلاماً بكلام ولم تعط أي حقّ منها. ويوجد القرن الثامن عشر بابيه على خيبات أمل بالنسبة لتلك الحقوق ورغم هذا كله، بقيت المرأة أداة متعة حتى ولو كانت صورة. فالرجل يجد متعة في رسمها عارية الصدر مطأطئة الرأس أو شاخصة إلى البعيد البعيد علّها تستشفّ مستقبلها الغامض.

ب-المرأة في القرن التاسع عشر

ويفتح القرن التاسع عشر بابيه على مصراعيه للحريات فيتكهن الشاعر الفرنسي فيكتور هيجو(14) في ساعة تفاؤل ويقول: "لقد كان القرن الثامن عشر قرن حقوق الرجل ولسوف يكون القرن التاسع عشر قرن حقوق المرأة"(15). ولكن هذا الحلم الذي لاح في الأفق لم يتحقق مع الأسف في الوقت المنتظر فقد كان القرن التاسع عشر في الواقع من أقسى القرون وأكثرها ظلمة في تاريخ المرأة الغربية. فقد ولد هذا القرن مع ولادة القانون

المدني⁽¹⁶⁾ المتميز بصراحته تجاه المرأة، فقد جرّدها من حقوق كثيرة كانت قد منحت لها من قبل، فقد جرّدت حق الشهادة والمقاضاة والتوقيع على العقود، وفي المادة 317 من قانون نابوليون ما يثبت هذا "إنّ المرأة المتزوجة، لا يجوز لها أن تهب ولا أن تنقل ملكيتها، ولا أن ترهن، ولا أن تملك بعوض أو بغير عوض، بدون اشتراك زوجها في العقد أو موافقته كتابياً." حتى أنه منح الزوج حق مراقبة الرسائل الموجهة إلى زوجته فبات باستطاعته أن يطّلع عليها ويتلفها إن شاء. لقد أبدع المشرّع عن قسوة أكيدة. والجدير بالملاحظة أنّ القانون المدني هذا أثار إعجاب دول عدة فاقتبست منه الكثير وطبّقته في بلادها، مما أدّى إلى انتشاره، وبالأحرى انتشار مبدأ الدونية القانونية للمرأة المتزوجة.

ج- الثورة الصناعية وأثرها على الوضع النسوي

بسّطت الثورة الصناعية ذراعيها على المجتمع الأوروبي، فأحدثت فيه انقلاباً خطيراً في الحياة الاجتماعية، حيث وقعت المرأة الضحية الأولى لنتائج هذه الثورة في مضمار عالم العمل لأنه "نتيجة جميع التحسينات التي أدخلت على الآلات ينتقل عبء العمل الحقيقي الذي كان يتطلب توتراً فيزيائياً انتقالاً مطّرداً إلى الآلة، وهكذا يتحول عمل الرجال الكبار إلى مراقبة بسيطة يمكن أن ينفذها تماماً كل من المرأة الضعيفة القوة، والطفل، وهذان يتقاضيان مقابل ذلك أجراً أقلّ بمرتين أو حتى بثلاث مرات من الرجل⁽¹⁷⁾. هذا من جهة ومن جهة ثانية، كتب جول سيمون يقول: "لقد حطّم المحرك البخاري، منذ لحظة ظهوره، سائر دواليب المنزل والمغازل، وأرغم العاملات في الغزل والنسيج على استجداء مكان لهنّ في ظلّ فرن المصنع العالي⁽¹⁸⁾". هذان القولان يرسمان لنا بوضوح الطريق الذي سلكته المرأة الغربية في القرن التاسع عشر لتأمين معيشتها، ولا يخفى على أحد الظروف التي عملت فيها المرأة والأجور التي تقاضتها، الأمر الذي أسفر عن تأسيس تجارة رقيق حقيقية. ومن يقرأ كتاب نساء العصر الفيكتوري بين "الرواية والمجتمع" الذي يقرأه البريطانيون اليوم. وهو للكاتبة فرنسواز باش، يفف على الحالة الاجتماعية التي كانت تعيشها النساء في الفترة ما بين 1727-1867 أي فترة الحكم الفيكتوري، لأنّ الكاتبة تستعرض فيه كافة أنواع الضغوط التي وضعت النساء تحت وطأتها في تلك الفترة كنّ الضحايا الأوائل للثورة الصناعية التي أثارت المتناقضات.

د- المرأة على المسرح السياسي في القرن التاسع عشر

أنكر برودون⁽¹⁹⁾ على المرأة باسم العدالة والحب، كل حق في المشاركة السياسية، وكتب يقول: "كل امرأة تحلم بالتححرر تفقد بطبيعة الحال صحتها النفسية، وصحواها الفكري، وعذرية قلبها، وتضع نفسها على درب الخطيئة"⁽²⁰⁾. لكنّ مذهب كارل ماركس⁽²¹⁾ وكتاب بيبيل⁽²²⁾ الشهير "المرأة والاشتراكية" أزالا بالتدرّج التحفظات البرودونية إزاء عمل المرأة وقد دعا أنجلز⁽²³⁾ إلى "دخول المرأة الجماعي إلى الصناعة العامة". وذلك لإشراك المرأة في الصراع البروليتاري الكبير ومن أجل تحريرها من النير العائلي والمنزلي. هذا على المسرح الأوروبي فماذا عن الدور الذي لعبته المرأة على خشبة مسرح السياسة في أميركا. هناك قطعت المرأة شوطاً كبيراً في هذا المجال، إذ ساهمت في حرب التحرير

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

والاستقلال، واعتنت بالمرضى وحاربت في بعض الأحيان، وعقدت مؤتمرات نسوية كان أولها في سينيكا مولز في تموز 1848 فقد ورد في التقرير الذي نُلي في هذا المؤتمر "لقد خلق الرجل والمرأة متساويين وقد منحهما الخالق حقوقاً ثابتة لا يجوز مسّها. والحال أنّ الرجل راح يفرض على المرأة قوانين لم تشارك في وضعها، لقد اغتصب الرجل صلاحيات يهوه"⁽²⁴⁾. نعم، لقد تحررت المرأة وباتت تلعب في نهاية هذا القرن دوراً خطيراً وبارزاً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وخاصةً في الولايات المتحدة الأميركية.

ه- المرأة في القرن العشرين

وخلصة القول أنّ القلعة الذكورية المتمثلة في القانون المدني الصادر عام 1804 قد تعرض في هذا القرن لهجمات مكررة أحدثت فيها ثغرات، الأمر الذي حمل بعضهنّ على احتلال هذه القلاع والتربّع على عروشها. ولنا من بريطانيا خير دليل على ذلك. وباختصار نقول "إنّ هذا القرن - القرن العشرين تميّز بالصراع بين الجنسين، وقد يظهر هذا الصراع إلى السطح أحياناً، وقد يختفي في القاع أحياناً أخرى، وقد يصبح واعياً ملموساً، وقد يكون صراعاً خفياً مدفوناً في العقل الباطن واللاوعي"⁽²⁵⁾. كذلك يتميز النصف الأخير من هذا القرن بأنّ هذا الصراع من أجل تمزيق قيود المرأة وإنهاء عبوديتها قد أصبح صراعاً واعياً ملحوظاً. وقد خرج بفضل بعض الدراسات النفسية الحديثة من منطقة اللاوعي إلى منطقة الوعي. ولكنّ المرأة لم تنجح في صراعها حتى الآن في أي مجتمع من المجتمعات. وإنه بالإمكان تشبيهه عدم نجاحها في إنهاء عبوديتها بعدم نجاح العالم في إنهاء الحروب الدامية بين البشر وفي هذا الصدد، يقول إيربن فروم "إنّ الحرب بين الجنسين قد استمرت منذ آلاف السنين وإنّ دعاية الرجال عنها في مثل سخافة دعايتهم عن الحروب بين الدول"⁽²⁶⁾. "فالمرأة في عصرنا الحديث، تلك التي تعلّمت وخرجت إلى العمل في أي مهنة، ما زالت تشعر بالقيود من حولها وبالكرهية أيضاً في جوّ العمل (المناخ العام لجوّ العمل) والويل لها إذا ما أظهرت تفوقاً على زميلها الرجل، فإنّ صفة الذكورة هي أقلّ صفة تلتصق بها. ولفظة "مسترجلة" دليل ساطع على ما ذهبت إليه. فتاريخ المرأة في الغرب مثقل بما حمل من جهالة الوثنية، وخرافة القرون الوسطى، ومعارك الدين والدولة في عهود الإصلاح الديني، وتناقضات عصر النهضة وحروب القرن العشرين وليس بأهونها ولا أسلمها معركة النضال من أجل حرية الفكر وحرية الانتخاب. فبعض البلدان أحرز اسم البلدان المتطورة والبعض الآخر ما زال يغطّ في نوم عميق. لقد اختلفت قيمة الوقت بين الشقيقتين فتباينت طرق حياتهما. وكان أحدهما من كوكب والثاني من كوكب آخر. فلننتقل إلى الكوكب الآخر وإن صحّ التعبير، إلى الشرق لنرى وضع المرأة فيه.

*المرأة الشرقية من خلال الديانات السماوية الموحدة

1-المرأة العبرية

ثمة حقيقة لا بدّ من الاعتراف بها: أنّ النوع العبري لم يشذّ عن القاعدة السائدة في عصره، فعلى الرغم مما اتّسم به من تميّز، نلمس عندهم ذلك الإيقاع الثلاثي الذي طالما تكرر في تاريخ شعوبٍ أخرى. في البداية، تتمتع المرأة بوضع مرموق، ثم تأتي مرحلة الانزواء والإمحاء، وبعد ذلك يتحسن وضعها بالتدريج ويترقّى، ولكن من دون أن يبلغ عتبة التحرر.

أمرحلة الانزواء والإمحاء

رغم هذه المساواة في مختلف المجالات، فإنّ إله إسرائيل يسمّى دوماً إله إبراهيم واسحق ويعقوب، ولم يحصل أن أطلق عليه مرةً واحدة: إله سارة ورفقة وراحيل، مما يدل دلالة واضحة على أنّ تفوق الرجل كان متأصلاً وعميق الجذور في العقلية العبرية في المرحلة الثانية. فقد تدمرت المساواة مباشرةً بعد السقوط الأول الذي كان من نتائجه خضوع المرأة للرجل. حيث يقول الله "نحو رجلك يكون ميلك وهو يسود عليك"⁽²⁷⁾ " فبعدها كانت المرأة سيدة بيتها أصبحت اليوم ألعوبة لرغبات الرجل وآلة تناسلية لإنجاب الأولاد. فقد شوّه الإنسان المفهوم الإلهي والهدف من الزواج وأصبح الرجل يتزوج أكثر من امرأة واحدة، وبنات البيت العبري يتكون من الرجل وعدد من السراري والزوجات والأولاد من الزوجات والسراري وزوجات الأولاد والأحفاد بالإضافة إلى العبيد ويرأس هذا البيت الأب ويسمّى "روش أي رأساً"⁽²⁸⁾ ويتمتع بسلطات قضائية مطلقة⁽²⁹⁾ ويختار وريثه في حرية تامة ويستطيع التصرف في أبنائه كما يشاء⁽³⁰⁾. فله أن يبيع ابنته لمن يرغب في شرائها⁽³¹⁾ وله أن يهب بكارتها أو يخطبها من سنّ مبكرة⁽³²⁾. بل يملك على أولاده حق الموت والحياة. يقتلهم إذا شاء⁽³³⁾ أو يقدهم قرباناً للرب⁽³⁴⁾. وقد خضع اسحق لأبيه إبراهيم حين أراد أن يذبحه للإله يهوه. ويمتد هذا الحق إلى من يعيش في كنفه، فله أن يحرق زوجة ابنه المتوفي إذا زنت⁽³⁵⁾. نعم، لقد تدنّت مرتبة المرأة العبرية إلى حدّ أن باتت "الفرحة بمولد الابن أكبر منها عند مولد البنت"⁽³⁶⁾ "لقد تدهور وضع المرأة إلى حدّ أصبحت فيه سلعة تشرى وتباع وأداة متعة ولذة يقبل عليها الرجل زوجة أو خليفة أو بنتاً له، فقد اضطجعت ابنتا "لوط" مع أبيهما نفسه وحملتا منه"⁽³⁷⁾ كما أنّ يعقوب جمع بين الأختين⁽³⁸⁾. لقد تشنّت الآية القائلة "المرأة الصالحة لا تعتبر سلعة تجارية بل هبة الله"⁽³⁹⁾ ولم تعد "الزوجة المتعلقة من عند الرب"⁽⁴⁰⁾. لقد استشرت عدوى تعدد الزوجات. فبعدها كانت نصوص سفر التكوين تشير إلى الزواج الأحادي، جاء ذكر لأول حالة لتعدد الزوجات في السفر المذكور هي حالة لأمك⁽⁴¹⁾. لكنها كانت حالة ملطفة بحيث يتمتع أولاد الزوجة الرئيسية بألوية الحقوق. بيد أنّ تعدد الزوجات في هذه المرحلة أخذ يترسخ شيئاً فشيئاً. حتى أنّ الكهنة الذين كان قد فرض عليهم أن يتزوجوا امرأةً واحدة عذراء "هذا يأخذ امرأة عذراء"⁽⁴²⁾ "أصبحوا يتزوجون كل فتاة تطيب لهم وأصابت العدوى الملوك فتزوج داود نساء كثيرات بالإضافة إلى الإماء والسراري"⁽⁴³⁾

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

واقترن رحبعام بثماني عشرة امرأة وستين سرية وكون له ثمانية وعشرين ابناً وستين ابنة⁽⁴⁴⁾ ، أما سليمان فقد تفوق على الجميع في هذا المضمار وتزوج سبعمئة امرأة عدا عن ثلاثمئة من السراري⁽⁴⁵⁾ ويقول نيو فلد، صاحب كتاب قوانين الزواج عند العبرانيين الأقدمين "إن التلمود والتوراة معاً أباحا تعدد الزوجات على إطلاقه، وإن كان بعض الربانيين ينصحون بالقصد في عدد الزوجات⁽⁴⁶⁾ " هكذا في المرحلة الثانية، مرحلة الانزواء والإمحاء، أبت السيطرة المذكورة إلا أن تعتبر البنت دون مرتبة أخيها "فهبطت بها حتى سوتها بالخدم فهي تخرج من ميراث أبيها إذا كان له عقب من الذكور، وما عدا هذا الحكم الصريح فهو من قبيل الهبة التي يختارها الأب في حياته، حيث لا يجب الميراث وجوب الحقوق الشرعية بعد الوفاة⁽⁴⁷⁾ ". حتى إذا أعطيت حق الميراث "أيما رجل مات وليس له نصيب ابن ينقلون ملكه إلى ابنته "فرض عليها الزواج من بني سبطها حتى لا يخرج الإرث إلى سبط آخر. "كل بنت ورثت نصيباً من أسباط بني إسرائيل تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها لكي يرد بنو إسرائيل كل واحد نصيب آبائه، فلا يتحول نصيب من سبط إلى سبط آخر⁽⁴⁸⁾ ". وهنا تظهر المرأة من خلال شريعة موسى ملكاً لعشيرة الزوج حتى إذا ما ترمّلت قبل أن تنجب وريثاً ذكراً، أرغمت على الزواج من أحد إخوة زوجها وإذا ما ولد صبي من هذه العلاقة اعتبر ابن الزوج الراحل. ذلك هو تقليد زواج السلفة⁽⁴⁹⁾ وكان يحق للرجل أيضاً أن يطلق زوجته بمجرد تسليمها قراراً بالصرف. وكان يكفي كي يطلقها أن تكف عن نيل رضاه أو يكتشف فيها علة⁽⁵⁰⁾ . نعم، هكذا تشددت شريعة موسى في معاملة المرأة فحرمتها أشياء كثيرة حتى أنها حرمتها من الزينة فقد جاء في الإصحاح الثالث من سفر أشعيا: "إن الله سيعاقب بنات صهيون على تبرّجهنّ والمباهاة برنين خلاخيلهنّ. بأن ينزع عنهنّ زينة... والبراقع والعصائب التي كانت تعتبر زينة المرأة اليهودية⁽⁵¹⁾ .

ب- مرحلة الترقّي

وأخيراً، بدأ وضع المرأة يتحسن على نحو ملموس مع تعاقب القرون فارتفع صوتا رقيقة رافضاً أن تذهب مع الرجل الذي اختاره لها والدها إذ لم يعد يحق للأب خطب ابنته إلا إذا كانت دون الثانية عشر. كذلك ارتفعت أصوات بنات صلفحاد وهنّ يطالبن بحقوقهنّ من ورثة أبيهنّ. فقد أضحت الفتاة ترث في حال غياب الولد. لقد بات الزواج قضية اجتماعية لا علاقة لها بالدين ففي حال الزواج، كانت تتم اتفاقية خطية بين الطرفين "أخذ بيمين ابنته سارة وسلّمها إلى يمين طوبيا قائلاً إله إبراهيم واسحق ويعقوب يكون معكما ويقرنكما "ثم أخذ صحيفة وكتبوا فيها عقد الزواج⁽⁵²⁾ وقد وجدت أوراق في Elephanten في مصر حيث يوجد هيكل لليهود، تدلّ على وجود اتفاقية خطية عند الزواج، وكان الرجل يدفع مهراً وفي بعض الأحيان، كان المهر يستبدل بالعمل كما حدث مع يعقوب⁽⁵³⁾ والمهر ليس معناه أنّ المرأة كانت تشتري، إذ إنّ العبيد وخدمهم كانوا يشترون ويبيعون في هذه المرحلة. نعم، لقد طرأ تحسّن كبير على وضع المرأة العبرية وصار لها حق المهر إذ طالبت راحيل مع أختها ليئة بالمال الذي أخذه والدهما⁽⁵⁴⁾ .

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

وبعدما كان الأب هو الذي يقرر زواج أولاده فينتقي العريس لابنته والعروس لابنه. بات للفتاة الحق في إبداء رأيها "فدعوا رفقة وقالوا لها هل تذهبين مع هذا الرجل فقالت أذهب" (55)

وصار لها أن تترث كما قلت، إذ نرى بنات صلحفاد أولى ثائرات في التاريخ يطالبن الرب موسى وكل الجماعة للاعتراف بحقوقهنّ من ورثة أبيهنّ المتوفي إذ لم يكن عنده بنون. وطلبهنّ هذا صدق عليه الله. لكن هذا لا يطبق على الزوجة فهي محرومة كلياً من وراثتها زوجها وربما لأنها تستطيع أن تتزوج ثانية فيخرج الإرث من سبط إلى آخر وهذا لا يجوز شرعاً. أو لأنها كانت تعيش مما يجب أن يقدمه لها أولادها. فإكرام الأمّ متوجب على الأولاد ولا يحق للرجل بيع امرأته أو استعبادها "وإن لم تسرّ بها فأطلقها لنفسها لا تتبعها بيعاً بفضة ولا تسترقها" (56) "وباتت الأرامل يعتبرن تحت حماية الله الخاصة" (57). ولما كانت المرأة معرضة لكل أنواع الابتزاز بعد فقد زوجها فقد أصبحت بحاجة إلى حماية الناموس الذي بات يعاقب الذين يسيئون إليها "لا تسئ إلى أرملة ما" (58) "لأنّ المرأة الفاضلة "تاج لرجلها" (59) " و"عطية الرب" (60) ". و"أثمن من اللآلئ" (61) و"امراتك مثل كرمة مثمرة" (62) وهي تطيل عمر حياة رجلها نعم رغم كل شيء، بقيت اليهودية "الفاضلة نادرة من يجدها لأنّ ثمنها يفوق اللآلئ، بها يثق قلب زوجها فلا تحتاج إلى غنيمة. تصنع له خيراً لا شراً كل أيام حياتها... تقوم إذا الليل بعد وتعطي أكلاً لأهل بيتها... سراجها لا ينطفئ في الليل" (63).

2- المرأة في الإنجيل

أ-ثورة في قلب العالم القديم

مما لا شكّ فيه أنّ المسيحية أحدثت ثورة هائلة في قلب العالم القديم حين أعلنت عن المساواة الجوهرية للكائنات أمام الله، فقد كشفت للبشر عن كرامتهم السامية كأبناء لأب واحد، فكان هذا زوال كل تمييز جنسي أو عرقي أو اجتماعي. فلم يعد هناك رجل أو امرأة أبيض أو أسود، سيد أو عبد "فأنتم جميعاً واحد في المسيح يسوع" (64) "جسد واحد فيه" (65) "ولكم فكرة" (66) ولكن لما كانت حواء هي التي غويت وسمعت للشيطان "أنت الباب الذي يقود إلى الشيطان، أنت فتحت الطريق إلى تلك. أنت أول من عصى أمر الله، أنت التي أغريته، حين عجز الشيطان عن أن يغريه. أنت حطمت بسهولة صورة الرجل الإلهية. أنت سبب الموت وبسببك يموت ابن الله" (67) فقد اختار الله له أمّاً من بينهنّ حتى لا تفقد نساء الأرض الرجاء، فأحدث هذا الاختيار انقلاباً عاماً في عالم الأفكار التقليدية الموروثة. ثم شرع المسيح بنشر تعاليمه فتحدّى النواهي والمحرّمات تحدّيه للرأي العام. فقد مكث طويلاً إلى جانب السامرية مثيراً استنكار تلاميذه (68). وعلى الرغم من المفاهيم القديمة حول الطهارة والنجاسة فقد سمح لامرأة ملوثة بدم حيضها بأن تلمسه (69) ، كذلك قبل أن تقوم امرأة عاهرة بغسل قدميه والاعتناء بهما فيما راح الفرّيسيون يعبّرون عن سخطهم بلفظهم (70). ورفض رجم الزانية، فوقف الواشون أمامه حيارى عاجزين لا يعلمون ماذا يفعلون، أليس من حقهم رجم الزانية أولاً ألم تخولهم شريعتهم بأن يكونوا أول من يرميها وبحركة بسيطة وقلب الكسرة فتحة قلب المتهمين إلى متهمين

وقال: "من منكم بلا خطيئة فليرحمها" (71). لذلك، ردّ للخاطئة الاعتبار الذي كان يمنحه غفران الله (72) وأهم من هذا كله أنّ المسيحية تركت جانب التشريع في زمان ظهورها ووجهت عنايتها الأولى إلى الإصلاح الأدبي أي إصلاح الخلل في الضمائر والأخلاق. وليس ألزم منه في ذلك الحين لأنني ما أظن أحداً يجهل الانحطاط الأخلاقي والفساد الاجتماعي اللذين خلقتهما الإمبراطورية الرومانية في الشرق والغرب على السواء. ومن يقرأ الأناجيل وحدها يروّعه عدد المصابين بالأمراض الجلدية وما إليها من الأمراض التي تعرف اليوم باسم الأمراض الجنسية. فلا جرم إذن إذا كانت المسيحية قد وجهت عنايتها الأولى لتطهّر النفس الإنسانية من شرور هذا الفساد، وأن تشدد في الحجر على الشهوات الجسدية والدعوة إلى الاعتصام عن مغريات الجسد على العموم. وهذه هي الحال التي نجم عنها الاكتفاء بزوجة واحدة. وتقبيد الطلاق الذي كان قد بلغ في تفشّيه يومئذٍ درجة لا تطاق، إذ كان نذيراً بزوال الأسرة وتفكك الروابط الزوجية، وقد حرّم السيد المسيح على الزوج أن يطلق زوجته (73) متحدياً بذلك الشرع الموسوي الذي كان قد سمح بالطلاق إذ كيف "يفرق الإنسان ما جمعه الله" (74) وذهب المسيح شأواً بعيداً أبعد من هذا كله متجاوزاً أقصى حدّ يمكن لشرع أن يبلغه ذات يوم فقد أدان الرجل الذي ينظر إلى امرأة قريبه ويشتهيها وقرن فعله هذا بفعل الزنى (75). كذلك منح النسوة حق الشهادة، فاخترهنّ شاهدات على يوم القيامة، وكانت شهادة النسوة مرفوضة أسوةً بشهادة الأولاد والرفيق والعجز. كما عهد اليهنّ مهمة إعلام الرسل (76) فترامى كلامهنّ لهم كالهذيان (77) فلامهم السيد المسيح فيما بعد على عدم تصديقهم.

ب- المسيحية وجهاً لوجه مع أعدائها

لا غرو إذا قلنا إنّ المسيحية كانت أول داعية لتعليم المرأة. "فإن كُنَّ يردن أن يتعلمن شيئاً فليسألنّ رجالهنّ في البيت" (78) " لكن قد يطيب لأعداء المسيح أن يتساءلوا: "أليس الرجل مسؤولاً عن تعليمها أيعلّمها ليزيدها إغراءً. أليست هي التي انجرفت وراء الإغراء وارتكبت المخالفة وبكلمة نعم يجب بولس الرسول عن سؤالهم هذا. ويقرر لها الخلاص عندما أصبحت أمّاً. "أمّا للسيد المسيح" ويتساءلون من جديد: أليس الرجل رأس المرأة، ألم يطلب المعلم من النساء الخضوع لأزواجهنّ متغافلين عن أنّ هذه الطاعة جاءت مقرونة بحب الزوج "أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها" (79). " وإن كان قد طلب منهنّ الخضوع لأزواجهنّ فقد خاطب الرجال أيضاً قائلاً كذلك أيها الرجال أعطوا نساءكم الكرامة، فهنّ وارثات معكم نعمة الحياة" (80). " وهكذا نرى المسيحية من خلال سطور قد قامت بعملٍ جليل إذ تمكنت من إصلاح النفوس وهيأتها لتقبّل النظم الجديدة. فكان لها أثرها في تصفية المجتمعات من الشوائب والموبقات. فارتفعت المرأة نتيجة زواج واحد مرسّخ لتساوي الرجل في مختلف المجالات. لكنّ وقوف أعداء المسيحية في وجهها بصلابة وقوة حال دون نشر مبادئها. فبقيت الزانية ترحم بالحجارة حتى الموت والخاطئة تنفى مؤبداً من المجتمع. ولا بدّ لنور المعرفة من أن يسود العالم ويعمّ الأرض في يومٍ من الأيام.

3- المرأة في الإسلام

أ- المساواة

وجاء الإسلام فحرم وأد البنات وجعل المرأة أخت الرجل إذ تنسب وإياه إلى أب وأمّ واحدة. وذلك قوله تعالى "يا أيها الناس، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير" (81). فهي إذن شقيقة له "إنما النساء شقائق الرجال" (82) وعندما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وجوه العرب تسود وتحترق في أمر المولودة الجديدة قال في كتابه تعالى "وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى عن القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أو يدسه في التراب، الإساء ما يحكمون" (83) ورأى رسول الله أن يسئ لها أحكاماً واضحة ليسمو بها فحولها حق التعامل والولاية على أطفالها، وضمن لها معيشتها، وأقر لها أهليتها الاقتصادية والاجتماعية "ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف" (84) "فهي مساوية للرجل من هذه الناحية. "والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة" (85).

ب- "وللرجال عليهنّ درجة"

ولكن... وإن سوى القرآن بين ما للمرأة وما عليها، فقد كرس عقيدة التفوق الذكوري، إذ جعل للرجال القوامة على النساء "للرجال قوَامون على النساء بما فضل الله بعضهم عن بعض، وبما أنفقوا من أموال" (86). كذلك قضى لهم ببعض الزيادة "ولهنّ... وللرجال عليهنّ درجة" (87) كما أقرّ القرآن مبدأ تعدد الزوجات ورجح الاكتفاء بالزوجة الواحدة لتعذر العدل بينهما "فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم" (88) ولكن وإن أقرّ الإسلام هذا المبدأ غير أنه ارتفع بالزواج من عقد التجارة ومتعة الجسد إلى أواصر المودة والرحمة ومن آياته "أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً، لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة. إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" (89) "وطالب لها بالعلم إذ فرضه على المسلمين فرضاً. "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" (90) "كما أذن الإسلام لهنّ أن يخرجن لحاجتهنّ" (91) "كذلك أعطى الإسلام المرأة حق الإرث "وللرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون... وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قلّ منه أو كثر نصيباً مفروضاً" (92) ولكن لم يشأ الإسلام أن يعطي المرأة مثل أخيها من الميراث بل "يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين" (93) كذلك لم يشأ أن يعترف لها بحق الشهادة كاملاً بل "واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء" (94). "هذا يسير من الكثير عن المرأة في القرآن ولو شئنا الحديث والتبصر في الموضوع لما كفتنا صفحات وصفحات. غير أنه لنوفي الإسلام حقه، لا بدّ من أن نختم الحديث حول تأثير الإسلام على نمط الحياة العربية بكلمة عن الحجاب الذي تحدث عنه المتحدثون عن جهل تارة وعن غرض تارة أخرى فنقول: أنّ النبي لم يفرض الحجاب إلا على نسائه الاثنتي عشرة تمييزاً لهنّ وتشريفاً. لكن ما ذنب الإسلام إن كانت نساء الأشراف سارعن إلى الاقتداء بزوجات رسول الله، ثم تعمم وضع الحجاب.

ج- اضمحلال وزوال

لم يترك القرآن أمراً يتعلق بالمرأة إلا وكتب عنه. ولكن بالرغم من هذا كله وبالرغم من انتشار الدعوة الإسلامية في الشرق كله، فإنه لمن الخطأ أن نقول أن الشرائع التي سنّها الإسلام والفرائض التي فرضها على المجتمع بقيت سائدة ولم يطرأ عليها خلل وتغيير عبر مسيرتها التاريخية. فالدعوة إلى معاملة الفتاة كأخيها لم تلقَ أذاناً صاغية إلا في زمن الرسول نفسه. فما أن ابتعد الناس عن تلك الحقبة حتى تناسوا أقوال الرسول وابتعدوا عن روح القرآن وانصرفوا إلى ما درجوا عليه سابقاً فعادت الوجوه يعترئها الغم الشديد إذا ما بشر أحد بالأنثى.

4- في غمرة النكسات

وتدفقت جحافل التتار من جهة وانبثقت سيول المماليك من جهة فتواترت الغارات وعمّ البلاد دماراً وهول مقيم. وفي مطلع القرن السادس عشر للميلاد، انقضّ السلطان سليم بجحافله العثمانية على ديارنا فخيم علينا قنّام سمّنا في الجهل، فسقطت علينا العتمة وطمست كل ما جاء به الإسلام. فقد فرضت الدولة العثمانية على النساء الانحباس داخل البيت، من أجل خدمة الزوج والأطفال والأسرة بغير أجر، اللهم الا الكساء والطعام والمسكن، فلم تكن المرأة من هؤلاء تخرج من بيتها إلا للضرورة القصوى كالمرض الخطير وهي تخرج في هذه الحال محجبة ومعها رجل من الأسرة وفي بعض الأحيان كانت تموت دون أن يصرّح زوجها "الأبّي" بأن يفحصها طبيب رجل. وباتت النساء وكأنهنّ آثار عتيقة لأجيال مضت وبقايا أزمنة بعيدة باقيات على ما كنّ عليه في تلك الأوقات. فهل أعاد التاريخ نفسه أم هل رجع القهقري؟ لا هذا ولا ذلك قد حصل بل لا يمكن أن يحصل. فالتاريخ لا يمكن أن يرجع إلى الوراء لكنّ العقل العربي هو الذي عاد لينبش صفحات التاريخ القديم.

5- صفحات الأدب السوداني في تاريخ المرأة

ونتابع تصفّحنا للأدب العربي لنرى نموذج المرأة الذي طغى واحتلّ صفحات الأدب العربي. فيطالعنا بغير شك نموذج المرأة العشيقة، والمرأة البغي ومقابله نقيضه هو نموذج المرأة الصالحة الطاهرة. وهكذا يقسمون⁽⁹⁵⁾ المرأة إلى نوعين كما فعل أجدادهم من قبلهم ويعودون بنا إلى أول السلم الذي كان علينا أن نرتقيه لنصل إلى ما وصلت إليه حضارات العالم. ويعيدون على مسامعنا قصص ألف ليلة وليلة الحافلة بالنساء الساقطات اللائي يستخدمن شتى الوسائل لتنفيذ خططهنّ للوصول إلى حبيبهنّ فيزرعون في نفوسنا بذور الحقد والكراهية والاحتقار للمرأة. لتبقى كما كانت ذلك الشيطان الرجيم الذي بمولده ينهد ركن البيت. والأغاني الشعبية المصرية تثبت حقيقة هذا الأمر. وقد اخترت منها بيتين كشاهدين على صحة القول.

إنشد وَسطي من غير حزام
إنهد ركن البيتِ عليّ⁽⁹⁶⁾

لما قالوا ذا غلام
ولما قالوا دي بنية

الخاتمة

بحث حناجر الغربيين، وهي تنادي بتحرير المرأة. لقد كُلت اقلامهم وجف حلقهم، وهم يعرجون الصوت عالياً منددين باسترقاق المرأة واستعبادها مطالبين بتعليمها وفتح أبواب العمل في وجهها. لقد رفضوا الزواج المدبر وقالوا بوجوب إعطائها الحرية في اختيار شريك حياتها. لقد مزقوا حجابها وهدموا أسوار سجونها، واطلقوا حريتها. حرروها من مبدأ الطاعات الثلاث، وأعلنوا لها المساواة في الحقوق والواجبات. اجهدوا أنفسهم وهم يناضلون من أجل تحريرها. حملوا الأقالام سلاحاً في معركة التحرير هذه، وجعلوا الكلمات قذائف كثيرة تنفجر لتدفع، وتشتع لتهدى.

أما في عالم الشرق نعم اننا حتى اليوم ما زلنا نعامل المرأة باحتقار، ولهذا فإن المرأة عندنا «هي اليوم في الدور الثالث من حياتها التاريخية، بمعنى انها في نظر الشرع انسان له حقوق وعليه واجبات، ولكنها في نظر رئيس العائلة وفي معاملته لها ليست بحرة، بل محرومة من التمتع بحقوقها الشرعية وهذه الحال التي عليها المرأة اليوم هي من توابع الاستبداد السياسي الذي كان يخضعنا ونخضع له. ومع أن الاستبداد السياسي أصبح في حالة نزاع وأشرف على الفوات، بحيث لا ترجى له عودة، لا يزال الرجال عندنا يستبدون على نسائهم، مما يدل على أن سلطان الأخلاق القديمة لا يزال نافذاً في نفوسنا وله أثر ظاهر في اعمالنا، فقوانيننا وضعت لأمة حرّة، وأخلاقنا لا تزال أخلاق أمة مسترقة. لهذا نرى رجالاً وردوا موارد التعليم، وتنقلوا من مدرسة الى مدرسة، ومن درجة الى درجة، حتى حازوا على لقب علمي، وفقهاء يعلمون الحقوق، وشعراء من نوابع العصر، على ما يقول العارفون بفنهم، وكتاباً نصبوا أنفسهم لإفادة الناس بجرائد تلقب بالعملية والأدبية أو الفنية أو ما شئت من هذه الألقاب، وخطباء مشهورين بحب الحرية والاستقلال، رأينا جميع من ذكرنا عندما سمعوا القول بأن للمرأة حقاً مهضوماً، وإنها انسان محروم، أخذوا يتساءلون: هل يسوغ لها أن تخرج من سجنها أو يرفع عنها غطاء من حجابها؟ وبعد طول التساؤل، رجعوا الى ما هو مركز في طبائعهم فأنكروا عليها جميع هذا الحق. وحكموا عليها بأن تبقى في ظلمات الجهل وفي السجن المؤبد⁽⁹⁷⁾ اننا رغم ما طرق آذاننا من صرخات نادى بها رواد النهضة الحديثة لتحرير المرأة، ما زلنا نحققها. ومن مظاهر احتقارنا لها:

اننا ما زلنا نقع عليها كما تقع البهيمة⁽⁹⁸⁾ واننا ما زلنا نستخدمها طعم في الدعاية. وشاشتنا الصغيرة «التلفزيون» غنية بهذه المشاهد. فمن أجل دعاية لمرهم تظهر المرأة عارية بأكملها ويد الرجل على ظهرها، تدهن لها جلدها. ومن أجل الدعاية لقلم ما تظهر امرأة عارية ويد تحمل القلم وهو يخط على جسدها رسوماً وكلمات تثبت عبوديتها. من مظاهر احتقار الرجل للمرأة أن يسجنها في منزلها ويفتخر بأنها لا تخرج منه الا محملة فمن «ضريح الى ضريح».

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون2017

نعم ما زلنا نحتقرها وما زالت البشرية تشكو سوء معاملتنا لها، وهي اليوم تشكو «أكثر منها في كل يوم قروحاً وجروحاً كثيرة في قلبها»⁽⁹⁹⁾. والمدنية الحاضرة ان كانت «قد أنمت مدارك المرأة قليلاً فإنها أكثرت أوجاعها بتعميم مطامع الرجل. كانت المرأة بالأمس خادمة سعيدة، فصارت اليوم سيدة تعيسة. كانت بالأمس عمياء تسير في نور النهار فأصبحت مبصرة تسير في ظلمة الليل، كانت جميلة بجهلها، فاضلة ببساطتها، قوية بضعفها. فصارت قبيحة بتفننها، سطحية بمداركها، بعيدة، عن القلب بمعارفها. فهل يجيء يوم يجتمع في المرأة الجمال والمعرفة والتفنن بالفضيلة وضعف الجسد بقوة النفس»⁽¹⁰⁰⁾.

هوامش الدراسة :

- 1 - مونيك بيتر، المرأة عبر التاريخ، دار الطليعة بيروت 1976، ترجمة هنري عبودي ص. 151
- 2 - بلداسار كاستليونيه - كاتب إيطالي (1478 - 1539) مؤلف جليس الأمراء. انظر حاشية المرأة عبر التاريخ ص. 152.
- 3 - لويز لابييه، شاعرة فرنسية 1534 - 1566 لقت بصناعة الحبال الجميلة. انظر حاشية المرأة عبر التاريخ ص. 153.
- 4 - جيللي، كاتب إيطالي، 1498 - 1563 من آثاره "قرقيا" وهي ساحرة تلعب دوراً كبيراً في الأوديسة لهوميروس، المرأة عبر التاريخ حاشية 155
- 5 - المرأة عبر التاريخ ص. 155
- 6- مارتن لوثر، لاهوتي ومصلح ديني ألماني 1483-1546 عارض باسم مذهب القديس بولس، الخلاص عن طريق الإيمان وبيع براءات الغفران، وأعلن في 31 ت1 1517 المبادئ 90 التي كانت بمثابة بداية الإصلاح البروتستانتي. حرّمته الكنيسة فتحداها وأحرق علناً القرار البابوي
- 7 - جان كالفان: مصلح ديني فرنسي 1509-1564 روج للبروتستانتية في فرنسا وسويسرا والكالفنية مذهب جبريّ ومجدد للبسالة المسيحية الأولى. المرأة عبر التاريخ حاشية 157.
- 8 - الكتاب المقدس جمعيات الكتاب المقدس المتحدة - المطبعة الأميركية بيروت 1903 الجزء الأول ص. 858 الأمثال (10-20).
- 9 - Jan Vernur Vandelft. 1632-1675. Amsterdam, serie Grandi maestri No. 32 Anglus. Des. 1658
- 10 - سان فانسان دي بول كاهن فرنسي عايش البؤس وأسس العديد من المؤسسات الخيرية للأخذ بيد الفقراء 1581 - 1660، المرأة عبر التاريخ ص. 158.
- 11 - مونيك بيتر المرأة عبر التاريخ ص. 171
- 12 - قس وكاتب فرنسي 1697-1763 اشتهر بحياته المليئة بالمغامرات وبرواتيه مانون ليسكو. المرأة عبر التاريخ حاشية 180

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- 13 - سيباستيان دي شامفور أديب فرنسي 1740-1794 لوحق في عهد الإرهاب فانتحر. المرأة عبر التاريخ حاشية 180
- 14 - كاتب فرنسي، 1802-1885، له كتب ومؤلفات عدة أشهرها: اليوساء، أحذب تنوتردام، انظر قاسم أمين الأعمال الكاملة، تحقيق الدكتور محمد عماره المؤسسة العربية للدراسات والنشر أكتوبر 1976 حاشية ص. 300
- 15- مونيك بييتير، المرأة عبر التاريخ ص. 186
- 16- القانون المدني النابوليوني، صدر عام 1804 وكّرّس دونية المرأة واستبداد الرجل
- 17 - ماركس أنجلز، لينين، قضية المرأة، دار الفارابي، دار الجماهير. طبعة 1978 ص. 20، كذلك راجع ماركس أنجلز المؤلفات، المجلد الثاني ص. 368
- 18 - جول سيمون، فرنسي، 1814-1896 رئيس الوزارة عام 1876 جمهوري ليبرالي. انظر مونيك بييتير المرأة عبر التاريخ ص. 188
- 19 - بيار جوزف برودون، 1809-1865، اشتراكي فرنسي وصاحب النظرية الاشتراكية العامة، من أقواله "من يملك ولا يعمل فهو لص" انظر Petit Larousse, librairie larousse, 1981, P. 1622
- 20 - مونيك بييتير المرأة عبر التاريخ، ص. 194
- 21 - كارل ماركس 1818-1883، فيلسوف واقتصادي ألماني من آثاره الرأسمال 1867، راجع Petit Larousse, P. 1508
- 22 - أوغست ببيل من زعماء الاشتراكية الألمانية ومؤلف كتاب المرأة والاشتراكية 1840-1913، راجع المرأة عبر التاريخ ص. 194
- 23 - فردريك أنجلز 1620-1695 مفكر اجتماعي ألماني من آثاره الدولة والملكية والأسرة، راجع Petit Larousse 1301
- 24 - مونيك بييتير، المرأة عبر التاريخ ص. 197
- 25 - نوال السعداوي، المرأة والجنس، الأنثى هي الأصل، ص. 157
- 26 - المصدر نفسه، سفر تك (3: 16) ص. 4
- 27 - المصدر نفسه، أخبار الأيام الأول (7: 7) ص. 498
- 28 - المصدر نفسه، سفر تك (28: 24) ص. 49
- 29 - المصدر نفسه، سفر تك، (48: 14) وما بعدها ص. 64
- 30 - يمكن بيع الفتاة كخادمة أو كزوجة لكن في حالات الفقر الشديد فقط وإذا كانت الفتاة دون الثانية عشرة وإذا ما تحسنت أوضاع الأب المالية فيما بعد حق له إعادة شراء ابنته
- 31 - قدم لوط بناته العذارى إلى السدوميين غير أنهم رفضوا عرضه، سفر تك، (19: 8)، ص. 20
- 32 - الكتاب المقدس، سفر تك (22: 37) ص. 56
- 33 - نفسه، سفر تك، (22: 1) ص. 24
- 34 - نفسه، سفر تك (38: 24) ص. 49
- 35 - نفسه، سفر تك، (35: 17) ص. 44

مجلة الآداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- 36 - سفر تك (19: 3600022) ص. 22
37 - المصدر نفسه، سفر تك (29: 15) وما بعدها ص. 35 - 36
38 - المصدر نفسه، الأمثال (18: 22) ص. 746
39 - المصدر نفسه، الأمثال (19: 14) ص. 747
40 - المصدر نفسه، سفر تك، (4: 2400022) ص. 4
41 - المصدر نفسه، لاو (21: 13-14) ص. 148
42 - المصدر نفسه، صموئيل الأول (18: 27) ص 355 و(25: 39-43) ص 365
كذلك صموئيل الثاني (3: 3-4) ص 376
43 - نفسه، أخبار الملوك الثاني (11: 21) ص 538
44 - نفسه، سفر الملوك الأول (11: 3) ص 429
45 - Ancient marriage, larrus, by E. Neufeld.
46 - عباس محمود العقّاد - المرأة في القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة
الثالثة 1969 ص 76
47 - الكتاب المقدس (36: 8-9) ص 212
48 - الكتاب المقدس، سفر تك (4: 240009) ص 5 انظر أيضاً مونيكا بيبتر المرأة
عبر التاريخ ص. 35
49 - نفسه، سفر التث (24: 1) ص 243
50 - نفسه، سفر أشعيا (3: 18) ص 779
51 - التلمود طوبيا (7: 13)
52 - الكتاب المقدس سفر تك (29: 3000015) ص 35-36
53 - نفسه، سفر تك (31: 15) ص 38
54 - نفسه، خر (12: 15) ص 67
55 - نفسه، التث (21: 14) ص 240
56 - نفسه، مزامير (68: 5) ص 682 كذلك (146: 9) ص 738
57 - نفسه، خر (22: 22) ص 95
58 - نفسه، أمثال (13: 4) ص 740
59 - نفسه، أمثال (19: 14) ص 747
60 - الكتاب المقدس، أمثال (31: 10) ص 758
61 - نفسه، مزامير (128: 8) ص 721
62 - نفسه، أمثال (31: 10) ص 758
63 - نفسه، بولس الرسول، غلاطية (3: 28) ص 255
64 - نفسه، بولس الرسول إلى أهل رومية (12: 5) ص 216
65 - نفسه، رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (2: 16) ص 224

مجلة الآداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- 66 - Tertullian de luttu. Fem.1.1 « femme tu es la porte de diable, tu as persuadé celui que le diable n'osait attaquer en face, c'est à cause de toi que le fils de Dieu a dû mourir » Simone de Beauvoir, le 2ème sexe, édition Gallimard. 1949. T. 1 P. 113
- 67 - الكتاب المقدس، الجزء الثاني يوحنا (4: 27) ص 124 عهد جديد
- 68 - نفسه، مرقص (5: 3400025) ص 52
- 69 - نفسه، لوقا (7: 5000036) ص 86
- 70 - نفسه، يوحنا (8: 7) ص 132
- 71 - نفسه، يوحنا (8: 110001) ص 132
- 72 - الكتاب المقدس، لوقا (16: 18) ص 103
- 73 - المصدر نفسه، متى (19: 90001) ص 26-27
- 74 - المصدر نفسه، متى (5: 28) ص 6
- 75 - المصدر نفسه، يوحنا (20: 17) كذلك مرقص (16: 7) ص 71 كذلك متى (28: 10007) ص 44
- 76 - المصدر نفسه، لوقا (24: 11-9) ص 117
- 77 - بولس الرسول إلى أهل كورنثوس (14: 25) ص 236
- 78 - بولس الرسول إلى أهل أفسس (5: 25) ص 264
- 79 - بطرس الرسول (3: 7) ص 320
- 80 - القرآن بخط الحافظ عثمان الشهير بالعثماني، مطبعة الملاح دمشق 1960م، توزيع مكتبة الوتار دمشق. الحجرات الآية 13، ص 684
- 81 - حديث شريف رواه أحمد وأبو داوود والترفدي
- 82 - القرآن سورة النحل – الأيتان 58 و 59 ص. 359
- 83 - نفسه، سورة البقرة – الآية 228 ص 48
- 84 - نفسه، سورة التوبة – الآية 71 ص 260
- 85 - نفسه، سورة النساء – الآية 34 ص 110
- 86 - نفسه، سورة البقرة – الآية 228 ص 48
- 87 - نفسه، النساء – الآية 3 ص 102
- 88 - القرآن سورة الروم، الآية 21 ص 536
- 89 - رواه ابن ماجه
- 90 - رواه البخاري
- 91 - القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 8 ص 103
- 92 - نفسه، سورة النساء، الآية 11 ص 104
- 93 - نفسه، سورة البقرة، الآية 28 ص 64

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- 94 - هم يذهبون إلى أبعد من هذا فيجعلون المرأة كجسد قسمين فابن الأعرابي أحد الأئمة اللغة يقول:
فَللخَلِّ شَطْرٌ مُطَلَّقٌ مِنْ عِقَالِهِ
وللبعلِ شَطْرٌ ما يُرامُ مَنِيْعُ
"الأنوار والنوادر".
- 95 - د. سلوى الخدّاش، المرأة العربية والمجتمع التقليدي المتخلف ص 18
- 96 - المصدر نفسه، ج 2، ص 133.
- 97 - الامر الذي حمل رسول الله للقول «لا يقصن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة، وليكن بينكم رسول «أنظر» الأمام الغزالي أبو حامد، أحياء علوم الدين، دار الشعب، القاهرة 1970، الفصل الثالث، ص 734.
- 98 - مخائيل نعيمة المجموعة الكاملة، دار العلم للملايين، 1971 المجلد الخامس ص 179.
- 99 - جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة، ص 209.

الهمز الوظيفي(الإسقاط والإبدال) في قراءة ابن كثير

The functional Hamza(absence and change) in the Quranic reading of Bno Kathir.

عصماني مختارية

Osmanimokhtaria22@gmail.com

ياشرف:أ.د/ مصطفىاوي عبد الجليل

ملخص :

يتناول هذا الموضوع الهمز في قراءة ابن كثير، وذلك لدراسته ضمن الدرس اللغوي الحديث بتوظيف آليات علم الأصوات الوظيفي؛ لإبراز هذه الظاهرة التي حفلت بها كتب التراث اللغوي، وكتب القراءات القرآنية والتجويد، وتقديمها في قالب علمي حتى يستفيد منها دارسو قسم اللغة والأدب العربي

الكلمات المفتاحية :

الظواهر الصوتية، القراءة القرآنية، الصوائت، الهمز والتسهيل، المماثلة، المخالفة.

Abstract :

the research treats the phonemic phenomena in Beno Kathir reading, in order to study these phenomena in the modern linguistics, by using the organs of sounds science “phonology”, in order to show these phenomena, which are available in the linguistic heritage books, and Quranic readings books and recitation, and present them in a scientific form.

Key words: phonemic phenomena, the Quranic reading, vowels, consonants, dissimilation, facilitation, assimilation, phonology.

تمهيد

لما كان الهمز أثقل الحروف نطقا وأبعده مخرجا حتمت الضرورات النطقية وأجازت الإبدال في مسائل، كما جرت التقاليد النطقية على التصرف فيه بالحذف أو التخفيف.

أولاً: مصطلح التسهيل والتخفيف وأنواعه:

أ- التخفيف في اللغة والاصطلاح:

السين والهاء واللام أصل واحد يدل على لين وخلاف حزونة، والسهل خلاف الحزن⁽¹⁾. والسهل كل شيء إلى اللين وقلة الخشونة، وفي الدعاء سهل الله عليك الأمر أو لك، أي حمل مؤنته عنك، وخفف عليك⁽²⁾. أما تخفيف الهمز وتسهيله في اصطلاح القراء: هو ما يطلق عليه التليين والتسهيل، وكلها أسماء مترادفة، وهو يشمل أربعة أنواع من التخفيف وكل منها متواتر بلا شك: أحدهما: النقل وهو نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها. الثاني: أن تبدل الهمزة حرف مد من جنس حركة ما قبلها، إذا كانت فتحة أبدلت ألفاً، وإذا كانت ضمة أبدلت واواً، وإذا كانت كسرة أبدلت ياء. الثالث: تخفيف الهمزة (بين بين)، ومعناه أن تسهل الهمزة بينها وبين الحرف الذي منه حركتها، فإن كانت مضمومة سهلت بين الهمزة والواو، أو مفتوحة فبين الهمزة والألف، أو مكسورة فبين الهمزة والياء. وقد أشار الصحابة -رضي الله عنهم- إلى التسهيل (بين بين) في رسم المصحف العثمانية، فكتبوا صورة الهمزة الثانية في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي﴾ → ﴿هُوَ الَّذِي﴾ (بين بين). الرابع: تخفيف الإسقاط، وهو أن تسقط الهمزة رأساً، وقد قرأ به أبو عمرو في الهمزتين من كلمتين إذا اتفقتا في الحركة، فأسقط الأولى منهما على رأي الشاطبي، وقيل الثانية في نحو: ﴿إِنَّ شَرَّ النَّاسِ﴾ → ﴿إِنَّ شَرَّ النَّاسِ﴾ (النحل: 61)⁽³⁾.

والتسهيل في مسائل الهمز خلاف التحقيق، والتحقيق: هو إعطاء الهمزة حقها في النطق، وهو الأصل والتسهيل فرع عنه وهو لغة الحجازيين⁽⁴⁾. ويمكن اختصار حالات التخفيف في ثلاث حالات هي: - البديل: يراد به القلب لغة، والبديل أعم اصطلاحاً، وهو جعله حرف مد وذلك تأصيلاً للساكنة. - التسهيل: ويراد به (بين بين)، أي يجعله حرفاً مخرجاً بين مخرج المحققة، ومخرج حرف المد المجانس لحركتها، أو حركة سابقتها، وهو تأصيل للمتحركة. - الحذف: وهو إسقاطها مدلولاً عليها وغير مدلول، ولم يأت إلا في المتحركة⁽⁵⁾، وفحوى مذهب عبد الصبور شاهين أن تخفيف الهمز يكون بإسقاطه والتعويض عنه إن أمكن، ليسلم إيقاع الكلمة. وهو قول مطرد في كل الأوجه التي ذكرها القدامى لتخفيف الهمز⁽⁶⁾، على ما سيأتي بيانه.

يقول ابن الجزري: واعلم أن: "من كانت لغته تخفيف الهمز فإنه لا ينطق بالهمزة إلا في الإبتداء. والقصد أن تخفيف الهمز ليس بمنكر ولا غريب، فما أحد من القراء إلا وقد ورد عنه تخفيف الهمز إما عموماً وإما خصوصاً... وقسموا تخفيفه إلى واجب وجائز"⁽⁷⁾.

ب- اختصاص الهمزة بالتخفيف:

الهمزة في واقع الأمر يصعب نطقها لاسيما عند التلاوة، فيجب التحفظ في ذلك لنئلاً يسبق تسهيلها أو نقلها أو إبدالها تحقيقاً، وذلك لبعد مخرجها، وأما اختصاص الهمزة بالتخفيف من سائر الحروف، فثلاثة أشياء:

لكتبت فيها الألف كما كتبوها في قوله: ﴿ ١٣ ③ ① ② ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ﴾ (يونس: 94)... ولست أشتهي ذلك لأنها لو كانت مهموزة
 ﴿ ١٣ ③ ① ② ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ﴾ (ظه: 77) و ﴿ ١٣ ③ ① ② ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ﴾ (يس: 13) بالالف" (20).

فقال: إن الكلمة إذا كانت كثيرة الدوران في الكلام تحذف همزتها في الأمر خاصة دون سواه، مثل: سل، وكل، وخذ، وبهذا يرى الفراء أن حذف الهمزة في هذه الأفعال جاء نتيجة لكثرة الاستعمال، فهذه الكثرة وهذا الشيوخ للكلمة يعد عاملا من عوامل التطور للأصوات، فطبقا لنظرية الشيوخ فإن الأصوات التي يشيع تداولها في الاستعمال تكون أكثر تعرضا للتطور أو السقوط من الكلام (21). كما يشترك عامل آخر في هذا الحذف وهذا السقوط، وهو ابتغاء السهولة واليسر؛ لأن الهمزة صوت ثقيل، فالتخلص منه أمر عادي لأن كثرة الاستعمال تدفع المتكلم تلقائيا دون أن يشعر بذلك إلى تخفيف الكلمة على لسانه. ويدعم رأي الفراء ما وصل إليه علم اللغة الحديث، وهو أن اللغات تميل نحو الأيسر والأسهل، وفي ذلك ذكر أحمد مختار عمر: إن هناك من العلماء من يرى أن اللغات تميل إلى تقصير الكلمات التي يكثر ترددها، وكذلك وجود تلازم عكسي بين حجم الفونيم أو درجة تركيبه، وبين تردده في الاستعمال، أو ارتباط طول الكلمة بكثرة ترددها ارتباطا عكسيا (22).

فنهج الفراء الذي علل به حذف الهمزة في مثل (سل، وخذ، وكل) نهج موافق لطبيعة اللغة، بمنأى عن التعليل المنطقي، فالهمزة متحركة، وما قبلها ساكن، وألقت حركتها على ما قبلها سواء أكان قبل الحذف أم بعده (23). أما ابن خالويه حين تكلم عن الهمزة وحذفها في قوله تعالى: ﴿ ١٣ ③ ① ② ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ﴾ (النساء: 32) فقال: أنه وما شاكله من الأمر يقرأ بالهمز وتركه إذا تقدمت الواو والفاء قبل الفعل. والحجة لمن همز: أن الهمزة إنما تسقط فيما كثر استعماله من الأفعال في الأمر، فإذا تقدمت الواو عادت الهمزة إلى أصلها، ودليله قوله تعالى: ﴿ ١٣ ③ ① ② ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ﴾ (طه: 132) فاتفاقهم على همز ذلك يدل على ثبات الهمز في هذا، وما مائله، والحجة لمن ترك الهمز أنه لما اتفقت القراءة والخط على حذف الألف من قوله: ﴿ ١٣ ③ ① ② ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ﴾ (البقرة: 211) وكان أصله: "أسأل" في الأمر فنقلوا فتحة الهمزة إلى السين، فغنوا عن ألف الوصل لحركتها، وسقطت الهمزة المنقولة الحركة لسكونها بالتاليين، وسكون لام الفعل، فلما تقدمت الواو بقي الكلام على ما كان عليه قبل دخولها (24).

غير أن علم اللغة الحديث فسر حذف الهمزة في هذه المواضع، بأن: "موقع النبر ينقل إلى المقطع الذي يستبقه لعدم تعويض الهمزة" (25). فيرى عبد الصبور شاهين أن الهمزة في هذه الكلمة توجد (بين ساكن صيح وحركة قصيرة) فأهمل فيها نظام النبر المؤلف ليكتفي الناطق بإسقاط الهمزة ونقل حركتها، فيصبح نطق الكلمات: (وسل، وسلهم، فسل، فسلوهم) وليس هناك شك في أن موقع النبر في هذه الصيغة قد انتقل من

البزّي من طريق (الإقناع) وغيره، وهو مع قوته قياسا ضعيف رواية، وذكره أبو حيان، وقرأنا به على أصحابه عنه" (34).

وهذا وجه فيها، أما الوجه الثاني، فهو إبدالها واوا مع إدغامها في الواو الساكنة التي قبلها، فيصير النطق بواو واحدة مشددة مكسورة بعدها همزة محققة، وهي همزة (إلا) (35). وفي هذا يقول ابن الجزري: "وإن كان الساكن قبل الهمز ياء أو واو زائدتين فإنه لم يرد في الياء إلا في (النسيئ) و (بريئ)، ووزنها (فعل) ولم يأت في الواو إلا في (قروء)، ووزنه (فعل) وتسهيّله أن يبذل الهمز من جنس ذلك الحرف الزائد، ويدغم الحرف فيه، وأما إن كان الساكن غير ذلك من سائر الحروف فتسهيّله أن تنقل حركة الهمز إلى ذلك الساكن الصحيح، ويحرك بها ثم تحذف هي سواء كان ذلك الساكن صحيحا أو ياء أو واو أصليين، وسواء كانا حرفي مد أو حرفي لين بأي حركة تحركت الهمزة" (36).

ووجه التخفيف في هذا الموضع أن تقلب الهمزة واوا ثم تدغم في الواو السابقة، فيصير نطقها واوا مشددة بعدها همزة محققة أو مسهلة (بين بين) (37). وفي مثل هذه الحالة يقول عبد الصبور شاهين: وحين اجتمعت في الكلمة (كسرة طويلة أو ضمة طويلة + همزة + حركة قصيرة) في مثل: خطيئة ومقروءة، أسقطوا الهمزة، واحتفظوا لها بموقعها، في صورة نبر التوتر المضعف، فقالوا: خطيئة، ومقروءة (38).

وعبد الصبور شاهين يعتبر الحرف الذي يسبق الهمزة في هذه المواضع مجرد حركة طويلة، ومن المسلم به حتى لدى القدماء أن الحركة مهما طالت لا تتعدد. وعلى هذا فإن الياء الممدودة، أو الواو الممدودة مهما طالت مدتها لا تعدو أن تكون كسرة أو ضمة طويلة، والتقاؤها بالفتحة بعد سقوط الهمزة في كلتا الكلمتين (خطيئة) و (مقروءة) يؤلف المزدوج بصورته البسيطة لا المضعفة: خطيئة ومقروءة، وهذا معناه النقل دون تعويض موقعي للهمزة، فإحساس العربي الحضري بالصيغة البدوية المهموزة، ومراعاته لمستوى أرقى من الفصاحة جعله يضغط على المقطع؛ الذي هو موقع النبر الهمزي، وبذلك تخلقت في الكلمة ياء مضعفة، أو واو مضعفة. (39) بالتخفيف والتضعيف يعطيان دليلا على أن الهمز ليس سوى صورة وظيفية يمكن اللجوء إليها، ويمكن الاستعاضة عنها بصورة أخرى. (40).

ج- سقوط الهمزة من الهمزتين المفتوحتين: يقول ابن خالويه: فأما المتفقان فهم فيها مختلفون، فمنهم من: "يترك الأولى في المفتوحتين ويحقق الثانية، ومنهم من يحقق الهمزتين معا. فالحجة في ذلك أن العرب تتسع في الهمز ما لا تتسع في غيره فتحقق، وتلين، وتبدل وتطرح، فهذه أربع أوجه، ورد القرآن بجميعها" (41).

واختلف أهل الأداء في تعيين إحدى الهمزتين التي أسقطها أبو عمرو ومن وافقه، فمنهم من ذهب أن الساقطة هي الثانية، وهو مذهب الخليل بن أحمد وغيره من النحاة، وذهب سائر أهل الأداء إلى أنها الأولى، وهو القياس في المثليين في رأي ابن الجزري (42). ومثاله قوله تعالى: ﴿...﴾ (الأعراف: 47) و﴿...﴾

مأجوج ← ص ح ص / ص ح ح ص ← ما جوج ← ص ح ح / ص ح ح ص.
 مؤصدة ← ص ح ص / ص ح / ص ح ح / ص ح ح / ص ح ص.
 استأيس ← ح ص / ص ح ص / ص ح / استأيس ← ح ص / ص ح ح / ص ح ح / ص ح ح.
 وبناء على هذا التحليل فيمكن القول: أن هذا ليس إبدالاً كما قاله الصرفيون بل مجرد التعويض الموقعي للمحافظة على الإيقاع، الذي هو جوهر، التصريف للبنية العربية (63).

ب- الهمزتان المتفتتان:

1- همزتا الفتح المتفتتان في الحركة: فإذا التقت همزتان متفتتان في الحركة فإن لقبيل تخفيف الهمزة الثانية ويبدلها حرف مد من جنس حركتها (64) ومثاله في المتفتتين فتحة: ﴿ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾ (النساء: 43)، فأبدل لقبيل الهمزة الثانية حرف مد، أي بقدر ألف (65). وقوله تعالى: ﴿ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ﴾ (النساء: 5). أما مثاله من المتفتتين كسرا قوله تعالى: ﴿ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ﴾ (الأحقاف: 32) (67). فأبدل الهمزة الثانية منهما حرف مد مجانس للضمة، وهو الواو (68).

وهناك قاعدة صوتية عامة في المخالفة بين المثلين مفادها: أن إضعاف أو إسقاط الصوامت يكون مصحوبا في بعض الأحيان بإطالة تعويضية للحركة السابقة، وعلى هذه القاعدة، فإن حركة الصامت السابق للهمزة إذا كانت مماثلة لحركتها، تسقط الهمزة فتلتقي الحركتان القصيرتان، فتشكل منهما حركة طويلة (69)، وذلك على النحو الآتي:

1- ﴿ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ﴾ فتحة + فتحة.

هَاءٌ أَمْ ← ص ح ح / ص ح / ص ح ص ← بعد السقوط ص ح ح / ص ح ح ص.
 أما بالكتابة الصوتية: هَاءٌ أَمْ ← Hā'a'am → Hā'ām → Hā'a'am
 2- ﴿ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ﴾ كسرة + كسرة ساءٍ إلا ← ص ح ح / ص ح / ص ح ص ← بعد السقوط ص ح ح / ص ح ح ص / ص ح ح.

أما بالكتابة الصوتية: ساءٍ إلا ← Sā'iLLā → Sā'iiLLā → Sā'iLLā
 3- ﴿ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ﴾ ضمة + ضمة

يَاءٌ أَوْلاً ← ص ح ح / ص ح / ص ح ح / ص ح ح.
 بعد السقوط ← ص ح ح / ص ح ح / ص ح ح.
 أما بالكتابة الصوتية: ياء أولاً ← Yā'u'Lā → Yā'uuLā → Yā'ūLā
 وبالكتابة الصوتية تبين كيف نشأت الحركة الطويلة وتغيرت البنية المقطعية فعند التقاء الفتحتين القصيرتين تنشأ الألف المدية، وعند التقاء الكسرتين القصيرتين تنشأ الياء المدية،

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

وعند التقاء الضمتين تنشأ الواو المدية، وبهذا نجد أن سقوط الهمزة في هذه الحالات عوض عنها بالحركة الطويلة على النحو الآتي:

فتحة + فتحة = ألف مدية. / كسرة + كسرة = ياء مدية. / ضمة + ضمة = واو مدية.

والحركة الطويلة مهما مدت تبقى حركة طويلة، وهذا مسلم به حتى لدى القدماء، لأن الحركة مهما طالت لا تتعدد⁽⁷⁰⁾، ولا تعدو كونها حركة طويلة واحدة مهما تغيرت السياقات واختلفت الحركات التي التقت بهاته الحركة الطويلة بعد سقوط الهمزة، وفي ذلك يقول ابن جنّي: "أن رجلاً ادعى لأبي إسحاق أنه يجمع في كلامه بين ألفين، وطول الرجل الصوت بالألف، فقال له أبو إسحاق: لو مددتها إلى العصر لما كانت إلا ألفاً واحدة"⁽⁷¹⁾.

ج- التخفيف بالإبدال للهمزة المتحركة (المزدوج التام والناقص):

1- **المزدوج الناقص:** ولتفصيل الحديث عن مفهوم همزة (بين بين) عند القدماء والمحدثين نحاول أن نستوضح ذلك في تعاريفهم وآرائهم.

*همزة (بين بين): **المزدوج الناقص عند القدماء:** لقد اعتبر القدماء همزة (بين بين) صورة من صور الهمزة، ووصفها ابن جنّي فقال: "وأما الهمزة المخففة فهي بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها؛ إذا كانت مفتوحة فهي بين الهمزة والألف، وإن كانت مكسورة فهي بين الهمزة والياء، وإن كانت مضمومة فهي بين الهمزة والواو؛ إلا أنها ليس لها تمكن الهمزة المحققة، وهي مع ما ذكرنا من أمرها، في ضعفها وقلة تمكنها بزنة المحققة"⁽⁷²⁾.

وذهب الكوفيون إلى أن همزة (بين بين) ساكنة، وذهب البصريون إلا أنها متحركة. أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنها ساكنة، أن همزة (بين بين) لا يجوز أن تقع مبتدأة، ولو كانت متحركة لجاز أن تقع مبتدأة، فلما امتنع الابتداء بها دلّ على أنها ساكنة؛ لأن الساكن لا يبتدأ به. وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنها متحركة تقع مخففة (بين بين) في الشعر، وبعدها ساكن في الموضع الذي اجتمع فيه ساكنان لانكسر البيت، كقول الشاعر:

أَنَّ رَأَتْ رَجُلًا أَعَشَى أَضْرَّ بِهِ رَيْبُ الزَّمَانِ وَدَهْرٌ مُفْسِدٌ حَيْلٌ⁽⁷³⁾.

فالنون ساكنة وقبلها همزة مخففة (بين بين)، فعلم أنها متحركة؛ لاستحالة التقاء الساكنين في هذا الموضع، وهذا لأن الهمزة إنما جعلت (بين بين) كراهة اجتماع الهمزتين لأنهم يستنقلون ذلك⁽⁷⁴⁾. فالسلف يتصورون أن هناك صوتاً ينطق في مثل هذه الحالة⁽⁷⁵⁾، فهي في رأيهم صوت ساكن، ولكنه ضعيف غير متمكن، وهي برغم هذا تقع موقع المحققة عند البصريين فهي بزنتها، ويطلقون عليها: الهمزة المسهلة والمليئة، والمقصود دائماً تخفيف نطقها⁽⁷⁶⁾.

* **عند المحدثين:** رأى عبد الصبور شاهين أن همزة (بين بين) في مذهب القدماء ورؤيتهم لا تنطبق مع الواقع، وبالتالي مذهبهم غير صحيح، ذلك لأن الاستماع إلى مجيدي القراء يؤكد أنه ليس ثمة همزة على الإطلاق. كما نفى إبراهيم أنيس وجود الهمزة نفيًا

مجلة الآداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- 4 ينظر: أبو بكر حسين، "المصطلحات الصوتية في مصادر القراءات القرآنية، كتاب التيسير"، مصر، مكتبة الآداب، ط1، 1429هـ - 2008م، ص82،
ينظر: النويري أبو القاسم محمد بن علي النويري: "شرح طيبة النشر في القراءات العشر"، تحقيق: مجدي محمد سرور سعيد باسلوم، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ - 2003م، ج416/1.
- 5 ينظر: ابن الجزري شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد: "النشر في القراءات العشر"، طنطا مصر، دار الصحابة للتراث، ط1، 2002م، ج340/1.
- 6-المصدر نفسه ، نفس الصفحة.
- 7 ابن خالويه، "الحجة في القراءات السبع"، تحقيق وشرح: عبد العال سالم مكرم، بيروت لبنان القاهرة مصر، دار الشروق، ط2، دتص 81.
- 8مكي بن أبي طالب، "الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها"، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوي، القاهرة مصر، دار الحديث، دط، 2007م ج419/1.
- 9بن يعيش موفق الدين يعيش بن إسماعيل: "شرح المفصل"، المنيرية مصر، إدارة الطباعة المنيرية، دط، دت، ج107/9.
- 10 ابن الجزري، "النشر"، ج339/1.
- 11 ابن جني، "سر صناعة الإعراب"، تحقيق: محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي وشحاتة عامر، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، ط2، 2007م، ج80/1.
- 12 ينظر: أبو العباس أحمد بن عمار المهدي "شرح الهداية"، تحقيق ودراسة: حازم سعيد حيدر، الرياض، مكتبة الرشد، دط، 1415هـ، ج251/2.
- 13 ينظر: "سر صناعة الإعراب" ج79/1، وأيضا: ابن خالويه "الحجة في القراءات السبع" ص 64
- 14 ينظر: محمد رشاد الحمزاوي، "معجم المصطلحات الحديثة في اللغة العربية"، الجزائر-تونس، الدار التونسية للنشر، والمؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1987م، ص41.
- 15- ينظر: علي النويري، "شرح طيبة النشر"، ج416/1.
- 16- ينظر: فوزي حسن الشايب، "أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية"، إربد الأردن، عالم الكتب الحديثة، ط1، 1425هـ - 2004م، ص456.
- 17 ينظر: ابن الجزري، "النشر"، ج329/1، وأيضا: ابن الجزري، "النشر"، ج476/1.
- 18 ينظر: سيوييه، "الكتاب"، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة مصر، مكتبة الخانجي، دط، 1998م، ج545/3 - 546.
- 19 الفراء زكرياء يحيى: "معاني القرآن"، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1423هـ - 2002م، ج91/1.
- 20 ينظر: طه صالح أمين آغا، "التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء في معاني القرآن"، بيروت لبنان، دار المعرفة، ط1، 1428هـ - 2007 ص98.
- 21 ينظر: طه صالح أمين آغا، "التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية"، ص99.
- 22 - ينظر: المرجع نفسه، ص99.
- 23 ينظر: ابن خالويه، "الحجة في القراءات السبع"، ص123.
- 24 عبد الصبور شاهين، "القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث"، القاهرة مصر، مكتبة الخانجي، دط، دت، ص160.
- 25 ينظر: المرجع نفسه، ص110.
- 26 ينظر: الزركشي محمد بن بهادر عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1428هـ - 2007م، ج195/1، وأيضا على النووي، "شرح طيبة النشر"، ج470/1. ينظر: النووي،

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- 27 "تهذيب الأسماء واللغات"، ج3/263، مادة (قرأ).
- 28- فنقل ورش حركة همزة القطع المبتدأة إلى الحرف الذي يليها من آخر الكلمة السابقة ولو مقدرة
ينظر: علي النووي، " شرح طيبة النشر"، ج1/470-471.
- 29 ينظر: علي النووي، " شرح طيبة النشر"، ج1/470،
- 30 ينظر: الطيب البكوش "التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث"، ط2، 1927م، ص 81.
- 31 ابن منظور، "لسان العرب"، بيروت لبنان، دار صادر، ط4، 2005م. مادة (دأب)، ج1/369.
- 32 ينظر: عبد الصبور شاهين، "القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث"، ص 152.
- 33 ابن الجزري، "النشر"، ج1/306.
- 34- المصدر نفسه.
- 35 ينظر: الصفاقسي علي النويري " غيث النفع في القراءات السبع"، تحقيق: جمال الدين محمد شرف، مصر، دار الصحابة للتراث طنطا، دط، 1425هـ-2004م. ، ص 269.
- 36 ابن الجزري، "النشر"، ج1/342.
- 37 ينظر: المصدر نفسه ، نفس الصفحة.
- 38-ينظر: عبد الصبور شاهين، "القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث"، ص 110.
- 39 ينظر: المرجع نفسه ، ص 111.
- 40- ينظر: المرجع نفسه، ص 154.
- 41 ابن خالويه، "الحجة"، ص 71.
- 42- ينظر: ابن الجزري، "النشر"، ج1/310.
- 43 ينظر: عبد الفتاح القاضي عبد الغني القاضي: "البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة"، القاهرة مصر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1426هـ-2005م، ج1/188،
- 44 ينظر: عبد الصبور شاهين، "القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث"، ص 169.
- 45 ينظر: علي النووي، "شرح طيبة النشر"، ج1/448.
- 46 ينظر: مكي بن أبي طالب، "الكشف"، ج1/176 وما بعدها.
- 47 ينظر: ابن الجزري، "النشر"، ج1/312.
- 48- ينظر: ابن خالويه، "الحجة"، ص 231.
- 49 ينظر: مكي بن أبي طالب، "الكشف"، ج2/183.
- 50- ينظر: المصدر نفسه، ج1/177.
- 51 ينظر: فوزي حسن، الشايب، "أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة"، ص 456.
- 52 ينظر: عبد الصبور شاهين، "القراءات القرآنية"، ص 109.
- 53 ينظر: ابن الجزري، "النشر"، ج1/323.
- 54 ينظر: علي النويري، "شرح طيبة النشر"، ج1/469، وأيضا: مكي بن أبي طالب، "الكشف"، ج2/133.
- 55 ينظر: ابن خالويه، "الحجة"، ص 197.
- 56- ينظر: ابن الجزري، "النشر"، ج1/313.
- 57 ينظر: علي النووي، "شرح طيبة النشر"، ج1/415.
- 58- ينظر: ابن خالويه ، "الحجة"، ص 372.
- 59 ينظر: "شرح طيبة النشر" ج1/163.
- 60- ينظر: المر نفسه، ج1/177.
- 61 ينظر: عبد الصبور شاهين، "المنهج الصوتي في البنية العربية"، ص 172.
- 62 المرجع نفسه، ص 182-183.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون2017

- 63 ينظر: عبد الصبور شاهين، "المنهج الصوتي في البنية العربية"، ص 143-144.
- 64 ينظر: ابن الجزري، "النشر"، ج306/1.
- 65- ينظر: عبد الفتاح القاضي، "البدور الزاهرة"، ج189/1.
- 66 ينظر: المصدر نفسه، ج192/1، وأيضا: علي الصفاقسي "غيث النفع"، ص 143.
- 67 ينظر: ابن الجزري، "النشر"، ج305/1.
- 68- ينظر: علي الصفاقسي "غيث النفع"، ص 485.
- 69 ينظر: فوزي حسن الشيب، "أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة"، ص 457.
- 70 ينظر: عبد الصبور شاهين، "القراءات القرآنية"، ص 111.
- 71 ابن جني "الخصائص" تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، ط3، 1429هـ - 2008م، ج493/2.
- 72- ابن جني، "سر صناعة الإعراب"، ج61/1.
- 73 البيت من قصيدة الأعشى ميمون من المعلقات، زكريا يحي بن علي التبريزي ، "شرح القوائد العشر" ، ضبطه وصححه : عبد السلام الحوفي ، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط2، 1407هـ- 1987م، ص 335.
- 74 ينظر: أبو زكريا الأنباري النحوي، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، دط، 1419 هـ - 1992م، ج728-727/2.
- 75 ينظر: فوزي حسن الشايب، "أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة"، ص 457.
- 76 ينظر: عبد الصبور شاهين، "القراءات القرآنية في ضوء اللغة الحديث"، ص105.
- 77 إبراهيم أنيس، "الأصوات اللغوية"، ص 92. : القاهرية مصر، المكتبة الأنجلو المصرية، دط، 1999م، ص92.
- 78 ينظر: ابن الجزري، "النشر"، ج227/1، وأيضا: علي الصفاقسي، "غيث النفع"، ص 412، وأيضا: عبد اللطيف خطيب ، "معجم القراءات"، ج245/7.
- 79 ينظر: علي الصفاقسي، "غيث النفع"، ص 412.
- 80 علي النويري، "شرح طيبة، النشر"، ج465-464/1.
- 81 ينظر: المصدر نفسه ، نفس الصفحة.
- 82 ينظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ج211/7 ، وأيضا: عبد اللطيف خطيب ، "معجم القراءات"، ج245/7.
- 83 ينظر: عبد الصبور شاهين، "القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث"، ص 174.
- 84 ينظر: مكي بن أبي طالب، "الكشف"، ج182/1.
- 85 ينظر: عبد الصبور شاهين، "القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث"، ص 173.
- 86 ينظر: فوزي حسن الشايب، "أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية"، ص 458.
- 87 ينظر: ابن الجزري، "النشر"، ج318/1، وأيضا: علي النويري، "شرح طيبة النشر"، ج458/1، وأيضا: عبد اللطيف الخطيب ، "معجم القراءات" ، ج305-304/1.
- 88 ينظر: مرجع سابق، ج302/1.
- 89 ينظر: عبد الصبور شاهين، "القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث"، ص 179.

مستويات المنطوق بين جدلية الفصيح والعامي في الجزائر

الطالبة: عماموش كهينة، طالبة دكتورا لسنة الخامسة.

جامعة: عبد الرحمان ميرة قطب ابوداو بجاية.

المشرف: الأستاذ محمد بوادي جامعة سطيف

ملخص المقال:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على المنطوق الفصيح ومستوياته، ومناقشة الجدلية القائمة على التأثير والتأثر أخذًا وعطاءً، وهذه المستويات الاستعملية للغة البشرية هي شكل من أشكال اللغة اليوم، ما هو إلا صورة تطورية للغة، وهي تفسر بوجه من الوجوه العلاقة بين الفصحى والعامية (اللغة العليا واللغة الدنيا)، فوقفنا على خصائص ومظاهر كل مستوى على حدة، مشيرين إلى مواضع التقاطع بين الفصيح والعامي. الكلمات المفتاحية: المنطوق، اللغة المنطوقة، المستويات، الفصيح، العامي، اللغة الوسطى، الاستعمال. ترجمته بالفرنسية:

Cette recherche vise à mettre en évidence les niveaux d'uttermance éloquence et discuter la dialectique qui existe dans l' influence et l'affection lors de l'émission ou de la réception. De nos jours ces niveaux d'utilisation du langage humain représentent une forme de développement de la langue ce qui explique la relation entre le langage classique soutenu et le langage courant. Dans ce travail, Nous montrons les caractéristiques et les aspects de chaque niveau en précisant les points communs entre eux.

Les mots clé : utterance, la langue opératoire, les niveaux, classique, argot, langue centrale, usage.

ترجمته بالانجليزية:

This research aims to highlight the levels of utterance eloquence and discuss the dialectic that exists in the influence and affection during emission or reception. Nowadays these levels of use of human language represent a form of language development which explains the relationship between classical language supported and current language. In this work, we show the characteristics and the aspects of each level by specifying the common points between them.

Keywords : Utterance, the operative language, levels, classical, slang, central language, use.

1- المنطوق "اللغة المنطوقة":

إن الإنسان يستعمل كل الوسائل التي تحقق الاتصال منه وإلى جنسه من الكائنات الحية الأخرى ومن بين هذه الوسائل المثلى النطق، « فالذي يجعل اللغة حقيقة مادية إنما هو الكلام الفعلي ، كما أن تحليل النطق الفعلي هو الذي يكشف عن تلك الوحدات التي تبنى

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

وتكوّن النظام اللغوي. وبهذا يتبين لنا أن عملية الكلام لها جانبان: أحدهما مادي وهو الأصوات المنطوقة والآخر عقلي وهو المعنى المقصود»⁽²⁾ فأهمية أصوات الكلام تأتي من أنها تمثل الجانب العملي للغة، « والتحدث عن المنطوق يقتضي بالضرورة التعرف على مفهومه إذ يستخدم مصطلح المنطوق " Utterance " ليشير إلى سلسلة من الأصوات الكلامية التي يؤديها المتكلم في موقف ما مسبوقه وملتوّه بلحظة صمت من الشخص نفسه، وقد تكون هذه السلسلة مناظرة لسلسلة من الجمل أو العبارات أو لعبارة أو كلمة واحدة فقط، ولذا ينظر إلى المنطوق على انه حدث مادي طبيعي زائل، يتلاشى في الهواء»⁽³⁾ فالمنطوق أصله أصوات يتلفظها المتكلم ليكون جملا أو عبارات ذات معنى، « والمنطوق يصادف في تركيبه ظروف سياقية لا تظهر في المكتوب، لهذا ينفصل الصوت عن صورته، وخير دليل على ذلك ما يلاحظ في كثير من اللغات من مخالفة النطق للكتابة، التي تعجز بطبيعتها عن تسجيل جملة من الظواهر والوظائف النطقية العامة، كالنبر والتنغيم في حالة الاستفهام والنفي والإنكار، والتعجب والتحسر، فهي وظائف ذات دلالة مباشرة في الحديث اللغوي»⁽⁴⁾ ؛ فالمنطوق ما هو إلا أصوات متناسقة تشكل معنى ذات بعد تواصلية بين أفراد المجتمع الواحد. ويعرف محمود السعراي اللغة المنطوقة انها: «أصوات تكوّن نظاما خاصا، ويحدثها جهاز النطق الإنساني. هذه الأصوات الكلامية تحدث في الفم، والأنف والحلق، وتنظم في كلمات وعبارات لتأدية الوظائف التي على اللغة أن تقوم بها»⁽⁵⁾.

يتضح مما سبق أن اللغة ما هي إلا مجموعة من الرموز الصوتية المنطوقة ذات دلالة متعارف عليها بين مجموعة من الأفراد. يتواصل الناس عن طريق الأصوات الكلامية، وتشير تعاريف اللغة إلى أن اللغة الشفهية عبارة عن نظام معين من رموز صوتية ذات دلالة ومعنى بالنسبة إلى الأشياء والأحداث الموجودة في البيئة، كما أنها أداة إنسانية ضرورية للتفكير واتصال اجتماعي وتبادل الأفكار بين الأفراد، فالإنسان يعبر عن تجاربه وخبراته ومعارفه، «فاللغة البشرية تتصف بالرمزية والقصدية في الاستخدام الواعي لها وقدرتها على التعبير عن الماديات والمجردات والأحداث البعيدة واتصافها بالتركيب (حروف-كلمات-جمل) والنظام (القواعد النحوية الصرفية) يكتسبها الإنسان من الوسط الذي يعيش فيه»، وقد عرف الدكتور عوض هاشم اللغة الشفهية بانها: « اللغة الشفهية Oral Language Disabilities هي مجموعة من الأصوات (وحدات صوتية) تدل على معنى محسوس أو مجرد تتميز بالتعبير بالدقة وتفصيل وسرعة مع مرونة في استعمال لغة الجسد بهدف تحقيق التواصل والإقناع...

ومظاهر اللغة الشفهية هي: الأصوات Phonology الكلمات Morpology- المعاني Semantics-التركيب النحوية Syntax-الاستخدام الاجتماعي للغة Pragmatics. «⁽⁷⁾، يظهر من هذا التعريف ان عوض هاشم أضاف استعمال لغة الجسد التي تصاحب الكلام أثناء النطق التي تسمى بالعناصر غير اللغوي، فاللغة تتألف من

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

عناصر لغوية وعناصر غير لغوية، والمنطوق هو كل ما يصدره الإنسان من أصوات لتبليغ مراده.

إذن اللغة المنطوقة وسيلة من وسائل التفكير التي يتميز بها البشر عن غيرهم من المخلوقات الأخرى التي يمكن اكتسابها من البيئة التي يعيش فيها الإنسان، فهي تلك الكلمات والجمل والعبارات الدالة على معنى مفيد غرضها الأساسي التواصل، فهو يمثل حيوية اللغة، خاصة وإذا كان الاستخدام الفعلي للغة قائما على المادة اللغوية المنطوقة.

أولوية المنطوق على المكتوب:

اللغة شكلان متميزان هما الشكل المنطوق والشكل المكتوب «فالأصل في اللغة أن تكون كلاما، أن تكون "مشافهة" أما الكتابة أو لغة الكتابة فهي أخرى تقصد إلى تمثيل الكلام المنطوق بطريقة منظورة. فالكتابة اختراع إنساني، لا يحق على اختراع "اللغة" وبعض المجتمعات لم توجد لنفسها هذه الوسيلة المنظورة من تمثيل اللغة الملفوظة»⁽⁸⁾ ولا جدال ولا نقاش في أن المنطوق أصل والمكتوب فرع عليه، لأن اللغة المنطوقة أسبق من اللغة المكتوبة وهذا ليس بحاجة إلى برهان من الناحية النظرية فالكلام أسبق من الكتابة في تاريخ البشرية وفي تاريخ الأفراد كذلك. فاللغة عبر مسارها التحولي كانت منطوقة قبل أن تكون مكتوبة ولتأكيد أسبقية المنطوق على المكتوب تاريخيا يظهر ذلك في شكل المجتمع الإنساني نفسه بمساعدة الكلام الشفهي ولم يصبح كتابيا إلا في وقت متأخر جدا من تاريخه ولم يحدث ذلك إلا في مجموعات بشرية محدودة فحسب... وأقدم مخطوط لدينا يرجع تاريخه إلى 06 آلاف سنة فقط⁽⁹⁾ وهذا دليل على أن اللغة المنطوقة أسبق في التصور والوجود من اللغة المكتوبة وهذا ما أكده **جون ليونز** في قوله: «الأسبقية التاريخية للكلام على الكتابة لا تحتمل الشك»⁽¹⁰⁾ وقدّم **جون ليونز** دلائل عن أسبقية المنطوق على المكتوب من حيث (الأسبقية التاريخية، الأسبقية البنوية، الأسبقية الوظيفية)*، وأولوية المنطوق على المكتوب ظاهر في الدراسات اللسانية خاصة عند المبادئ والمفاهيم المتصلة بالمنهج السوسيري المسمى بمنهج الدراسة الوصفية التزامنية، حيث حاول **دي سوسير "De Saussure"** إعادة الاعتبار للسان فكان من أهم الخصائص التي أولاهها اهتماما بالغا كون اللسان ظاهرة منطوقة أصلا ومظهره الصوتي هو الأول، الأمر الذي جعل اللسانيون يعطون الأولوية لدراسته، باعتبار أن المجتمع الإنساني شكل نفسه بمساعدة الكلام الشفاهي، فالمنطوق هو الأصل والمكتوب هو الفرع على حد تعبير **عبد الرحمان حاج صالح** «اللغة المنطوقة هي الأصل ولغة التحرير فرع عليها»⁽¹¹⁾ ، وفي نفس السياق نجد الباحثة **فطومة السويسي** تؤكد أن «لغة التخاطب أو اللغة المنطوقة هي الأصل ولغة التحرير أو اللغة المكتوبة فرع عليها»⁽¹²⁾

وأبسط مثال الطفل في بداية مراحل تعلمه الأولى للغة يبدأ بالمنطوق ويقطع فيه، ثم بعد ذلك يلجأ إلى تعلم اللغة المكتوبة حيث أكد الدكتور **ميشال زكريا** في قوله: «اللغة المحكية سابقة زمنيا للغة المكتوبة غني عن الذكر أن الإنسان يتعلم تكلم لغته قبل أن يتعلم كتابتها»⁽¹³⁾ وأضاف قائلا: «أن اللغة المحكية سابقا، من حيث الزمن، للغة المكتوبة وعودة إلى تاريخ اللغات المعروفة تثبت هذا الواقع بوضوح إذ نلاحظ أن اللغات كانت في

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

الأساس محكية إلى أن تتم، في مرحلة لاحقة من مراحل تطورها، تثبيتها في الكتابة ووضع قواعد لها»⁽¹⁴⁾. إن الأساس في اكتساب اللغة هو اكتساب عن طريق الأداء النطقي الفعلي فاللغة « هي اللغة المنطوقة في حين اللغة المكتوبة ليست إلا مجرد تصوير للمنطوقة»⁽¹⁵⁾. فعلا لو رجعنا إلى تاريخ نشأة الكلام الإنساني لوجدنا أن اللغة الإنسانية كانت في البداية عبارة عن محاكاة لأصوات الحيوان وظواهر الطبيعة، فاصلها إذن منطوق، بعيدا عن اللغة الإنسانية التي تحاكي أصوات الحيوان وظواهر الطبيعة فإن الإنسان يتعلم اللغة في مظهرها المنطوق أولا، ويمر بمراحل حتى يكتسبها، « فالطفل يتواصل بالصوت مع أمه قبل أن يتواصل معها بالحركات، وبخاصة عندما تكون بعيدة عنه، فهو يدرك لا محالة أن الوسيلة المثلى للتواصل معها هي الصراخ الذي يجعلها تلبى طلبه من بعيد»⁽¹⁶⁾، فاللغة المنطوقة هي اكتساب تلقائي يكون ذلك عن طريق الملاحظة والمحاكاة لما يسمعه، فيبدأ الإنسان أول شيء الكلام والنطق لتأتي مرحلة الكتابة التي تكتسب في الحقل التربوي بعد تعلمه النطق والكلام.

والكتابة حسب معجم لاروس للسانيات و علوم اللغة:

« l'écriture est une représentation de la langue parlée au moyen de signes graphiques »⁽¹⁷⁾

بمعنى أن الكتابة هي تجسيد اللغة المنطوقة بواسطة علامات كتابية. فالمنطوق يأتي في مقدمة كل المراتب، باعتبار أن الإنسان يتعلم النطق قبل تعلمه لمهارة الكتابة. وهو اسبق من المكتوب سواء زمنيا(تاريخيا)، أو فيزيولوجيا، وحتى طبيعيا ولا مجال للخلط بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، فقط أن المنطوق يمارس بحرية اكبر من جانب المكتوب لذلك نجد المدارس الحديثة توحى بضرورة الاعتماد على الشكل الشفوي خاصة في تعليم اللغات، إذ تعطي الأولوية للجانب المنطوق من اللغة.

2- مستويات المنطوق:

مما لا شك فيه أن علم اللغة الحديث يعني بدراسة الواقع الحي للغة بصورتها المنطوقة، لغرض الكشف عن أسرارها ولرصد حركة التغيير من المستوى الفصيح إلى العامي. إن التغيير ظاهرة تنطبق على كل لغات العالم ولا نستثنى منها اللغة العربية كباقي اللغات فهي تتغير وتتطور بتغير وتطور أهلها لأن «اللغة كائن حي خاضع للتطور باستمرار وذلك بهدف تلبية الاحتياجات الناجمة عن التغيرات الاقتصادية والاجتماعية»⁽¹⁸⁾ فاللغة ظاهرة اجتماعية تتفاعل مع المجتمع تؤثر فيه ويؤثر فيها، ولا يمكن أن نتصور لغة دون مجتمع، كما لا يمكن أن نتصور مجتمعا دون لغة، واللغة شأنها شأن الظواهر الاجتماعية، ومعنى ذلك أن التغيير سمة لازمة لها، فكما تتغير أنماط السلوك بتقدم الزمن وانتقاله من فترة إلى أخرى كذلك تتغير اللغة ويصحبها ما يسمى بالتغيير، فكما اتسعت حضارة الأمة وارتقى تفكيرها نهضت لغتها وسمت أساليبها وتعددت فيها فنون القول. ونجدها دائما التفرع والتشعب إلى لهجات ولغات مختلفة، وهذا ينعكس على المنطوق اللغوي مما جعل الفرد في المجتمع -الجزائري خاصة- يعرف ثلاثة مستويات من المنطوق اللغوي.

2-1 المستوى المنطوق الفصيح:

المنطوق الفصيح في اللغة العربية هو تلك اللغة المستعملة في أرقى مستوياتها وفي مقامات رسمية تستدعي استخدامها من طرف فئة معينة من المجتمع، فتعرفه الدكتورة سهام مادن أنه: «أرقى المستويات تمتاز بكونها محدودة الاستعمال يستعملها فقط ذوو المستويات الثقافية وخاصة المتخصصون في اللغة العربية كالأدباء والدكاترة في المقامات العلمية كمناقشة الأطروحات وإلقاء المحاضرات، وهذا المستوى خاص جدا ومحدود»⁽¹⁹⁾ المنطوق الفصيح لغة المتعلمين باللغة العربية الفصيحة، لغة المتخصصين كالأدباء والأساتذة، لغة العبادات، وهو اللغة الرسمية والوطنية الخاضعة لقواعد النحو والصرف أي أنها تستخدم في جل المناسبات الرسمية للدولة أو المجتمع المتواجدة فيه. وما نعرفه عن اللغة العربية الفصحى أنها لغة القرآن الكريم والتراث العربي جملة، والتي تستخدم اليوم في المعاملات الرسمية، وفي تدوين الشعر والنثر والإنتاج الفكري. فكما ورد في الندوة الدولية للمجلس الأعلى للغة العربية: «الفصحى هي لغة العبادات و لغة التعامل اليومي والإداري، وهي لغة الأصل»⁽²⁰⁾ ويتفق علماء اللغة في تعريف اللغة العربية الفصيحة في زماننا هذا على أنها «اللغة السليمة من الخطأ والتي تتفق مع الضوابط العامة والقواعد المفيدة لكلام العرب قديما»⁽²¹⁾ ونقول حديثا لأن مفهوم الفصاحة عند النحاة العرب الأولين مبني على مفهوم كثرة الاستعمال وشيوع الكلمة أو التركيب في لغات العرب خلافا لما يعتقد الرأي العام في الحاضر الذي يجعل الفصاحة مترادف التفصح والبلاغة، تابعا في ذلك ما وقع فيه النحاة المتأخرون الذين بنوا مفهوم الفصيح على الاعتبارات البلاغية.

تعد اللغة العربية الفصيحة، فوق مستوى العامة من الناس حيث يستطيع هؤلاء العامة أن يصطنعوها في حديثهم وخطاباتهم، وإذ سمعوا متكلمها بها رفعوه فوق مستوى ثقافتهم، فاللغة المشتركة العربية التي وردت بها الآثار الأدبية، والتي تضم بها الشعراء، وخطب بها الخطباء، ولم تكن في متناول جميع العرب، بل كانت في مستوى أرقى وأسمى مما يمكن أن يتناوله العامة⁽²²⁾ وتعتبر اللغة العربية الفصحى لغة منسجمة موحدة، لا تنسب إلى بيئة خاصة، فلا يمكننا القول بأنها لغة تميم، أو لغة هذيل، ولغة قريش، بيد أنها تعد مزيجا من هؤلاء وغيرهم، فالفصحى هي «اللغة الانتلافية التاريخية الجامعة التي نتعلمها أو نجهد أن نتعلم منها مقدارا كافيا»⁽²³⁾ ونشير إلى أن اللغة الفصحى ليست هي لغة المنشأ بالنسبة للمجتمع الجزائري لأن لغة المنشأ هي اللغة الأولى التي يسمعها الطفل عندما يبدأ الكلام، إذ يستعملها بصفة طبيعية كأداة تخاطب يومي، فمثلا اللغة العربية الفصحى نتعلمها ونعلمها في المدارس كلغة رسمية لا لغة أم بالمفهوم الدقيق لمعنى كلمة لغة أم، وهي تعتبر اللغة الثانية بالنسبة للفرد الجزائري الذي اكتسب لغته المنشأ في المراحل الأولى من حياته، إذ أن الأصل في اللغة العربية الفصحى أنها اللغة التي نزل بها القرآن الكريم وهي المشتركة والمرجع لجميع المتكلمين في الوطن العربي، وقد يحلو للبعض أن يسميها اللغة النموذجية* وسميت باللغة النموذجية لأنها لغة أدب، والتي فرضت نفسها ووجودها بالقوة التي تملكها على كل الأداءات اللغوية، بسبب ترفعها عن

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

خصائص اللهجات، وهي وسيلة للتواصل الفكري والثقافي باعتبارها لغة كتابية (لغة الكتب والمقالات، لغة الصحافة في بعض برامجها، الخطابات الرسمية، لغة القضاء في رفع المرافعات في المجلس القضائي...) وهي اللغة الثانية التي يتلقاها الطفل في المدرسة بعد لغته الأولى حيث يتعلم نحوها وصرفها ودلالاتها المختلفة. « وتميل أكثر اللغة الفصحى إلى أنها لغة مكتوبة أكثر منها لغة منطوقة إلا في بعض المقامات الرسمية الذي يستدعي ذلك، أي أن في الغالب اللغة العربية هي لغة فصحى مكتوبة، تستخدم في التعليم، وفي العلم، وفي الأدب، وفي الصحافة، وهي اللغة الرسمية المشتركة في العالم العربي اليوم»⁽²⁴⁾ بمعنى أن اللغة الفصحى لغة مكتوبة أكثر منها منطوقة في الغالب وهي لغة التعليم في المعاهد المتعددة، ولغة العلم بفروعه المختلفة، ولغة الدولة بمؤسساتها المحلية والدولية، هي اللغة التي يترجم منها وإليها، لغة الصحف ونشرات الأخبار « المستوى المعياري الفصحى يقتصر على الخاصة، يستعمل للكتابة، وفي المحافل الرسمية، وفي الشعائر الدينية، فهو مستوى سامي يستحق الإجلال»⁽²⁵⁾ لذا تعتبر اللغة العربية الفصحى اللغة المشتركة التي يعدها العرب لغتهم القومية، ومظهر شخصيتهم ورمز استقلالهم، لذلك تحتل اللغة العربية الفصحى مكانة مرموقة في المجتمع العربي.

إن استعمال المنطوق الفصحى يكون مـارسا على فئة خاصة تتصل بمـجالات منها: « وسائل الإعلام المكتوبة والمنطوقة، المنظومة التربوية، التعليم الجامعي، والإدارة، تحظى بكونها اللغة الوطنية في هذا المجتمع المتعدد اللغات، ومن ناحية أخرى، لا تحظى باستعمال كـلّ الفئات رغم ما لها من تأييد ودعم، ولعل أسوء ما يلحق بها هو غيابها على مستوى التداول اليومي وضيق حدود استعمالها الشفوي»⁽²⁶⁾ وهذا يؤيد فكرة أن الفصحى ملائمة أكثر للجانب المكتوب أكثر منه في المنطوق لكن يكون ذلك حسب المقام إذ قد يكون المقام يستلزم استخدام المنطوق الفصحى، فينتقل المتكلم إلى المستوى الأدنى بصفة لا شعورية، « لأن المتكلم المتعلم والمتخصص في اللغة العربية، لا يمكن أن يلم بجميع قواعد نحوها وصرفها، ولا يمكن أن يلتزم بهذا المستوى التزاما مطلقا»⁽²⁷⁾ فالمستوى المثالي لا وجود له في الواقع اللغوي وخاصة الواقع الجزائري الذي تعتبر فيه اللغة العربية الفصحى اللغة الرسمية إذ هي من بين الدعائم والركائز الأساسية للشخص والهوية الوطنية.

رغم الأهمية التي تبلغها اللغة الفصحى وتكتسبها في معظم المقامات الاجتماعية إلا أن استعمالها في الواقع يبقى ضئيلا جدا إذ ينحصر عند فئات قليلة، وعند عدد من المثقفين ولدى الطبقات المثقفة والمجتمع، فيبقى استعمالها محدودا جدا، وذلك يعود لأسباب كثيرة منها تعدد اللهجات التي تتعايش مع بعضها البعض في الواقع اللغوي الجزائري، ويبقى الاهتمام الذي تضعه الدولة للغة العربية الفصحى في حيز الجهود بالرغم من القواعد والبرامج التعليمية التي تقدمها إلى جانب امتياز اللغة العربية الفصحى بالجانب المكتوب والمنطوق معا. فالحقيقة ظاهرة في واقعنا اللغوي وهي أننا لا نجد تجسيدا للغة العربية الفصحى التي كانت في زمانها، حتى أن اللسانيون يقرّون أنه لا وجود للشكل المثالي للغة، ويبقى النموذج الأرقى للغتنا في كل زمان ومكان القران

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

الكريم، وما يمكن اعتباره نموذجا مثاليا في واقعنا اللغوي هو اللغة الأدبية التي تمتاز بجودة تعابيرها وببراعة ألفاظها وبصورها الزاخرة الفنية، لأن الأديب هو فنان في حد ذاته يصور الجمال.

2-2- المستوى المنطوق العامي (غير متفصح):

هناك من يعتبر أن اللهجة مصطلح حديث وذلك استنادا لما كانت تعرف به عند العرب القدماء حيث يعتبرون لكل قبيلة لغتها، وهذا ما يعرف الآن باللهجة ومن ذلك قول **خالد محمد غانم:** «اللهجة وجمعها (اللهجات) هو تعبير حديث لما كان يطلق عليه العرب اسم (لغة) فيقولون مثلا: لغة قريش، ولغة تميم، ولغة طيء، ولغة حمير، الخ» (28). إن اختلاف الأسن ليست عملية بليلة وتشتيت للبشرية، بل إنها آية من آيات الله في قوله تعالى: { ومن آياته خلقُ السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنَّ في ذلك لآيات للعالمين } سورة الروم/22. (29)

إن هذا المستوى من اللغة مستوى شعبي، فهي لغة ينطقها شعب ما، وتكون عادة مختلفة عن اللغة الفصحى بسبب اختلاف و اختلاط الشعوب بعضها ببعض، وميل الناس إلى التيسير في الكلام، ولهذه اللغة عدة أسماء: اللهجة الدارجة، اللغة المحكية، اللهجة العامية، العربية العامية، الكلام الدارج، الكلام العامي، لغة الشعب، فسميت باللغة العامية لأنها تأتي على السنة عامة الناس فهي الأكثر تداولاً بين الناس، وذلك من خلال أحاديثهم اليومية، سواء في الأسواق والمنازل والشوارع والنوادي وتستخدم في اتصالات رسمية أو غير رسمية ويكون ذلك من طرف المتخصصين بها أو غير متخصص أن يلجأ بها، وهذه الظاهرة لوحظت في عدة مواقف، والعامية هي لغة المنشأ التي نكتسبها من خلال بضع سنوات الأولى وهي التي تحدد: « تشكيل البرنامج اللغوي الأول في الدماغ» (30) وعليه فالكلام العامي هو المنسوب إلى العامة، فالعامية هي التي تغيرت عنها بعض مخارج الأصوات، واختلفت بعض معالمها وملامحها الأدبية، إنها اللغة التي نتخاطب بها كل يوم، فهي اللغة الأكثر تداولاً بين الناس، وهي بخلاف اللغة الفصحى المستخدمة في الكتابة والأحاديث الرسمية والعلمية، والعامي من الكلام ما نطق به العامة على غير سنن الكلام العربي. وهذا النمط من الاستعمال اللغوي قد يكون لحنا في منظور القدماء، وفي تعريف آخر: « هي مستوى بسيط وظيفي أني محلي نلجأ إليه بغية استعمال لغة التبسيط، فهي لسان يستعمله عامة الناس مشافهة في حياتهم اليومية لقضاء حاجتهم والتفاهم بينهم» (31)، إن المستوى العامي الدارج يمثل أدنى المستويات في المنطوق، فمثلا العامية الدارجة الجزائرية: « هي عامية كل فرد جزائري مهما كان انتماؤه الجغرافي، لأنه كما نعلم أن الوطن الجزائري يضم مدنا عديدة متوزعة في الشمال والجنوب،

والغرب والشرق، والاختلاف الجغرافي أدى إلى الاختلاف اللهجي، ولكن هذه العامية الدارجة ملك كل فرد جزائري مهما اختلفت لهجته» (32) ويتضح هذا أكثر عند علماء الاجتماع الذين يعتبرون العامية « أدنى درجة من الفصحى في الجانب الاجتماعي والثقافي، إنها في الأساس لغة البسطاء من الناس وذوي الحرف والصنائع وأشباههم ممن لم ينالوا قسطا محددًا من التعليم والثقافة» (33) فاللهجة هي لغة العامة ولغة البسطاء من

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

الناس وذوي الحرف البسيطة ممن لم ينالوا قسطا من الثقافة، فالعامية هي لغة الحديث اليومي الجاري بين الناس في حياتهم العامة، وهي لغة منطوقة أكثر مما هي مكتوبة « العامية هي عكس الفصحى، لكونها لغة منطوقة، ولم يسبق لها أن كتبت بكيفية منمطة»⁽³⁴⁾.

إذن فالمستوى العامي يستعمل في الأوساط غير الرسمية كالمنزل والشارع، يتميز بالسرعة في الأداء، والخفة في تبليغ الفكرة، دون مراعاة الإعراب، كما انه مستوى يستعمله معظم العامة من الناس بكل خفة وسهولة لأنه بلا قيود. ويكون أكثره في الجانب المنطوق منه في الجانب المكتوب للغة. فهو لغة العامة والمجتمع نشأت لمسايرته ومسايرة أوضاعه المختلفة.

وتشير الدكتورة سهام مادن إلى أن المنطوق العامي الجزائري هو أكثر المستويات انتشارا من خلال مجالات استخدامه، فهو لغة الأمي ولغة المتعلم، يستعمل في الجلسات العائلية وغيرها وهو أصلا لغة المنشأ؛ اللغة الأولى التي يتكلمها الفرد الجزائري، كما أن هناك انتشار لللهجات الامازيغية في بعض جهات الوطن، وانتشار الفرنسية ومزجها في العامية الدارجة للمتكلم، والملاحظ في الجزائر أن المنطوق العامي انكب على وسائل الإعلام والاتصال سواء المرئية منها أو المسموعة ويظهر ذلك جليا في بعض البرامج الحوارية والإعلانات وبرامج الأطفال ... والطامة الكبرى انه اكتسح أيضا مجال التعليم وهذا الأخير ما أدى إلى ضعف الطلاب في اللغة العربية حاليا نتيجة استخدام العامية إلى جانب الفصحى في التدريس كل هذا سببه أن المنطوق متحرر من كل القيود يتغير باستمرار شأنه شأن الظواهر الأخرى. «إن اللغة المستعملة اليوم ومنذ زمان بعيد غرضها تلبية الحاجات اليومية إما في المنازل أو في وقت الاسترخاء، والعفوية ليست هي العربية الفصحى، بل اللهجات العامية التي هي نتيجة لتطور الفصحى المنطوق بها ولهجاتها، فهي لغة التخاطب اليومي والأكثر عرضة للخطأ»⁽³⁵⁾ وهذا الواقع لا يمكن نكرانه في الوسط الجزائري خاصة وفي الأوساط العربية عامة، ولا توجد عامية واحدة في كل القطر الجزائري بل عاميات لتفرعها إلى لهجات، واللهجة ترتبط أساسا بالاختلاف الجغرافي.

وعليه فإن اللغة المنطوقة العامية الدارجة، تمثل أدنى المستويات، ونقصد بها عامية كل فرد جزائري مهما كان انتماؤه الجغرافي (مهما كانت لهجته)، وهي أكثر المستويات انتشارا لأنها لغة اغلب الفئات الجزائري ونستثني منها فئتين:⁽³⁶⁾

● الفئة الناطقة باللهجات الامازيغية والمتواجدة في: بجاية، تيزي وزو، الاوراس وغرداية....

● الفئة الناطقة باللغة الفرنسية، وتتمثل خاصة في الفئات التالية:

- فئة الشباب المولع بتقليد الغرب معتقدا أن هذا مظهر من مظاهر الحضارة و الرقي.

- فئة الجيل القديم أي الجيل الذي عاش تحت نير المستعمر، فتعود لسانه على اللغة الفرنسية.

2-3- المستوى المنطوق العامي المتفصح (اللغة الوسطى):

باعتبار أن اللغة ليست نظاما ثابتا على حال واحدة في مختلف الأماكن البشرية ولا حتى عبر العصور، فهي متغيرة وخاضعة لمجموعة من الظروف، إذ تشبه اللغة في ذلك بالكائن الحي الذي يولد فينمو ويكبر ثم يضعف. وحين التكلم لا بد من مراعاة بعض الظروف أو الشروط (مثل المتكلم: من يتكلم أو من يريد التكلم؟ والمخاطب: مع من؟ والمكان: أين؟ والزمان: متى؟...) وبناء على ذلك عرفت البشرية تنوعا في اللغة الواحدة (أي اللهجات). وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على أن العلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة بين أصل الاشتقاق وطريقة النطق التي يتبعها الإنسان.

أما من الجانب اللساني فيبدو انه لا تتميز اللهجة عن اللغة، لأن اللهجة نظام صوتي ولغوي ومعجمي كاللغة تماما، وهذا ما نلمحه من خلال قول عبد الجليل مرتاض في تعريفه للهجة بأنها: « ظاهرة من ظواهر الاتصال مثلها مثل اللغة تماما، أو بوصفها تكلمات محلية خاص بالتعارض مع اللغة كتكلمات وطنية عامة»⁽³⁷⁾ إلا إننا نلاحظ عكس ذلك عند بعض اللغويين الذين يفرقون بين الفصحى والعامية: « الفرق بين الفصحى والعامي قد أصبح في العديد من المجتمعات فارقا بينا واضحا انه أصبح لكل منهما وظيفة محددة، سواء أكان ذلك بالنسبة للهجات ضمن اللغة الواحدة Diglosia أو للهجات للغات متعددة تستخدم في نطاق ضيق ولأغراض محددة»⁽³⁸⁾ فمن خلال هذا التفريق يلاحظ أن هذا الفرق بين الفصحى والعامية كان من حيث الوظيفة.

أما من ناحية الاستعمال فيبدو أن الوضع اللغوي لهذين الوجهين يقتضي التمازج والتفاعل المستمرين بينهما، وهذا ما يوضحه أنطوان صياح من خلال قوله بأن التمييز بين هذين الوجهين، الوجه الفصحى والوجه العامي، لا يعني أن هناك هوة بينهما، وأن استعمال كل منهما ميادين مكرّسة... فالوضع اللغوي بين هذين الوجهين هو وضع تمازج وتفاعل مستمرين يؤدي في العديد من الأحيان إلى استعمالات لغوية تمزج الفصحى بالعامية، والعامية بالفصحى في مستوى الأصوات والمفردات والعبارات والجملة»⁽³⁹⁾ فهذا الوضع ولد ما يسمى بظهور لغة مختلطة بين الفصحى والعامي يظهر عند المتحدثين خاصة في عصرنا أين أصبحت ظاهرة متفشية في اللغة العربية.

فنقصد بهذا المستوى انه تلك اللغة العامية الأقرب إلى الفصحى، وهي عامية المثقفين، تستعملها الطبقة المتعلمة في مناقشات وأحاديثها، كما أنها لغة الإعلام والحكومة والقضاء... فهو لغة المتعلمين يمتاز بالتزامها « لقواعد اللغة، كما تميل بعض التراكيب السهلة الخاصة بالعامية، نذكر منها على سبيل الحصر ظاهرة النفي في العامية التي تتم عن طريق "ما" التي تسبق الفعل، و"الشين" التي تلحق بأخر الفعل، ويفضل استعمال هذا المستوى العامي المتفصح لأنهم يجدون فيه راحة وبساطة، فمثلا إذا ارتبك المتكلم في استعمال اسم الموصول خاصة في المثني فإنه يفرّ إلى الحالات المفرد والمثني والجمع للمذكر وللمؤنث معا»⁽⁴⁰⁾ بمعنى أن اللغة العربية المتفصح لا تلتزم الإعراب مثل ما

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

تلتزم بها الفصحى النابعة من القرآن الكريم، وهذا ما أدى إلى ظهور لغة ثالثة أطلق عليها بعض الباحثين والمفكرين باللغة الوسطى وهو مستوى كان نتيجة التفاعل بين المستوى الفصيح والمستوى العامي «يؤدي وظائف اللغة المنطوقة المشتركة بين كل العرب، أطلقت عليه مصطلحات عدة، منها اللغة الوسطى واللغة المهذبة ولغة المتعلمين...وهو مزيج بين الفصحى والعامية»⁽⁴¹⁾ ولتوضيح أكثر يقدم **احمد محمد المعتوق** مفهوم اللغة الثالثة «هو المستوى اللغوي المنطوق الذي يستمد عناصره ومكوناته الأساسية الأولى من فصحي العصر بمختلف درجاتها ونماذجها وروافدها الداخلية والخارجية، وتكيف فيه عناصر أخرى من العامية بمختلف أنماطها ودرجاتها التي تبتعد عن أصول الفصحى ومقاييسها وقاعدتها الأساسية. لتتكون أو تتطور من خلاله توفيقه وجمعه بين هذه العناصر، لغة عربية محكية مشتركة وسيطة عفوية أصيلة، مبسطة وميسرة قريبة مستأنسة من خاصة الجمهور وعامته»⁽⁴²⁾ ، فهي اللغة العربية السهلة والميسرة التي يفهمها العامة والخاصة، وتتميز بالعفوية والتلقائية في التعبير، والسهولة بعيدة عن قواعد ومقاييس الفصحى خاصة إذا شعر المتكلم بانقباض في الكلام في مقام يستدعي الفصحى فانه عفويا يستعمل المتكلم الفصحى الأقرب إلى العامية، وهذا ما قاله **الدكتور عبد الرحمان حاج صالح**: «للغة مستويات مختلفة من حيث تأديتها فقد رأينا أن الاستعمال اليومي للغة يختلف- بعفويته وعدم تكلفه- عن الاستعمال المحصور في بعض الحالات (تلك التي تقتضي من الانقباض النفسي والفيزيولوجي)... وان اللغة المنطوقة أكثر عفوية من لغة التحرير وقد انتبه علماء اللغة قديما إلى هذا فقسموا الألفاظ إلى لفظ حوشي وغريب وجزل ومبتذل ووسط...ولكلّ منها مقام...⁽⁴³⁾» فاللغة المنطوقة المتفصحة تراعي المقام، وتتميز بعدم التكلف والتصنع وتمتاز بالتساهل ويلجأ إليها المتكلم إما لعجز أو عائق أو بديل أو لتقريب المفهوم أو الفكرة لدى السامع ويستند إلى العامية بجوار الفصحى في كثير من سياقات التواصل الشفوي؛ ومهما كان فان جميع لغات البشر يوجد مستويان اثنان في التعبير وهما:

- مستوى التعبير الإجلالي: هو الذي يستجيب لما يسمى بمقام الانقباض، وفيه تظهر عناية المتكلم الشديدة بما ينطق من ألفاظ، وما يحدثه من صياغة بتحقيق الحروف، ولا يختزل شيئا من الألفاظ، ويستعمل هذا المستوى من التعبير في جميع الحالات التي تتصف بالحرمة كمحاضرات الأساتذة وخطاب الرئيس...

- مستوى التعبير الاسترسالي: وهو التعبير الذي يستجيب لمقام الأنا وفيه يسترسل صاحبه عند مخاطبيه لشخص مأنوس كخطاب الأبناء والأصدقاء ويمتاز عن الأول بكثرة الإدغام والاختلاس في تأدية الحروف والحذف والتأخير وكثرة الإضمار...

بصفة عامة فكل لغة و لها مستويان وهما المستوى المنقبض يجري في مقام الحرمة خاصة في الميدان الثقافي، والمستوى المسترسل العفوي غير المتكلف وفيه أخطاء لا يرتكبها المتكلم بالمستوى المنقبض. ويظهر كثيرا عند المتكلم أثناء تواصله مع الآخرين انه يستخدم اللغة التي يقننها ويستعملها أكثر، فقد تحدث اختلاطات وتنوعات

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

لغوية وحتى تداخلات من لغة أجنبية في منطوقاته كتدخل الفرنسية في الآونة الأخيرة في شتى المجالات على أنها لغة علمية وتقنية وحتى إدارية حتى أنها أصبحت لغة الخبز بها يتمكن الفرد من الحصول على منصب شغل كما وضحه Grandguillaume Gilbert في قوله: «إن الاستعمال الحصري للفرنسية في التعليم جعل منها لغة النجاح الاجتماعي إن لم تكن ببساطة "لغة الخبز"، اللغة التي تمكّن من الحصول على منصب شغل»⁽⁴⁴⁾.

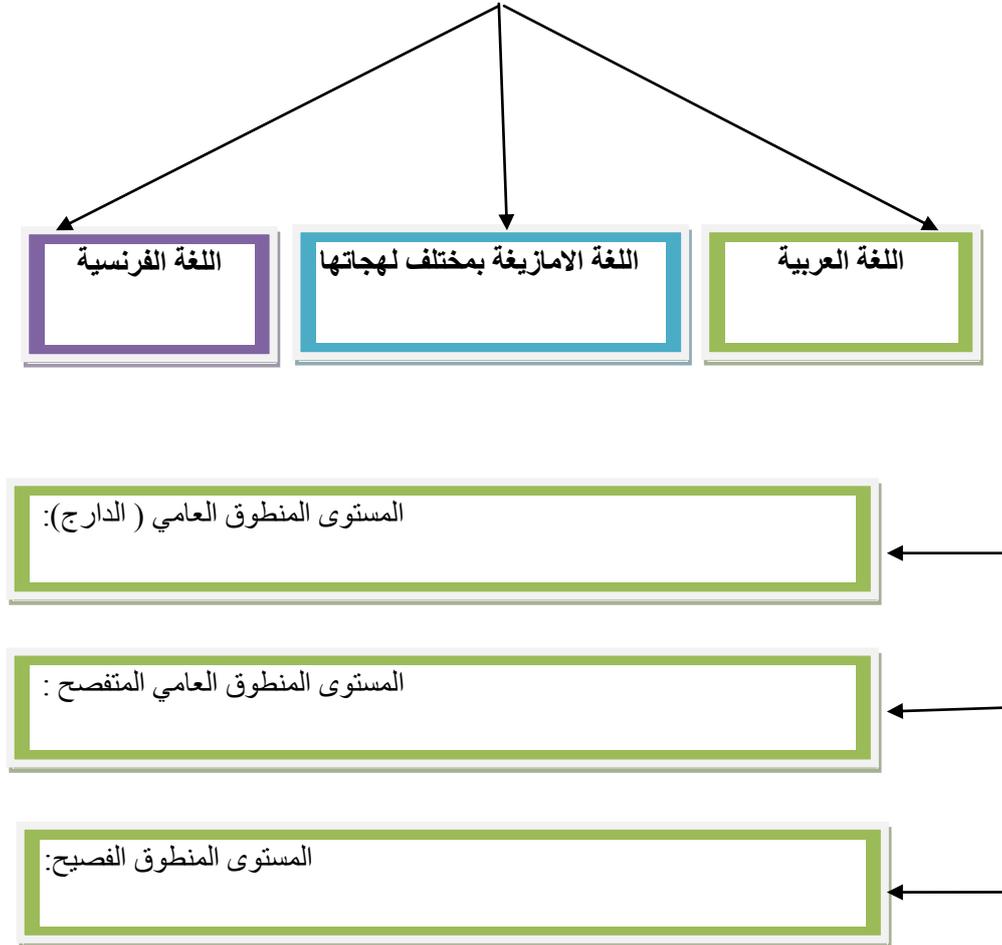
نتوصل إلى أن المتحدث الجزائري يستخدم اللغة العامية إلى جانب اللغة الفصيحة ويميل إليها أكثر أولاً لأنها لغة الأم، وثانياً يثقها عفويًا، وهي لغة ظهرت نتيجة تفاعل الفصحى والعامية واستطاعت اكتساح عدة مجالات كوسائل الإعلام والمناقشات والحوارات والخطابات سواء الدينية أو السياسية وتمتاز بالتزامها بقواعد اللغة الفصحى، واستعمال بعض التراكيب العامية، ويمكن القول أن هذا المستوى هو مستوى ادني فصاحة نظرا لما يخالطه من اللحن إلا انه قريب من الفصحى ذلك لأنه بقي متميزا بنظام الفصحى النحوي الشامل، وقواعدها الدقيقة المحكمة.

مما سبق يتضح أن المنطوق اللغوي لواقعنا يثبت وجود ثلاث مستويات ففي الجزائر مثلا نجد⁽⁴⁵⁾:

- أ- اللغة المنطوقة العامية الدارجة باعتبارها اللغة الأم لأغلبية فئات الشعب الجزائري.
- ب- اللغة المنطوقة العامية المتفصحة باعتبارها لغة المتعلمين الجزائري.
- ج- اللغة المنطوقة الفصيحة وهي اقلهم استعمالا باعتبارها لغة المتعلمين المتخصصين في اللغة العربية، ورغم هذا فان هذه الفئة تفضل استعمال المنطوق المتفصح لأنه أكثر مرونة وسهولة لقبوله لبعض الخصائص التركيبية للعامية.

خلاصة القول أن الواقع اللغوي الجزائري خاصة- والبلدان العربية عامة- يتميز بتفرعات وتشعبات إلى لهجات ولغات مختلفة انعكست بصورة مباشرة على اللغة العربية تجسدت أكثر على مستوى المنطوق باعتباره يمثل حيوية اللغة واستمرارها مما أدى إلى ظهور مستويات ثلاثة من المنطوق اللغوي وهي مستوى منطوق فصيح، مستوى منطوق عامي، مستوى ثالث ناتج عن ثمره تفاعل الفصحى بالعامية ولدّ مستوى منطوق متفصح، لذلك فالواقع اللغوي خاصة الجزائري واقع معقد ومركب يتسم بالتعدد اللغوي لكونه يستخدم مجموعة من اللغات، وأهم اللغات الموجودة حاليا في الجزائر نذكر: اللغة العربية بمستوياتها الثلاثة، اللغة الأمازيغية بتنوعاتها، اللغات الأجنبية خاصة اللغة الفرنسية، وهذه اللغات تتعايش مع بعضها البعض لأن المتكلم الجزائري لا يقتصر أثناء حديثه اليومي على لغة واحدة بل يسعى إلى توظيف تفرعات لغوية وحتى إلى لغات أخرى قصد إقناع مخاطبه.

مخطط للغات المتعايشة في الجزائر



خاتمة:

من خلال كل ما سبق نتوصل إلى أن اللغة المنطوقة الفصيحة التي تعتبر أرقى المستويات تخص فئة معينة تتمثل في المتخصصون في اللغة العربية كالأدباء والدكاترة، تستعمل في المقامات العلمية كمناقشة الأطروحات وإلقاء المحاضرات، وهذا المستوى

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

خاص جدا ومحدود. وهي لغة منسجمة موحدة، فهي اللغة الرسمية والوطنية الخاضعة لقواعد النحو والصرف تستخدم في جلّ المناسبات الرسمية للدولة، وتستخدم اليوم في المعاملات الرسمية، ويظهر استعمالها في تدوين الشعر والنثر والإنتاج الفكري، وهي وسيلة للتواصل الفكري والثقافي باعتبارها لغة كتابية أكثر (لغة الكتب والمقالات، لغة الصحافة في بعض برامجها، الخطابات الرسمية، لغة القضاء في رفع المرافعات في المجلس القضائي...) والملاحظ فيها هو غيابها على مستوى التداول اليومي وضيق حدود استعمالها الشفوي، فالفصحى ملائمة أكثر للجانب المكتوب أكثر منه في المنطوق مع مراعاة المقام إذا استلزم استخدام المنطوق الفصيح، رغم ذلك ينتقل المتكلم إلى المستوى الأدنى بصفة لا شعورية، لأن المتكلم المتعلم والمتخصص في اللغة العربية، لا يمكن أن يلم بجميع قواعد نحوها وصرفها، ولا يمكن أن يلتزم بهذا المستوى التزاما مطلقا فالمستوى المثالي لا وجود له في الواقع اللغوي خاصة الواقع الجزائري الذي تعتبر فيه اللغة العربية الفصحى اللغة الرسمية كما انه لا يوجد مستوى فصيح خالص في المنطوق، باعتبار أن من خصائص المنطوق العفوية، خاصة إذا كان المتكلم في صورة مباشرة مع مخاطبه فإنه لا يمكنه في أية حالة غربة كلامه. فيظهر في حينه استعمال مستوى آخر من اللغة وهي العامية التي تستعمل في الأوساط غير الرسمية كالمنزل والشارع، وتتميز بالسرعة في الأداء، والخفة في تبليغ الفكرة، دون مراعاة الإعراب، وهذا المستوى يستعمله معظم العامة من الناس بكل خفة وسهولة لأنه بلا قيود. ويكون أكثره في الجانب المنطوق منه في الجانب المكتوب للغة. فهو لغة العامة والمجتمع نشأت لمسايرته ومسايرة أوضاعه المختلفة.

كل هذا ناتج عن التأثير والتأثر في المنطوق ومستوياته بين الفصيح والعامي وهذا الجدل قائم على الأخذ والعطاء سواء تعلق الأمر من الفصيح إلى العامي أو من العامي إلى الفصيح، في تياقظ المستويين ويظهر أكثر في مشافهة المتكلمين إما في التخاطب الرسمي أو التخاطب اليومي فالأخذ والعطاء من مستويات المنطوق أصبحت ظاهرة مستقلة في كل مواضع استعمال اللغة العربية، ذلك لان المنطوق يمثل حيوية اللغة باستعماله، فهو يرتبط ارتباطا وثيقا بتأثير و التأثر من المستويين الفصيح والعامي للغة فهناك نقاط تقاطع بينهما فيما أدى إلى ظهور اللغة الثالثة التي تعتبر بمثابة اللغة المعاصرة حاليا، والتي من مميزات أنها لغة سهلة خفيفة على اللسان البشري، وهذا ما يلاحظ في المنطوق -الجزائري- إن هذه الجدلية ما هي إلا صورة تطويرية للغة، وهي طبيعة العلاقة بين الفصحى والعامية أو بين اللغة الأدبية ولغة الحياة اليومية.

هوامش الدراسة :

1 - عوض هاشم: الاتصال اللغوي الشفهي (الصعوبات والتشخيص والعلاج)، دار الشجرة، دار صفحات، سوري، 2015، ط1، ص11.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- 2 - ستيفن اولمان: دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشر، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، ط2، ص37.
- 3 - Voir : Harford James R and Brendan Heasley, *Sémantics a course book*, cambrige University Press, 1983,P15.
- 4 - ينظر: نضيرة بوحاتم: مستويات تأثير المنطوق في المستعمل الانجليزي، دراسة تداولية للمستوى الوظيفي الصوتي، 5 5 - رسالة الماجستير، قسم التاريخ و علم الآثار، جامعة بلقايد تلمسان، 2011، ص08.
- 6 - محمود السعران: علم اللغة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997، دط، ص110.
- 7 - ينظر: جمعة السيد يوسف: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، الكويت عالم المعرفة، 1990، ص13. بتصرف.
- 8 - عوض هاشم: الاتصال اللغوي الشفهي، (الصعوبات و التشخيص و العلاج)، المرجع السابق، ص 21.
- 9 - محمود السعران : علم اللغة، المرجع السابق، ص51.
- 10 - ينظر: والتر وانج: الشفاهية والكتابية، تر: حسن البناعز الدين، مرا: محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، 1994، ص38.
- 11- جون ليونز: اللغة واللغويات، تر محمد العناني، دار جريير للنشر، الاردن، 2009، ط1، ص30.
- * ينظر جون ليونز: اللغة واللغويات، المرجع نفسه، ص(30-31-32-33-34-35).
- 12 - عبد الرحمان حاج صالح : بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنسر، الجزائر، 2007، ص186.
- 13- فطومة السويسي: اللسان والتبليغ، تخصص علم اللسان التفاضلي، مقارنة تحليلية بين لغة التحرير ولغة التخاطب اليومي، رسالة الماجستير، معهد العلوم اللسانية والصوتية، الجزائر، ص36.
- 14 - ميشال زكريا: الألسنية (علم اللغة الحديثة)، المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية، 1983، ط2، ص151.
- 15 - ميشال زكريا: الألسنية ، المرجع نفسه ، ص 151.
- 16 - كمال بشر: اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، دار غريب، القاهرة، 1999، دط، ص10.
- 17 - Voir :Claude Germain, Raymond le blanc, *Introduction à la linguistique générale*, La Sémiologie de la Communication, éd, les presses de l'université de Montréal, 1983,p19.
- 19- عبد الرحمن احمد اللبوزيني: اللغة العربية أصل اللغات كلها، دار الحسن للنشر، (1998-1419)، ط1، ص 30
- 20 - سهام مادن: الفصحى وعلاقتها في استعمالات الناطقين الجزائريين، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011، دط، ص 81.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون2017

- 21 - أعمال الندوة الدولية للمجلس الأعلى للغة العربية بالتعاون مع وزارة الثقافة، ضمن فعاليات الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الفصحى وعامياتها، لغة التخاطب بين التقريب والتخاطب، بنزل الاوراسي2007/05/04، منشورات المجلس، 2008، ص05.
- 22- عباس حسن: اللغة والنحو، دار المعارف، مصر، 1971، ط2، ص 30، 260.
- 23- ينظر: رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994، ط3، ص80.
- 24 - شحدة فارغ وآخرون: مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل للنشر، الأردن، 2006، ط3، ص79.
- (*) جاء هذا المصطلح في كتاب: بشر كمال، علم اللغة الاجتماعي، مدخل، ص184.
- 25- محمد حسن عبد العزيز: الوضع اللغوي في الفصحى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992، ط1، ص11.
- 26- ويزه أعراب: ما بين اللغة العربية الفصيحة والعامية -الفصحى المعاصرة، المجلس الأعلى للغة العربية (اللغة العربية بين التهجين والتهديب، الأسباب والعلاج) ، دار الخلدونية للطباعة ، الجزائر، دط، ، ص 320.
- 27 - كريمة سالمى: اللغة العربية الفصحى في الممارسة اللغوية لمتعددي اللغات، المجلس الأعلى للغة العربية (اللغة العربية بين التهجين والتهديب، الأسباب والعلاج) ، نفس المرجع، ص 156.
- 28- عبد الباري حسن: الاتجاهات الحديثة لتدريس اللغة العربية في المرحلتين الإعدادية والثانوية، مركز الاسكندرية للكتاب، مصر، 1989، دط، ص91.
- 29- خالد محمد غانم: لغويات، دار جهينة، الأردن، 2006، دط، ص09.
- 30- القران الكريم: سورة الروم، الآية 22
- 31- شحدة فارغ وآخرون: مقدمة في اللغويات المعاصرة، المرجع السابق، ص 79.
- 32- رحمون حكيم: مستويات استعمال اللغة العربية بين الواقع و البديل، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2011، ص91.
- 33- سهام مادن: الفصحى وعلاقتها في استعمالات الناطقين الجزائريين، المرجع السابق، ص77.
- 34- كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي، مدخل، دار عرين، القاهرة، 1998، ط2، ص 198.
- 35- طاهر ميلة: عوامل تقريب العامية من الفصحى (نظرة لغوية اجتماعية)، سلسلة منشورات الجيب، المجلس الأعلى للغة العربية (من وقائع حوار الأفكار، العلاقة بين الفصحى والعامية) ، الجزائر، افريل 2005، ص 19.
- 36- الحاج عبد الرحمان صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للجزائر، ج1، 2007، 163.
- 37- سهام مادن: الفصحى و علاقتها في استعمالات الناطقين الجزائريين، المرجع السابق، ص 111.

مجلة الآداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- 38- عبد الجليل مرتاض: مقاربات أولية في علم اللهجات، دار وائل للنشر، الجزائر، 2002، د ط، ص299.
- 39- شحده فارغ وآخرون: مقدمة في اللغويات المعاصرة، المرجع السابق، ص299.
- 40- أنطوان صياح: دراسات في اللغة العربية الفصحى وطرائق تعليمها، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995، ط1، ص07.
- 41 - سهام مادن: الفصحى وعلاقتها في استعمالات الناطقين الجزائريين، المرجع السابق، ص79.
- 42 - نهاد الموسى: قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، ص13.
- 43 - احمد محمد المعتوق: نظرية اللغة الثالثة، دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ط1، ص، ص99، 98.
- 44- الحاج عبد الرحمان صالح: اللسانيات، مجلة في علم اللسان البشري، معهد العلوم الإنسانية والصوتية، جامعة الجزائر، العدد الرابع، ص30.
- 45- GilbertGrandguillaume , Arabisation et politiquelinguistique au maghreb, Ed : MAISONNEUVE et LAROSE, Paris, 1983, p36.
- 46 -سهام مادن: الفصحى وعلاقتها في استعمالات الناطقين الجزائريين، المرجع السابق، ص82-83.

الانسجام في النص التعليمي و أبعاده

عليوة أمين

جامعة حسيبة بن بوعلي " أولاد فارس

تحت إشراف د/ أحمد بن عجمية

zozaakii@gmail.com

ملخص المقال :

الاتساق والانسجام هي من "معايير النصية" حيث يهتم الاتساق ببنية النص و ترابط جملة أما الانسجام الذي هو موضوعنا فنجد أن أكثر تجريدا وأقل معيارية؛ لأنه يعتمد على الإدراك والتأويل وفهم المتلقي أكثر من اعتماده على وسائل لغوية محسوسة و للتوصل إلى آليات تحقيقه نخلق متكلمين مثاليين ذوي ملكة نصية يملكون ناصية اللغة والتواصل وهذا ما أشار إليه "شارول" و "ديبوجراند" و "ميشال آدم" و عليه نقضي على الصعوبات التي يواجهها التلاميذ في فهم النصوص وفي تحريرها خاصة، بما أننا نتبنى مقاربة جديدة وعلينا أن نهتم أيضا بالظروف التي أنتج فيها النص و خلفياته إضافة إلى القرائن اللغوية. الكلمات المفتاحية : - النص - الانسجام - الإحالة - دلالة - معجمي - السياق

Résumé de l'article:

Cohérence et harmonie sont des "normes de Scripts" où la structure de cohérence intéressés du texte et enfile ses phrases L'harmonie qui est notre thème, nous constatons que le plus abstrait et moins standard, elle dépend de la perception et de l'interprétation et de la compréhension du récepteur que sur les moyens de feutre linguistique et atteindre mécanismes réalisables nous créer des enceintes idéalistes avec le texte de la Reine possède le coin de la langue et de la communication, et on parle de "Charol" et "Dibojerand" et "Michel Adam" et donc éliminer les difficultés rencontrées par les étudiants dans la compréhension des textes et privé édité, puisque nous adoptons une nouvelle approche et il faut aussi se soucier des circonstances qui ont produit la texte et le fond ainsi que des indices linguistiques.

Article Summary:

Consistency and harmony are "scripts standards" where interested consistency structure of the text and thread his sentences The harmony that is our theme, we find that the more abstract and less standard; it depends on the perception and interpretation and understanding of the receiver than on the means of linguistic felt and to reach achievable mechanisms we create speakers idealists with text Queen possess the corner of language and communication, and this is referred to "Harol" and "Debojerand" and "Michel Adam" and therefore eliminate the difficulties faced by students in the understanding of texts and private edited, since we adopt a new approach and we must also care about the

circumstances which produced the text and background as well as linguistic clues.

Mots-clés: - texte - harmonie - Saisine - sémantique- lexicale-Contexte

Keywords: - text - harmony- Referral-semantic-lexical – Context

المقال

الانسجام من معايير النصية وبطبيعة الحال إذا غاب عن نص ما فلا يصح أن نسميه نصا لأن معاني النص والجمل التي يحتويها إذا لم تنسجم مع بعضها البعض فهي مجرد كلمات وعبارات لا ترقى لأن تكون نصا لأن النص يجب أن يحمل رسالة ما قصد إيصالها إلى المتلقي فإن كانت الرسالة مشوشة فلن تصل إلى المتلقي أو يكتنفها الغموض وإن وصلت فلن يكون ذلك بشكل سليم ، لهذا سنتعرف بشكل مفصل على الانسجام بشقه اللغوي والتداولي والآليات التي تسمح بتوفيره في النص.

وقد حاول شارول في مقاله "Enseignement de récit et cohérence du « texte » (1978) التوفيق بين مسألتي الانسجام والبيداغوجيا واقترح تطبيق مبادئ الانسجام النصي في تصحيح نصوص المتعلمين⁽¹⁾، انطلاقا من مبدئه الأساسي وهو الاستمرارية الدلالية حتى أن جميل عبد المجيد ربط مفهوم الانسجام بهذا المبدأ في تعريفه: "وهو(الانسجام) معيار يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص، ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم."⁽²⁾

فالقراءة تُعتبر كذلك عملية إنتاج للنص، واستقبال النص لا يقل أهمية عن إنتاجه، لأن المتلقي إنما يعيد بناء هذا النص بالقيام بنشاط تأويلي "activité interprétative" و من ثم يحكم على انسجامه أو عدم انسجامه ذلك أن الانسجام ليس شيئا معطى أو على الأقل تحققه أدوات لسانية كما رأينا مع الاتساق بل هو شيء يُبنى و هو بقدر ما يرتبط بالنص "بقدر ما هو في أذهان المتلقين في صورة قاعدة تحكم تأويل «و من ثم إنتاج» الأقوال"⁽³⁾ وفق معطيات معينة مرتبطة أساسا بالمعرفة السابقة للعالم و سياق التواصل و هو ما يجعل مفهوم الانسجام أعمّ وأعمق من مفهوم الاتساق كونه يتجاوز الظاهر في النص من المعطيات اللسانية إلى الكامن منه وهو العلاقات الدلالية أو الترابط المفهومي "conceptual connectivity" كما سماه دي بوجراند وبناء عليه حدد وسائل الانسجام في:⁽⁴⁾

1. العناصر المنطقية (السببية، العموم، الخصوص، الخ...).
 2. معلومات عن تنظيم الأحداث و الأعمال و الموضوعات والمواقف(سياق التواصل).
 3. تفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم.
- وهي عمليات إدراكية ترتبط بالمتلقي (القارئ/ السامع) الذي لا يستقبل النص (الأقوال: énoncés) بذهن فارغ كما لا يتوقف عند الروابط الظاهرة كوجود عناصر تكرارية أو إحالية بل قد يكون النص منسجما حتى في غياب هذه الروابط كما هو الحال في الإعلانات والعناوين ومختصرات الأخبار.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

وهذه النظرة تدحض بقوة تعريفات النص القائمة على أنه مجرد تتابع خطي لكلمات أو جمل وتعزز كونه "نسيجا علائقيا -بالدرجة الأولى- لمكونات خارجية وداخلية متفاعلة (تتجلى) في تمظهرات وصيغ متنوعة"⁽⁵⁾

واستجلاء المعاني الكامنة خلف هذا النسيج المستعمل في سياق تواصلية يتم على "شكل تفاعل بين متلق يتوفر على كفايات خاصة (موسوعية، لسانية، منطقية، تداولية) وموضوع اشتغال دال"⁽⁶⁾ الذي هو النص؛ على أن هذا التفاعل يختلف من متلق إلى آخر تبعاً لـ"الكفايات الخاصة" بكل متلق.

كما نقل عن ابن أبي الأصبع المصري تعريفه للانسجام موافقا لمفهوم الاستمرارية ومحققا لمبدأ الحصافة وهو قوله: "وهو أن يأتي الكلام متحدرا كتحدر الماء المنسجم، بسهولة سبك، وعذوبة ألفاظ، وسلامة تأليف، حتى يكون للجملة من المنثور، والبيت من الموزون وقع في النفوس وتأثير في القلوب ما ليس لغيره"⁽⁷⁾.

إذن فلنعتبر نص ما منسجما يجب أن يكون له طابع الاستمرار أي "أن يحتوي في تدرجه الخطي على عناصر تكرارية"⁽⁸⁾، وتوفر اللغة مجموعة من الأدوات تحقق هذه الاستمرارية وهي:

1- إمكانية الإضمار والاستبدال (والتعريف).

2- التغطيات الافتراضية (Les recouvrements présuppositionnelles)

3- إجراءات الموضوعة (Procédures de thématisations)

فأما الإضمار فيسمح "باستدكار مركب أو جملة بأكملها من جملة أخرى"⁽⁹⁾

- كان فوكس يحس بالسعادة، وهو يرى رجال الحماية ينتقلون بسرعة كلما جاءهم نأبأ عن حريق

- تناول التمساح الثقيلة،..... عجلا اصطاده..... وهو يحس أن معدته ثقيلة، بحيث لم تأت الفكرة أن ينادي ابنه التمساح الصغير ليتناول ما بقي من الفريسة، وهذا ليس عيبا.

وأما التعريف فيتم باستعمال (ال) أو إشاري + (ال) :

- يدخل العامل في الفرن ماسورة..... يخرج العامل بعد ذلك الماسورة.

- كان في إحدى القرى شاب اسمه مسعود يعمل نجارا..... وكان هذا الشاب مهزول الجسم.

وأما الاستبدال فيتم باستعمال وحدات معجمية وهو يقترب من التعريف:

- وحول القمر تلمع النجوم في السماء، وتمتلئ بها القبة الزرقاء فتبدو جميلة ساهرة.

- ازداد حزن البحارة، وراح كولومبوس ذلك القبطان الجري يمنيهم بالوصول إلى الهدف. لكن طول المسافة وغياب كل أثر للبر كان يقللان من ثقة البحارة برئيسهم، فحاولوا أن يتمردوا عليه.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

وإذ كانت هذه العناصر الثلاثة تتعلق بمستويات دلالية ظاهرة الأداة ، فإن التغطيات الافتراضية "تتدخل بصفة غير مباشرة ، ولكن بفعالية مماثلة لضمان تتال للنص"⁽¹⁰⁾.
كان الأطفال يلعبون بأشياء بسيطة، إلا نيوتن فإنه كان يلهو بالألعاب الآلية.

متضمن في

ومن تتالي الجملتين نستنتج أن "نيوتن" هو أيضا "طفل"، رغم عدم وجود رابط إحالي أو تكراري يربط بين الجملة الأولى و الجملة الثانية، فعملت "إلا" هنا على تعديدها ما قبلها إلى ما بعدها فكان المستثنى "نيوتن" بعضا مما قبله وهو "الأطفال".

إضافة إلى هذه الافتراضات الدلالية هنالك التكرار المعجمي في ج 1 كلمة شفاء وضمير المخاطب (ك) في ج 2، وهما يربطان الجواب إحاليا بالسؤال.

أما (ج 3) فلا يمكن ربطه بأي شكل من الأشكال رغم وجود الضمير (أعدته) الذي يعود على الطعام، ولكن لا توجد تغطية افتراضية بينه وبين السؤال، وهذا يدل على أن الربط الإحالي هنا ليس كافيا للقول بانسجام المقطع (س 1 ج 3)، واستمراريته.

و إضافة للإضمار و التغطيات الافتراضية هناك إجراءات الموضحة أو الموضعات التي تمثل شكلا من أشكال الاستمرارية الدلالية كذلك وهي قائمة أساسا على مفهومي الموضوع (Thème) والمحمول (Rhème)، المستلهمين من تحليل مدرسة براغ -فيلام مثيريوس- للجملة فيما يعرف عندهم بمنظور الجملة الوظيفي (Functional sentence perspective) أي تحليل الجمل حسب مضمونها الإخباري بحيث يكون لكل عنصر أساسي في الجملة مساهمة دلالية حسب دوره الديناميكي الذي يلعبه في عملية الاتصال⁽¹¹⁾ وعليه تقسم الجملة إلى قسمين: الموضوع (Thème) وهو يدل على المعروف أو المذكور في الجملة أو المتحدث عنه كما يعرفه Dubois :

« On appelle thème le constituant immédiat (Syntagme nominale) au sujet du quel on va dire quelque chose. »⁽¹²⁾ والمحمول (Rhème) أو المتحدث به وهو المعلومة الجديدة في الجملة:

« Le commentaire est la partie de l'énoncé qui ajoute quelque chose de nouveau au thème qui en « dit quelque chose », qui informe sur lui »⁽¹³⁾

كما في المثال: أما الأحياء العصرية، فإنها شامخة البنيان.

موضوع محمول

"في القرن الخامس عشر الميلادي، عاش فتى إيطالي اسمه كريستوف كولومبوس، كان مولعا بالأسفار وكان ذا عزيمة قوية وإرادة، فاستطاع أن يستميل ملكة اسبانيا فأعطته الرجال والأموال وتمنت له النجاح في رحلته."

المحمول	الموضوع
- عاش فتي ايطالي..... - كان مولعا بالأسفار - كان ذا عزيمة قوية..... - استطاع أن يستميل ملكة اسبانيا - أعطته الرجال و الأموال - تمننت له النجاح في رحلته	في القرن 15م كولومبوس (هو) (هو) ملكة اسبانيا هي

إن هذا المقطع منسجم إذ يسهم كل عنصر في تدرجه من خلال " توزيع المعلومات المعروفة والمعلومات الجديدة بتعزيز الثانية على الأولى"⁽¹⁴⁾ والثالثة على الثانية، إذ تصبح المعلومة الثانية معروفة ويبنى عليها وهكذا.
على أن التتابع الموضوعاتي هذا لا يكون دائما بشكل خطي أفقي بل يتمظهر في ثلاثة أنواع:

والتوجه الأول : في تحديد الموضوع والمحمول يعتمد على المحتوى خصوصا بالنسبة

للنوع الثالث أين تدرج موضوعات عدة تحت موضوع عام (hyper – thème) مثل:
" تحركت الحافلة ببطء . النخيل مصطف على حافتي الطريق . عراجين التمر متدللية .

ضوء الشمس ينعكس على الكثبان الرملية . حفارات النفط تبدو صغيرة من بعيد. "

نلاحظ هنا أن كل جملة تختلف في موضوعها عن الأخرى لكن المتلقي يمكنه أن

يُجملها تحت موضوع عام واحد هو: رحلة في الصحراء ، أو وصف الصحراء مثلا،

وهذا اعتمادا على ما سماه نسيبلو (Nesplous) بالآثار المعجمية⁽¹⁵⁾: Traces

(lexicales) أي الوحدات المعجمية التي تمكننا من إدراج الجمل تحت موضوع واحد :

"الحافلة تحركت ، النخيل ، عراجين التمر ، الكثبان الرملية . حفارات النفط ."

و حين تغيب الآثار المعجمية، فيلجأ مستقبل النص إلى توظيف معارفه حول العالم وكذا

يستعين بالسياق غير اللغوي (الإدراكي، النفسي، المعرفي...) الذي " يتعلق بقضايا

التأويل والأيدولوجيا والعالم الخارجي كله"⁽¹⁶⁾ وهنا يدخل البعد التداولي في "تحديد

المواضيع التي تخرج من دائرة اللغة (Hyper-hyper thème) إلى اتفاق أوسع ذي

طابع اجتماعي حيث يوظف المتلقي قاعدة اجتماعية مفادها أن المتكلم حين يتكلم يريد أن

يقول شيئا، أي أن لكلامه معنى." ⁽¹⁷⁾ انطلاقا من مبدأ الحصافة (la

pertinence). ويعرف نسيبلو (l'hyper-hyper thème) (Nesplous) أي الموضوع

الشامل بقوله: "هو شكل من الانسجام أبعد، لا يمكن بناؤه مباشرة بواسطة الخطاب نفسه

ولكنه إسقاط من طرف المتلقي الذي يحاول بواسطة مجهود نهائي أن يمنح معنى لخطاب

الأخر." ⁽¹⁸⁾

ويدخل في هذا المجهود كذلك توظيفه للمنطق المعقول في إطار معرفته بالعالم –

ولتوضيح الأمر يورد شارول المثال الآتي : ⁽¹⁹⁾

(أ) دخل جان في فراشه (و) سحب غطاءه، (و) أطفأ شمعته، نام ورأى أحلاما جميلة.

(Jean s'est glissé dans son lit, a remonté ses couvertures et soufflé sa bougie (et a fait de beaux rêves).

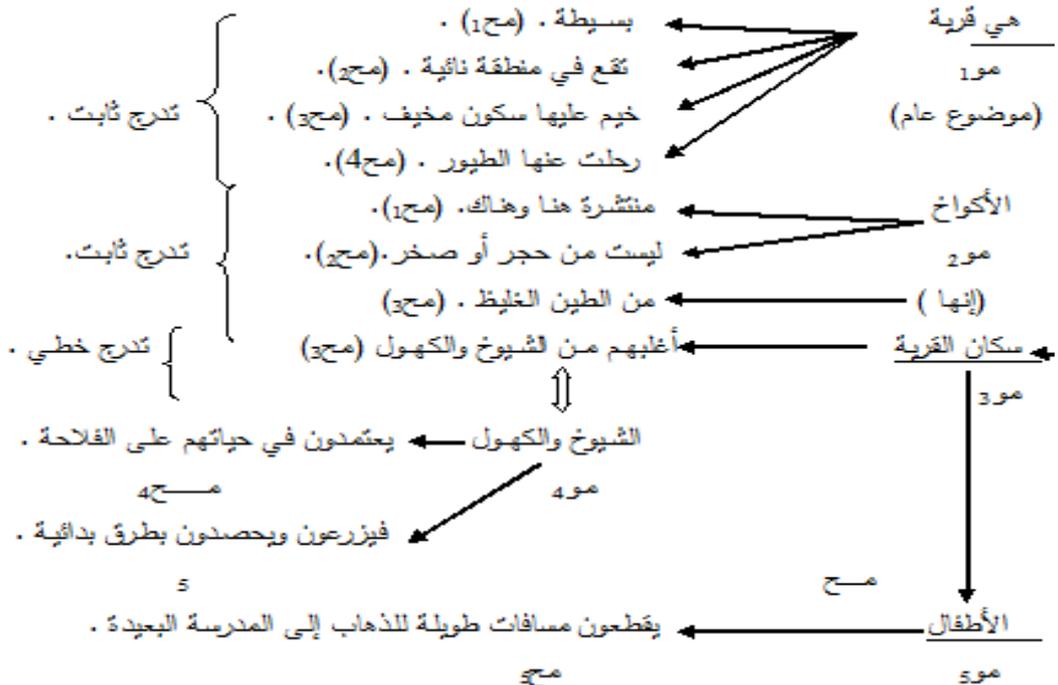
(ب) نام جان ورأى أحلاما جميلة. دخل فراشه وسحب الغطاء وأطفأ شمعته .
(Jean s'est endormi et a fait de beaux rêves. il s'est glissée dans son lit, a remonté ses couvertures et soufflée sa bougie)

نلاحظ أن كلا المثالين مبني بناء لغويا وموضوعاتيا سليما، ولكن المتلقي يحكم على انسجام المثال (أ) وعلى عدم انسجام المثال (ب) لأن هذا الأخير يتنافى مع الواقع والمعقول والمنطق، أي أنه غير سليم تداوليا.

إذن فإجراءات الموضعة على أهميتها في إدراك آلية تنظيم مخيف في النص ومن ثم تفكيكه إلى "سلسلة من الشبكات الموضوعاتية"⁽²⁰⁾، غير أنها ليست كافية وحدها لأن تفسر لنا الحكم بالانسجام كما أنه ليس من السهولة بمكان تحديد المواضيع ومحملاتها في نص حقيقي لتداخل الأنماط الثلاثة مع بعضها حتى في المقطع الواحد كما في المقطع الآتي :

"هي قرية بسيطة تقع في منطقة نائية وقد خيم عليها سكون مخيف. رحلت عنها الطيور إلا بعض الغربان. والأكوخ منتشرة هنا وهناك ليست من حجر أو آجر إنما هي من الطين الغليظ. وسكان هذه القرية أغلبهم من الشيوخ والكهول، يعتمدون في حياتهم على الفلاحة، فيزرعون ويحصدون بطرق بدائية. أمّا الأطفال فكانوا يقطعون مسافات طويلة للذهاب إلى المدرسة البعيدة ، لا يمنعهم برد ولا مطر ولا حر."

نلاحظ هنا وجود "انتلافات متباينة" لأنواع التدرج الموضوعاتي ويمكن أن نوضحها بالشكل الآتي:



مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

كما أن (مو5) مشتق من (مو3) و(مو3) و (مو2) مشتقان من الموضوع العام (مو1) الذي هو (القرية).

ويشير (Daneš) إلى أن التحليل الموضوعاتي للنص لا يمكننا إلا من فهم " جوانب جزئية للبناء النصي ... لذا يصعب تأسيس أية نمطية نصية شاملة استنادا إلى نحو التتابع هذا القائم على تتابع الجمل"⁽²¹⁾، وهنا يثير تساؤلا مهما عن كيفية الانتقال من " توالي النص إلى المعلومة الكلية للنصوص"⁽²²⁾ أي من الأبنية الصغرى (Micro-structures) المتمثلة

في أبنية الجمل وتتابعات الجمل في المقطع الواحد إلى الأبنية الكبرى (Macro-structures)، على مستوى المقاطع (Séquences) أي التمثيل الدلالي للنص بصورة مجردة.

وهو ما عبر عنه شارول بالمستوى المحلي (Niveau local) والمستوى الشامل (Niveau global)⁽²³⁾. فإجراءات الموضوعات تتم على المستوى المحلي فقط في حين أن انسجام النص لا يتحقق بانسجام البنى الصغرى فقط بل لابد من انسجام البنى الكبرى. ويؤكد ذلك Charolles بقوله :

"إن انسجام قول ما يجب أن يتحقق من منظور محلي وشامل على حد سواء، فقد يكون النص منسجما على نحو جيد جزئيا (في بناء الصغرى) دون أن يكون كذلك كليا (في بناء الكبرى)"⁽²⁴⁾.

ومجرد التمكن من استخلاص بنية كبرى للنص انطلاقا من الأبنية الصغرى الخاصة بكل مقطع والمستنتجة من التمثيلات الدلالية (مو/مح) لقضايا هذا المقطع⁽²⁵⁾ يعني أن النص منسجم.

وتوضيحا للعمليات التي تتم بين هذه البنى وكيف تنتقل من البنى الصغرى إلى استخراج البنية الكبرى، وضع **فاندايك** أربع قواعد أساسية تعمل على المستوى الدلالي أطلق عليها القواعد الكبرى أو قواعد التحويل الكبرى (Règles de réduction)، حاول من خلالها تبسيط ونمذجة عملية فهم موضوع النص وتفسير كيفية تلقي المعلومات والاحتفاظ بها في الذاكرة، وهي :⁽²⁶⁾

1) قاعدة الاختيار أو الإدراج: (M. R d'intégration)

وتتم كذلك بحذف قضايا تكون شرطا أو مكونا أو نتيجة عادية لقضية معينة من المقطع تُستبدل بها:

" فعلى سطحي تعيش الطيور والحيوانات، ويحيا الناس: البيض والصفير والسود، يأكلون ويشربون ويعملون وينامون ويتحركون ويعبدون الله. فعلى سطحي تعيش الحيوانات ويحيا الناس."

ويمكن أن نطبق القاعدة مرة أخرى فنحصل على:

"فعلى سطحي تعيش الكائنات الحية (ويمكن حتى استعمال لفظ الحيوانات ليشمل كذلك مفهوم الإنسان)."

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

وتختلف هذه القاعدة عن القاعدة الأولى في إمكانية استعادة المعلومات المحذوفة هنا إدراكيا أو ضمنيا باعتبارها تدرج في المعنى العام، فقولنا يحيا أو يعيش تشمل النوم ، والعمل، والأكل، والحركة.

(2) قاعدة التعميم: (Macro règle de généralisation)

وتتم بحذف قضايا واستبدالها بقضية (ق) تتضمنها مفهوما:
"اجتمع أفراد المجموعة حول الغزال الصغير، وقام أحدهم بتطهير جرح الغزال، وقام آخر بربط الجرح برباط معقم" قام أفراد المجموعة بعلاج الغزال الصغير(أو الجريح). ←

(3) قاعدة التركيب أو البناء: (M . R de construction)

وتكون ببناء أو تركيب قضية جديدة (ق) للمقطع (مق) ككل بحيث تمثل قضايا هذا المقطع إما شرطا أو مكونا أو نتيجة عادية لـ (ق).
" يكسّر الزجاج إلى قطع صغيرة جدا ثم يوضع في الفرن الذي تكون درجة حرارته عالية جدا ويبقى في الفرن اثنتي عشرة ساعة حتى يذوب" يذوّب الزجاج.
فإذابة الزجاج تتطلب تكسيره ← ووضعه في فرن عالي الحرارة درجة الانصهار باعتباره مادة صلبة وتركه مدة طويلة من الزمن.

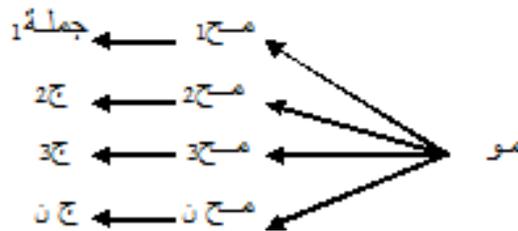
لقد حدّد فاتدايك أهمية هذه القواعد بقوله: " تمكنا القواعد من أن نقرر بدقة إلى حد ما هو رئيسي وما هو ثانوي تبعا لمعنى النص في مجمله" (27)

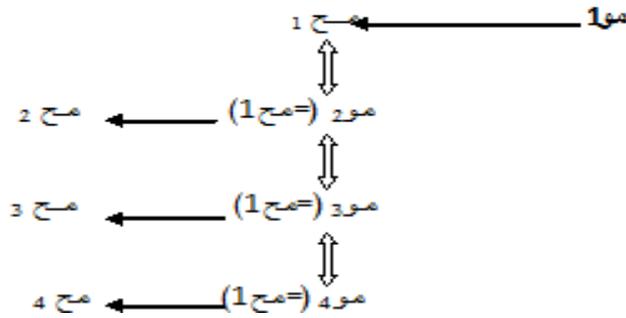
وبالتالي وضع تلخيص لهذا النص أو بالأحرى تلخيصات، وذلك بتطبيق هذه القواعد – باعتبارها تكرارية (réursive) (28) - أكثر من مرة على نفس القاعدة النصية (سلسلة القضايا المكونة للنص) على مستويات بحيث نتحصل على بنى صغرى (أو بنى كبرى على المستوى الأول) ثم نطبقها على نفس البنى المستخلصة – على شكل قضايا جديدة مختزلة – فتحصل على بنى كبرى على مستوى أعلى وهكذا حتى نتحصل على بنية كبرى واحدة لا يمكن أن نطبق عليها هذه القواعد مجددا وهي ما نسميه البنية الكبرى الكلية للنص.

التوجه الثاني: التدرج بموضوع ثابت أو مستمر: Progression à thème

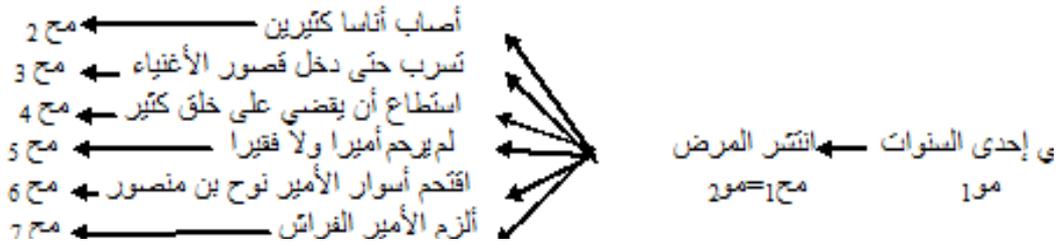
constant

ويكون بإضافة معلومات جديدة للموضوع نفسه، ويمكن تمثيله بالمخطط الآتي؛ حيث (موضوع) ومح (محمول):

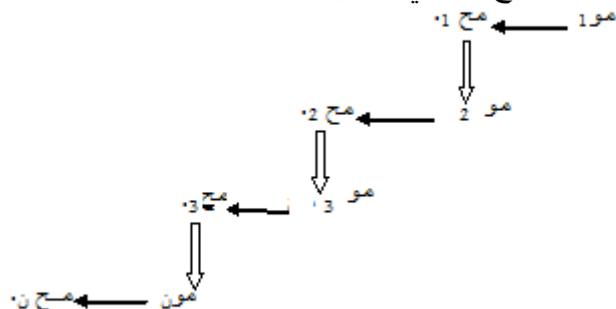




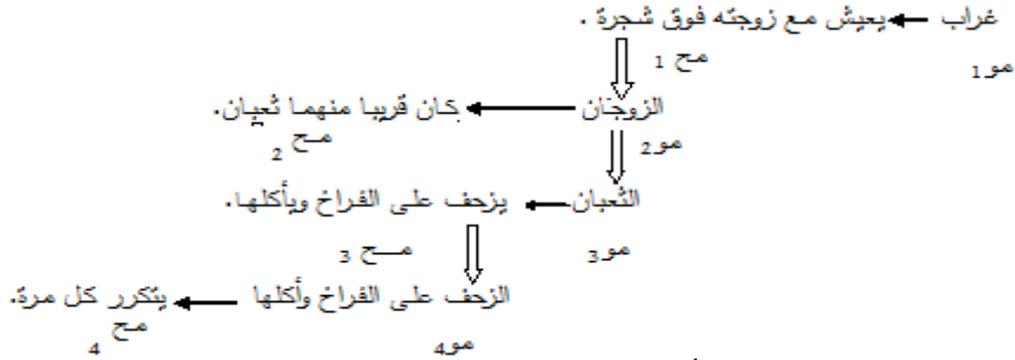
ومثاله: "في إحدى السنوات انتشر المرض بسرعة في أرجاء بلاد بخارى، وأصاب أناسا كثيرين، فقد تسرب حتى دخل قصور الأغنياء. واستطاع أن يقضي على خلق كثير. ولم يرحم أميرا ولا فقيرا ولا شيخا ولا شابا، وكان من شدته أن اقتحم أسوار الأمير نوح بن منصور فألزمه الفراش".



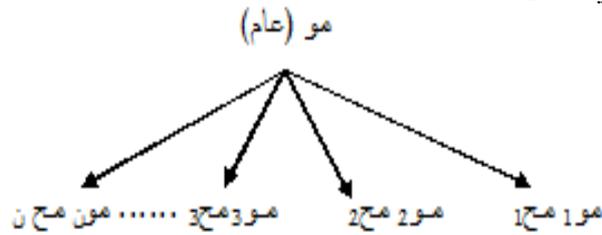
(2) التدرج بموضوع خطي : أو توال أفقي للموضوعات :
وفيه تتم موضوعة الموضوعات إذ يصبح محمول الجملة الأولى موضوع الجملة الثانية ومحمول الجملة الثانية موضوع الجملة الثالثة وهكذا على شكل سلسلة متكونة من حلقات محققا بذلك التدرج الخطي للنص



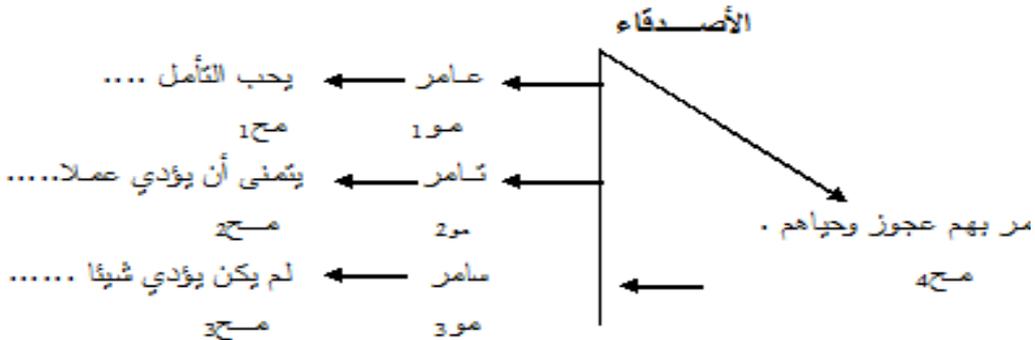
ومثاله : " كان غراب يعيش في عشه مع زوجته فوق شجرة مرتفعة، وكان قريبا منهما حجر فيه ثعبان، كان الثعبان كلما فقس الغراب شجرة. زحف على الفراخ فأكلها. وكان هذا العمل يتكرر كل مرة".



(3) التدرج بمواضيع مشتقة أو متفرعة : Progression à thèmes dérivés
 هذا النوع من التدرج الموضوعاتي يختلف عن النوعين السابقين ، من حيث وجود موضوع عام (hyper thème). ويكون عادة كلمة تحتل رتبة دلالية أعلى قياسا بالعناصر التي تشتق منها. (29)



مثال : " في الزمن الماضي ، كان يعيش ثلاثة أصدقاء ، عامر وتامر وسامر . وكان هؤلاء الأصدقاء يختلفون في طباعهم ، فعامر كان يحب التأمل كثيرا ، يمضي الوقت في التحديق إلى السماء. أما تامر فكان دائما يتمنى أن يؤدي عملا مفيدا ينتفع به الناس. وأما سامر فلم يكن يؤدي شيئا، ويمضي أغلب وقته متكاسلا نائما. في أحد الأيام مر عجوز بالأصدقاء فحياهم.."
 فالموضوع العام هنا هو "الأصدقاء الثلاثة" وهو يتفرع إلى مواضيع جزئية مشكلا بذلك انسجام المقطع من حيث ارتباط المواضيع ومحمولاتها بهذا الموضوع العام :



مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

ويتم تحديد الموضوع و المحمول إما على مبدأ الخطية أي التتبع الخطي للنص لتحديد المعلومة الجديدة من المعلومة القديمة اعتمادا على السياق الواردة فيه، وهذه الطريقة تصلح أكثر بالنسبة للمواضيع الثابتة أو المتدرجة خطيا. إذ تعتبر المعلومة اللاحقة – خصوصا في اللغات التي يلعب فيها ترتيب المفردات وظيفية نحوية للتمييز بين عناصر الجملة- ذات قيمة إخبارية مرتفعة مقارنة بالمعلومة السابقة.

يعتبر شارول أن كل نص كي يكون منسجما يجب أن يتضمن في تدرجه الخطي عناصر تكرارية صارمة (des éléments à récurrence stricte) تسمح هذه العناصر بربط أجزاء النص شكليا وداليا وذلك عن طريق: (30)

-الإضمار.

-التعريف والإحالة الإشارية والسياقية

-الاستبدالات المعجمية

-التغطيات الافتراضية والاسترجاعات الاستدلالية

وعن أهمية هذه القاعدة يقول بأنها تسمح بتحقيق طابع الاستمرارية، التدرج المتجانس والمستمر مما يعني غياب القطيعة (rupture).

(2) قاعدة التدرج Meta-règle de progression:

هذه القاعدة تسير في اتجاه معاكس للقاعدة الأولى فإذا كان التكرار يبني ذاكرة للنص ويربط أجزاءه في حركة استعادية(إحالية) ثابتة نسبيا فإن شرط التدرج يظهر النص كجهاز متحرك ينمو نحو نهاية، ويصف ذلك ميشال آدم بالتوازن الطريف (équilibre délicat) في قوله: "يمكن أن تحدد النصية كتوازن طريف بين استمرارية تكرار من جهة وتدرج للمعلومات من جهة أخرى." (31)

(3) قاعدة عدم التناقض Meta-règle de non-contradiction:

حتى يكون النص منسجما في بنيته الصغرى وبنيته الكبرى يجب ألا يدخل في تدرجه أي عنصر دلالي يتعارض مع المحتوى المطروح أو المفترض (المستنبط) بأي شكل من الأشكال، سواء لفظيا أو ضمنيا أم على مستوى العوالم التي تحيل إليها القضايا إلا إذا تعلق الأمر بتوجه بلاغي.

➤ التناقض اللفظي: contradiction énonciatives:

لكل مقطع أو نص إطاره اللفظي وتوجهه الزمني وأي تعارض على أحد هذين المستويين يجعله غير منسجم. هذا النوع من التعارض كثيرا ما يصادفه الأستاذون في كتابات التلاميذ مثل:

" كان المنظر جميل أما الأزهار فكانت ملونة من كل الألوان وكان الجو حار والبرد" (32)

فالتناقض واضح هنا لفظيا بين كلمتي "حار/البرد".

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

وعلى مستوى التحديد الزمني وهو كثيرا ما يقع نورد المثال الآتي:
"في أحد الأيام دعاني صديق لحضور الحفل الذي أقيم بمناسبة حلول فصل الربيع وبدأ الناس بالاحتفال بالتقاليدهم الدينية و الوطنية."؟

➤ التناقض الاستنتاجي والافتراضي Cont. Inferentielles et presuppositionnelles

ويتم على المستوى الدلالي عندما يتعارض محتوى قضية ما معطى (posé) أو مفترض (présupposé) مع قضية أخرى مجاورة:
"حل فصل الصيف فحضرت (فاحضرت) المروج وتفتحت الأزهار ففاحت منها العطور وكان كل نبات أخضر (أخضرا) وكل حيوان يلهو والإنسان فرحا بقدمه فكان قدومه قدوما مفاجئا."

نلاحظ في هذا المثال أن جملة "حل فصل الصيف" تتناقض مع الأوصاف التي جاءت في الجمل الموالية. ويعتبر الأستاذون هذا الخطأ خطأ في الأفكار. أما النوع الثالث فيتم على المستوى التداولي وهو:

➤ تناقض العوالم وتمثلاتها :

يعرف **دي بوجراند** مفهوم العالم بقوله: "العالم النصي (textual world) هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة والمنشطة بواسطة استعمال النص، وهو بهذه المثابة لا يوجد إلا في أذهان مستعملي اللغة." (33)

وحكنا بالانسجام يعني أننا نقوم بإسقاط اللغة على العالم (العوالم) الحقيقي أو المفترض. فإن كان هناك تعارض لمضامين القضايا على مستوى التصورات التي يضعها المتلفظون للعالم أو العوالم التي تحيل عليها هذه القضايا يغيب الانسجام حينئذ. ويحدد **دي بوجراند** ثلاث نقاط أساسية مرتبطة بمفهوم العالم هي:

• المفاهيم (التي تعبر عنها القضايا) والعلاقات (الرابطات بين هذه القضايا) في مساحة معلومية (حدود تصور العالم).

ويجعل ترابط المفاهيم داخل هذه المساحة المعلوماتية شرطا للترابط ومن ثم الانسجام في قوله: "إن ترابط العالم النصي يتطلب أن يكون ثمة علاقة واحدة على الأقل تربط كل مفهوم إلى المساحة الكلية للمعلومة." (34)

"في يوم من أيام الربيع الزاهر، خرجت ليلى في نزهة إلى المروج الخضراء وأخذت معها كتبها لتطالع دروسها. كان الطقس جميلا... شعرت ليلى بالسعادة تغمرها، وأرادت أن ترتاح قليلا، فاستلقت على العشب في ظل شجرة كبيرة كان النسيم عليلًا فاستغرقت في نوم عميق، وراحت تحلم بأن فتاة صغيرة تقترب منها ولما ذهبت الفتاة الصغيرة سمعت "ليلى" الشجرة تناديهما .

وعاد الحلم إليها من جديد فرأت غزالا أبيض لطيفا،... شكا إليها ظلم الصيادين ... ولما أرادت "ليلى" العودة عرض عليها أصدقاءها (الحيوانات) أن يصحبوها.
... تنبهت "ليلى" من نومها وأدركت أن كل ما رآته كان حلما وعندما وصلت إلى حديقة منزلها فوجئت بأن المنزل قد اختفى، انتابها الحزن... لكن سرعان ما أمسك أصدقاؤها

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

الحيوانات بيديها وطلبوا إليها أن تجلس على جذع شجرة كان في الحديقة. أجابت ليلي طلبهم وجلست على الجذع وما هي إلا لحظات حتى طار البلبل عاليا في الفضاء. أسرع إلى غرفتها وتمددت على سريرها بالقرب من النافذة المطلّة على الحديقة وتذكرت الشجرة وجميع الحيوانات التي التقت بها في الغابة وقررت أن تكلم أهلها وأصدقاءها... لتقي بالوعد الذي قطعته بالمحافظة على الغابة. " في هذا النص لدينا عالم الواقع (ع0) كما تحيل عليه العبارات الأولى " خروج ليلي للتنزه (في يوم ربيعي...) وداخله هناك عالم فرعي(ع1) هو عالم الحلم، إذن: وتنتهي حدود هذا العالم بانتهاء الحلم لتعود بنا القضية "تنبّهت ليلي من نومها وأدركت أنها كانت تحلم" إلى عالم الواقع(ع0) وكذلك فتفتح مجالا للتأويل:

- إما أن البيت قد اختفى فعلا في (ع0).
- أو أن البيت قد اختفى في (ع1). وهي الفرضية الراجحة هنا ذلك أن الجمل الموالية تدرج ضمن (ع1).

إن تداخل العالمين هنا يوقعنا في حيرة ويشعرنا بوجود تناقض وذلك لعدم وجود مرتكزات تبين لنا حدود كل عالم -لغويا- وتساعدنا على التوقع وبهذا الصدد يقول دي بوجراند: "إن البناء على الوعي الاستبطاني (sensory apperception) يسمح لنا بفهم العالم لأن لدينا على الأقل بعض المرتكزات (strategies) التي يستعان بها على التوقع." (35) وغياب هذه المرتكزات في هذا المقطع الأخير من النص يُلبس علينا التوقع ويجعلنا نضع علامة استفهام .

4) قاعدة العلاقة (Méta-règle de relation):

إن النص شبكة علائقية أساسا فالوحدات المكونة له ليست مستقلة عن بعضها (جمل، مقاطع...) بل تربطها علاقات ذات طبيعة دلالية تعتبر عاملا مهما في انسجامه، يقول شارول: "حتى يكون مقطع أو نص ما منسجما يجب أن تكون الوقائع التي يشير إليها في العالم المتمثل مرتبطة" (36)

ففهم النص لا يتم إلا بالوقوف على مختلف العلاقات المؤسسة بين عناصره وفك التفسير القائم بينها كأن تكون قضية ما مثلا شرطا أو سببا أو نتيجة لقضية أخرى. مثلا في: "كان الشتاء قاسيا، فدخلت كل الحيوانات إلى أوكارها" الجملة الثانية هي نتيجة للجملة الأولى وفي عبارة " كان الشتاء قاسيا، فنمت باكرا" لا توجد علاقة بين النوم باكرا وقسوة الشتاء لهذا نعتبره مثلا غير منسجم. إن وجود رابط أو عنصر مكرر أو إحالة لا يعني بالضرورة وجود علاقة بين الجمل كما أن غياب هذه العناصر لا ينفي ذلك.

نخرج عن الإطار النحوي الدلالي للجمل إلى ما تحيل عليه في الخارج، إلى توظيف معارفنا حول العالم كي نصل إلى الترابط المحقق، بمعنى أننا نستقصي "اجتماع تعالق الوقائع مع تعالق العوالم الممكنة التي تشير إليها الجمل، فالجمل مترابطة إذا كانت الوقائع التي تشير إليها القضايا متعلقة في عوالم متعلقة." (37)

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

إن هذه القاعدة هي أكثر وأقصى ما يلجأ إليه الأستاذون في تصحيح كتابات التلاميذ؛ فإذا كان تحقيق القواعد الثلاثة الأولى على مستوى الكتابة يتطلب شروطا معينة فإن هذه القاعدة من الحرية ما يسمح لهم بتوظيف معطيات خارجية كثيرة كالمقام ومعرفتهم بمستويات إدراك المتعلمين على تفاوتها والمعارف التي يوظفونها الخ. (38)

وبصفة عامة فإن استغلال قواعد الانسجام تعليميا له جانب إيجابي كبير إذ يمكن الأستاذين من موضعة وتحديد أصل الأخطاء في كتابات التلاميذ كما يمكنهم من معالجة التراكمات السيئة (malformations) بدقة. وإن صنفها شارول في خانة الانسجام فهي تشمل كل جوانب النص وأبعاده:

النص بنية متسقة ذات ذاكرة داخلية	↔	قاعدة التكرار
النص ذو خاصية استمرارية تضمن ديناميكيته التواصلية	↔	قاعدة التدرج
النص وحدة منطقية حسيّة وتعبّر عن عوالم مستمرة	↔	قاعدة عدم التناقض
النص نسج متعلق داخليا و خارجيا	↔	قاعدة الترابط

فالقاعدتان الأولى والثانية لغويتان متعلقتان بتركيب النص وتمثلان جانب المرسل الذي يراعيهما في بناء نصه، في حين أن الثالثة والرابعة دلالتان مقاميتان يتجه إليهما فكر المتلقي محاولا فك شفرة النص بإدراك أوجه الترابط بين وحداته وإسقاط معارفه حول للعالم؛ ذلك أن "عملية الفهم هي توحيد المعلومات الطارئة والمعلومات المخترنة". (39)

وكخلاصة نبلور كل قواعد الانسجام في التعريف الآتي: "إن النص يتكون من وحدات لغوية دنيا تتدرج هرميا مشكلة بني مقطعية متسقة ومترابطة (au niveau local et au niveau global) غير متعارضة فيما بينها لفظيا ودلاليا ومع العوالم التي تمثلها، تتنامى موضوعاتها نحو بنية كبرى شاملة (تيمة كلية) محققة غرضا تواصليا".

إذا ما قارنا بين الاتساق و الانسجام نجد أن هذا الأخير أكثر تجريدا وأقل معيارية؛ لأنه يعتمد على الإدراك والتأويل وفهم المتلقي أكثر من اعتماده على وسائل لغوية محسوسة وبالتوصل إلى آليات تحقيقه نخلق متكلمين مثاليين ذوي ملكة نصية يملكون ناصية اللغة والتواصل وعليه نقضي على الصعوبات التي يواجهها التلاميذ في فهم النصوص وفي تحريرها خاصة.

Introduction aux problèmes de la cohérence des textes, Charolles, P13. 1

.Ibid, P13 2

³ الاتساق والانسجام في القرآن الكريم م ن، ص ن .

4 Grammaire de texte, théorie du discours..., Charolles, P21.

⁵ المرجع السابق، ص 91.

⁶ مدخل إلى علم لغة النص، ص 29.

7 انظر: وضع الأستاذ بن عروس هيكلًا تجريديًا لتركييب النص يشكل فيه مو/ مح حلقة وسط بين قضايا كل مقطع من مقاطع النص من جهة والتمثيلات الدلالية لهذه القضايا والتي تمثل الأبنية الكبرى لكل مقطع وعلى مستوى أعلى البنية الكبرى لكامل النص أي بنية إنتاج النص وتلقيه. انظر: الاتساق و الانسجام في القرآن الكريم، ص 39.

⁸ علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات، ص 81-84. ومقال شارول السابق، ص 25-26.

⁹ علم النص، فاندريك، ص 87.

¹⁰ علم النص، فاندريك، ص 93

¹¹ علم النص، فاندريك، ص 77.

Grammaire de texte..., Charolles, P25. ¹²

Introduction aux problèmes de la cohérence des textes, P15-18. ¹³

Éléments de linguistique textuelle, P45. ¹⁴

¹⁵ النص والخطاب و الإجراء، ص 212.

Introduction aux problèmes de la cohérence..., p31 ¹⁶

¹⁷ الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، ص 95.

- و تتمثل هذه المعارف فيما تعلموه من خلال الأنشطة الأخرى كالتربية العلمية والمدنية والإسلامية
- وغيرها فكثير من المواضيع المحررة تمس حياتهم اليومية مما يسمح لهم بتوظيف ما تعلموه عامة.

النص والخطاب والإجراء، ص 116

¹⁸ وانظر كذلك: علم لغة النص، سعيد بحيري، ص 244-245.

¹⁹ علم لغة النص، سعيد بحيري، ص 246.

²⁰ وغيرها فكثير من المواضيع المحررة تمس حياتهم اليومية مما يسمح لهم بتوظيف ما تعلموه
عامة. النص والخطاب والإجراء، ص 116

²¹ مدخل إلى علم لغة النص، ص 92

²² مدخل إلى علم لغة النص، المرجع نفسه، ص ن

Introduction aux problèmes de la cohérence des textes, Charolles, P13. ²³

Ibid, P13. ²⁴

²⁵ وضع الأستاذ بن عروس هيكلًا تجريديًا لتركييب النص يشكل فيه مو/ مح حلقة وسط بين قضايا كل
مقطع من مقاطع

النص من جهة والتمثيلات الدلالية لهذه القضايا والتي تمثل الأبنية الكبرى لكل مقطع وعلى مستوى
أعلى البنية الكبرى

لكامل النص أي بنية إنتاج النص وتلقيه. انظر: الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، ص 39

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون2017

- ²⁶ .علم النص :مدخل متداخل الاختصاصات،ص81-84 ومقال شارول السابق، ص25-26
- ²⁷ علم النص ، فاندريك ، ص 87
- ²⁸ علم النص ، فاندريك المرجع السابق، ص 93
- ³⁰ .26 Grammaire de texte....., Charolles, P
- ³¹ Éléments de linguistique textuelle, P45.
- ³² المثال مأخوذ من أحد تعابير تلاميذ السنة الخامسة وقد حافظنا على صيغته الأصلية بحيث لم نصح كلمتي
- "جميل" المنصوبة - خبر كان- و"حار" المنصوبة كذلك لأنها خبر كان، وكذا الأخطاء الإملائية.
- ³³ النص والخطاب والإجراء، ص113
- ³⁴ النص والخطاب والإجراء المرجع السابق، ص 120
- ³⁵ .النص والخطاب و الإجراء، ص212
- ³⁶ Introduction aux problèmes de la cohérence., p31.
- ³⁷ انظر كذلك:علم لغة النص، سعيد بحيري، ص244-245.
- ³⁸ تتمثل هذه المعارف فيما تعلموه من خلال الأنشطة الأخرى كالتربية العلمية والمدنية والإسلامية وغيرها فكثير من المواضيع المحررة تمس حياتهم اليومية مما يسمح لهم بتوظيف ما تعلموه عامة.
- 39 النص والخطاب والإجراء، ص116.

العدول في المفردة القرآنية وأثره في تأويل السياق القرآني - مقارنة تداولية -

الدكتور: المغيلي خدير
جامعة أحمد دراية أدرار

الملخص بالانجليزية:

in biting their making her in the eloquence, and in biting their making her in the grammatical assembly and his positions, and in biting their obligated her word of the speech to reasons and her discover about her inviter departure from intentionality and his extensions of impact, and the deviating hit in single Quranic he what our attention wrap up and tightening of brains our to the searching in secrets his, observers go away from him uncovering our about he blowup across circulating paths the contemporary Quranic speech grants precedence preceded him and his distinctiveness in marking projection circulating on single his, so overlap at that the detection the linguistic.

المقال:

إن الناظر في معاني الآيات القرآنية يحتاج إلى معرفة لسانية تمكنه من الوقوف على حركة المفردة القرآنية وتداولها في السياقات القرآنية، حين تترجم الكلمة أخواتها من الكلمات المنتمة إلى حقلها المعجمي، فتحل مكانها وتسد مسدّها تكئيتا أو ترادفا بما يرجح مجيئها على سواها من المفردات الأخرى، ويعرف هذا الحلول والتموضع في الدراسات الأسلوبية المعاصرة بالعدول ويعني الاختيار الذي يؤول " إلى مبدأ واحد: مبدأ التحقق في الخطاب على أساس الاختلاف والتعارض مع ما لم يتحقق"⁽¹⁾ ، ولعل الغرض من هذا العدول في الخطاب القرآني هو محاجة المتلقي بما أورده القرآن الكريم قصد إقناعه والتأثير في نفسيته وإعمال فكره بالتدبر في آياته .

والعدول في اللغة من "عَدَلَ عن الشيء يَعْدِلُ عَدْلًا وَعُدُولًا حاد وعن الطريق جار وَعَدَلَ إليه عُدُولًا رجع وما له مَعْدِلٌ ولا مَعْدُولٌ أي مَصْرِفٌ وَعَدَلَ الطريقُ مال... والعَدْلُ أن تَعْدِلَ الشيءَ عن وجهه تقول عَدَلْتُ فلاناً عن طريقه وَعَدَلْتُ الدابةَ إلى موضع كذا فإذا أراد الاعوجاجَ نفسه قيل هو يَنْعَدِلُ أي يَعْوَجُ وانعَدَلَ عنه وعادَلَ اعْوَجَّ قال ذو الرُّمة

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

واني لأنحي الطَّرْفَ من نَحْوِ غَيْرِهَا حَيَاءً ولو طَاوَعْتُهُ لم يُعَادِلِ " (2) ، فهو في اللغة بمعنى الميل والانحراف والحياد عن الشيء لغيره.

والمتأمل في التراث اللساني العربي يجد اختلافا في استعمال مصطلح العدول عند علماء العربية ، فقد تناولوه بأسماء كثيرة منها: العدول والانزياح والانحراف والخرق والخروج عن سنن اللغة والمجاز والاتفات. فكشفوا عبرها عن إشارات جليلة إلى مفهومه . فعند بعضهم خروج عن المعهود مثل ابن جني مؤيدا الأصمعي في ذلك فيقول: " أنك في المبالغة لا بدّ أن تترك موضعا إلى موضع إما لفظا إلى لفظ وإما جنسا إلى جنس فاللفظ كقولك : عُراض فهذا قد تركت فيه لفظ عريض. فِعْرَاضُ إِذَا أَبْلَغَ مِنْ عَرِيضٍ... قال الأصمعيّ : الشيء إذا فاق في جنسه قيل له : خَارِجِيّ . وتفسير هذا ما نحن بسبيله وذلك أنه لما خرج عن معهود حاله أُخْرِجَ أيضا عن معهود لفظه . ولذلك أيضا إذا أُريدَ بالفعل المبالغة في معناه أُخْرِجَ عن معتاد حاله من التصرف فمنعه. " (3) ، فكلام ابن جني يظهر معنى العدول في المفردات حين استعمال المتكلم المبالغة في كلامه، فيعدل بها عن لفظ إلى لفظ آخر يحقق به مراده من الخطاب، ليترك اللفظ بذلك موضعه للفظ آخر يحقق مقصدية المتكلم من الخطاب، كلفظ عراض في مقابلته للفظ عريض. وهو العدول الذي عُرف عند الأصمعي كذلك بالخروج عن المعهود والمألوف من الكلام. " وقد أجمع علماء العربية قديماً على أن أسلوب القرآن العظيم خارج عن المألوف من كلام البشر، وهذا يبين تنبه العرب إلى هذه الظاهرة الأسلوبية بمفهوم مغاير، إذ أجازوا للشاعر مالم يجيزوه للناثر من عدول عن أصل اللغة، وظهر أكثر وضوحاً في العصر الإسلامي لوقوعه في لغة القرآن الكريم " (4) ، وقد سُبكت له الأقلام وكتبت حوله مقالات كثيرة تناولته بمسميات عديدة اجتمعت كلها على أنه كلام متفرد بأسلوبه.

ولذلك أوردته بعضهم بمعنى الخروج عن العادة التي ألفتها ألسنة العرب في سننها وخطاباتها قبل مجيء الإسلام، ليُطل علينا القرآن الكريم بما يخالفها بغية المحاجة والتحدي والأعجاز والإقناع، ومن هؤلاء الرماني الذي يقول واصفاً ذلك: "إن العادة كانت جارية بضروب من الكلام معروفة منها: الشعر، ومنها السجع، ومنها الخطب، ومنها

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

الرسائل، ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث، فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة، لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة⁽⁵⁾ ، فواضح من كلام الرماني أن الاختلاف بين القرآن وكلام العرب لم يكن في المفردات ولا في الحروف وإنما كان في طريقة نظمه لهاته الكلمات والحروف التي تراها تتساق في التعبير القرآني تساقاً عدل به القرآن عن أي كلام أراد مقارنته، فمفرداته ينتهي بعضها إلى بعض في نسج بليغ يكشف عن روعة أسلوبيته وعظيم شأنه.

ولم يكن عبد القاهر الجرجاني أقل شأنًا من أقرانه فتحدث عن العدول في المفردات حديثًا ترتاح له عقول المتدبرين ونفوس الحائرين ممن قصرت عقولهم في إدراك تداولية مفرداته وإعجازية نظمه، فيقول في ذلك: " وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ⁽⁶⁾ ، فتجلى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع... إن شككت، فتأمل: هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت، لأدّت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية؟ قل ابلي، واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها." ⁽⁷⁾ ، فاختيار ابلي والعدول عن غيرها من الألفاظ التي ترادفها ترادفا جزئيا في المعنى كسرط و شرب...أنما راجع إلى موضعها في الآية حيث تألفت واتسقت مع الألفاظ الأخرى التي جاورتها في السياق القرآني صوتاً ودلالة.

وانطلاقاً مما قاله الجرجاني "فإنه يمكن الاعتماد على تداخل البعدين الأسلوبى والتداولي، في مقارنة المفردة القرآنية حاججياً. ويمكن أن نضرب على ذلك مثلاً:
- قوله تعالى: (لَا أُقْسِمُ بِبَيْتِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ) ⁽⁸⁾.

حيث نلاحظ أن موقع مفردة 'بنانه' يشذ عما جاورها من الفواصل، حيث تنتهي بالميم المتبوعة بالهاء: القيامة، اللوامة، عظامه...أمامه...هذا الاستعمال يحدث في القول

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

ضرباً من التبئير focalisation ويلفت النظر إليه، بحيث تسعى الأذهان إلى محاولة تأويله وتعليل خروجه عن مجارة سياق نظم الفواصل المجاورة له." (9)

فنظرة إلى التداولية المعاصرة واهتمامها بالخطاب يكشف دقة القرآن في التعبير عن كل مبادئها بل سبقه لكثير مما جاءت به، مما يجعلها خاضعة له تحقيقاً ودراسة، كونه خطاباً إلهياً تعدت لغته حدود البشر في الفعل الكلامي من حيث إنجاز المتصل بقيمة الخطاب وعداً ووعيداً وتوكيداً وغيرها من وجوه الإنجاز التداولي ومن حيث تأثيره بالقول تصريحاً وإضماراً، ومن خلال فعل القول نفسه، عند إنتاج التركيب صوتاً أو علامة لسانية تتمظهر في وحدات مفرداتية قرآنية تلائم السياق (10) .

ولعل الواقف على تداولية مفردات القرآن الكريم في استعمالها ضمن نطاق التواصل اللغوي للخطاب القرآني ، يدرك أنها علامات تعانق أذهان المتخاطبين أو المؤولين للخطاب وتأسر عقولهم ونفوسهم قبل أن تكون رموزاً تحمل دلالات، وهي علاقة تداولية بامتياز نمت في حضان كتاب الهي إلى أن كشفت عن وجودها التداولية المعاصرة، التي حاولت جاهدة في بداية ظهورها وعبر الدلائلية اللسانية أن تبحث عن الصلة القائمة بين العلامات ومستعملها (11) كمفردات خطابية يفاضل المتكلم بينها تبعاً لمقصدية خطابها وإنجازها لفعل الكلام.

ومن هنا فإن إدخال مفهوم القصدية في فهم العدول الحاصل في المفردات القرآنية مبدأً تداولياً يظهر لنا السر الدفين وراء توظيفها واستعمالها كفعل كلامي منجز، ويبرز للمتلقي قوة المحاجة في اختيار المفردة القرآنية دون غيرها من المفردات التي لا تقل شأناً عنها ولا ينبو جرسها عن جرس أخواتها، لتحصل المفاضلة ويحدث العدول تبعاً لمقصدية المُخاطب.

وقد تجلت مقولة القصدية عند أهل التداول " بالخصوص، في الربط بين التراكيب اللغوية ومراعاة غرض المتكلم والمقصد العام من الخطاب، في إطار مفاهيمي مستوف للأبعاد التداولية للظاهرة اللغوية...ومن ثم فالفعل الكلامي يراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة...ولذلك يصح أن تعد تلك المعاني والمقاصد

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

التواصلية أفعالا كلامية... باعتبار أننا لا ننظر إليها على أنها مجرد دلالات ومضامين لغوية وإنما هي فوق ذلك إنجازات وأغراض تواصلية ترمي إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعية...".⁽¹²⁾ ، وهنا نتساءل ما الفعل أوالموقف الاجتماعي الذي صنعه استعمال لفظة بنانه دون غيرها في الآية السابقة؟

فهذا التدبر يجعلنا نستشعر من السؤال أهمية التأويل من جهة وخطورته من جهة ثانية، ذلك أنه يتوجب علينا إعطاء تأويل يتلائم ومعنى المفردة داخل السياق، دون أن يفصلها عن بعدها الحجاجي ومقصدها الذي وضعت من أجله، فلا يتم تأويل السياق إلا بالنظر إلى أسباب العدول في المفردة القرآنية مقترنا في الآن ذاته بأسباب النزول في الآية القرآنية كلها، لنرجح تأويلا لرجاحته، أو نرد آخر لبداهته أو فساده. وفي ذلك تدبر يوصل المؤول إلى التفسير الصحيح.

فقد فسر المفسرون القدامى كالسيوطي مثلا لفظ البنان في قوله تعالى: (عَلَىٰ أَنْ تُسَوِّيَ بَنَانَهُ) بقوله: " وهو الأصابع أي نعيد عظامها كما كانت مع صغرها فكيف بالكبيرة"⁽¹³⁾ ، وتأويله هذا لسياق الآية الكريمة يختلف عن التأويل المعاصر الذي أخذ بعدا علميا أشار إلى موقف اجتماعي يختبئ في ثنايا السياق القرآني وتعبّر عنه مفردة البنان بمركزيتها الدلالية ومحوريتها في التعبير القرآني.

فذهب بعض المهتمين بالتفسير القرآني " الناظرين في الإعجاز العلمي في القرآن إلى أن الآية تشير إلى معجزة البصمة التي لا تتكرر بين إنسان وآخر. فكيف يمكن استخلاص قول يتلائم مع معنى الآية ومعنى المفردة"⁽¹⁴⁾ ، في ظل وجود فرق غير شاسع بين التأويل القديم والتأويل المعاصر لمعنى الآية رغم إقرارنا بصحة الاثنين. واجتماعهما في الموقف الاجتماعي الذي أصبح يعيشه الإنسان في ظل انتشار الجريمة والاختلاس والسرقة والتزوير، فإذا كان السيوطي أشار إلى أن الأصابع يعاد بناءها رغم صغرها بقدرة القادر المقتدر فإن الجريمة كموقف اجتماعي إذا وقعت في عصرنا يعيد المحقق بناءها وحدثها وطريقة حصولها انطلاقا من بصمات الأصابع ليكشف عن الفاعل الحقيقي بتوفيق من الله سبحانه وتعالى، وفي ذلك تحقيق للأمن والأمان في

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

المجتمع وإرساء لقواعد الشريعة وقوانينها، ولولا الخالق سبحانه الذي أودع هذه المعجزة في كتابه وخلقها في الإنسان ما استطاع المحقق في الجرائم الوصول إلى ذلك ولربما كان الخطب أعظم بعدم وجودها وحشاه سبحانه أن يغفل عن حقيقة الإنسان وأسرار وجوده.

فبالنظر إلى المنطلق الذي كان وراء استعمال مفردة البنان والعدول عن مفردات أخرى يتبين لقارئ القرآن الكريم ذلك البعد التداولي بين صاحب الخطاب سبحانه وتعالى وبين المتلقي في بيان المقصدية وراء العدول المفرداتي مقصدية أرادها سبحانه لإقناع المخاطب ومحااجته بمضمون كتابه ودعوته إلى تدبر معانيه وتجسيدها في واقعه، كمواقف اجتماعية تلقي بظلالها على سلوكاته وتصرفاته وأفعاله. لتكون هذه المواقف أسمى معاني تداولية الخطاب القرآني التي أرادها صاحب الخطاب جل جلاله.

والذي يجب التركيز عليه في تداولية المفردة القرآنية والوقوف على محوريتها في السياق القرآني ما يعرف في التداولية المعاصرة بالبويرة التي "تسند إلى المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزاً في الجملة"⁽¹⁵⁾ ، فينظر لها من حيث وظيفتها في التركيب اللغوي، سواء تعلق البحث بطبيعة هاته الوظيفة، أو بمجالها. ومجال وظيفة البويرة في الآية القرآنية السابقة يحيلنا إلى التمييز فيه بين بويرة المكون وبويرة الجملة⁽¹⁶⁾ فالأولى دل عليها لفظ البنان باحتلاله موقعا في السياق لفت انتباه المتلقي لذلك الخطاب، أما الثانية فهي التي بنيت عليها معاني السياق كله وتساوقت عبر وظيفتها مفرداته وحروفه.

ومن هنا فإن العدول في البويرتين يقوم أساساً على طبيعة الإسناد الذي جسده تعالق البويرتين في التركيب، "مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، حتى يكون لوضع كلِّ حيث وُضع، علةٌ تقتضي كونهُ هناك، وحتى لو وُضع في مكان غيره لم يصلح."⁽¹⁷⁾ ، وهذا ما يجعل السبب وراء استعمال لفظ البنان في الآية السابقة يتجسد في قيمته الإخبارية وتميزها عن غيرها، ثم في إشارته العلمية الإعجازية التي برهنت على عدول الخطاب القرآني بهذا المؤشر البيولوجي في طرف الأصابع عن الخطاب العلمي الإنساني برمته. بفعله الكلامي الذي حمل سمة الإنجاز والتأثير. فقد تداخل في هذا العدول القرآني فعل القول وفعل الإنجاز وفعل التأثير⁽¹⁸⁾ ، فالأول عبرت عنه ألفاظ الآية الكريمة

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

وتراكيبها ومعانيها، ثم إيقاعها الذي أضفى على الخطاب موسيقى سحرية سحرت نفوس المتقين له بصدق بيانها وثبوت حقيقتها، فمثلت الهاء في ألفاظ القيامة واللوامه وعظامه وبنانه إيقاعاً كان له فعل التأثير في إقناع المتلقي باختيار لفظة البنان دون غيرها وفعل الإنجاز الذي صرح به سبحانه في بداية الآية القرآنية الكريمة وهو التحدي والآخر الذي بقي مختبئاً بين ثنايا النص ينتظر أهل الرسوخ في العلم ليكشفوا عن أسرارها وهو الفعل الذي لا يتحقق إلا بوجود وحدث الفعل التأثيري.

ويعد هذا العدول المتكاً على فعل القول والإنجاز والتأثير من المفارقة اللغوية لدى بعض الباحثين والتي في نظرهم "تتجه إلى مخالفة ما يجري تأكيده لما تكون عليه الحال الحاضرة فعلاً⁽¹⁹⁾"؛ حيث يتجاوز المنطوق المفارقي معنى السياق المنتمي إليه ويمتد لمعاني أخرى تدل على تفرده، باعتباره فعلاً كلامياً غير مباشر يختلف في طبيعته عن الأفعال الكلامية المباشرة التي تبدو دلالتها ظاهرة للعيان متجلية للأفهام، وخير مثال على هذا الفعل الكلامي غير المباشر قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾⁽²⁰⁾، فلو نظرنا نظرة المتأمل في لفظة الدواب ووقفنا على سببي النزول في الآية والعدول في المفردة القرآنية لوجدنا تآلفاً بين معانيها ومعاني المفردات الأخرى في السياق القرآني ذاته، فالآية نزلت في بني عبد الدار الذين جدوا في القتال مع المشركين يوم بدر وسموا آذانهم عن سماع الحق المبين⁽²¹⁾، فوصفهم سبحانه بلفظة الدواب، لتحقق هاته المفردة دقة في وصف عنادهم وإعراضهم الشديد. بل في "عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها ؛ لإبطالهم ما ميزوا به وفضلوا لأجله ، وهو استعمال العقل فيما ينفعهم من التفكير والاعتبار."⁽²²⁾ إن هذه العدول القرآني باستعمال مفردة الدواب دون مفردة الأنعام أو غيرها من الألفاظ الأخرى المرادفة لها في جزء من المعنى جعل "الدواب علامة على المفارقة، بما تُنبئُ إليه في المخزون اللغوي لدى المخاطبين، من معاني البهيمية والتسخير، وحرمان التكريم... لأنها تشير إلى مدلولات خارج النص ذاته. وتتجلى بلاغة النص هنا في توظيف محمولها الدلالي، وفي جعلها تصنع تعارضاً بين حقيقة الحيوان وحقيقة الإنسان"⁽²³⁾ يؤدي إلى مفارقة قرآنية تحتاج إلى حسن تأمل.

فهذا التعارض بين الحقيقتين شكل من مفردة الدواب بؤرة في سياقها تختلف بمفارقتها عن استعمال لفظة الأنعام في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾⁽²⁴⁾، لفظة الأنعام هنا ارتبطت بما يدل على عدم استعمال العقل عند الكفار كما حصل مع لفظة الدواب، لكن الذي كان فارقا بين البورتين هو اختلاف دواعي الكفر بين الصنفين ففي لفظة الدواب كان السياق القرآني في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يشير إلى إصرار على الكفر والجد في قتال المسلمين والإعراض عن الحق دون استحضار للعقل فوصفهم بأنهم قوم لا يعقلون تشبيهاً بالدواب التي لا تعقل، وأما في الأنعام فكان إصرارهم على الكفر وخروجهم على الطريق الصحيح غفلة من غفلات المعاندين، لأن الأنعام تقبل الرياضة والتأديب لما يُراد بها أن تسير إليه، والكافر تجده عاصياً غافلاً على الدوام لا يفقه قلبه ولا تفقه عينه ولا أذنه ما يحدث له، وهذا ما جعله سبحانه يصفهم في الآية السابقة بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ أي: المنهمكون في غفلتهم⁽²⁵⁾ الذين لا يقبلون تأديباً ولا إرشاداً ولا نصوحاً .

من هنا يتبين لنا أثر العدول في تأويل آيات الخطاب القرآني، لما يحمله من مسببات تفتح النص على أفق تأملي يمنح العقل مع أدوات التفسير الأخرى مساحة للتدبر والتمعن في أسرار مفردات القرآن الكريم وتداوليتها ضمن الفضاء القرآني الرحب والإنساني، كمواقف اجتماعية ينتمي إليها الفرد انتماءً اجتماعياً ويجسدها مدلول القرآن عبر محورية مفرداته داخل السياق القرآني، ونمثل لذلك التجانس التداولي بين العدول في المفردة القرآنية والتأويل في الخطاب القرآني من خلال النماذج الآتية:

- **العدول في مفردتي أبد ودام: الأبد** هو " الدهر والجمع آباد وأبود وفي حديث الحج قال سراقه بن مالك أرأيت مُتَعَتْنَا هذه ألعامنا أم للأبد ؟ فقال بل هي للأبد وفي رواية ألعامنا هذا أم لأبد ؟ فقال بل لأبد أبدي وفي أخرى بل لأبد الأبد أي هي لآخر الدهر وأبد أبدي كقولهم دهر دهير ولا أفعل ذلك أبد الأبيد وأبد الأباد وأبد الدهر وأبيد وأبعد الأبدية وأبد الأبدية ليس على النسب لأنه لو كان كذلك لكانوا خلقاء أن يقولوا الأبديين

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

قال ابن سيده ولم نسمعه قال وعندني أنه جمع الأبد بالواو والنون على التشنيع والتعظيم كما قالوا أرضون وقولهم لا أفعله أبد الأبدين كما تقول دهر الداهرين وعوض العائضين وقالوا في المثل طال الأبعدُ على لُبد يضرب ذلك لكل ما قدّم والأبدُ: الدائم والتأبيد التخليد (26) ، وتكرر في المعاجم العربية الإشارة إلى أن الأبد يرادف الدائم (27).

وهنا لا بد أن نقف على جوهر العلاقة الدلالية التي تربطهما للوصول إلى مواطن التقارب والاختلاف بين اللفظين وأسباب العدول من خلال السياق القرآني، فالدائم "من دام يدوم إذا طال زمانه ودام الشيء سكن وكل شيء سكنته فقد أدمته وظل دوماً وماء دوماً دائم وصفوهُما بالمصدر والداماء البحر لدوام مائه وقد قيل أصله دوماً فأغلاله على هذا شاذ ودام البحر يدوم سكن" (28) ، وإذا كان الدائم هو الذي طال زمانه، فإن الأبد هو استمرار الوجود في أزمنة مقدر غير متناهية في المستقبل، وهو تلك المدة التي لا يمكن إدراك وقت انتهاءها بالتفكير والتأمل، كما يطلق على كل شيء لا نهاية له (29) ، وإذا قابلنا بين الآيات القرآنية يتضح مدلولهما ويثبت بالسياق ترادفهما وسبب عدولهما، قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} (30) ويقول تعالى: { مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (31) ، ويقول تعالى: { قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} (32).

ففي سياق الآية الأولى جاء لفظ أبد مقروناً بالخلود ، ولما كان " حال كونهم { خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا } ، أكد الخلود بالتأبيد؛ لأنه قد يطلق على طول المكث (33) ، فالخلود هنا يترادف في بعض المعنى مع الدائم، لأن الخلود قد يدل على دوام المكث والبقاء (34) وطوله مع وجود تفاوت دلالي بينهما، لكن ما يبرزه سياق الآية في قوله تعالى: { خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} باستعمال التأبيد مع الخلود، هو تأكيد على أن الخلود المقصود لا يزول، لأن الأبد في هذا السياق جاء ليبدل على زمن مقدر لا يزول ودوام مقدر لا ينتهي، والمعنى نفسه يتكرر في قوله تعالى: { قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا } ، فجاء

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

باللفظين الأبد والدوام في سياق واحد ليؤكد الفرق بينهما؛ حيث الأبد دل على الدوام الذي لا ينتهي، والدوام في قوله ما داموا دوام ينتهي بخروجهم من القرية، وهذا ما يبينه تفسير ابن عادل قائلاً: " قوله : {لَنْ تَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا} [ما] مصدرية ظرفية و ' دَامُوا ' صَلَّتْهَا ، وهي ' دَامَ ' النَّاقِصَة ، وخبرها الجار بعدها ، وهذا الظرف بدلٌ من ' أبداً ' وهو بدلٌ بعض من كل ؛ لأنَّ الأبدَ يعمُّ الزَّمنَ المُستقبلَ كله ، ودوام [الجبارين] فيها بعضه. " (35) ، فالأبد في الآية زمنٌ لا ينتهي لعمومه على المستقبل كله ، والدوام عكسه فهو بعض من الأبد الذي ينتهي بخروج الجبارين ودل على ذلك قول ابن عادل (ودوام الجبارين فيها بعضه)؛ أي بعض من هذا الأبد الذي هو الكل.

ومن الآيتين نخلص إلى أن الأبد يترادف مع الدوام في الدلالة على طول المدة وطول الزمان وطول الدهر، ويختلفان في كون الدائم منقطع بشيء يلزم قطعه والأبد مستمر بلا انتهاء ولا انقطاع، والواضح أن لفظ الأبد يتضمن في معناه معنى الدائم، فكل أبد دائم، وليس كل دائم أبد وهذا الأخير دل عليه اعتذار القوم لسيدنا موسى، "بأن في هذه البلدة -التي أمرتنا بدخولها وقتال أهلها- قوما جبارين، أي: ذوي خلقٍ هائلة، وقوى شديدة، وإنا لا نقدر على مقاومتهم ولا مُصاوتهم، ولا يمكننا الدخول إليها ما داموا فيها، فإن يخرجوا منها دخلناها وإلا فلا طاقة لنا بهم." (36) ، فقولهم أن يخرجوا منها فإننا داخلون تأكيد لعدم أبدية الدوام ، إضافة إلى أنه لم يرد في المعاجم العربية المشهورة ما يدل على أن الديمومة في الشيء تعني أبدية الشيء دون انتهاء.

أما في قوله تعالى: { مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُمْ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ }، في الآية حديث على لسان عيسى عليه السلام، يقول فيه: "ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله (وحدوه وأطيعوه ولا تشركوا به شيئاً) وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم (أقمت فيهم) فلما توفيتني (قبضتني إليك). " (37) ، فالنيسابوري في قوله هذا بين لنا أن الدوام في الآية لا يدل على الاستمرار في الزمن المستقبل دون انقطاع، بل ينتهي بانتهاء الفعل، وهذا جلي في الآية؛ حيث لما كان عيسى عليه السلام مقيماً بينهم كان دوامه مستمر إلى حين

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

انقطاع هذا الدوام بعد أن قبضه الله سبحانه وتعالى ورفعته إليه، فسياق الآية دل على الفرق الدلالي القائم بين الدائم و الأبد، وهو الفرق الذي يجعل السياق يفاضل بينهما مراعاة لتحقيق الدلالة المقصودة.

والمعنى نفسه يتكرر في قوله تعالى: { وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } (38) ، ويقدم ابن عادل تفسيراً دقيقاً لمعنى ما دمت يبين فيه دلالتها على الدوام المنقطع فيقول: "قوله : {إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا} (استثناء مفرغ من الظرف العام ؛ إذ التقدير : لا يؤده إليك في جميع المدد والأزمنة إلا في مدة دوامك قائماً عليه ، متوكلاً به و ' دُمت ' هذه هي الناقصة ، ترفع وتتصب ، وشرط إعمالها أن يتقدمها ما الظرفية كهذه الآية إذ التقدير إلا مدة دوامك [ولا ينصرف ، فأما قولهم : ' يدوم ' فمضارع ' دام ' التامة بمعنى بقي ، ولكونها صلة ل ' ما ' الظرفية] لزم أن يكون بحاجة إلى كلام آخر ، ليعمل في الظرف نحو أصحابك ما دمت باكياً ولو قلت ما دام زيد قائماً من غير شيء لم يكن كلاماً . وجوز أبو البقاء في ' ما ' هذه أن تكون مصدرية فقط ، وذلك المصدر - المنسبك منها ومن دام - في محل نصب على الحال ، وهو استثناء مفرغ - أيضاً - من الأحوال المقدرة العامة ، والتقدير : إلا في حال ملازمتك له ، وعلى هذا ، فيكون ' دام ' هنا تامة ؛ لما تقدم من أن تقدم الظرفية شرط في إعمالها ، فإذا كانت تامة انتصب قائماً ' على الحال" (39) ، فبين أن ما في ارتباطها بلفظة دمت دلت على أن مدة الدوام لا تستمر في المستقبل كما في لفظ الأبد، وإنما استمرارها في سياق الآية مرهوناً بفعل القيام، حيث ينتهي بانتهاهه، وقس في ذلك على كل سياق قرآني استعملت فيه لفظة دام، وقد كانت العرب تسمي المطر ديممةً لدوامه أياماً، وسمت الظل الدوم والدائم، وكانت تقول كذلك دومت الشمس في كبد السماء (40) ، فالمطر والظل والشمس في السياقات المذكورة ينقطع دوامها ولا يستمر لحصول ما يمنعه، فالظل مثلاً ينقطع بالفيء وهو رجوعه وزواله، ودوام الشمس في كبد السماء ينقطع بحلول وقت الزوال وما بعده،

يقول الشاعر :

والشمس حَيْرَى لَهَا فِي الْجَوِّ تَدْوِيمٌ مُعْرَوِيًّا رَمَضَ الرُّضْرَاضَ يِرْكُضُهُ⁽⁴¹⁾

والمطر كذلك ينقطع دوامه بانقشاع الغيوم.

- العدول في مفردتي أتى وجاء: من الإتيان و " الإتيان المجيء أثبته أنثياً وأثبياً وإثياً وإثياناً وإثيانةً ومأثاةً جئته ... وأتى إليه الشيء ساقه والأثي النهر يسوقه الرجل إلى أرضه وقيل هو المفتح وكل مسيل سهلته لماء أتي وهو الأثي حكاه سيبويه وقيل الأثي جمع وأتى لأرضه أثياً ساقه ... وفي حديث ظبيان في صفة ديار تُمود قال وأثوا جداولها أي سهلوا طُرُق المياه إليها⁽⁴²⁾ ، فإذا كان الإتيان هو المجيء فهذا يعني ترادفهما، مع وجود فرق بينهما نجده في السهولة التي تحملها مفردة الإتيان.

أما المجيء الذي تدل عليه لفظه جاء والذي يحمل في معناه مشقة وصعوبة، يقول فيه ابن منظور: " المجيء الإتيان جاء جئاً ومجئاً وحكى سيبويه عن بعض العرب هو يجيك بحذف الهمزة وجاء يجيء جئاً... وجاءني فجئته أجئته أي غالبني بكثرة المجيء فغلبته ... وأجاءه إلى الشيء جاء به وألجأه واضطره إليه ."⁽⁴³⁾ ، فالواضح من قول ابن منظور أنه جعل الإتيان مجئاً والمجيء إتيان، لكنه أبان عن اختلاف دلالتها من خلال ما عرضه من سياقات كلامية، فتجده يقول مستعملاً لفظ السهولة في الإتيان ليدل على ذلك الفرق فيقول: (وكل مسيل سهلته لماء أتي) ثم يقول (وأثوا جداولها أي سهلوا طُرُق المياه إليها) ، ليؤكد هذا الفرق في لفظ المجيء حين يقول (وجاءني فجئته أجئته أي غالبني بكثرة المجيء فغلبته) فكثره المجيء والمغالبة عليه فيها صعوبة ومشقة، ثم يؤكد هذا في قوله: (وأجاءه إلى الشيء جاء به وألجأه واضطره إليه)، وجلي أن إلقاء وإرغام واضطرار الشخص على المجيء فيه من الصعوبة والعناء ما يجعل المجيء في دلالاته يختلف عن الإتيان بالرغم من ترادفهما في جزء من المعنى وهو القوم، فسواء قلت جاء فلان، أو أتى فلان فيعني ذلك أنه قديم، ويبقى الاختلاف في طبيعة القوم أكان سهلاً أم فيه عناء. وتعالوا معنا نتدبر بعض السياقات القرآنية لنستشف ذلك الترادف الحاصل بين اللفظين، ونقف على أسباب العدول في المفردتين يقول الله تعالى: { قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ} (44) ، يقول الماوردي: " وقال ابن عباس : هو النمرود بن كنعان بن سنحاريب بن حام بن نوح بنى الصرح في قرية الرس من سواد الكوفة ، وجعل طوله خمسة آلاف ذراع ، وعرضه ثلاثة آلاف ذراع وخمسة وعشرين ذراعاً وصعد منه مع النسور ، فلما علم أنه لا سبيل إلى السماء اتخذها حصناً وجمع فيه أهله وولده ليتحصن فيه ، فأتى الله بنيانه من القواعد ، فتداعى الصرح عليهم ، فهلكوا جميعاً" (45) ويقول القرطبي في معنى الإتيان الوارد في الآية: " ومعنى {فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ} أي أتى أمره البنيان ، إما زلزلة أو ريحا فخربته. " (46) ، فلما كان أمره سبحانه وتعالى حاصل بإرادته، أتى على هذا البنيان فهدمه رغم طوله ومثانة بناءه، كيف لا وهو القائل سبحانه " وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول كن فيكون " (47) ، فإذا كان أمره تعالى يتم بمجرد إشارته سبحانه، كان لزاماً في السياق القرآني أن يستعمل سبحانه جل وعلا ما يدل على تلك السهولة، فوظف لفظ أتى الذي هو مجيء بالأمر في قوله تعالى {فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ} ليدل به على المعنى المراد. ودل على هذا المجيء السهل بالأمر بلفظ أتى دلالة واضحة في قوله تعالى: {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (48) ، فلو تأملنا لفظ أتى في هذا السياق لوجدناه مشتملاً على سهولة المجيء كغيره من الآيات القرآنية. أما في قوله تعالى: { فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ}، ففيه دلالة أخرى على عظمة القرآن في اختياره اللفظ المناسب للسياق المناسب دون مبالغة أو تفريط، ولا يمكن لعاقل أن يشك في ذلك. وتأمل معي هاته الآية لتلمح بدلالة العقل أن البناء في طبيعته أمر فيه من الإتيان والرص والإحكام ما يدل على صعوبة ذلك على غير العارفين به، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} (49)، تشبيهه بالبناء الذي يُلْزَقُ بعضه إلى بعض حتى يصير ثابتاً (50)، وأمام صعوبة بناء الصرح الذي أوجده النمرود وأتقنه، جاء القرآن بلفظ يُثَبَّتُ سهولة هدمه من لدن الله سبحانه وتعالى فقال: {فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ}، أي: جاء عليه بأمره لا بذاته، قال الشاعر:

متى يبلغُ البنيانُ يوماً تَمَامَهُ إذا كنتَ تبنيه وغيرك يهدمُ (51) .

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

فما الفائدة إذا كنت تتعب في البناء وتشقى بعناء وانتقان، ويسهل على غيرك هدم ما بنيت. فلعل هذا الترجيح الدلالي الذي أخذنا به في استنباط معنى لفظ الإتيان من السياق القرآني مراعين في ذلك ما جاورها في السياق من ألفاظ، هو من الطرائق اللغوية التي تسنح لنا بالنظر إلى الدلالات اللفظية التي تشترك الألفاظ في بعضها وتفترق في البعض الآخر الذي يلزم صاحب الخطاب بالمفاضلة بينها، فيختار منها ما يلائم السياق ويتوخى معاني النظم والتركيب.

وإذا جننا لتطبيق ذلك على لفظ جاء مراعيًا دلالاته في السياق وترادفه مع الإتيان، للمسنا تقاطعاً بينهما في التعبير عن المعنى العام واختلافاً في التعبير عن المعنى الخاص الذي اقتضاه سياق كل منهما، قال تعالى: {فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مِّنْسِيًّا} (52) ، والمخاض الذي جاء مريم عليها السلام كما هو معروف ذلك الذي يصحبه وجعٌ وشدٌ لا يُطاق عند الولادة، وكان لشدة وقعه أن جعل مريم ابنة عمران تتمنى الموت، وزاد ذلك انعدام الماء والكلء ووحشة في الصدر جسدت ألمها الشديد (53) ، قال تعالى على لسانها: يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مِّنْسِيًّا} (54) ، فأمام شدة حالها وعظيم خطبها ومعاناتها ما كان لهذا السياق القرآني أن يدل على ذلك لو أنه اشتمل على لفظ الإتيان، فقال سبحانه مفاضلاً بينهما: "فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ"، ليعبر تعبيراً دقيقاً عن معنى المجيء الدال على الإتيان بشكل عام وعن المجيء الصعب والشاق الغالب على سياق الآية بشكل خاص، "لكن المجيء أعم من الإتيان فهو يستعمل في الأعيان والمعاني، ولما يكون مجيئه بذاته وبأمره" (55).

فالذي يأتي في الأعيان كقوله تعالى: { وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ } (56) ، وفي المعاني كقوله تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا } (57) ، والذي يأتي بالذات فكقوله تعالى: { وَوَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زُلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ } (58) ، وأما الذي يأتي بالأمر فمثل قوله تعالى: { فَلَمَّا دَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

مُنِيبٌ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ { (59) ، وفي هاته الآية الأخيرة ما يطرح تساؤلاً على المتدبر لكتاب الله المتفحص لدلالة ألفاظه، كيف يستعمل الله تعالى جاء ويستعمل أتى بعدها في سياق واحد؟ والجواب أن لفظ جاء في الآية بقي دالاً على المجيء الصعب رغم ارتباطه بأمره تعالى ، فاستعمله سبحانه ليدل على صعوبة إقناع سيدنا إبراهيم بعد جداله الطويل مع الرسل حول مصير قوم لوط، وهذا أوماً عليه ابن عجيبة قائلاً: "جعل { يُجَادِلْنَا } أي : يخاصم رسلنا { في } شأن { قوم لوطٍ }، ويدفع عنهم ، قال: { إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا } (60) ، { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ }، غير عجول من الانتقام إلى من أساء اليه. { أَوَاةٌ }؛ كثير التأوه والتأسف على الناس، { منيب }، راجع إلى الله .والمقصود من ذلك : بيان الحامل له على المجادلة ، وهي : رقة قلبه وفرط ترحمه . قال تعالى على لسان الملائكة: {يا إبراهيم أعرض عن هذا } ، الجدل؛ { إنه قد جاء أمرُ ربك } بهلاكهم ، ونفذ قضاؤه الأزلي فيهم ، ولا مرد لما قضى ، { وإنهم آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ } ؛ غير مصروف بجدال ولا دعاء ، ولا غير ذلك. " (61) ، فصعوبة إقناعه لرقه قلبه على أولئك القوم وإشفاقه عليهم، وما كان من جدال بينه وبين الرسل ودفاعه المستميت، لم يكن للتعبير عنه سوى استعمال لفظ جاء، وما دل على تلك الصعوبة والشدة في المجيء ما ذكره ابن عجيبة من كلمات تعبر عنها، تمثلت في (خصامه، جداله، تأوّه، تأسفه، رقة قلبه، فرط ترحمه)، ثم استعمل تعالى بعده لفظ أتى للدلالة على سهولة تنفيذ الأمر من الله سبحانه بإهلاكهم وتسليط العذاب عليهم. و ننظر ترادفاً دلالياً بين اللفظين في قوله تعالى: { إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ } و{أتى أمر الله}، فكلاهما دالٌّ على أن الأمر لم يحصل بعد، لكنه واقعٌ في علم الله ، ولا بد من تحققه ، فخاطبهم قائلاً: لا تطلبوه قبل حينه وتستعجلوا حدوثه لأنه واقع لا محالة، وكلا الأمرين في الآيتين قائمٌ وغير مصروف، إلا أن أحدهما بالمجيء والآخر بالإتيان، فاللفظان كما نلمح في هذا التحليل يترادفان في بعض المعنى ويفترقان في الدلالة على سهولة الإتيان وصعوبة المجيء..

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون2017

ودلالة المجيء على الصعب والشاق والشديد تتكرر في قوله تعالى " وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى " ، ومعنى قوله: " من أقصا المدينة يسعى (قال الكلبي : يسرع في مشيه لينذره، مقاتل : يمشي على رجليه ،)" (62) ، وفي قول الكلبي ومقاتل دليل على التعب والإرهاق الذي صاحب المسرع خاصة وأنه كان يحمل خيراً فيه وقع شديد على سامعه، حيث قال له: " يا موسى إن الملائمة يأترون بك ليقتلوك؛ أي يهيمون بقتلك ويتشاورون فيك ، وقيل : يأمر بعضهم بعضاً ."(63) ، فضراوة الحدث وشدة وقع الخبر على موسى عليه السلام، وإسراع المنذر بالمشي في إيصال الخبر له، ما كان للفعل أتى أن يجسدها في الآية السابقة.

فتمام المعنى باختيار اللفظ المحقق للدلالة، ذلك الذي استقرأناه في استعمال جاء كما بينا في هذا التحليل الدلالي الذي يبين لمتدبر القرآن أن العدول عن لفظة إلى أخرى تحيط به مقاصد قرآنية وأسرار ربانية جليلة منحتة حضوراً إعجازياً في بيان قيمة المفردة الدلالية داخل السياق وأهميتها الاجتماعية خارجه، لذلك تعددت أنماطه في المفردات القرآنية.

وإذا التفتنا إلى بعض هذه الأنماط نجد أن هناك عدول عن صيغة المفعول إلى الفاعل في المفردة القرآنية كما في قوله تعالى: { فَلْيُنظَرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ } (64) أي: مدفوق، وعدول عن الأفراد إلى ما حقه أن يجمع كما في قوله تعالى: { سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ } (65) والمقصود بالدبر؛ "أي الأدبار بدليل قوله تعالى : { فَلَا تُؤَلِّهُمُ الْأَدْبَارَ } (66) وقوله تعالى : { أَوِ الطُّفُلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ } (67): أي الأطفال... ونحو هذا كثير في القرآن ، وفي كلام العرب (68).

وما قدمناه هو غيض من فيض يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة للكشف عن مكنوناته ذلك أن قضية العدول في المفردة القرآنية سر من أسرار الإعجاز القرآني الذي أخذ بعداً تداولياً في الخطاب القرآني لا يدرك إلا بالتدبر الرصين القائم على معرفة فصاحة الكلمات القرآنية وبلاغة خطابها الرباني والذي يفضي إلى إثبات شرعية حضور المفردة القرآنية كبادرة لفهم السياق في التفسير القرآني .

- 1 - محاولات في تحليل الخطاب، صابر الحباشة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط1، 2009م، ص133.
- 2 - لسان العرب، ابن منظور، مادة عدل، دار صادر، بيروت، ط1، دبت، ج11، ص430.
- 3 - الخصائص، أبي الفتح عثمان بن جني، تحقق: محمد علي النجار، عالم الكتب - بيروت، ج3، ص46.
- 4 - العدول الصرفي في القرآن الكريم، ماجدة صلاح حسن، المجلة الجامعة، مركز البحوث والدراسات العليا بجامعة الزاوية، ليبيا، العدد 11، 2009م، ص18.
- 5 - النكت في إعجاز القرآن، الرماني، تحقق: محمد خلف الله ومحمد زغلول، دار المعارف مصر، دبت، ص102.
- 6 - سورة هود، الآية: 44.
- 7 - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقق، أبو فهر ومحمود محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع، ط3، 1992م، ص45.
- 8 - سورة القيامة، الآية: 1-5.
- 9 - محاولات في تحليل الخطاب، ص134، 136.
- 10 - ينظر: التداولية، فرناند هارين، ترجمة: زياد عز الدين العوف، الآداب العالمية، الموقع: www.reefnet.gov.sy ، ص27
- 11 - ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2007م، ص45.
- 12 - التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة ، بيروت- لبنان، ط1، 2005م، ص10.
- 13 - تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 2002م، ص564.
- 14 - محاولات في تحليل الخطاب، ص135
- 15 - الوظائف التداولية في اللغة العربية، أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء- المغرب، ط1، 1985م، ص28.
- 16 - ينظر: المرجع نفسه، ص28.
- 17 - دلائل الإعجاز، ص49
- 18 - ينظر: تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب أنموذجاً، شيتير رحيمة، إشراف: عبد القادر داخمي، أطروحة دكتورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج الأخضر باتنة، 2008/2009م، ص 'ز' من مقدمة الكتاب.
- 19 -المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، محمد العبد، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ط2، 2002م، ص19.
- 20 - سورة الأنفال، الآية: 22.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- 21 - ينظر: البحر المديد، ابن عجيبة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، 2002م، ج3، ص24.
- 22 - البحر المديد، ج3، ص24.
- 23 - المفارقة القرآنية، ص113.
- 24 - سورة الأعراف، الآية: 179
- 25 - البحر المديد، ج2، ص577.
- 26 - لسان العرب، مادة أبد، ج3، ص68.
- 27 - ينظر: مختار الصحاح، مادة أبد ، والمفردات مادة أبد، ص59، تح: داوودي، ص11.
- 28 - لسان العرب، مادة دوم، ج12، ص212.
- 29 - ينظر: التعريفات، مادة الأبد، ص63.
- 30 - سورة النساء، الآية: 57.
- 31 - سورة المائدة، الآية: 117.
- 32 - سورة المائدة، الآية: 24.
- 33 - البحر المديد، ج3، ص85.
- 34 - مختار الصحاح، مادة خلد، ص110.
- 35 - اللباب في علوم الكتاب، ج7، ص274.
- 36 - تفسير ابن كثير، ج3، ص75.
- 37 - الكشف والبيان، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ، ط1، 2002، مج4، ص129.
- 38 - سورة آل عمران، الآية: 75.
- 39 - اللباب في علوم الكتاب، ج5، ص333.
- 40 - ينظر: المفردات مادة دوم، ص322، 323، تح: داوودي.
- 41 - ديوان ذي الرمة ، تح: مطيع بيلي، المكتب الإسلامي، بغداد، ص660.
- 42 - لسان العرب ، مادة أتى، ج2، ص588.
- 43 - لسان العرب ، مادة جياً، ج1، ص51.
- 44 - سور النحل، الآية: 26.
- 45 - النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تح: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج3، ص142.
- 46 - الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671 هـ)، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2003 م، ج10، ص97.
- 47 - سورة يس، الآية: 82.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- 48 - سورة النحل، الآية: 01.
49- سورة الصف، الآية: 04.
50 - ينظر: تفسير الجلالين، ص 533.
51 - معجم الاستشهادات، مادة البناء، ص101.
52 - سورة مريم، الآية: 23.
53 - ينظر: تفسير الجلالين، ص290.
54 - سورة مريم، الآية: 23.
55 - المفردات، مادة جاء، ص212، تح: داوودي.
56 - سورة القصص، الآية:20.
57 - سورة الفرقان، 04.
58 - سورة غافر، الآية: 34.
59 - سورة هود، الآيات:74، 75، 76.
60 - سورة العنكبوت، الآية: 32.
61 - البحر المديد، ج3، ص312.
62 - الكشف والبيان، ج7، ص242.
63 - المصدر نفسه، ج7، ص242.
64 - سورة الطارق، الآيتين: 5،6
65 - سورة القمر، الآية: 45
66 - سورة الأنفال، الآية:15
67 - سورة النور، الآية: 31
68 - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، تح : مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت، 1995م، ج4، ص274.

الترتيب المعجمي في القاموس المدرسي

محمد بن رمضان

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية
وحدة البحث الوطنية بجامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان

الترتيب المعجمي في القاموس اللغوي المدرسي يظهر في مستويين: المستوى الخارجي يرتب المفردات اللغوية حسب نطقها مراعاة للظروف الخاصة بالمتعلم، والمستوى الداخلي الذي ترتب فيه المشتقات اللغوية من الناحية الشكلية حسب الترتيب بالتجنيس. ومن الناحية الدلالية وفق الحقيقة والمجاز، والعموم والخصوص، والحسي والمجرد.

الفرنسية

Le arrangement lexicale dans dictionnaire des école apparaît dans deux niveaux:

Le macrostructure taille prononcée en tenant compte des circonstances particulières de l'apprenant, **le microstructure** à laquelle les dérivés linguistiques résulte d'un point formel de l'ordre dans la naturalisation. **Rappelez-vous Techniquement** selon la vérité et de la métaphore, générale et particulière, et sensorielle et abstraite

Mots clés: Le arrangement lexicale, dictionnaire des écoles, Le macrostructure, Le microstructure.

الإنجليزية

Lexical arrangement the school dictionary appears in two levels:

The macrostructure pronounced by taking into account the special circumstances of the learner, **the microstructure** at which linguistic derivatives resulted from a formal point of order in naturalization. **Technically Remember** according to the truth and metaphor, general and particular, and sensory and abstract

Keywords: Lexical order, The school dictionary, The macrostructure, The microstructure

إن الصناعة المعجمية المدرسية تأخذ من المقومات المعجمية العامة في المنهج، وتختلف معها في الغرض ونوع المستعمل واختيار المادة ونوعيتها وحجم المعلومات المساعدة، وقد تتقاطعان اختلافاً و اتفاقاً في الترتيب المعجمي، الذي يحد من الكثافة المفردية ويعمل على تحقيق تناسقها وفق تنظيم منطقي، إذ وبعد التحول في مجال عمله الذي انحصر عند العرب في عدة أنواع، نابعة من الخلق والابتكار، أملاه التوسع الفكري المسابير للنظام البيئي آنذاك، احتكم لمناسبة التأليف والبحث عن التميز، وعلى تنوعه بسبب التلاحق الثقافي ما فتأ يطلب الارتقاء نحو تلبية الحاجة الملحة والتحيين الظرفي خاصة بعدما جدت الألفاظ بفعل القوة التوليدية التواضعية الرسمية وتدفق الأساليب الفردية التي أدت إلى تحول لفظي ومعنوي، ساعده تجديد الرؤية في صناعة المعجم من العموم إلى التقسيم المرحلي يراعي الخصوصية العمرية والمستوى التعليمي، فرسى قانونه في مسميات اجتمع عليها أهل الاختصاص، أردنا أن نعرفها ونقف على أنواعها عن طريق المعجم المدرسي العصري بتحديد ما يطلبه في تنظيم مادته وتسوية الخلاف الفكري في اختيار ما يناسب من الناحية التربوية بالموازنة بين الأقوال المختلفة.

فما هو الترتيب المعجمي؟

"الترتيب هو المنهج الذي يسلكه واضع المعجم في تصنيف المداخل المعجمية وترتيبها، وترتب دلالتها تحت كل مدخل منها، ويتمثل ذلك في وضع ألفاظ المداخل أيهما يأتي أولاً، وأيها يأتي ثانياً، وقد عدّه المحدثون الترتيب الركن الأساسي في المعجم، فهو يحفظ وقت مستعمل المعجم، ويضبط عملية الرصد و التسجيل، فلا يضيع شيئاً من المادة المعجمية، ويكشف عن العلاقة بين مشتقات المادة الواحدة"⁽¹⁾.

ويعرفه ابن حويلي الأخضر الميداني؛ بقوله: "هو وضع المداخل بكيفيات تسمح بالوصول إلى الغرض من وجودها داخل المعجم، والكيفيات توجد خاضعة لطرق خاصة في الوضع"⁽²⁾، بمعنى الكيف التنظيمي الذي يرشد طالب المعجم إلى بُغيته.

ويراه علي قاسمي بأنه: "الطريقة أو المنهج الذي يتبعه المعجمي في تنظيم الثروة اللفظية المختارة من مورفيمات (وحدات صرفية) وكلمات وتعابير اصطلاحية وسياقية وعرضها في المعجم بحيث يستطيع القارئ أو مستعمل المعجم المطلع على تلك المنهجية العثور على البغية بسهولة وسرعة،...عربة يقودها المعجمي ويسافر بها مستعمل المعجم، وكلما كانت هذه العربة متماسكة البناء جيّدة الصنع كلما كان الوصول إلى الهدف يسيراً وسريعاً"⁽³⁾.

إن، الترتيب المعجمي هو الصياغة التنظيمية للمادة المعجمية على تنوعها، حسب النسق المسموح لها، لتحافظ على خصوصيتها من التثاقل في الشكل أو المعنى، وفي نفس الوقت الترتيب المرشد التعليمي لمستعمل المعجم ليقع على المعلوم دون كلال، وتقصير مدة البحث. ويندرج تحته نوعان من الترتيب؛ ترتيب خارجي وترتيب داخلي.

أولاً- الترتيب الخارجي:

أما "الترتيب الخارجي أو كما يسميه أحمد مختار عمر الترتيب الأكبر، فهو الطريقة العامة التي ينظر واضع المعجم وفقها مداخل معجمه، بأنواعها الثلاثة: البسيطة والمركبة والمعقدة، ويكون حسب حروف الهجاء أو حسب المواضيع"⁽⁴⁾. " ويهدف الترتيب بصورة أساسية إلى تيسير على مستعمل المعجم، فيحصل على مطلبه بسهولة ويُسر من غير أن يضيع وقتاً في تقليب الصفحات، بحثاً عن التقلب المراد"⁽⁵⁾، ويتوزع مهامه على مناهج عديدة، إليك بيانها.

1-مناهجه:

"يعدّ منهج الترتيب من أولى الاختبارات التقنية التي ينبغي على المعجمي أن يُجابهها، لأنه يؤثر بصفة مباشرة على طريقة معالجة المخزون اللغوي المعروف في المعجم. وتدلّ طريقة اختيار المنهج على قدرة المعجمي ونظرته إلى ألفاظ اللغة موضوع الوصف، والعلاقات القائمة بينها أولاً، وإلى الهدف من تصنيف المعجم ثانياً. ولا ينبغي أن ينظر المعجمي إلى المادة على أنها هي العامل الوحيد الذي يملّي عليه اختيار الترتيب المناسب، وإنما عليه أن ينظر إلى الهدف من التصنيف، وإلى نوعية المستعمل التي يرمي إلى خدمته ومساعدته، وبعبارة أخرى على المعجمي أن ينظر إلى الطرف الآخر من الحبل، أو إلى المسافر الذي يستغلّ العربية، والغاية التي يأمل بلوغها"⁽⁶⁾.

فالمنهج الترتيبي هو تابع للمرحلة العمرية والمستوى التعليمي الذي أنت ستوجه له، فما تقدّمه لطفل في المرحلة الابتدائية، يختلف على المرحلة الإعدادية، وهكذا، مقيداً بقدرات المستعمل، ومدى إدراكه لهذه الأنواع من المناهج، لذا من مجموع المناهج نقتصر على منهجين، لتعلّقهما بموضوعنا، والسبب في الاختيار، أنّ كلّ واحد له إيجابياته وفريقٌ يعمل عليه، وكلاهما أستعملا في التأليف المعجمي الموجه للمتمدرسين عامةً، نحاول أن نقف عليهما ونبيّن مزاياهن، ونختار ما هو مطروح في المعجم المدرسي العصري.

أ- المنهج الهجائي الجذري:

"يُقسّم المعجم وفق هذا المنهج إلى ثمانية وعشرين باباً على عدد الحروف وعلى حسب التسلسل المألوف، و يُخصّص لكلّ حرف من هذه الحروف باباً، ثمّ ترتبط الألفاظ في الأبواب، باعتبار أوائل أصولها، بعد إرجاعها إلى جذورها، وبذلك تأتي الكلمات التي تبدأ بالألف كحرف أصلي كلّ باب الألف، والكلمات التي تبدأ بالباء كلّها في باب الباء، والتي تبدأ بالتاء في باب التاء، وهكذا يتوالى ترتيب الكلمات في بقية الأبواب.

ويتابع ارتباط الجذر الأول من المادة اللغوية بالجذر الثاني منها في كلّ باب وفق التسلسل الهجائي المذكور، و وفق هذا التسلسل يتمّ ارتباط الحرف الثاني بالتالي، فالذي يليه وهكذا، ففي باب الجيم على سبيل المثال، نجد الجيم ترتبط بالهمزة على النحو التالي: جأ، جاب، جأت، جاز...، ثمّ ترتبط الجيم بالباء، ويتدرّج ارتباطها على النحو التالي: جبا ثمّ جيب، جبت، جبح..."⁽⁷⁾

فكلا الترتيبين كان محل استعمال المعاجم المدرسية، واختيارنا لواحد منهما لمعجم مدرسي هادف، تتوافق فيه الرؤى بعلمية، ينبغي علينا أن نعرّج بموازنة بين الأقوال التي طرحت بشأنه، حتى يكون هناك موضوعية في الاختيار الحسن لأحدهما، ولا نبخس حق الآخر.

فمن المدافعين على المنهج النطقي:

1- ساطع الحصري، إذ يقول: " فوق كلّ شيء، كأنّها لا تريد أن تعترف بشيء من حق الاستقلال الكلمات المشتقة...وتستمرّ على إدخال كلمة المصباح في مادّة الصّبح، فنتركها في معاجمنا ضائعة بين كلمات: الصّباح، و الصّبّاحة، والصّبوح، والصّبيحة، والاصطباح، والاستصباح.." (13)

2- ويقول سليمان الأشقر: " إنّ الكلمة كما هي عليه في حالتها الرّاهنة من تجريد أو زيادة أو قلب أو إدغام فميزتها اليسر والسّهولة على المتعلّمين، فيستطيع أن يستخرج من المعجم اللّغوي ما يشاء،

3- أيّ متعلّم-لا حاجة أن يسمى لذلك شيء من المعرفة، أكثر من حفظ الحروف العربية بالترتيب الألفبائي فلا تكون الخبرة العرضية أساسا في ذلك، وبذلك تتسع دائرة القادرين على الانتفاع بمعاجم اللّغة أضعافا كثيرة...و اعتبار الوضع الذي عليه بعد الإبدال أو القلب أجدى وأنفع، وأصلح للأمة في معرفة ثقافتها... أنّ الغرض الأصلي من وضع المعاجم اللّغوية هو تسهيل المراجعة، فلا بدّ الوصول بذلك السّهولة إلى غايتها النهائية... (14)

4- وكذلك يحتج المساندين لهذا المنهج بقولهم: "أنّه من السهل على أيّ طالب فوق المرحل الابتدائية أن يتعلّم بسائط أوزان المزيديات في درس بضعة دروس، ولكن ليس من السهل عليه أن يربط مثلا بين ارتفع، ورافع، ورفيع، ومرافعة، ورفعة، ويُدرك الصلّة بينهما على تباعد المواقع" (15)

5- ويحصي علي قاسمي عيوباً للمنهج الجذري تعزز استعمال المنهج النطقي، نحو: صعوبة معرفة الجذر التي تندرج تحته المشتقات، أو بعض المفردات كالكلمات المعربة والدخيلة، أو في ازدياد مطرد للارتفاع الهائل في نمو المصطلحات العلمية والتقنية واقتراض اللغة العربية من هذه الألفاظ استجابة لمتطلبات التنمية الاقتصادية والتكنولوجية" (16)

أما الفريق المنتصر للجذرية فمنهم:

1- عبد الله العلايلي (1914-1997م) إذ يقول: "إنّ من شأن اتّباع هذا النهج الإساءة إلى وجوه العربية وروحها، وذلك، لأنّ العربية كأخواتها السّامية قائمة على ترابط العضوي، فكلّ جُنوح بها في دائرة تصريف الأفعال عن الاندراج تحت الجذر، يُؤدّي إلى التّفكك الروئية الشّمولية المترابطة للغة" (17)

2- يقول أحدهم: " لو خُيرت بين هذا التّبسيط الضّار و بين الحفاظ على طبيعة اللّغة و ترابطها العضوي، لاخترت بطبيعة الحال الثاني منهما، فإنّي لا أقرّ بالتّبسيط يُمزق أجزاء اللّغة ويفصم عرى المادّة اللّغوية وما يتفرّع منهن" (18)

- 3- ويقول أحمد شفيق الخطيب في نقده لهذا الترتيب: "إن الذي يستعرض محتوى المعجمات التي تستهدف التبسيط، وترتب مداخها ألفبائيا حسب اللفظ المنطوق، يلحظ أن أحرف «الألف و التاء و الميم» وهي المزيدات الأوائلية، التي تلحق بالمشتقات و التصاريف تؤلف أكثر من ثلث مادة المعجم فيها، بينما لا تؤلف مادة هذه الأحرف في المعنى سوى 13/1 (جزء من ثلاثة عشرة) من المحتوى الكلي في المعاجم الأصولية، وهذه المقولة تُستند إلى دراسة مقارنة أجريناها على عشرة معاجم، خمسة منها نُطقيّة الترتيب، والخمسة الأخرى أصولية النهج... إن اعتماد الترتيب الألفبائي الأصولي مُطعمًا بألفبائية المنطوق المُشكّل، هو الحلّ الأمثل لقضية الترتيب في المعجمية المعاصرة" (19).
- 4- ويقول آخر بأن " الترتيب الجذري يحافظ على شمل الأسرة اللفظية، إذ يجمع المشتقات من جذر واحد في مادة واحدة وتحت مدخل واحد مما يبسر على القارئ فهم العلاقات الاشتقاقية والدلالية بين الأسرة ويسهل عليه حفظها واستذكارها... ويؤدي إلى الاقتصاد في حجم المعجم وذلك لعدم اضطرار المعجمي إلى إعادة كل لفظة مشتقة" (20).
- 5- ويؤخذ عليه رياض زكي القاسم وينتصر للمنهج الجذري كونه فيه "تضخيم لحجم باب الألف المهموزة وباب الميم، مع ما ينتج من تكرار لكثير من المواد في موضع زيادتها وموضع تجردها، كتكرار ، واستعلم وعلم، وانقسم وقسم، ومرمى ورمى، ومشهد شهد، ومجهر وجهر" (21).

● ملاحظات:

- 1- نلاحظ في القول الأول أن ساطع الحصري عدّ اللفظ في قلبه الكلي وحدةً مستقلة، فلا يمكن بحال من الأحوال أن نقيده بجذوره، بدون أن نُعطي سببا مقنعا موضوعيًا، يُقوّي مسانده.
- 2- نلاحظ من القول الثاني أن مقولة الفريق المساند للمنهج النطقي، وهم المحترفون في التدريس، يعتقدون أن التلميذ لا يستطيع أن يُلمّ بشتات المُشتقات، وهو في مرحلة تعليمية، بل ترقى إلى حد إدراك مثل هذه القواعد التصريفية.
- 3- نلاحظ من القول الثالث أن سليمان الأشقر أعطى تفصيلا للمزايا التي تعود باتباع المنهج النطقي، الذي يمكن كلّ طالب للمعجم أن يصل إلى مُرادِه، ليسره وسهولته، ووضع لا يكلف مرديه عناءً في الاستعداد اللغوي والمعرفي، بل حسبهم فقط أن يحفظوا التسلسل الترتيبي للحروف الهجائية، وأعطى سببا نخاله وجيها في بعض الجوانب، وهو أن العرب عندما سارعوا إلى جمع المادة والاجتهاد في ترتيبها على نحو يسير، كان مقصدهم تذليل العقبات التي تعترض من يبحث في المعاجم، و نحن علينا أن نُكْمِل عملهم لبلوغه إلى منتهاه، وهو في ترجيحه مُصيب، إذا كَشَطْنَا عنه بعض اللبس.
- 4- إن تصفحنا الفئة الثانية، وهي التي انتصرت للمنهج الجذري، بداية بمقولة العلايلي، الذي رأى من غير المعقول أن نقسم عصى اللغة العربية، وهي سنة استمرارية، لا يمكن بأيّ ذريعة، لكونها قائمة على علاقة اعتبارية، بدون أن يفصل أكثر موازنة مع الطرف الآخر.

5-المثال الخامس، الذي يقف في صفّ الجذرية للمدخل، نراه ينأى عن التبسيط الذي يتغايه المنهج النطقي، لأنه أكبر مَضْرَعة للعربية، فلم يرض صاحب القول به مهما كان السبب، فهذا ما أعطاه من حُجج، وكان عليه - فيما يبدو لي- أن يبين أكثر، ويقترح حلولاً ربما نستطيع من خلالها أن نسترفد من أقلهم شيوعاً، وندعمه بما هو متجذر أصالةً وأكثر استعمالاً.

6-أما أحمد شفيق الخطيب فكان أكثر علمية في دفاعه عن المنهج الجذري، إذ أعطى أرقاماً تخصّ التوزيع المفرداتي لكلا المنهجين، حيث رأى أنّ المنهج النطفي لثلاثة حروف، وهي الألف والميم والباء تشغل أكثر من الثلث في المعجم، أمّا مقابله في المنهج الجذري فهو أقلّ بكثير من سابقه، إذ كان الفرق بينهما 4/1 ، وهذا بناءً على دراسة عملية لعشرة معاجم، مقسمةً إنصافاً بين المنهجين، يعني أنّ المنهج الجذري يُقلّل من ضخامة المادة، بالاختصار قدر الإمكان، فما يكون في معجم مرتبٍ بالمنهج الجذري، يشغل مجلدات في المعجم المرتب بالترتيب النطقي، ليعطينا نتيجةً تحفظ للعربية خصوصية، وفي نفس الوقت تحفظ إيجابيات المنهج النطقي، ألا هي اتباع الالفبائي الجذرية، وإلحاقها بالالفبائية النطقية بالشكل، لكن من دون إيضاح أكثر للكيفية بصورية، وسانده في مذهبه رياض زكي القاسم.

7- نلاحظ أنّ علي قاسمي يرى مثلبة المنهج الجذري تكمن في كيفية ترتيب المعرب والدخيل وما جدّ من مصطلحات، ونقاسمه الرأي ونحتج بإشكالية ترتيب الوحدات المركبة والمعقدة والخلاف بشأنهما، فمنهم يرى أنّ: "أمر المعجزة البسيطة بسيط أمّا المعجزة المركبة، فإنّها ترتب حسب اللفظ الأساسي منها، من ذلك: بطنيات الأقدام رأسيات الأقدام تحت «قدم»، بقيت المعجمات المعقدة، وهي كثيراً ما تكون اعتبارية غير ثابتة من ذلك: حلقة دائرة...ولقد رُتبت مثل التركيب المزجي" (23) ، والأخر يذهب إلى أنّ اللفظ الذي توضع تحته التعبير ذو الوحدات المتعددة، إلى أربعة اتجاهات فتعبيرات مثل: الماء الثقيل، السوق السوداء، بيضة الديك، بقرة بني إسرائيل، قميص عثمان، كبد السماء-من تحت الكلمة الأولى، أو تحت أسبق الكلمتين في ترتيب المعجم، أو تحت أبرز الكلمتين أو تحت كلتا الكلمتين مع الربط بين الموقعين، وربما كان هذا الاتجاه الأخير أفضلها، لأنه أكثرها أطراداً وقابلية للالتزام دون البحث عن أبرز الكلمتين ودون الالتزام بوضع التعبير تحت الكلمة الأولى دون أن يكون لها بروز مميز" (24).

ولعل كلا رأيين ينسحب على تفضيل المنهج النطقي التي تساعد المتمدرس لتجاوز كثرة الإحالات الترابطية، التي تشتت ذهنه في البحث وتفتح له أبواب التساؤلات عن هذه العلاقات، فهي معقدة ونزيدها تعقيداً بالإحالات، وربما هي غير موجودة في المقرر الدراسي، أو لها نماذج قليلة، فحسبه منها أن يعرف مفهومها وهذا لا ينفي فائدة هذه الطريقة، فحبذا لو يُرجأ الأمر إلى موضع يُثبت فيه، وهذا في المراحل التالية، التي يكون فيها المتمدرس قد أسس المهمّ بمعرفة المضمون ترسيخاً، ثمّ ينتقل إلى معرفة علائق بينها تماشياً مع تطوّر منهاجه الدراسي.

نستنتج من هذه الملاحظات أنّ الفريق المساند للنطقية اتّجهت حججه في التسهيل، ورجح الوقت بدل من الانشغال وراء التّقيب على من هو الأصل ومن هو الفرع، وبدون حدود فاصلة تخصّ فئة دون فئة، بل تُستخدم توجيهها لكلّ المستويات ومختلف المراحل، في حين التّلة المُدافعة عن النهج الجذري تقيّد بالنظرية التّوقيفية، التي تُشدّد على أنّ بقاء العربية مع بقاء الاحتفاظ بأصول الكلمات كأساس محوري تدور حوله كلّ المشتقات، وإلاّ انقسم عرى العربية ونشئت لُحمتها.

فكلّ فريق أعطى حُججه سواء أكانت مقنعة أو غير مُقنعة، بقي لنا أن نأخذ واحداً منها للمعجم المدرسي العصري، فلاشكّ أنّ المنهج الجذري الأصل في العربية واستخدامه قد يكون فرض عين على أهل اللّغة، لكن اختيارنا سينحاز إلى المنهج الهجائي النّطقي لا محالة، لعدة أسباب هي:

1- إنّ الطّفل في مراحلهِ الأولى في التّعليم، لا يستطيع أن يتحكّم في الموازين الصّرفية والتّفرقة بينها، لأنّ المقرّر الدّراسي يقتصر على بعض القضايا الصّرفية التي تتمثّل في إسناد الأفعال إلى الضمائر، أو أسماء الفاعل أو المفعول، أو معرفة الأفعال المعتلة وبعض القضايا النّحوية البسيطة، فكيف للطّفل المتمدرس أن يرجع الأفعال المعقدة إلى أصولها.

2- سهولة التقاطه واستيعابه من قبل الطّفل المتمدرس، لأنّه لا يحتاج إلى مكنة ودُربة حتّى يضطلع عليه كما يتماشى ما إدراكه الوقيّة، وقد يكون هاضماً لحروف الهجاء التي تُستعمل في التّرتيب النّطقي.

3- قد نلجأ لحلّ علي قاسمي بوضع ملحق في المعجم -في أوله أو آخره- يكون ألفبائي يحيل كل مفردة إلى أصلها.

ثانيا- التّرتيب الدّاخلِي البنيوي:

"هو ترتيب المعلومات في المدخل الواحد، وهو قائم في المعاجم اللّغوية على ترتيب المُشتقات تحت الجذر الواحد أو المدخل بصورة منهجية منظمّة، وهو قائم في معاجم الاصطلاح على ترتيب المعاني والدلالات المُختلفة، بحيث يُساعد ذلك مُستعمل المعجم في الحصول على المعنى الذي يُريده، بسهولة ويُسر" (25) ، وهذا التّرتيب يعالج المعلومات وفق طريقتين:

1- "التّرتيب بالاشتراك:

مفاده ترتيب دلالات كثيرة تحت مدخل واحد، و بالأحرى شكل موحّد باعتبار كلّ المعاني المذكورة تعود إلى جذر معنوي مُشترك مهما تباعدت وتغيّرت، والتّرتيب بالاشتراك مُستمدّ من "مبدأ الاقتصاد في اللّغة التي تعبّر عن معانٍ لا تُحصى بأشكال محدودة، وتكون فيها الكلمة وحدة لغوية لها أصل دلالي ثابت لا يتغيّر مع الزّمن، وله مدلولات ثانوية تستخرج من الاستعمال بمعنى أنّ التّرتيب بالاشتراك يأتي بمعنى من معاني مُختلفة للجذر الذي يُعاد تكراره ربطاً بكلّ معنى على طرف، نحو:

"(جَرَى) الفرسُ ونحوه- جَرِيّاً: اندفع في السّير و-السّفينة و الشّمس والنّجوم: سارت، و- الماء ونحوه جَرِيّاً و جَرِياناً: اندفع في انحدارٍ و استواءٍ ومرّاً سريعاً" (26).

2-الترتيب بالتجنيس:

"فتعتبر [تُعدّ] الكلمة وحدة كلامية لها معانٍ مُختلفة مُستقلة، فيورد لكل معنى مدخلا مُستقلاً، ويهدف هذا النوع من الترتيب إلى غايات تربوية تاريخية حضارية، فضلاً عن أنه يُميّز بين المداخل البسيط والمركبة والمُعقدة، أي أنه يتدرّج في مراتب الاستعمال، مهما كانت أنواع المداخل؛ أسماء، أفعال، فهو يُخصّص مدخلا مُستقلاً، لكل معنى من البسيط إلى المُعقد، وذلك بتكرار نفس المدخل، كلما تغيّر معناه باعتبار أنّ وحدة الشكل تختلف عن وحدة السياق" (27) والترتيب بالتجنيس يُعاد تكرار النفس الجذر بمدخل مُستقلّ مع معناه، باعتبار الجذر له مدلولٌ في سياق لغوي، نأخذ مثال من المدونة ونبين كيفية إثباته؛ فدونك شكله:

(جَرَى): فعل لازم يُفيد الاندفاع والسُرعة والمشي.

أ-جرى الفرس جرياً: اندفع في السير.

ب-جرت السفينة والشمس والنجوم: سارت.

ج- جرى الماء يجري جرياً و جرياً

2-جرى (فعل متعدّد إلى مفعول واحد يُفيد تسهيل الماء)

أ-جرى الماء: أساله

ب-أجرى السفينة: سيرها.

3-جرى (فعل متعدّد بحرف يُفيد الاستمرار و الخفة)

أ-جرى إلى كذا: قصد و أسرع

ب-جرى له جرياً: دام (28).

نلاحظ أنّ الترتيب بالاشتراك يجمع كلّ المعاني حول أصل دلالي محوري بتسلسل من المعنى الأصلي ثم يلحق بالمعاني السياقية اتصالاً وهكذا إلى أن تُستنفد معلوماتها، موازاة مع الترتيب بالتجنيس الذي يفكك تلك التراكم، بطريقة تفصيلية، فيبدأ بذكر نوع الفعل من حيث اللزوم ومعناه العام الذي يفيد، ثم يأتي بالمعاني الأخرى في سياقات مختلفة في إطار اللزوم، وبعد ذلك إلى تعديده سواء بالألف أو بالحرف بنفس الطريقة الأولى، إذ نخاله أكثر تنظيمًا من قرينه، وخير دليل لتوضيح الفرق بينهما، يوضحه لنا رشاد الحمزاويفيعطينا لمحة عن موازنة بين هذين الترتيبين، من حيث الايجابية والسلبية، وفحواها مايلي:

أ-الترتيب بالاشتراك:

"1-إنّ الترتيب بالاشتراك يُخلط بين سياقات مختلفة في المستوى الدلالي والنحوي، ممّا لا يساعد المتعلّم على إدراك مختلف التراكيب والسياقات لاستخراج مختلف المعاني، وهذا الضعف تربوي، لا يليق بمعجمٍ يدعي أنه أداة تربوية.

2-أنّ الأصل الدلالي محوري موجود في كلّ السياقات دون أن يُكرّر، فهو لا يظهر بوضوح في المعاني الثانوية...

ب-الترتيب بالتجنيس: من مميزاته مايلي:

1-التدرج من سياق بسيط عناصره قليلة، إلى سياق مُعقد عناصره كثيرة.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

2- استخراج مختلف المترادفات، باعتبارها المعاني العامة، وباعتبار صلاتها بمحيطها الدلالي والنحوي.

3- الوضوح التربوي الذي يُيسر على المتعلم إدراك نظام اللغة، ومعاييره المختلفة⁽²⁹⁾ نستنتج من خلال هذا أن الترتيب بالتجنيس أوضح وأكثر وقعا في نفس المتعلم في مختلف الأطوار، حيث يفضّل التداخل في مضمون معلومات المداخل بتنظيم تسلسلها المعنوي، وفق مبدأ إعادة نفس صيغتها مع ما يُجاورها بالمعنى التي تدلّ عليه، وهذا ينطبق على المنهجين؛ الجذري والنطقي، إذ الأخير مبني على استقلالية الوحدات المعجمية برمتها، حيث نجد المدخل سواء أكان أصلا أو مزيدا يتمفصل إلى معاني ثانوية، يكون هو مُنطلق تحديدها كطرف في السياق، والأمر الثاني الذي يضاف إلى الترتيب الداخلي، وله علاقة بالمنهج الهجائي النطقي والجذري يتصل بالمعنى مايلي:

ثالثا- الترتيب الداخلي الدلالي:

يمكن أن نلخصه جملة في العناصر الآتية:

1- "تقديم الأقرب فالأقرب: ينطبق هذا الأساس في العربية، على تقديم المعنى الحسيّ باعتباره واقعا تحت الحسّ المباشر، وتأخير الألفاظ الدالة على معاني عقلية مجردة، وينطبق هذا أيضا على تقديم المعاني الحقيقية على المجازية، وخاصة تلك التي تحتاج إلى التفسير والتوضيح.

2- تقديم العموم على الخصوص، فلا يُعقل أن تُقدّم النظرية النسبية على كلمة النسبية. نتائج: حاولنا في هذا البحث أن نتناول قضية الترتيب في المعجم المدرسي ونبين عن أنواعه، فصل في تنازع الدارسين في تحديد المناسب في الإثبات والأنجع، والراجح في العناصر الآتية:

1- تغيير الرؤية المعجمية العصرية إلى صناعة مرحلية موجهة إلى المتمدرسين أدى إلى تنازع الأقوال في اختيار الترتيب المعجمي لتحقيق الغرض التربوي، خاصة بين المنهج النطقي والجذري، وعسى أن يُبدأ بالمنهج النطقي تمهيدا ثم استعمال المنهج الجذري، في حين الترتيب الداخلي يتزاحم منهجا في أي صناعة مرحلية في الشق اللفظي بنيوي المشتقات، أما المعنوي فيشمل دلالة المشتقات.

2- اجتهاد البعض (علي قاسمي وغيره من الباحثين) في إيجاد حل توافقي، بين المنهج الجذري والنطقي

في المعجم المدرسي العصري له مغزى تربوي تعليمي، وذلك بوضع كشاف أو ملحقاًلفبائي يحيل كل مفردة إلى أصلها.

3- أحقيّة الترتيب بالتجنيس وتنبهه في فصول الوحدات المعجمية لكن دون إصراف، باختيار التي لها

أحقية من المفردات والباقي نبقية مع الترتيب بالاشتراك، لأنّ " كما يقول عبد القادر الفاسي الفهري المعجم يُفضّل ويكون مقبولا عندما يتضمّن أقلّ قدر من المعلومات، ومزيته تكمن في سهولة التّعلم خلال وقت محدود واختزال الجهد"⁽²⁹⁾ ، وبذلك نتحاشى الضخامة ونبتعد عن المحظور.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

هوامش الدراسة :

- 1 - محمد القطيبي، أسس الصياغة المعجمية في كشف اصطلاحات الفنون، دار جريز للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1431هـ-2010م، ص64.
- 2 - ينظر ابن حويلي الأخضر الميداني، المعجمية العربية المعاصرة، دار هومة، الجزائر 2010م ص151.
- 3 - علي قاسمي، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، ط1، 2003م، ص45.
- 4 - محمد القطيبي، أسس الصياغة المعجمية في كشف اصطلاحات الفنون، ص165.
- 5 - المرجع نفسه، ص165.
- 6 - المرجع نفسه، ص154.
- 6 - أحمد محمد معتوق، الحصيلة اللغوية، (أهميتها-مصادرها-وسائل تنميتها)، عالم المعرفة، الكويت، 1996م، ص206.
- 7 - ينظر: ابن حويلي الأخضر الميداني، المعجمية العربية، ص158.
- 8 - الفهرسة الهجائية والترتيب المعجمي، ابن حويلي الأخضر الميداني، دار البحوث العلمية، الكويت، ط1، 1394هـ-1972م، ص55.
- 9 - ينظر: سمير شريف استيتة، اللسانيات (المجال، والوظيفة، والمنهج)، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 1425هـ-2005م، ص330.
- 10 - أحمد محمد معتوق، الحصيلة اللغوية (أهميتها-مصادرها-وسائل تنميتها)، ص208.
- 11 - ينظر: ابن حويلي الأخضر الميداني، المعجمية العربية، ص157.
- 12 - نقلا عن المرجع نفسه، ص157.
- 13 - سليمان الأشقر، الفهرسة والترتيب المعجمي، ص55.
- 14 - الجمعية المعجمية بتونس (دار الغرب الإسلامي، في المعجمية العربية المعاصرة، وقائع الندوة المنوية) أحمد فارس الشدياق، وبطرس بستاني، و رينخارتدوزي)، بيروت-لبنان، ط1، 1407هـ-1987م، ص630).
- 15 - علي قاسمي، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، ص66.
- 16 - عبد الله العلايلي، المرجع، المقدمة
- 17 - في المعجمية العربية المعاصرة، وقائع الندوة المنوية بتونس، ص630.
- 18 - المرجع نفسه، ص32-35.
- 19 - علي قاسمي، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، ص66.
- 20 - رياض زكي قاسم، المعجم العربي (بحوث في المادة والمنهج والتطبيق)، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط1، 1407هـ-1987م، ص125.
- 21- محمد رشاد الحمزاوي، من قضايا المعجم (قديمًا وحديثًا) دار الغرب الإسلامي ط1، 1986م، ص116.
- 22 - أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2009م، ص95.
- 23 - يُنظر: محمد القطيبي، أسس الصناعة المعجمية في كشف اصطلاحات الفنون، ص112.
- 24 - مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوجيز، الطبعة الألفية، القاهرة، مادة (جری).
- 25 - المرجع نفسه، ص183-184.
- 26 - هذه الطريقة نسجتها علي منوال رشاد الحمزاوي، التي أعطاها اقتراحا مقابل الترتيب بالاشتراك الموجود في «المعجم الوسيط».
- 27 - ينظر: محمد رشاد الحمزاوي، من قضايا المعجم العربي (قديمًا وحديثًا)، ص163-164.
- 28 - ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال للنشر، دار البيضاء-المغرب، ط1، 1986م، ص369.

"صور من شعر الحرب خلال عهد الموحدين"
- مقارنة وصفية -

Samples of war poetry during the Almoravids era
Descriptive approach

الطالب: طه شقرون
المشرف: أ.د محمد مرتاض
جامعة تلمسان

الملخص:

يتحدث هذا المقال عن موضوع من الموضوعات الشعرية التي شاعت خلال عهد الموحدين ألا وهو شعر الحرب. لقد اتسم هذا العصر بكثرة المعارك والحروب على الصعيد الداخلي والخارجي، ولما كان الشعر يمثل صورة أمة من الأمم باعتباره من أهم جوانب ثقافتها التي تشكل هويتها، فقد واكب هذه الحروب والمعارك، وسجل الوقائع والغزوات، فأصبح شكل الشعر -بالإضافة إلى المصادر التاريخية- وثيقة مهمة تفيد الدارسين في تاريخ بلاد المغرب الإسلامي، إذ نجد الشعراء الموحدون قد تطرقوا إلى جوانب عديدة تخص موضوع الحرب والصراع الدائر بين الموحدين وأعدائهم بدءا باستنفار القبائل العربية واستلهاهم التراث لبث الحماسة في الجنود إلى وصف المعارك والأسلحة التي استعملت فيها، فمن خلال بعض النماذج المذكورة ندرك القيمة التاريخية لهذا النوع من الشعر باعتباره صورة عاكسة للبيئة العسكرية خلال هذه الفترة.

الكلمات المفتاحية: شعر / حرب/ الموحدون/ وصف/ سلاح

Abstract:

This article is about a famous poetry topic during the Almoravids era and which is "the war poetry". This era was characterized by the numerous battles and wars on the interior and exterior levels, since poetry represented a part of a nation as an important component of its culture which formalized its identity; it accompanied these wars and battles, and registered the combats and the invasions- this kind of poetry has become in addition to the historical sources- an important document which benefits the researchers in the field of the history of Islamic Maghreb. We find that the Almoravids poets dealt with several topics related to war and conflict between the Almoravids and their enemies starting with putting on the alert the Arab tribes and using the tradition to encourage the soldiers, to describing the battles and the arms used. Through some mentioned samples we recognize the historical value of this kind of poetry, since it is considered as a reflection of the military environment at era.

Key- words

Poetry- war- Almoravids-description-weapon

المقال :

تميز الأدب العربي في بلاد المغرب الإسلامي بطابعه الخاص فبالإضافة إلى إيقاعه المؤثر في نفوسنا فهو أدب يمثل الامتداد الطبيعي للحضارة العربية الإسلامية، والأدب في هذه البيئة قد خاض تجارب كثيرة تعبر عن حياة العرب المسلمين من خلال ما تميزوا به من خوضهم للعديد من المعارك والفتوحات، ولما كان الشعر يمثل صورة أمة من الأمم باعتبارها من أهم جوانب ثقافتها التي تشكل هويتها ارتأيت أن يكون موضوع مداخلتي حول شعر الحرب في العصر الموحي من خلال التطرق لبعض صورته وأشكاله.

لقد اتسم عصر الموحدين بكثرة المعارك والحروب على الصعيدين الداخلي والخارجي فمنذ أن أعلن "محمد بن تومرت" دعوته بدأ يعد العدة لتقويض دعائم حكم المرابطين فكّون الأنصار والأتباع ودرّبهم على السلاح. وبعد وفاته، تسلم خليفته "عبد المؤمن بن علي" الراية واستطاع القضاء على الحكم المرابطي وتثبيت أركان الدولة الموحدية في المغرب الأقصى. ولما استتب لها الأمر هناك، انطلقت الجيوش الموحدية نحو الشرق والأندلس لتوسيع رقعة الدولة، فخاضت الحروب العنيفة على جميع الجبهات، وكانت لها أيام وعليها أخرى.

وواكب الشعر هذه الحروب والمعارك، وسجل الوقائع والغزوات والحروب فأصبح شكل الشعر -بالإضافة إلى المصادر التاريخية- وثيقة مهمة تفيد الدارسين في تاريخ بلاد المغرب الإسلامي .

فكيف نظر الشعراء الموحدون إلى هذا الصراع؟

كان الصراع بين الموحدين والإسبان في الأندلس صراعا بين عقيدتين : الإسلام والنصرانية(1)، فلم يقف الشعراء الموحدون مكتوفي الأيدي ، بل واكبوا الصراع الجاري وتأثروا به وصدّروا في شعرهم عن مفهوم إسلامي شامل، من ذلك ما قاله عبد المؤمن بن علي في انتصار الجيوش الموحدية على النورمان في المهدية سنة (555هـ/1160م) (2):

وأشرقت الشمس المنيرة فوقنا * وأصبح وجه الحق غير مُحجَّب**

وطَهَّرَ هذا الصُّقع من كل كافر ** وعاد به الإسلام بعد تقلب

وكُسِّرَتِ الصُّلبان في كل بيعة ** ونادى مُنادي الحق في كل مرَقَب(3)

فالشاعر قرن انتصار المسلمين بشعائر دينهم " ونادى منادي الحق في كل مرقب" كما ربط انتصار النصارى بطقوس عبادتهم" وكسرت الصلبان في كل بيعة" ، واستخدم للتعبير عن فكرته ألفاظا مرتبطة بعقيدة الطرفين مثل : الحق، كافر، الإسلام، الصلبان . كما شاع في شعر الحرب استعمال الشعراء لمصطلحات توضح فهمهم الإسلامي لهذا الصراع، فقد أطلقوا على جيش المسلمين اسم "حزب الله" مستوحين هذه التسمية من القرآن الكريم (4)، فمن هذا قول أبي العباس الجراوي(5) :

رَأَوْا لحزب الإله صبرا * والموت حَقَّتْ به الجهات**

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

وجيش المسلمين هو جيش الحق، بينما جيش الأعداء هو جيش الضلال، يقول أبو الربيع(6):

جيش الضلال بجيش الحق مهزوم *فنفذ العزم إن الفتح محتوم**

وجنود المسلمين هم جنود الله، يمدهم بجنود من الملائكة لتحقيق النصر:

من ذا يرد جيوش الله يقدمها * - حيث انتحيت بها- للنصر خيزوم(7)**

فالصراع مع الفرنجة إذاً صراع بين الإسلام والنصرانية، وقد وعى الشعراء هذا الأمر، فعبّروا عنه بشعرهم تعبيراً واضحاً، واستعانوا بالقرآن الكريم ومفاهيمه للتعبير عن هذا.

ومما يتصل بهذا الأمر حديث الشعراء عن عقيدة أعدائهم، إذ كان الصراع بين الموحدين والإسبان صراعاً عقدياً، فلا عجب أن نجد الشعراء الموحدين يلحون في أشعارهم على الحديث عن عقيدة أعدائهم، منطلقين من نظرة إسلامية لهذا الصراع، فالإسبان مشركون عند أبي الربيع(8):

وكأما آلت عليك أليّة * ألا ترى بك في البسيطة مشركاً***

وهم كفار عند عبد المؤمن(9):

ولا بدّ من يوم أغرّ محجّل * يسيل دماء الكفر في كل مدنب**

ويرى فيهم الجراوي أهل ضلالة في قوله(10):

ألقي على أهل الظلالة كأكلاً * فلهم عويل تحته وأنين ****

وكثيراً ما يذكر الشعراء تكسير الصليبان إشارة إلى انتصار المسلمين، كقول عبد الواحد المراكشي(11):

يذر الصليب صغيره وكبيره * فيها جُذاداً والعلوجُ جُثوم .**

ومن صور شعر الحرب في عهد الموحدين إلحاح الشعراء على استثارة المشاعر الإسلامية لدى القبائل العربية القاطنة بإفريقية، إذ قام الشعراء بتبصير هذه القبائل بالخطر الذي يهدد الإسلام في الأندلس، وحثوها على الانبراء للدفاع عنه مذكّرين بما قام به أجدادهم في نصرة الإسلام أول مرة.

ومن هذه القصائد دعوة الشاعر الجراوي أبناء قبيلة "بني عامر" إلى الالتحاق بالجيوش الموحدية المجاهدة وهو في ذلك يستمر في استنهاض هذه القبيلة فيصف أبناءها بالعزم والتصميم ورجاحة العقل(12):

بني عامر أنتم صميمٌ فصتمموا * إلى الموت، تصميم الليوث الخوادر**

ولا تتوانوا في حظوظ نفوسكم * فإنكم أهل النهى والبصائر**

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

ومن هذه القصائد في هذا الغرض كذلك قصيدة ابن طفيل التي نظمها بأمر يوسف بن عبد المؤمن ومطلعها(13):

أقيموا صدور الخيل نحو المغرب * لغزو الأعداي واقتناء الرّغائب**
وقصيدة ابن سهل الأندلسي(14) ومطلعها :

وردا فمضمونٌ نجاح المصدر * هي عزة الدنيا وفوز المحشر**
وقد استجاب أبناء القبائل العربية للدعوات الموحدية المتتالية للالتحاق بالجيوش الإسلامية المجاهدة في الأندلس ، وأبلوا في الحرب بلاء حسنا.
إن إلهام الشعراء في استنفار القبائل العربية كان على أساس استثارة المشاعر الدينية لكون سواد الشعب المغربي كان من البربر المسلمين، كما أن المجتمع الأندلسي كان يتألف من عناصر مختلفة.
لذلك فإن النزعة الدينية تبقى أهم النزعات التي توجه اهتمام الشعراء إليها لكونها تؤلف بين مختلف عناصر المسلمين.

استلهام التراث:

إنّ المتأمل في شعر الحرب خلال عهد الموحدين، يلفت نظره ظاهرة تتكرر في هذا الشعر، وهي الالتفات إلى التاريخ الإسلامي المشرق، واستلهام بعض صفحاته وربطها ببعض الوقائع والشخصيات الإسلامية في عهد الموحدين، فقد أوحى انتصار الموحدين في معركة "الأرك"-مثلا- إلى أبي العباس الجراوي بانتصار المسلمين يوم بدر(15):
لقد أورد الأذُنش شيعته الرّدى * وساقهم جهلا إلى البطشة الكبرى**
حكي فعل إبليس بأصحابه الألى * تيرا منهم حين أوردهم بدرا**

كما نجد الشاعر عبد الواحد المراكشي يقرن شخصية ممدوحه إبراهيم بن أبي يوسف في رعايته للعلم والعلماء بشخصية الخليفة الموحي المنصور، فيقول:(16)

أحييت المنصور فهو كأنه * لم تفتقه معالم وعلوم**
ومحابر ومنابر ومحارب * وحمى يحاط وأرمل ويتيم**

والشعراء في صنيعهم هذا يكسبون قصائد هالة إسلامية وضاءة، قادرة على استثارة إحياءات فكرية وعاطفية في نفوس المسلمين جميعا، والمقاتلين منهم خاصّة.

وصف السلاح :

ومن صور شعر الحرب كذلك في عهد الموحدين حديث الشعراء عن الأسلحة التي كانت الجيوش الموحدية تستعملها في معاركها، فالأسلحة التي تردد صداها في الشعر أسلحة تقليدية في أغلبها: كالسيف والرمح والسهم والخيل، فقد كثر وصف السيف كثرة مفرطة، وليس هذا غريبا فهو السلاح الأكثر استعمالا، وهو الذي يحدد بطولة الفارس في أرض المعركة. فالسيف الموصوف إما أن يكون من سيوف الهند القاطعة المعروفة بجودتها، كما يقول الجراوي(17):

رَدّت حمى الفُنش مستباحا * بيض من الهند مرهفات**

أو من السيوف المشرفية الشهيرة (18):
أُغليت دين الواحد القهار *** بالمشرفية والقنا الخطار
أو هو ينتمي إلى سيوف اليمن عند أبي حفص بن عمر (19) :
أخوان إما حكمة أو مرهف *** هذي يمانية وذاك يمانى
وكثيرا ما يستعمل الشعراء أسماء أخرى للسيف، كالحسام عند أبي الربيع: (20)
وتخاصمت مُهَج النفوس بها إلى *** حدّ الحسام فلم تُشْر إلا بكَا
كما ذكر بعض الشعراء الخيل ولمحوا إليها دون تدقيق، من مثل قول الجراوي حين
يشبهها بأمواج البحر التي تغرق جموع الأعداء (21):
وَعَرَّقت جمعهم بحار *** أمواجه الخيل والكماة
وقد يتحدث الشعراء عن جريها في المعركة، كقول أبي الربيع (22):
لله جأشك والصّوارم تنتضى *** والخيل تردي والأسنة تشرع
وكثيرا ما يقرن الشعراء بين سلاحين أو أكثر في بيت واحد، فمن ذلك جمع الشاعر بين
السيف والرمح، وهما عماد التسليح للجيش آنذاك، لذلك كثر الجمع بينهما كقول أبي
حفص بن عمر: (23)
أطاعتك الذوابل والشّفار *** ولبى أمرك الفلك المدار
وقد يجمع الشاعر بين الخيل والسفن ليدلنا على اشتراك القوات البرية والبحرية ، كقول
الجراوي(24):
فشكرا لخيّل وفلك دنّت *** بمستأصل الظلم ماحي الظُّم
ويصف الشعراء أثر السلاح في الأعداء ، فسيف الممدوح عند أبي الربيع متلف الأنفس
:
ولم أر مثل السيف متلف أنفس *** وإن كان في بعض المواطن شافيا
لقد ألمّ الشعراء المغاربة في عهد الموحدين بوصف السلاح الذي جاء في أثناء القصيدة
المدحية ، فجاء حديثهم مقتضبا فيه الكثير من العمومية .
وصف المعارك :
إن ما وصل إلينا من شعر الحرب عموما جاء في أثناء قصيدة المدح، وفي معرض
تصوير مظاهر قوة الممدوح، إذ كان الشعراء يصفون أنواع السلاح من خيل، وسيوف،
ورماح وقلاع، وسفن وغيرها
فإذا ما بحثنا عن وصف المعارك والحروب ألفينا ذلك أمرا نادرا في أشعارهم على كثرة
المعارك والحروب التي خاضها الموحدون(25)، وقد يعود ذلك إلى أنّ كثيرا من الشعراء
المغاربة كانوا يصفون تلك المعارك على السماع، ولم يكونوا يخوضون المعارك مع
الجيش المحاربة .
ومن النصوص النادرة: مقطوعة للشاعر أبي حفص بن عمر من بيتين، يصور فيهما
التحاما بين الأبطال في ساحة المعركة، ولا يفصح فيهما عن هوية المتقاتلين، ولكن
الطرافة في الصورة هي جعل الرائي يظن أنّ هؤلاء الأبطال إخوة يتعانقون بحرارة بعد
غياب، ولا يخطر في باله أن يكون هذا العناق من شدة البغض، يقول الشاعر: (26)

يتعانقون إذا لقوا أعداءهم *** يوم الكفاح تعانق الإخوان
ها إنما ذاك التعانق بينهم *** من شد البغضاء والشنآن

وفي المقابل فإنّ الشعر الأندلسي في هذا العهد حافل بتصوير المعارك، وقد خلف لنا الشعراء الأندلسيون لوحات رائعة في وصف المعارك البرية والبحرية والسبب هو معايشة هؤلاء الشعراء لأحداث الصراع، ومشاركة بعضهم في المعارك وهذا ما يجعل وصفهم لها يتسم بالواقعية والحيوية.

لقد وعى الشعراء طبيعة الصراع بين الموحدين وأعدائهم فلم يقفوا بشعرهم عند نقل أنباء المعارك وسردها فحسب، بل تعدوا إلى اتخاذ مواقف في شعرهم من هذا الصراع، ومن هذه المواقف الحث على الوقوف في وجه المد الفرنجي الذي يتهدد الوجود الإسلامي بالأندلس وبث روح الجهاد بين الجموع الإسلامية لإنقاذ حواضرها من خطر الأعداء. فهذا أبو الربيع الموحد يثق ثقة مطلقة بانتصار جيوش المسلمين، لذا يطلب من الخليفة المنصور أن ينفذ عزمه على جهاد الأعداء بقوله(27):

جيش الظلال بجيش الحق مهزوم *** فنفذ العزم إن الفتح محتوم
وجس بعسرك المنصور محتكما *** أرض العدا فالذي وددت معلوم
جيش تصدى لدين الله ينصره *** من يحرم الغزو فيه فهو محروم

ومن الأساليب التي لجأ إليها الشعراء الموحدون في حروب الأندلس: أسلوب الحرب النفسية التي أيقنوا بجدواها في رفع معنويات المسلمين ودعم الجبهة الداخلية، فأكثرُوا من الحديث عن قوة جيوش المسلمين، وضخمو الانتصارات الموحدية، وفي المقابل هؤلوا هزائم الأعداء وبالغوا في تضخيمها، وأزروا بقيادات العدو فوصفوها بالجبن والنكوص في المعارك، والجهل بأساليب القتال وخطئه؛ لخلق حالة من عدم الثقة بها، وصنعوا الصنيع نفسه في وصف الجيش الاسباني.

فهذا أبو الربيع الموحد يدعوا الأعداء الإسراع في طلب الأمان من السلطان، بعد أن دمر بلادهم فأضحت خرابا؛ لأنه قادر على الصفع، وقادر على العقاب(28):

هذي ديار العدا يباب *** تعوي بأرجائها الذئباب
أجلى من الخوف ساكنوها *** فعمها النهب والخراب
فقل لأهل الصليب حقًا *** إنهم خسروا وخابوا
فليطلبوا الأمان من إمام *** في كفّه الصفع والعقاب

ونخلص إلى أن الحروب التي خاضها الموحدون قد نالت اهتماما كبيرا من قبل الشعراء؛ إذ حاولوا أن يواكبوها، ويصوروها في أشعارهم فلم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا ذكروها، فكان هذا النوع من الشعر يمثل صورة حقيقية وسجلا تاريخيا يحكي بطولات وأمجاد الجيوش الموحدية .

هوامش الدراسة :

- 1- انظر تفصيل ذلك في أطروحة جمعة شيخة "الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي"، رسالة دكتوراه بكلية الآداب، جامعة تونس، 1982. قسم الحروب 397-483.
- 2- ابن عذاري البيان المغرب في اختصار أخبار الأندلس والمغرب، تح: محمد ابراهيم الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985م. ص:64،
- 3- البيعة :كنيسة النصارى ومحل عبادتهم.
- 4- المائدة ،ص:56.
- 5- ديوان الجراوي ، صنعة علي إبراهيم كردي، دمشق، دار سعد الدين، 1994، ص:56.
- 6- ديوان أبي الربيع، تح: سامي الدهان، دار المعارف، القاهرة، 1970 ص:32
- 7- حيزوم: فرس جبريل عليه السلام
- 8- ديوان أبي الربيع:ص:29.
- *ألت ألية :أقسمت يميننا
- 9- ابن عذاري ، البيان المغرب،ص:65.
- 10-ديوان الجراوي،ص:167
- **الككل : الصدر
- 11- المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب تح: محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة القاهرة، 1949م،ص:309.
- 12- شعر الجهاد في عصر الموحدين، مكتبة الأقصى، عمان، 1984م، ص:71.
- 13- ابن صاحب الصلاة :المن بالامامة، تح: عبد الهادي التازي، بغداد، 1979م، ص:437
- 14- ديوان ابن سهل، تح: محمود قبة، مطبوعات الجامعة التونسية، تونس، 1985م، ص:57.
- 15- ديوان الجراوي، ص:91.
- 16- المراكشي:المعجب، ص: 309
- 17- ديوان الجراوي،ص:50.
- 18- ديوان الجراوي، ص:86.
- 19- صفوان بن ادريس: زاد المسافر وغرّة محيا الأدب السافر، تح: عبد القادر محداد، دار الرائد العربي، بيروت، 1980م، ص:143.
- 20- ديوان الجراوي، ص:51
- 21- المصدر نفسه ،ص:130
- 22- ديوان أبي الربيع ، ص: 21
- 23- ابن سعيد : الغصون اليانعة في محاسن شعراء المنة السابعة، تح: إبراهيم الأبياري، دار المعارف، القاهرة، م 1967 ، ص: 96.
- 24- ديوان الجراوي ،ص:154.
- 25- أطروحة جمعة شيخة، الفتن والحروب، قسم الحروب والمعارك،ص: 397
- 26- صفوان بن ادريس: زاد المسافر، ص:144
- 27-ديوان أبي الربيع ،ص:32.
- 28- المصدر نفسه، ص:35-36.

المنحى الاجتماعى للكتاب المدرسى

-الطور الأول أنموذجا-

إعداد الطالبة: بورقيعة سليمة

جامعة تلمسان

إشراف الدكتور: حمزة شريف علي

الملخص باللغة العربية :

نظرا للدور الهام الذي كان و لا يزال يلعبه الكتاب المدرسي في نقل القيم الاجتماعية والمعارف و المهارات اللازمة لأحداث التغيير لدى المتعلم و مساعدته على الاندماج الاجتماعى و بناء شخصيته ، فقد اعتبر من الأدوات الديدانكتيكية الهامة للمدرسة في تصديق المنهاج التربوي كونه الوعاء الكامل للمادة العلمية و يتضمن الوحدات التعليمية المقترحة في المنهاج لبناء الكفاءات ، فهو المرشد بالنسبة للمعلم و المرجع الموثوق بالنسبة للمتعلم .

الكلمات المفتاحية: المنحى الاجتماعى،الكتاب المدرسى،الطور الأول.

الملخص بالانجليزية:

Given the important role played by the textbook in the transfer of social values and knowledge necessary to bring about change in the learner and help him to social integration. It was considered an important pedagogical tool for the school in the conduct of the educational curriculum is the guide for the teacher and the authoritative reference for the learner.

Key word: Social- book-educational.

مقدمة :

تشكل المنظومة التربوية بصفة عامة ، و الكتاب المدرسي بصفة خاصة أحد أهم و سائل التنشئة الاجتماعية و التربوية و التعليم ، إذ بهدف إلى ترسيخ الأبعاد الاجتماعية للمجتمع فيشكل بذلك مجالاً لإنتاج القيم الأخلاقية و الممارسات الفردية و الجماعية ذات بعد قيمي يساعد على بلورة سلوكيات أخلاقية تصب في الحياة الاجتماعية . فالكتاب المدرسي بعد من أكثر الوسائل التعليمية فاعلية و كفاءة في مساعدة المدرس و الطالب على أداء مهامها في المدرسة ، و دليل أساسي لمحتوى برامج و طرق التدريس و تقويم العملية التربوية ، و هو الصور التنفيذية للمنهج يهدف إلى تحقيق أهداف للمناهج الدينية و الوطنية و الاجتماعية و السلوكية ، فيعمل منه التلاميذ قدراً مميّزاً من ثقافة مجتمعهم و أمتهم و يزودهم بألوان الثقافات الأخرى.

أولاً: تعريف الكتاب المدرسي :

لغة: الكتاب هو كل ما يكتب فيه من الفعل كتب يكتب كتاباً و كتباً جمعه كتب ما جاء في قوله تعالى: " ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ " و الكتاب هو التوراة و الإنجيل ، و القدر و الأجل و قوله تعالى: " لكل أجل كتاب " و من قوله صلى الله عليه وسلم: "لأقضى بينكما بكتاب الله " و أم الكتاب هي الفاتحة و أهل الكتاب هم اليهود و النصارى (1).

اصطلاحاً :

يعد الكتاب من أهم عناصر العملية التعليمية و أكثر الوسائل استخداماً في المدارس يفسر محتويات المادة الدراسية و طرق تدريسها . و يتضمن المعلومات و الأفكار و المفاهيم الأساسية في معدل معين (2)

يعرف الكتاب المدرسي أيضاً على أنه الجانب التطبيقي للمحتوى التعليمي يرشد المعلم إلى الطريقة التي يستطيع بها إنجاز أهداف المناهج التربوية ، و بالنسبة للتلميذ ، يعتبر مرجعه الأساسي لإثراء معارفه و خبراته ، يستند عليه في عملية المذاكرة و الامتحان ، باعتباره سجلاً مطبوعاً و ليس قولاً مسموعاً .

كما أن هناك من يعرف الكتاب المدرسي ، استثناءً إلى أهمية محتوى على أنه: "ركيزة أساسية للمدرس في العملية التعليمية يفسر الخطوط العريضة للمادة الدراسية طرق تدريسها ، كما يتضمن المعلومات و الأفكار و المفاهيم الأساسية في مقدر معين ، إلى جانب القيم و المهارات و الاتجاهات الهامة المراد توصيلها إلى جميع التلاميذ (3) عرفه (الكتاب المدرسي) روبين ديكرات على أنه يشمل كلا أو جزء من المنهج الدراسي.

و عبد الحافظ سلامة على أنه وسيلة متوافرة لكل تلميذ ما بشكل جيد خاصة الكتب الحديثة للمرحلة الابتدائية التي تحتوي على الصور الملونة ذات دلالة على موضوع الدرس و قد عرفه الباحث " روجز " بأنه أداة مطبوعة بكيفية مندرجة في سيرورة تعلم من أجل تحسين فعالية تلك السيرورة و من ثمة يكون له مفاهيم عديدة

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

باعتباره مؤلف تعليمي تعرض فيه عناصر منظمة لمادة علمية معطاة كتابيا مناسبة لوضعية بيداغوجية محددة يستوعبها المتعلم.

و بالتالي يشكل الكتاب المدرسي أداة مهمة في تحقيق الغايات و الأهداف التربوية ، فهو ليس مجرد مجموعة من الورق مطبوع عليها متضمنة رموز و حروف و أشكال متناسقة بل أداة وظيفية تعمل على تنمية شخصية التلميذ و غرس ثقافة مجتمعه.

و حسب ما جاء في تعريف "أحمد أنور عمر 1980" أن الكتاب المدرسي نوع خاص من الكتب ذو خصائص مميزة ، تعرضت من خلاله منظمة مادة مختارة في موضوع معين ، صبغت في شكل نصوص مكتوبة بحيث ترضى في موقفا بعينه في عمليات التعليم و التعلم و يؤلف طبقا المنهج دراسي قررته وزارة التربية و التعليم يتمشى مع أي مرحلة من مراحل التعليم العام سواء كان مقدرًا من الوزارة أم غير مقدر و كل كتاب يشتمل على جزء أساسي من منهج دراسي يعالجه على مستوى تلاميذ الصف المقرر عليه⁽⁴⁾ و الكتاب المدرسي يمثل الجانب التطبيقي للمنهج ووسيلة لا يمكن الاستغناء عنها بالنسبة للتلميذ و المعلم على حد سواء.

ثانيا :الكتاب المدرسي الجزائري :

يعد الكتاب المدرسي الجزائري من الوثائق التعليمية المطبوعة التي تجسد البرنامج الرسمي لوزارة التربية الوطنية ونقل المعارف للمتعلمين وإكسابهم بعض المهارات و مساعدة كل من المعلم على تفعيل عملية التعلم⁽⁵⁾ فالكتاب المدرسي الجزائري في عمومه من النوع المغلق أي كتاب يركز على المحتوى و تقديره بطريقة منظمة.....المتعلم في تنمية مهاراته و بنائه عكس الكتاب المفتوح الذي يقوم على أساس اكتشاف المعارف من خلال أنشطة تبرز فيها فترات المتعلم الشخصية ومهاراته الفكرية⁽⁶⁾.

ثانيا : شروط الكتاب المدرسي :

في العملية التربوية التعليمية ينبغي أن تتوافر فيه جملة من الشروط و المعايير تكمن فيها مايلي :

- ❖ أن يكون مساهما في تربية التلميذ و تعليمه .
- ❖ أن يساعد التلميذ على فهم العالم و إعداده للحياة.
- ❖ أن تكون لغة الكتاب ملائمة لمستوى التلاميذ .
- ❖ أن تكون المادة العلمية المقدمة للتلميذ واضحة بالشرح و الأدلة و لها علاقة بالحياة الاجتماعية.
- ❖ أن يكون الكتاب المدرسي مدعما بالأدلة التوضيحية (الصور ، الخرائط ، الصور البيانية.....).
- ❖ أن يحترم المعايير المنصوص عليها (الحجم ، نوعية الورق حجم الخط و الكتابة ، الخلو من الأخطاء المطبعية ، جمال الألوان)⁽⁷⁾.

ثالثا :أسس الكتاب المدرسي :

أ-الأساس الاجتماعي و الثقافي :باعتبار أن الكتاب المدرسي مرآة عاكسة لطبيعة المجتمع و قيمه و ثقافته و جب أن يكون له الطابع الاجتماعي و الثقافي و يخدم الاتجاهات و القيم المجتمعية مع ربط محتوى الكتاب بثقافة المجتمع و ما تشمله من لغة و دين و عادات ... الخ

و بالتالي تتحول وظيفة الكتاب من كونه مجرد رموز و أفكار و نصوص و ألفاظ و لغة إلى دور إيجابي يساعد في تنمية الشخصية الوطنية و الفردية و الثقافية و من هذا المنطلق و جب أن تراعي في وضع الكتاب المدرسي ، اعتبارات ففي الأساس الثقافي مثلا :

❖ ينبغي أن يكون للكتاب المدرسي صنعة اجتماعية تخدم الجانب الاجتماعي و تنمية صفى المواطنة مع مراعاة مركز الثقل في ثقافة المجتمع (8).

❖ مراعاة الدقة و صحة المعلومات بالنسبة لمؤلف الكتاب المدرسي .

❖ الحرص على حداثة المادة العلمية .

❖ ب-أن يساير محتوى الكتاب المدرسي أهداف المنهج :

باعتبار أن المنهاج المدرسي يمثل إدارة المجتمع و جب على الكتاب المدرسي أن يساير المنهاج الذي تقرره السلطات التعليمية ، فعلماء النفس الاجتماعي يروى أن المنهاج وسيلة للضبط و التحكم و مسايرة اتجاهات المجتمع .لذا فإن الكتاب المدرسي جيد هو الذي يتخذ مؤلفوه من أهداف المنهج و أهداف المواد الدراسية مرشدا لهم لاختيار موضوعاته و تحديد المحتوى له أي أن يكون المحتوى التعليمي ترجمة صادقة المحدد له (9).

ج-أن تكون مادة الكتاب منظمة و كافية و شاملة للمعالم الرئيسية :

يقسم الكتاب المدرسي إلى فصول و كل فصل يضم مواضيع و كل موضوع إلى عناوين رئيسية و فرعية تعالج بمنهج الوصف و السرد .

د-أن تكون مادة الكتاب المدرسي صحيحة و دقيقة :

التعليمية للكتاب المدرسي أساس تحقيق المعرفة العلمية لذا و جب على المؤلف أن يراعي صحة و دقة المعلومات التي يحتويها الكتاب مثلا : مادة كتاب التاريخ كثيرا ما يعرض محتواها لبعض القصص و الملاحم التاريخية التي تزييف فيها الحقائق لذا تقع مسؤولية كثيرة على مؤلفي كتب التاريخ .

ه-أن تكون مادة الكتاب المدرسي مسايرة لما هو مستخدم في مجال العلم :

بمعنى الحرص على حداثة المادة العلمية و تسخير ما وصلت إليه آخر الأبحاث العلمية .

ز-أن تراعي مادة الكتاب المدرسي مستويات التلاميذ :بمعنى كل كتاب مدرسي يؤلف لتلميذ معين و في سن معين و لكل صفاته التي تميزه لذا ينبغي على واضعي الكتب المدرسية أن يراعوا خاصية المستوى و نمو التلميذ و خصائصه النفسية .

ح- أن تكون مادة الكتاب مثيرة لتفكير التلميذ :

على تنمية الجانب الفكري للتلميذ من خلال وضع التلميذ أمام مشكلات متصلة لموضوعات تشجع على إثراء تفكيره .
ط- أن تكون مادة الكتاب المدرسي متماسكة و مترابطة :أي مراعاة التسلسل في المواضيع .

ي- أن تكون الوسائل التعليمية في الكتاب المدرسي كافية وجيدة :لابد أن يحتوي الكتاب المدرسي على عدد متنوع من الوسائل التعليمية مثل الخرائط الجغرافية و خرائط صماء و خرائط تاريخية و الرسوم البيانية و الإحصائيات واستخدام هذا النوع من الوسائل يحقق الأهداف المرجوة . (10)

ك- أن يكون إخراج الكتاب المدرسي مشوقا و جذابا للتلاميذ :أي التركيز على الشكل الخارجي للكتاب و نوعية الطباعة و الغلاف مع العنوان الرئيسي و تجليده و تنسيق العناوين الرئيسية و الفرعية مع موافقتها بالصور و الخرائط و البيانات .

ل- أن تكون أسئلة و تدريبات الكتاب المدرسي كافية و متنوعة :
فالأسئلة و التدريبات يجب أن تغطي جميع الموضوعات و الأفكار الرئيسية الواردة في الكتاب و طرح الأسئلة في نهاية الدراسة .

رابعا :وظائف الكتاب المدرسي :

أ. بالنسبة للمعلم :من الأقوال الشائعة أن الكتاب المدرسي عون للمعلم و ليس بديلا يلاعنه و هذا يوضح أهمية الكتاب في العملية التعليمية و ضرورة حرص المدرس على تحقيق الفائدة المنشودة منه للطلبة ، فبنسبة للمعلم فإنه يساعده على تحديد نوع المادة المراد تدريسها و يوحى إليه بطريقة التدريس و أسلوب تقديم الموضوعات ، كما يقترح له الأنشطة المختلفة التي يمكن استخدامها ، كما يساعد المعلم على تجديد ممارسته البيداغوجية مع الأخذ بعين الاعتبار التطور الدائم للتعليمات المواد ، فالكتاب المدرسي إذن وسيلة مساعدة لكل من المدرس و التلميذ على حد سواء ، و إن كان المدرس هو العامل الذي يبدأ عليه المعلم مع التلميذ ، فإن الكتاب المدرس هو الذي يبقى عليها مستقرة بين التلميذ و بين نفسه (11) .

ب. بالنسبة للمتعلم :

تساعد على نقل المعارف و تعزيز المكتسبات و تقويمها فكل كتاب مدرسي ينبغي أن يتضمن وظيفة التقويم الذي يقيس درجة الاكتساب خاصة التقويم التكويني الذي يعالج صعوبات كل متعلم كما يعد الكتاب المدرسي أداة مرجعية بالنسبة للتلميذ يرجع إليها ليجد معلومات دقيقة مثل :قانون رياضي ، أو قاعدة كيميائية أو نحوية
إضافة إلى وظيفة التربية الاجتماعية و الثقافية هذه الوظيفة تخص كل المكتسبات ذات الصلة بالسلوك و بالعلاقات مع الغير و الحياة في المجتمع عموما فالكتاب المدرسي يمكن أن يقتصر على اكتساب المعارف و المهارات ... savoirs et savoir و لكنه يسمح بتنمية السلوكات savoir-être أو التي تساعد المتعلم أن يأخذ مكانته تدريجيا في محيطه الاجتماعي و العائلي و الثقافي .

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

و بالتالي فالكتاب المدرسي يعد مرجع أساسي للتلميذ يعتمد عليه في إثراء معارفه و خبراته و يرجع إليه في المذاكرة و الامتحان باعتباره سجلا مطبوعا و ليس قولاً مسموعاً (12)

خامساً: عرض و تحليل محتوى مضامين كتاب اللغة العربية و التربية الإسلامية و التربية المدنية للسنة الأولى ابتدائي (الطور الأول) :
أ-التعريف بالكتاب :

كتابي في اللغة العربية و التربية الإسلامية و التربية المدنية مؤلف من 143 صفحة ، يظم ثمانية محاور ، من تأليف لجنة مكونة السيد:محمود عبود مفتش التعليم المتوسط ، عبد المالك بوطيش مفتش التعليم الابتدائي ، و فتيحة مصطفىاوي تواتي أستاذة مكونة في المدرسة الابتدائية و حكيمة عياش شطبيبي أستاذة مكونة في المدرسة الابتدائية . تحت إشراف محمود عبود مفتش التعليم المتوسط و استشارة تعليمية و بيداغوجية لرمضان ازريل ، مفتش التعليم الابتدائي و الدكتورة شريفة عطاس :أستاذة التعليم العالي ، من تصميم و تركيب لوزية سيحي الحسين . يضم الكتاب نصوصاً قصيرة معبرة ذات دلالة ، و مدعمة بصور توضيحية مع آيات قرآنية في التربية الإسلامية .

ب-الأبعاد الاجتماعية للكتاب :

كتعريفللأبعاد الاجتماعية فإننا يمكن أن نعتبرها بمثابة غايات اجتماعية من شأنها أن تساعد الفرد على التمسك بمقومات هويته الثقافية و ما تشمله من عادات ، تقاليد ، قيم ، دين ، سلوكيات نبيلة تسهل عليه الاندماج في الحياة الاجتماعية و تجعل منه فرد ايجابي ، و من بين الوسائل التربوية التعليمية التي تساعد على تحصيل ذلك نجد الكتاب المدرسي .

-فمن خلال تحليل محتوى مضامين كتاب اللغة العربية و التربية الإسلامية و التربية المدنية للسنة أولى ابتدائي تتضح لنا حملة من الأبعاد الاجتماعية منها:القيم الاجتماعية الايجابية كعمليات التفاعل الايجابية داخل المجتمع و تشمل بدورها الحث على التعاون و التكافل الاجتماعي و التكيف و التوافق ، و التطوع و مساعدة الغير و زيارة الأقارب و التسامح بين الناس على هذا نجده في المحور الأول للكتاب ففي خص القراءة نجد نص قصيرة بعنوان "تعرف على عائلتي " عرف صديقه على جده و جدته أولاً ثم الأب و الأم و هنا دلالة واضحة على الأسرة الموسعة التي تعيش في جو أسري تسوده المحبة و التكافل الاجتماعي و التعاون ، و في نص التربية المدنية من نفس المحور بعنوان التحية وردها تعلم التلاميذ أن التحية سلوك لطيف يدل على حسن التربية و هي بدورها تخلق جو اجتماعي ملاء التسامح بين الناس و الاحترام و تقدير الآخرين لقوله صلى الله عليه وسلم:"أفشوا السلام بينكم " لأن الإسلام دين أمن و سلام يدعو إليه و يحث إليه ، فالسلام هو شعار المسلمين و تحية المسلم ، لذا نحرص على فعل مثل هاته القيم الدينية .

ومن الأبعاد الاجتماعية الأخرى للكتاب نجد مفاهيم تتعلق بالتماسك الاجتماعي عن السلوكيات التي تشنت شملنجد ذلك في المحور الثالث الحي والقرية في نص

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

التربية الإسلامية بعنوان: "أتعاون مع غيري " صور معبرة على التربية الصحيحة كمساعدة الطفل للوالدة في المنزل و صورة أخرى عن مساعدة رجل مسن على عبور الطريق . فالتعاون الاجتماعي و التكافل يكون مجتمعا متماسكا .

أيضا من الأبعاد الاجتماعية الأخرى ضمن هذا الكتاب :ترسيخ مفاهيم الاعتزاز بالانتماء الوطني و الحضاري و الذي يتضمن بدوره الانتماء الاجتماعي و يتجلى ذلك في حب الوطن و تعزيز الانتماء الحضاري العربي الإسلامي من خلال التمسك بالدين الإسلامي و تعاليمه و ما جاء به الكتاب و السنة النبوية الشريفة مثال ذلك ما يتجلى في المحور الخامس في نص القراءة بعنوان "بلادنا الجميلة" ارتدي التلاميذ ثيابا بألوان العلم الثلاثة ورفع أحمد ذراعه إلى الأعلى و قال أنا الجزائر و هذا تعبير واضح عن حب الوطن و الهوية الوطنية .

و في نص التربية المدنية من نفس المحور بعنوان :علم و طني : نجد عبارة "أنا تلميذ جزائري أعز بعلم وطن و هنا يظهر حب الوطن (المواطنة) و هو من أهم الأبعاد الاجتماعية التي ينبغي الحفاظ عليها نجد في التربية المدنية ضمن المحور الثامن النشيد الوطني كاملا : و هذا حتى تعرف التلميذ على نشيده الوطني و التضحيات الجسام للشهداء الأبرار بهدف غرس قيمة الحب الوطن و الشعور بالانتماء له .

أما عن تعزيز الانتماء الحضاري العربي الإسلامي و التمسك بقيم ديننا الحنيف يتضح لنا من خلال نص أول يوم رمضان إلى يقول أحمد لصديقه بلال " تعال لتفطر معي أيها الصديق " و في هذا دلالة واضحة على البعد الاجتماعي الذي يكمن في الكرم ، التكافل ، الإيثار ، حب الغير ، معرفة تعاليم ديننا الإسلامي و نص :عيد الأضحى فالبعد الاجتماعي هنا يتجلى في جانبه الديني و الحرص على تطبيق ما جاءت به الشريعة الإسلامية .

و الأعياد الدينية هي أيضا فرصة لاجتماع العائلة و توزيع الأدوار و خلق جو من التضامن الأسري واستمرارها .

خاتمة

لا يختلف اثنان إذا قلنا بأن الكتاب بصفة عامة و الكتاب المدرسي بصفة خاصة كان و لا يزال يلعب الدور الأكثر أهمية في حياة الأمم لأنه الرفيق المثالي للإنسان ، يستطيع أن يلمسه و الإحساس به و شتمه ورؤيته و سماع صوته عند قراءاته ، و حمله معه أينما ذهب ، و فتحه و غلقه متى أراد ، كما أن الحافظ الأمين للأجيال المتلاحقة ناهيك عن شهادته كوسيلة معرفية أولى للكتابة و القراءة و التدوين و الأداة الوحيدة التي لم تتعرض للنقد عبر العصور ، و لم يخش منها لإفساد الطفل أو الإضرار بمعارفه .

فسيبقى الكتاب محتفظا بمكانته كأبرز الوسائل التي يعتمد عليها في الإقناع و توسيع المدارك و تشكيل الآراء في سبيل الرقي العلمي و الازدهار الحضاري و التقدم ، الاجتماعي المنشود من خلال ما يحمله من أبعاد من شأنها أن تشجع الفرد على تكوين رأسمال معرفي يساعده على تحقيق ذاته و مساعدة من حوله .

لذا صح من قال أن الكتاب هو الصديق الذي يطريك و الرفيق الذي لا يغريك .

هوامش الدراسة :

- 1 - حسان الجبالي ، لوحيدي فوزي ، أهمية الكتاب المدرسي في العملية التربوية ، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية ، جامعة الوادي العدد 09 ديسمبر 2014 ص 194-210
- 2 - إبراهيم عصمت مطوع ، أصول التربية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1995 ، ص 290
- 3 - محمد خيرى كلضم ، جابر عبد الحميد جابر ، الوسائل التعليمية و المنهج ، ط3 ، دار النهضة العربية القاهرة ، 1956 ص 211
- 4 - أيت حمودة حكيمة ، أهمية المدرسة في تنمية القيم السلوكية لدى التلاميذ و دورها في تحقيق توافقهم الاجتماعي ، دراسة ميدانية ، جامعة الجزائر ، ص4
- 5 - حسان الجبالي ، لوحيدي فوزي نقلا عن محمد صالح حثروبي نموذج التدريس الهادف أسسه وتطبيقه ، دار الهدى ، الجزائر 1999-ص 126
- 6 - المرجع نفسه - ص 80
- 7 - الميثاق الوطني ، وزارة الأعلام و الثقافة ، الجزائر -1979-ص 101 - 7
- 8 - حسان الجبالي - لوحيدي فوزي - مرجع سابق - ص 08-
- 9 - هشام عليات و آخرون تخطيط المنهاج و تطويره ، ط3 ، دار الفكر -عمان -الأردن -1999-ص: 244
- 10 - حسان جبالي -لوحيدي فوزي ، مرجع سابق ، ص 10.
- 11- أيت حمودة حكيمة ، مرجع سابق ذكره ، ص 18
- 12 - أيت حمودة حكيمة ، مرجع سابق ذكره ، ص 19

الأساليب الحجاجية و الإقناعية في القرآن الكريم
les méthodes argumentative et convaincants dans le coron

ابتسام صغيور
جامعة الجزائر 2 : أبو القاسم سعد الله

الملخص :

لا ندعي في هذا المقال حصر الأساليب الحجاجية التي وردت في القرآن الكريم و تحديدها واحدة واحدة ، و إنما نحاول حصر بعض منها و ذلك كون الآيات القرآنية جاءت حافلة مزدهمة بهذا النوع من الأساليب بما يستحيل حصره كلياً في هذا المقام . و لذا فإننا حددنا ثلاث محاور كبرى دارت في مجراها هذه الأساليب وهي : الأساليب المنطقية العقلية و أساليب التحليل النفسي بالإضافة إلى اتباع أسلوب عرض الأدلة التاريخية التوثيقية و الأعراف و القيم الاجتماعية . فضلاً عن بعض الأساليب الحجاجية الأخرى التي تتفرع أو تنفصل أحياناً عن هذه المحاور .
الكلمات المفتاحية : الحجاج – الحجة - الأساليب المنطقية العقلية – أساليب التحليل النفسي .

Résumé :

Ne revendiquer pas dans cet article limitation des méthodes argumentatives contenues dans le CORAN et identifiés une par une, mais nous essayons limiter certains d'entre eux car les versets coraniques sont devenus très charger par ce genre de ces méthodes qui sont impossible limiter totalement dans ce lieu. C'est pour ça nous distinguons trois domaines majeurs parlent sur ces méthodes ce sont: les méthodes logiques mentales et les méthodes psychanalyses, en plus de suivre la méthode d'exposer les preuves historiques documentaires avec les coutumes et valeurs sociales ainsi que d'autres méthodes argumentatives que la branche où parfois inséparables de ces domaines

Les mots-clés : l'argumentation - argument - : les méthodes logiques mentales - les méthodes psychanalyses.

تمهيد :

إن كون الخطاب القرآني خطاب عام و شامل لكل البشر و لكل الأزمنة فقد تعددت فيه تبعاً لذلك أساليب الحجاج و تنوعت دون أن تقتصر على جانب واحد على حساب الآخر ، و قد اتخذ القرآن الكريم من أساليب الحجاج و الاستدلال و الجدل و الإقناع ما هو جدير بكتاب أنزله رب العالمين خالق كل شيء فجاءت تلك الأساليب شاملة متنوعة لم تغادر صغيرة و لا كبيرة من أساليب الجدل الحق و الإقناع الحسن إلا أحصاها و استخدمها من دون أن يفرط قيد أنملة في الوفاء بشروط الاستدلال اليقيني الذي يؤدي إلى العلم المستيقن الذي لا ريب فيه و لا مرأى. 1 فما هي تلك الأساليب الحجاجية ؟ و ما هي تلك الحجج ؟ و كيف وظفت في الخطاب القرآني لجعله يمثل خطاباً إقناعياً بامتياز ؟ و بناء على هذا فقد كان من بين الأساليب المستخدمة في القرآن الكريم ما يلي :

1 – الأساليب العلمية الاستنباطية و الحقائق الكونية :

لقد تبنى القرآن الكريم الأسلوب العلمي و استخدم الحجاج العقلي كمنهج أصيل من مناهجه و هذا الأمر واضح و متكرر في أسلوب القرآن الكريم و سياقه حتى أنه يمكن القول أن القرآن الكريم لا يفضل إلا النظرة العلمية للأمور ، و مطالبته المتكررة بإعطاء الدليل و البرهان تقوم كأعظم شاهد على النزعة العلمية الصارمة 2 بالإضافة إلى الدعوة الصريحة إلى التفكير و التدبر و التأمل و توجيه النظر إلى الآيات الكونية و العقلية التي تؤكد ذلك قوله تعالى : (أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ * فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *) 3 و من الأمثلة التي تحت على استخدام العقل قوله تعالى في محكم تنزيله : (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَ عَنَبًا وَقَضْبًا * وَ زَيْتُونًا وَ نَخْلًا * وَ حَدَائِقَ غُلْبًا * وَ فَاكِهَةً وَ آبًا * مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ *) 4 و قوله تعالى أيضا : (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) 5

ها هو القرآن الكريم يعرض هذه الآيات بأسلوب أخاذ ليُعيد طراوتها في الأذهان ، فكأنها تُرى لأول مرة ، يلفتُ النظر على هذه الأرض الفسيحة ، و قد سُقيت و رويت بماء الحياة ، فاكتظت أعاليها بالنعم الوافرة ، من أنهار جارية ، وأشجار مثمرة ، و زروع نضرة ، و جبال شامخة راسية ، و بحار واسعة مترامية ، و من أمثلة الدعوة إلى التفكير في آيات الله الكونية قوله تعالى : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَ قُعُودًا وَ عَلَى جُنُوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ *) 6 فالخالق عز و جل بمنه و كرمه و فضله قد أظهر لنا آياته في كتاب منظور نراه ونحسّ به ، و كتاب نقرؤه و نرتله ألا وهو القرآن الكريم بآياته و عظاته ، الذي يُعتمد إلى تنبيه الحواسّ و المشاعر و فتح العيون و القلوب إلى ما في هذا الكون العظيم من مشاهد و آيات ، تلك التي أفقدتها الألفة غرابتها ، و أزالت من النفوس عبرتها ، فكلها دعوات إلى أعمال العقل و التدبر في الكون

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون2017

و تأمل مدى دقته و تناسق نواصيه و أجزائه لأن الناظر في آيات الكون و آفاقه لا بد و أن يستشعر عظمة خالقه و يستنبط مدى قوته و جبروته و أنه الإله الواحد من خلال هذه الحقائق الكونية التي تمثل حججا علمية و أدلة وبراھين قاطعة على وجود الله و قدرته اللامحدودة ، و تقوم أغلب هذه الحجج في هذا السياق على المقدمات العلمية المأخوذة من الواقع المشاهد و من الخبرة الإنسانية التي لا يتسرب إليها الشك أو الكذب .

2 - أساليب التحليل النفسي :

لقد عمد القرآن الكريم إلى أسلوب التحليل النفسي في مواجهة الخصوم بمواقفهم النفسية و أما بالنسبة لسيد الخلق سيدنا محمد " صلى الله عليه و سلم " فقد بعث في زمن البلغاء و الفصحاء و أئمة البيان و فحول الشعراء حيث كان التحكم في زمام اللغة و البراعة في البلاغة و اللعب بالألفاظ مما يعلى شأن الشخص في قومه و يرفع من مقامه فهي بمثابة السيف للفارس و كلاهما مما يضع الفرد أو يرفعه في قومه ، و قد جاء القرآن الكريم حجة داحضة لهؤلاء ببلاغة ساحرة للألباب سالبة للعقول بفضل فصاحته و قوة بيانه حتى و إن كان ظاهر هؤلاء الكفر و التكذيب إلا أن القرآن الكريم لم يتوانى عن كشف قناعاتهم الأصلية قال تعالى : (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) 25 و تحداهم على أن يجاروا هذا القرآن و يأتوا بعشر سور من أمثاله بل بسور بل بآية ، قال تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) 26 وقال أيضا : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) 27 و ليس هذا فحسب بل يتحدى الإنس و الجن على حد سواء أن يجاروا هذا القرآن و يأتوا بمثله و هل يملكون بعد هذا إلا الإقرار باعجازه البلاغي التام فضلا عن إعجازه العلمي و النفسي و الكوني و ما ذلك إلا لأن كلام الرب لا يضاهيه كلام الخلق أبدا مهما كانوا ، قال تعالى : (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) 28 فلا ريب في عجزهم و الله تعالى يقول معظما لأمر القرآن و مبينا لعلو قدره : (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدَّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأُمْتَالُ أَنْصَرَبْنَهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) 29 و ضرب التصدع مثلا لشدة الانفعال و التأثير لأن منتهى تأثر الأجسام الصلبة أن تتشق و تتصدع إذ لا يحصل ذلك لها بسهولة 30 كما ذكر ابن عاشور ، فهذا الجبل في غلظته و قسوته و صلابته يخسر خاشعا أمام كلام الله تعالى فكيف الحال بالبشر الضعفاء الذين لا يملكون قوة و لا قدرة و لا مشيئة و لا إرادة حتى يعارضوا حكم الله و يزامونه ملكه تبارك عن ذلك و تعالى علوا كثيرا يقول سيد قطب معقبا على هذه الآية : " فإن لهذا القرآن لثقلا و

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون2017

سلطانا و أثرا مزلز لا يثبت له شيء يتلقاه بحقيقته . " 31 و هذا الذي حصل في نفوس عرب قريش أرباب البلاغة و البيان .

لقد أنت معجزات الأنبياء – عليهم السلام – متوافقة متجانسة مع الأنماط الثقافية و الاجتماعية السائدة في زمن كل نبي ، فإذا ما عجزت الثقافة السائدة عن المجابهة و التصدي أيقن المجتمع ذي الفطرة السليمة أن ما جاء به النبي الذي أرسل إليهم هو من عند الله تعالى فتقوم الحجة و يقع الدليل و البرهان فتسود ثقافة جديدة تغمر مجتمعا جديدا ممتثلا لأوامر الله سبحانه و تعالى مجتنباً لنواهيه و لا يتخلف عن الركب إلا مكابر ذلك أن تلك الرسائل جاءت حاملة لذلك البعد الاجتماعي و الثقافي الذي يهدف إلى تعديل و إعادة صياغة السلوكات الاجتماعية المتفق عليها من قبل الجماعة ، و تجديد متطلبات ثقافية و قواعد سلوكية من خلال أدوار محددة ، و كانت المعجزات المجال الأمثل الذي تجسد فيه هذا المطلب . 32

و يقع ضمن هذا النطاق أيضا الحجاج عن طريق التدرج في الأحكام و التشريعات إذ يكون من الضروري أحيانا التدرج في ذلك نظرا لطبيعة تعلق المجتمعات المعنية ، بتلك الأحكام و طبيعة تعاملها الحميمة معها من ذلك التدرج في تحريم " الخمر " في المجتمع العربي حديث العهد بالإسلام و الكل يعلم ما تعنيه الخمر عند العرب و تعلقهم بها فقد قالوا فيها ما قالوا من الغزليات و مدحوا فيها ما مدحوا ، فكانت البداية بالتقليل من شأنها و بيان مضارها قال تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) 33 هذا في المرحلة الأولى .

أما في المرحلة الثانية فقد جاء النهي واضحا عن الاقتراب من الصلاة في حالة السكر فالخمر تذهب العقل و من أركان الصلاة الأساسية حضور العقل و بالتالي فهذا مما لا يتماشى لإقامة ركن من أركان الإسلام و هو الصلاة قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) 34 . بعد هذا جاء النهي القطعي عنها و تحريمها النهائي في مرحلة أخيرة ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) 35 . ومنه تحول هذا النهي تدريجيا إلى سلوك اجتماعي محرم و منبوذ في المجتمع المسلم .

و بمراجعة الأدلة التاريخية الوثيقة التي استند عليها القرآن الكريم في الرد على الخصوم ، نجد أنها جسدت أداة مثالية لرد المجادلين و ردهم وذلك بذكر أخبار الأمم السالفة و التذكير بما آوا إليه و ما كانت عاقبة كفرهم و جحودهم تارة و عرض الحقائق المثبتة للرد على بعض الادعاءات التاريخية المغلوطة التي يستدل بها الخصوم تارة أخرى . فالسرد التاريخي في القرآن الكريم عمل على توضيح المآل و العبرة من سواف الأمم ، أي الجوهر و المغزى وهو خطاب موجه لذوي البصيرة النافذة القادرين على سبر هذا

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

المغزى والإفادة منه في واقع حياتهم والتخطيط لمستقبلهم ، وليس لذوي المصالح والأهواء. وهو أيضاً حديث يحمل مصداقيته المنبثقة عن علم الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذي وسع كل شيء علماً. فهو إذن ليس أهواءً وظنوناً كما هو الحال في الجهد التاريخي الوضعي ، أو حديث مفترى من نسج الخيال وإنما هو حقائق و وقائع ثابتة لها ما يدعمها من الأدلة الصريحة ، و قد اهتم القرآن الكريم بسرد تاريخ الأمم السابقة ؛ إمعاناً في تحديه للمعارضين له فيخبر عن حياة أناس عاشوا من آلاف السنين بصورة موثقة ، وبدقة متناهية ، لا يصل إليها المؤرخون مهما أوتوا من أدلة مادية.

وإذا مضينا لمطالعة القرآن الكريم ، فإننا سنجدده يخصص مساحات واسعة للخبر المتحقق في الماضي ، أي للتاريخ. من قصص الأنبياء والشهداء والحكماء و الصالحين و أخبار الملوك و الأمم والشعوب والجماعات والقرى التي جسدت حلقات من الصراع الطويل بين الحق والباطل ، فهي ليست مجرد قصص و أحداث للتسلية وإنما هي عبارة عن شبكة خصبة من قيم نهوض الأمم والجماعات والحضارات وعوامل تدهورها وسقوطها ، قال تعالى : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) 36 و هذا القصة التاريخية الدقيق الذي أوحى إلى النبي محمد " صلى الله عليه وسلم " و هو النبي الأمي الذي لم يعرف معلما يوما لخبر دليل على صحة الوحي و على صحة النبوة يقول الله تعالى مخففا على نبيه داعيا إياه إلى الصبر و الثبات و أن له فيمن قبلة من الأنبياء و الرسل خير عيرة و أكبر عزاء : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ * حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّي مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) 37 إنها البشرى للنبي محمد صلى الله عليه و سلم حيث يخبره الله تعالى أرسل للناس من قبل رسلا منهم و من أهلهم ، فلقوا من أقوامهم مثل ما يلقي من قومه عليه الصلاة و السلام من الكفر و الإعراض و المحاربة حتى إذا ينس هؤلاء الرسل و الأنبياء و ظنوا أنهم كذبوا جاءهم النصر المبين من عند الله تعالى على من عاداهم . و من ذلك أيضا الرد على بعض اليهود و النصارى الذين ادعى كل فريق أن النبي إبراهيم " عليه السلام " منهم طعنا منهم في دين الله الذي جاء به محمد صلى الله عليه و سلم يقول الطاهر بن عاشور : " و زعم كل فريق منهم أنهم على دينه (أي إبراهيم عليه السلام) توصلا إلى أن الذي خالف دينهم لا يكون على دين إبراهيم كما يدعي النبي محمد صلى الله عليه و سلم فالمحاجة فرع عن المخالفة في الدعوى . و هذه المحاجة عن طريق قياس المساواة في النفي ، أو في محاجتهم النبيء في دعواه أنه على

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

دين إبراهيم محاجة يقصدون منها إبطال مساواة دينه لدين إبراهيم " عليه السلام " بطريقة قياس المساواة في النفي أيضا " 38 يتعلق ذلك بقوله تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ *) 39 حيث تواجه هذه الآيات " أهل الكتاب - اليهود و النصارى - بسخف موقفهم و هم يحاجون في إبراهيم " عليه السلام " فيزعم اليهود أنه كان يهوديا ، و يزعم النصارى أن كان نصرانيا . على حين أن إبراهيم (تاريخيا) سابق لليهودية و النصرانية ، سابق للتوراة و الإنجيل . و الحجاج فيه على هذا النحو مرآة لا يستند إلى دليل ... و يقرر حقيقة ما كان عليه إبراهيم لقد كان على دين الإسلام ... و من ثم تسقط ادعاءات هؤلاء و هؤلاء ، و يتبين خط الإسلام الواصل بين بين رسل الله و المؤمنين بهم على توالي القرون ... يلي ذلك في السياق كشف الهدف الأصيل الكامن وراء ممارسة أهل الكتاب في إبراهيم و غير إبراهيم فهو الرغبة الملحة في في إضلال المسلمين عن دينهم و تشكيكهم في عقيدتهم . 40 فلا العقل السليم و لا المنطق يقبل ما يدعيه هؤلاء و إبراهيم عليه السلام كان زمنه قبل زمن موسى عليه السلام و زمن المسيح عليه السلام بدهور.

4 - ضرب الأمثال (قياس التمثيل) :

تبنى القرآن الكريم أساليب القص و ضرب الأمثال كواحدة من الأساليب الحجاجية المتعددة التي تهدف إلى إثبات أو نفي بعض المعتقدات الخاطئة عن الله " جل في علاه " أو عن المخلوقات و الآيات الكونية و كذلك استخدمت كأداة للترهيب و أخذ العبر أيضا و لتقريب الحقائق و إلباس المعاني لباسا حسيا قال تعالى : (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ *) 41 و مثل هذا نجده في سورة مريم الآية 64 و 66 ، فمن البديهي إذا أن الذي خلق السماوات و الأرض قادر على خلق الناس بعد الموت و هو على ذلك أقدر و كيف لا و هو الذي أوجد الأشياء أول مرة و لم تكن شيئا ، وإعادة إحيائها أهون عليه من باب أولى و هذا الأمر الذي أكد عليه في الآية الأخيرة ، يقول الطاهر بن عاشور فيها : " هذه فذللك الاستدلال و فصل المقال ... " 42.

و قال تعالى أيضا : (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ *) 43

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

يضرب الله تعالى مثلا لأعمال الذين كفروا و يشبهها بالرماد الذي اشتدت به الرياح في يوم عاصف فهي لا تبقي منه شيئا و لا تذر دلالة على إحباط أعمالهم وأن كل ما يفعلونه لا يعدوا أن يكون هباء منثورا فهم في ضلال بعيد ، في نتيجة طبيعية لمن تركوا طريق الحق و اتبعوا طريق الشرك و الضلال و هذا الأمر هو ما يعرف " بقياس التمثيل " الذي يعني : " إلحاق أحد الشيين بالآخر ، و ذلك بأن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه أو على أمر بديهي لا تنكره العقول و يبين الجهة الجامعة بينهما " 44 و قد استعان القرآن الكريم كما أسلفنا بهذا النوع من القياس لتقريب الحقائق و الوقائع و إسقاطها على الواقع الذي مُثِّل له .

5 - النقض و النفي الكلي:

و فيه قلب معاني الخصم عليه بلغته و أسلوبه و معانيه مما يبطل حجة و يسفه أدلته ، قال تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ.) 45 ففي الآية توبيخ كبير لمن وصفوا الله - تبارك و تعالى عن ذلك علوا كبيرا - بالبخل و الإمساك و قد نقض الله تعالى قولهم هذا و فنده كليا فهو واسع الفضل جزيل العطاء .

6 - مجارة الخصم و الاستدراج بالأسئلة :

و هي من الأساليب التي اتبعها القرآن الكريم كثيرا فقد يجري الخصم و يتدرج معه بالأسئلة و الحجج المنطقية التي لا يستطيع الخصم إنكارها ليلزمه الحجة على إبطال دعواه و ليخضعه للحق و الاعتراف به ففي افتراض موافقة ما يدعيه هؤلاء المنكرين و التسليم بما يريدون ، يقول تعالى : (وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا مَلَكٌ لَّكُنَّا لَأَنفُسِنَا الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ *) 46 فهو يجري الخصوم و ينطلق من مقدماتهم مفترضا التسليم بحججهم و يقرر النتيجة أنه لو كان كما يقولون لكان على هيبته حتى يتمكن من مخاطبتهم و لو كان كذلك لالتبس عليهم و لكذبوه كما كذبوا الرسل من قبله ، و احتجاجهم هذا بالذي طلبوه لا يجعل إلا بنهايتهم و عقابهم فهم لن يصدقوه على أية حال و لوجدوا من المبررات و الحجج الواهية ما يزيد من غضب الرب عليهم فيذهبهم جميعا . و من النماذج على أساليب الاستدراج بالأسئلة قوله تعالى : (قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُشْحَرُونَ * بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ * (47 و هذا ردا على من ادعى وجود غير الله فهذا النظام العجيب لا يكون إلا بقدره قادر صاحب إرادة كاملة و واحدة و إلا لاختل هذا النظام و تزعزع و النتيجة الوحيدة التي يستلزمها كل ما سبق هو وجود الإله الواحد وهي نتيجة حتمية لا يشوبها شك أو اضطراب .

7_ المقارنة :

و هو أسلوب اعتمد في القرآن الكريم انطلاقا من المقارنة بين ما يدعيه الخصوم و بين ما يثبته القرآن من حجج منطقية تقابل ادعاءاتهم و تنقضها قال تعالى : (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ * أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ * وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ *) 48 فالمعنى أنه ليس من يخلق هذه الأشياء جميعا كمن لا يخلق بل إنه هو نفسه مخلوق و لا يقدر البتة على شيء فكيف لهذه الأصنام الجامدة أن تكون هي الإله الخالق لكل شيء ما يدعي المشركون ، يقول الطاهر بن عاشور : " بعد أن أقيمت الدلائل على انفراد الله بالخلق و ثبتت المنة و حق الشكر ، فرع على ذلك هاتان الجملتان لتكونا كالنتيجتين للأدلة السابقة إنكارا على المشركين ؛ فالاستفهام على المساواة إنكاري أي لا يستوي من يخلق بمن لا يخلق فالكاف للمماثلة و هي مورد الإنكار حيث جعلوا الأصنام آلهة شريكة لله تعالى و من مضمون الصلتين يعرف أي الموصولين أولى بالإلهية فيظهر مورد الإنكار ... و في هذا إيماء إلى الاستكثار من الشكر على مجمل النعم ، و تعريض بفضاعة كفر من كفروا بهذا المنعم و تغليظ و تهديد لهم . " 49

هكذا إذا تعددت أساليب الحجج في القرآن الكريم منها ما ذكرنا و غيرها كثير جدا و في ذلك الكم الهائل من الآيات تعددت أساليب التعبير و تتنوع الحجج ، فقد ترد تلك الحجج تارة على شاكلة الحجج العقلية و المنطقية و الحقائق الكونية و تارة من الأدلة التاريخية و الأمم السالفة و المعايير الاجتماعية مما لا يمكن إنكاره ، و نراه في أحيان أخرى يطلب الأدلة من الخصوم لتثبيت حججهم ، لعلمه تعالى أنه لا أدلة لديهم و من الأساليب كذلك أسلوب " السجال" و ذلك بدفع التهم عن النفس و رمي الخصوم بها ، و تمر بنا كذلك الأساليب التي تعتمد على التركيز على حجة الخصم و إظهارها لإبطالها لاحقا و تسفيهاها ، كما جاء قسم من الآيات بأسلوب الحجج بالنقائص و ذلك بقلب معاني الخصم عليه بلغته و أسلوبه ، و قد نراه يرد على الحجة غير المدركة بالحواس بما يدركه المحاجج لإفحامه . و في أحيان أخرى نراه ينكر حجة الخصم لانتفاء علاقتها بالواقع ، و قد يتدرج مع الخصم بالأسئلة و الحجج المنطقية التي لا يستطيع المحاجج نكرانها لإلزامه بها ، و قد يجاريه ليصل في النهاية إلى إبطال حجته ، و نراه في بعض الأحيان يرد على السنة الرسل على

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون2017

حجج المشركين التعجيزية بأنهم بشر متواضعون لا يميزهم إلا تكليفهم الإلهي بالرسالة ، و قد تأتي بعض الحجج في القرآن مباشرة قوية شديدة و صريحة تقحم الخصم و ترد حجته ، و أحيانا يستخدم أسلوب التهديد و الوعيد تارة و اللين و الترغيب و الأساليب النفسية الأخرى تارة أخرى ، و قد يستخدم القرآن أيضا أسلوب المقارنة بين حجة الخصم و حجج الأنبياء المنطقية أو حجج الخلق و الحجج الكونية و العقلية ليفعل عقل الخصم و يقوده لإدراك حجة الله البالغة ، و قد ينتقل من الحجج غير المفهومة من الخصم إلى حجج أخرى لا سبيل إلى إنكارها ، و قد نراه تارة يعتمد إلى السبر و التقسيم بأن يقسم حجة الخصم لإبطال أقسامها قسما قسما فتبطل بذلك كاملة ، و تارة أخرى يعتمد إلى اتقاء حجج الخصم و يحذر من العقاب السينة التي سيؤول إليها المعاندون قبل دحضها .50

خاتمة :

لقد وظفت إذا كل هذه الأساليب الحجاجية في القرآن الكريم على تنوعها و تعددها لخدمة هدف واحد هو الإقناع بوحداية الله تعالى و إثبات عقيدته و ذلك بتنفيذ ادعاءات الخصوم و افتراءاتهم و بذلك لم يتبقى لهم غير سبيلين إما الإيمان بالله سبحانه و تعالى و وحدانيته و قدرته و ملكوته و أنه صاحب الإرادة و المشيئة القاهرة ، و إما الإصرار على الكفر و الضلال بالمعادنة و المكابرة إذ ليس هنالك مجال لاختراع الحجج أو الاجتهاد في ذلك و مهما حاولوا فإن القرآن الكريم قطع عليهم كافة سبل المحاججة و أبطل كل ما استدلوا به و أفحم جهابذة الألفاظ لديهم و أئمة البلاغة و البيان ، ذلك أن كل الآيات القرآنية جاءت محملة بكل خصائص الرسالة الإقناعية المثلى من خلال طرح رباني متكامل جلّ أن يمسه النقص أو يلحقه الفتور بني على أساس متين من الحجة و الإقناع ميّزه الوضوح و الشامل و الاعتماد على المصادر الموثوقة إضافة إلى ذلك تحفيز و إثارة عقل الإنسان لحثه على التذكر و التدبر و جعله يصل إلى الاقتناع الذاتي بما جاء في دين الله سبحانه و تعالى و بما بثه الله تعالى في آياته تجعل النفس مطمئن و تستكين لها .

لقد امتزجت الأساليب المنطقية العقلية بالأساليب العاطفية المثيرة في القرآن الكريم دون أن يكون ذلك على حساب أدلته و براهينه ، فليس الهدف من تقديم تلك الدلائل تعجيز الإنسان و تعطيله و إنما الهدف من ذلك هو إثارته و تحريك تطلعاته المعرفية التي تقوده إلى التأمل و التدبر في أمور ذات صلة بحياته و مصيره فهو يخاطب العقل و القلب معا لجعل بذور العقيدة التي يدعوا إليها ضاربة في أعماق النفس البشرية للتأثر و من ثم اقتناع العقل بواسطة الحجج فأدلة القرآن واضحة جليّة و هي في أغلبها مسلمات بديهية يدركها جميع الناس .

الهوامش و الإحالات :

- 1 - زكريا بشير إمام ، أساليب الحجاج في القرآن الكريم – نماذج من الحجج الاستنباطية ، مطبوعات الحركة الإسلامية الطلابية ، المركز القومي للإنتاج الإعلامي ، 1415 هـ - 1995 م ص : 4
- 2 - ينظر : نفسه ، ص : 21 .
- 3 - سورة الصافات ، الآيتين : 156 ، 157 .
- 4 - سورة عبس ، الآيات من : 24 ، إلى : 32 .
- 5 - سورة الغاشية ، الآيات : 17 ، 18 ، 19 ، 20 .
- 6 - سورة آل عمران ، الآيتين : 190 ، 191 .
- 7 - معتصم بابكر مصطفى ، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم ، كتاب الأمة ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، ط 1 ، ع 95 ، قطر ، 1424 هـ - 2003 م ، ص : 78 .
- 8 - سورة الإسراء ، الآيتين : 9 ، 10 .
- 9 - محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، ج : 15 ، الدار التونسية للنشر ، (د . ط) ، تونس ، 1984 م ، ص : 40 ، 41 .
- 10 - سورة طه ، الآيات من : 120 ، إلى ، 125 .
- 11 - سورة الأنعام ، الآية : 125 .
- 12 - ينظر : محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، ج : 8 ، ص : 55 ، 56 .
- 13 - سورة غافر ، الآيات : 70 ، 71 ، 72 .
- 14 - ينظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مج : (5) ، ج : (24) ، دار الشروق ، ط 32 ، القاهرة ، بيروت ، 1423 هـ - 2003 م ، ص : 3096 ، 3097 .
- 15 - سورة الأنعام ، الآية : 83 .
- 16 - ينظر : التهامي نقرة ، سيكولوجية القصة في القرآن ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1974 م ، ص : 451 .
- 17 - ينظر : معتصم بابكر مصطفى ، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم ، ص : 83 .
- 18 - ينظر : من أساليب الإقناع في القرآن الكريم ، ص : 84 .
- 19 - نفسه ، ص : 85 .
- 20 - سورة الشعراء ، الآيات من : 22 إلى 46 .
- 21 - الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، ج 19 ، ص 121 .
- 22 - سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مج : 5 ، ج : 19 ، ص : 2595 .
- 23 - سورة آل عمران ، الآيات من : 48 ، إلى ، 50 .
- 24 - سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مج : 1 ، ج : 3 ، ص : 399 .
- 25 - سورة النمل ، الآية : 14 .
- 26 - سورة هود ، الآية : 13 .

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- 27- سورة يونس ، الآية : 38 .
28- سورة الإسراء ، الآية : 88 .
29 - سورة الحشر، الآية : 21 .
30- الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، ج : 28 ، ص : 116 .
31- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مج : 6 ، ج : 28 ، ص : 3532 .
32- ينظر : من أساليب الإقناع في القرآن الكريم ، ص : 93 .
33- سورة البقرة ، الآية : 217 .
34 - سورة النساء ، الآية : 43 .
35- سورة المائدة ، الآية : 92 .
36- سورة يوسف ، الآية : 111 .
37 - سورة يوسف ، الآيتان ، 109 ، 110 .
38- الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، ج : 3 ، ص : 270 .
39 - سورة آل عمران ، الآيات : 64 ، 65 ، 66 .
40- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مج : 1 ، ج : 3 ، ص : 409 .
41- سورة يس ، الآيات : من : 76 ، إلى : 81 .
42- الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، مج : 23 ، ج : 28 ، ص : 79 .
43- سورة إبراهيم ، الآية : 21 .
44- زاهر عواض الألمعي ، مناهج الجدل في القرآن ، مطابع الفرزدق التجارية ، (د . ط .
(، (د ، ت) ، ص : 72 .
45- سورة المائدة ، الآية : 66 .
46- سورة الأنعام ، الآيتين : 9 ، 10 .
47- سورة المؤمنون ، الآيات من : 85 ، إلى : 92 .
48- سورة النحل ، الآيات من : 15 ، إلى ، 20 .
49- الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، ج 14 ، ص : 123 ، 124 .
50- للتوسع و المزيد ينظر : موفق أسعد محمد ، أساليب الجدل في القرآن الكريم ، مجلة ديالي ، ع : 53 ، 2011 م ، ص : 568 .

تعالق الروائي والسيري في رواية دمية النار للروائي بشير مفتي

عولمي دليلة

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب و اللغات

جامعة طاهري محمد - بشار (الجزائر)

ملخص

كثيرا ما تتشابك أعمال الروائي مع حياته ، ولو كان عن غير مقصدية ووعي مسبق منه ، فهو حين يشرع في ممارسة فعل الكتابة يستند إلى خلفيته المعرفية التي شكلها عبر مختلف مراحل حياته وشكلت تجربته الشخصية كما يقول الروائي واسيني الأعرج فالروائي: " حينما يستعد للكتابة تستيقظ فيه مدافن الطفولة والذاكرة ، وتأتي الذكريات دفعة واحدة لتظل من القلب من عالم مملوء بالإخفاقات والانكسارات و الأحلام" (1)، مما يجعل الرواية تستثمر تقنيات كتابة السير الذاتية من سرد استذكاري ، بوح ، اعتراف ، توسل ضمير المتكلم ... لتؤثت بنيتها الروائية، وقد غدا هذا التوجه محببا لدى الروائيين منذ نهاية الثمانينات ، أين ركزت الرواية الجديدة على الذات الفردية التي تستدعي الأنا لتقول خطابها السيري المحمل بمدلولات اجتماعية ، سياسية ، تاريخية...، وهو ما يشغل عليه الروائي بشير مفتي في روايته دمية النار التي تجسدت فيها ظاهرة التداخل بين جنسي السيرة الذاتية والرواية بشكل جلي وواضح .

There is often a big interweave between the novelist's life and his work .Even without his attention. The novelist's writing is based on the knowledge of his background formed through the various stages of his life, which formed his own experience. As he says Wassiny alaradj : " When the writer is preparing to write, he is always ready to wake up the cemetery of the child hood memory. And the memories come at once to look down the heart of the filled world of defeats, fractures, disappointment and dreams". Which makes the novelist himself invest biography techniques of narrative to confess, declared, avowed and begged the awareness of the speaker and furnished the structure of the novelist? It has become the trend favored by the Novelist at the end of eighties. Where new novelists focused on the individualism that calls for the ego to tell her speech, which contains social, political and historical connotations. These aspects operate the novelist Basher Mufti in his novel" The dolls of the fire" to optimized the phenomenon of overlap between sexual biography and novel clearly and clear.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

نتناول في هذا المقال ظاهرة التداخل الأجناسي، التي غدت من أبرز استثمارات النصوص الأدبية، في ظل محاولاتها المستمرة لتجاوز المؤلف وكسر قيود النمطية، ورغبة في التجديد والإبداع، تحقيقاً للأثر في المتلقي الذي يبقى مطمحاً وغاية منشودة لكل عمل إبداعي، هذا الأثر الذي لم يعد من الممكن ملامسته في المتلقي بما هو معتاد ومستهلك، في سبيل ذلك خُرقت الحدود بين الأجناس الأدبية وتمازجت فيما بينها في إطار علاقة تكاملية⁽²⁾، حتى غدت مقولة نقاء الجنس الأدبي مقولة ولى عليها الدهر، بل أصبحت مرهونة في حدود محافظة كل جنس أدبي على ملامح وثوابت مميزة له، تمنحه هويته وخصوصيته بين الأجناس الأدبية الأخرى⁽³⁾، وتكون كفيلة بتحديد آليات فك شفراته وبالتالي قراءته.

إذن فظاهرة تداخل الأجناس الأدبية باتت أمراً لا مفر منها من أجل تقوية الجنس العام⁽⁴⁾، فهي ليست إلغاء للأجناس الأدبية وذوبانها بتلاشي الحدود الفاصلة بينها، بقدر ماهي إثراء لها وإغناء لخصائصها⁽⁵⁾.

من المعروف أن النقاد والدارسين يجمعون على أن الرواية لم تستقر على تعريف جامع مانع ويرجعون ذلك إلى تطورها المستمر وعدم استقرارها على شكل محدد ونهائي⁽⁶⁾. وهي عند ميخائيل باختين (جنس تعبيرى غير منته في تكوينه، مفتوح على الأجناس الأدبية الأخرى، ومستمد منها بعض عناصرها، مما جعل خطاب الرواية خطاباً خليطاً)⁽⁷⁾

إذن فالخصائص المميزة للجنس الروائي جعلته يعد بامتياز فضاء رحباً لتجسيد ظاهرة التداخل الأجناسي، فقد سمحت لها حواريتها، انفتاحها وقدرتها على الاستيعاب، بضم أجناس أدبية وغير أدبية داخل بنيتها الأصلية.

بين الرواية والسيرة الذاتية

استعصى على النقاد والمنظرين وضع حدود فاصلة بين جنس السيرة الذاتية والأجناس الأدبية الأخرى وعلى الأخص الرواية⁽⁸⁾، لما بينهما من تواسج عميق (...فهما ينتميان إلى نوع أولي واحد، أحد طرفيه الرواية، والطرف الآخر هو السيرة، وترجع أسباب التداخل والتمازج بين الفنين في نظر النقاد إلى أن تقنيات التعبير متشابهة، وهما يتخذان من حياة إنسان ما موضوعات له، وأن الرواية في الواقع شكل من أشكال التعبير السير ذاتي، كما أن القص بضمير المتكلم في الرواية جاء بتأثير السيرة الذاتية، كما شاع بأن أول عمل للروائي هو في الواقع سيرة ذاتية له، وظهر نتيجة هذا التداخل مصطلح رواية السيرة، أو السيرة الرواية لعدم القدرة أحياناً على التمييز في العمل الواحد بين ما هو سيرة وما ليس كذلك (...)⁽⁹⁾، أين يتداخل السيرى (الواقعي) والروائي (التخييلي)، والذي يصطلح عليه النقاد بالرواية السيرية التي أصبحت الأكثر انتشاراً بين الروائيين لاحتقائها بالذات (الأنا) كمركز من جهة، ولأنها تمنح الحرية للروائي ليكتب بعيداً عن المساءلات الاجتماعية أو الرقابية من جهة ثانية، فهي لا تقرأ على أنها سيرة ذاتية حقيقية لصاحبها،

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

بل تقرأ على أنها رواية، والرواية عمل فني تخيلي، والفن في الإنسان طاقة حرية⁽¹⁰⁾ ، فهو حر في التعبير عن هذه الطاقة كيف شاء.

تتجه عنايتنا في هذه الصفحات إلى رصد التفاعل بين جنسي الرواية والسيرة الذاتية في واحدة من روايات الروائي الجزائري بشير مفتي، الذي أحسبه لا ينفك يسعى سعياً حثيثاً لتسجيل حضوره المتميز في الكتابة الروائية الجزائرية، وأدلل على قلبي بما تحمله رواياته من أطروحات فكرية وإيديولوجية جديدة، وما يقدمه من قراءات مغايرة للتاريخ، وما يطعم به رواياته من نفحات فلسفية وأخرى صوفية، أما على مستوى التقنيات والأساليب المنتهجة، فالكتابة عنده أشبه بمخبر للتجريب، ففي جميع رواياته نلمس سعيه إلى تجريب تقنيات سردية جديدة، كما في رواية أرخبيل الذباب أين جرب تقنية الرواية داخل الرواية، وفي رواية خرائط لشهوة الليل جرب أن يحكي على لسان المرأة، أما رواية أشجار القيامة فقد وشحها بوشاح من الخطاب الصوفي.

وفي رواية دمية النار موضوع مقالنا والتي نشرت سنة 2010م، ورشحت للقائمة القصيرة لجائزة البوكر للرواية العربية في طبعتها الخامسة سنة 2012م، فقد عمد الروائي إلى التموه بينه وبين شخصيات الرواية حتى أن القارئ ليلتبس عليه الأمر بين ما هو تخيلي وما هو واقعي فيها، ويقف حائراً إزاء تجنيس هذا النص هل هو رواية كما هو مصرح به على الغلاف؟، أم سيرة ذاتية بوصف النص قد استثمر الكثير من تقنيات الكتابة السير الذاتية؟

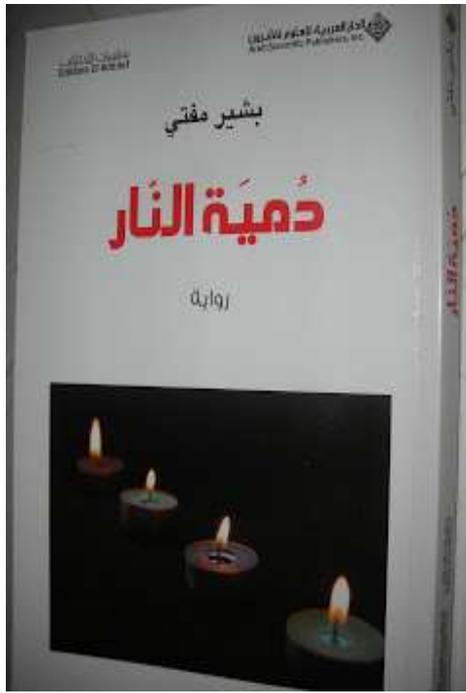
بوصف الروائي بشير مفتي من أبرز أقلام الروائيين الشباب أو الجدد، فإن اشتغاله على الذات واضح وجلي في كتاباته الروائية، خاصة الذات المثقفة، التي تتوسل أناها للتعبير عن صراعاتها النفسية، الفكرية والإيديولوجية، وقد اشتغل بشير مفتي في كامل رواياته على الاقتراب من هذه الذات (الشخصية الإشكالية)، إذ عمد إلى الحفر عميقاً داخل هذه الذات، لينقل معاناتها النفسية (الداخلية) مع هواجسها، مخاوفها، تناقضاتها...، وأحلامها التي لا تتحقق من جهة، وصراعاتها الخارجي مع مجتمعتها، واقعها، ماضيها، تاريخها... وقيمها من جهة أخرى، حتى أن هذه الشخصية المركزية تصبح محور الرواية تؤثر وتتأثر بكل الأحداث والشخصيات، مما يجعلنا لا نرى ولا نسمع أو نفكر في شيء من مروياتها، إلا من منظور هذه الذات الفردية الخلاقة⁽¹¹⁾ ، وهذا يعد أهم مبدأ لنجاح الرواية المستفيدة من سياق السيرة الذاتية، فالجزئية الأولى التي اعتمدت فيها الرواية على السيرة، تتمثل في تركيز الرواية على حياة شخصية إنسانية واحدة⁽¹²⁾.

عتبات

نلج عالم الرواية انطلاقاً من عتبة الغلاف الذي يفصح بشكل دقيق عن فحوى الرواية، فصورة الشمعات الأربع داخل الظلام الحالك ما هي إلا حكاية البطل رضا شاوش، والتي لا نستطيع فك رموزها (الصورة) إلا بتتبع أحداث الرواية حتى آخرها لتفاجئنا في آخر صفحة منها عبارة لرضا شاوش تفسر هذه الصورة بشكل واضح وتترجمها لفظياً يقول: (... حياتي كلها تمر كشريط سينمائي قدام عيني، كنت أنظر لنفسي

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون2017

طفلا ثم مراهقا ثم شابا ثم رجلا أكل الظلام كل ما كان في روحه من بقايا أنوار قديمة... (13) ، فكل شمعة هي مرحلة من مراحل عمر رضا شاوش التي احترقت وذابت ولا أمل في عودتها، ويمثل اللون الأسود الذي ضم هذه الشمعات وأطرها السواد والشر الذي لفّ حياته وطغى عليها، إن هذه الصورة تلخص بشكل واضح مختلف مسارات الأحداث في الرواية .



العنوان

يسهم العنوان (دمية النار) في تحديد مقاصد المتن، كما يوحي باحتمالات ورؤى تسهل علينا الولوج إلى عالم الرواية، ويمنح النص قيمة دلالية باعتباره شكلا مختزلا لمحمولات العمل الكلي (14) ، فهو يعكس متن الرواية بشكل واضح، فالدمية ما هي إلا البطل رضا شاوش مسلوب الإرادة الذي حركته غرائزه وظروف حياته ومعتقداته الخاطئة كيفما شاءت لتصنع منه في الأخير أداة مطواعة في أيدي منظمة سرية للفساد، يخدم أغراضها ومصالحها الشريرة دون نقاش فبذلك أصبح دمية للشر، ونارا تحرق من حولها غير مبالية بما تسببه لهم من ألم، والعنوان مأخوذ من نص الرواية بالتركيب نفسه دون تغيير يقول رضا شاوش:(صرت الشر ودمية الشر، صرت الشيطان

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

ودمية الشيطان، صرت تلك النار اللاهبة والمستعرة، النار الحارقة والمسعورة، صرت مثل دمية النار تحرق من يمسكها⁽¹⁵⁾.

الميثاق السيري

يعرف فيليب لوجون رواية السيرة الذاتية بقوله: (سأطلق هذا الاسم على كل النصوص التخيلية التي يمكن أن تكون للقارئ فيها دوافع، ليعتقد انطلاقاً من التشابهات التي يعتقد أنه اكتشفها أن هناك تطابقاً بين المؤلف والشخصية في حين أن المؤلف ينكر هذا التطابق، أو على الأقل اختار أن لا يؤكد⁽¹⁶⁾ . وهي لعبة التّمويه التي وظّفها بشير مفتي عندما استدعى شخصية بشير م. في مستهل رواية دمية النار، أين عقد مجموعة من القرائن التي توهم القارئ أنه هو بالفعل أي أن أنا (الكاتب، السارد والشخصية) متطابقة يبدو ذلك من خلال :

— التشابه بين الاسمين (بشير مفتي / بشير م.)، ليبدو الاسم الثاني كمجرد اختصار للاسم الأول، وفي نفس الوقت ليس من اليقين أن المقصود به هو الاسم الأول .

— كون كل منهما كاتب، أحدهما الروائي بشير مفتي المعروف في الواقع، والآخر بشير م. الشخصية الذي يقول في الرواية : (... غير أن تلك الفترة التعيسة رغم كل شيء، كانت تمثل لي بداياتي في درب الكتابة، وكنت تحت تأثير قراءات شيطانية كثيرة ومتنوعة، وفي كل الأصناف والأنواع الأدبية، أشعر أنني سأمتلك الحقيقة الكلية للأدب، كنت مدفوعاً بسحر جنوني إلى هذا الطريق ... ، سأحقق وجودي الحقيقي ككاتب، ليس كأبي كاتب عارض، ولكن ككاتب يستحق هذه التسمية بالفعل⁽¹⁷⁾ .

— إرسال بطل الرواية (رضا شاوش) المخطوط الذي يحكي سيرة حياته، ويطلب من بشير م. نشره ووضع اسمه عليه يقول : (عزيزي الروائي بشير م. : يصلك هذا المخطوط وأنا ربما في عالم آخر، ليس بالضرورة الموت، وإن كنت لا أستبعد هذا، وفيه ما وعدتك به، المخطوط الذي كتبته تاريخاً لحياتي تلك ... إنها قصتي التي عشتها وتخيلتها، وإنها ذاكرتي التي صنعتها وصنعتني في نفس الوقت، وإنني لأتمنى صادقاً أن تكتب اسمك في أعلى صفحتها وتنسبها إلى نفسك...⁽¹⁸⁾ .

الروائي

تبدأ الرواية بكلمة "الروائي" والمقصود به بشير م. الذي يبادر بالحديث عن لقائه ببطل الرواية رضا شاوش مسترجعاً أيام شبابه وشغفه بالأدب لتتسنى له فرصة الاطلاع على هذه الشخصية التي بدت له غامضة من خلال المخطوط الذي أرسله له،

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

والذي استثمرت فيه التجربة الحياتية لشخصية (رضا شاوش) هذا الشاب الحالم، الذي كان يراوده حلم أن يكون كاتباً متميزاً، أفضى به حبه للأدب إلى كتابة مخطوط ضمنه سيرة ذاتية لحياته.

المخطوط المرسل إلى بشير.م

نجده سيرة ذاتية بامتياز، فقد توافرت فيه تقنيات كتابة السير الذاتية، كما حددها فيليب لوجون في تعريفه السابق للرواية السيرية كون :

- الحكى: عبارة عن نثر.

- الزمن: هو الماضي في عمومه، فالسارد يروم الرجوع إلى الذاكرة، واسترجاع الأحداث وملايساتها، لكننا نلمس كسر التتابع المنطقي للزمن، فالسارد تحرك على محور الزمن بين الماضي والحاضر (حاضر السرد) والمستقبل من خلال جملة من الاستباقات، فهو بصدد الرجوع إلى الذاكرة، مما يعني معاينة الماضي بعيون الحاضر، هذا ما يجعله يتموقع بوصفه ساردا عليماً⁽¹⁹⁾، يعلم الأسباب والنتائج، لذا فقد زواج بين الاسترجاع والاستباق.

كما وظّف المونولوج أو الحوار الداخلي وهو حوار غير مسموع وغير منطوق تعبر فيه الشخصية عن أفكارها الحميمة القريبة من اللاوعي، إنه خطاب غير خاضع للمنطق فهو حالة بدائية وجملة مباشرة قليلة التقيد بقواعد النحو كأنها أفكار لم تكتمل صياغتها بعد⁽²⁰⁾

• ويتم على مستوى هذه التقنية استعمال الزمن الداخلي للشخصية وحكاية أحوال الأنا وتداعي الأفكار في سبيلة دون التقيد بأي منطق سوى منطق التداعي والتدفق⁽²¹⁾.
ويتم على مستوى هذه التقنية تحليل الذات من خلال حوار الشخصية مع نفسها، فتوقف بذلك حركة زمن السرد الحاضر لتنتقل حركة الزمن النفسي في إتجاهات مختلفة، للكشف عن أفكار الشخصية ومشاعرها اتجاه ما يحدث حولها (تحاورات البطل/رضا شاوش الداخلية التي عبر فيها عن ألمه وندمه على ما اقترف من أخطاء في حياته) وهو ما أعطى للزمن بعداً داخلياً (نفسياً).

- التركيز على حياة شخصية واقعية، غير أن هذه الشخصية متخيلة بالنسبة للروائي بشير مفتي والقارئ بينما هي شخصية واقعية بالنسبة للروائي في الرواية بشير.م.

- تتفق الأنواع الثلاث⁽²²⁾ في المخطوط :

* أنا الكاتب، أي رضا شاوش كاتب المخطوط في الرواية، وهو شخصية متخيلة في الرواية، ينسب المخطوط إلى نفسه بشكل صريح في الرسالة التي وجهها إلى بشير.م (ص20 رواية دمية النار).

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

* أنا السارد في المخطوط وهو رضا شاوش.
* أنا الشخصية الرئيسية، وهي شخصية رضا شاوش، وفي اتفاق الأنوات الثلاث نزوح واضح نحو السيرة الذاتية.
يتبين للقارئ من خلال قراءة أولية أن (بشير م.)، هو الروائي بشير مفتي نفسه الذي يسرد سيرة ذاتية مقتضبة ومكثفة له في الصفحات الأولى من الرواية، قبل أن يتولى دفة السرد بطل الرواية وصاحب السيرة رضا شاوش، الذي يشرع في سرد سيرته الذاتية هو الآخر، وهو ما يؤكد تعليق لنور الهدى غولي ورد على ظهر غلاف رواية دمىة النار في طبعتها الجديدة لسنة 2013، والتي تقول: (في الرواية سيرتان ذاتيتان...الأولى مختصرة وإن كانت مكثفة عن الروائي نفسه، والسيرة الثانية هي لرضا شاوش الذي ترك مسودة روايته لتري النور কিفما شاء نحن أمام اعترافين وكاتبين وإن اختلفت مستويات السرد عندهما...)
(23)

وهو ما يفنده الروائي بشير مفتي (...احتجت إلى بداية مختلفة فكانت سيرة مقتضبة لعلاقة البطل بالروائي، وذكرى لشخصية بشير م. في الرواية لا يعني أنني أنا هو الكاتب، حتى أن شخصا أخبرني أنني في سنة 1985 كنت أصغر سنا من أن ألتقي بالبطل الذي كان يكبر بشير م. بخمسة أعوام، فضحكت بصراحة، وكان أغلب سؤال القراء الذين اطلعوا على الرواية هو: هل هي حقيقة أم خيال؟) (24).

حافظ كتابة السيرة الذاتية

يروم صاحب السيرة البطل رضا شاوش الحفر في ماضيه علّه يصل إلى خلاصه المنشود بإيجاد مبررات انزلاقه، فيحمل المسؤولية لشخصيات كان لها تأثير واضح على مسار حياته واختياراته، لدرجة أن القارئ قد يشعر بالتعاطف معه في بعض مراحلها، خاصة عندما يسترجع صورا من مرحلة طفولته القاسية، تركت بصمتها الدامغة في حياته، ارتبطت معظمها بصورة والديه، والده مدير السجن القاسي، خادم النظام الفاسد وأحد رجال المنظمة السرية، وأمه المرأة الريفية البسيطة التي تعاني الويلات من زوجها (... لا أتذكر طفولتي جيدا، بعض الومضات الخاطفة فقط، بعض اللحظات التي تعود عودة اليمية، بصورة متقطعة، ومكسرة ومشوشة، مثلما رأيت أبي ذات مرة يضرب أمي ضربا عنيفا، وهو يصرخ بهذيان في وجهها: لو فعلتها ثانية لقتلتك، لم أتذكر قط سبب الضرب، سبب كل ذلك العنف والصراخ، والعيول والبكاء، واللحم الأحمر، والدم النازف، والوجه المهان أتذكر فقط حالة الألم الذي سببها الموقف بداخلي حينها، كما لو أنه خلق منطقة صامتة، وجرحا لا يبرأ...) (25) ، لتقول الرواية أيضا العنف المسلط ضد المرأة، وآثاره الوخيمة عليها هي بالدرجة الأولى، إذ تفقد توازنها النفسي والعاطفي مما يؤثر قطعاً على أدائها ودورها في التنشئة السليمة للأبناء والحفاظ على كيان أسري مترابط .

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

يسترسل رضا شاوش في بحثه عن مبررات أفعاله، ليعرج بنا إلى مرحلة شبابه لبحث فيها هي الأخرى عن معالم شخصيته، وأهم أحداثها تجربته الفاشلة في الحب التي يقول عنها: (...أما الحب فهو قصة أخرى، وهو أجمل ما عشت بالتأكيد، ولكن عشته بكل ما فيه من جذوة الشوق، وأنهار الألم...وكانت حياتي في الحب والعواطف مثل سيرة بحار تائه، يبحث عن مرفأ آمن ليستريح فيه من معارك مضنية مع البحر وهمومه) (26) ، غير أن حبه لرانيا ابنة الجيران لم يكن المرفأ الآمن الذي ظنه، بل وجد نفسه مجددا يغرق إلى الأعماق دون منقذ، فهذه التجربة الفاشلة دمرت حياته، ليتساءل عن سبب إقدامه على أذية رانيا بذلك الشكل رغم حبه الشديد لها، وهل يكفي رفضها له، والفشل في الحب ليكون ذلك مبررا لأذية من نحب لتطرح بشدة إشكالية اختيارات الإنسان وهل هو مسير أم مخير، أم أن استعداده الفطري للشر هو ما دفعه لذلك، فاكشفه لعلاقتها بشخص آخر أثار ثائرتة، فقرر الانتقام منها، إذ وشي بها إلى أخيها الذي أوسعها ضربا دون رحمة أمام مرأى من عينيه دون أن يحرك ساكنا، ولم يكتف بهذا القدر بل اقتفى أثرها إلى بيت زوجها، ثم أقدم على اغتصابها، ليتسبب في تدمير حياتها الزوجية وهجر زوجها لها.

لم تترك حادثة الاغتصاب أثرها على رانيا فقط، بل كانت الحدث المفصلي الذي قلب حياة رضا شاوش، وقلبت روحه ووجهته الوجهة التي أصبح عليها، أين دفعه اليأس من نفسه ومن الحياة للتحويل إلى إنسان عديم القيم، والمبادئ بعد أن انزلت روحه حتى النخاع نحو عالم الشر والجريمة، بانضمامه إلى المنظمة السرية التي تخدم النظام الفاسد، ليكون أداة طيعة لجميع رغباتها وأوامرها، هذه المنظمة التي تعكس فساد فئة أخذت على عاتقها حماية الثورة ومبادئها، فما لبثت أن أصبحت هي الخطر المحدق بمبادئ الثورة وبالجزائر أين استولت على السلطة ونهبت الثروات مما أدخل البلاد في فتنة عظيمة وجرّها إلى حرب دموية شرسة استمرت لسنوات، فاغتصاب رضا شاوش لرانيا ليس إلا رمزا لاغتصاب الوطن وخيانتته، فالرواية تعالج إشكالية انحدار النفس البشرية، وانهيار القيم والمبادئ لديها، وتتعرض لفترة حاسمة من تاريخ الجزائر وأزمة نتجت عن نظام سياسي متآكل من الداخل تحكمه مجموعة من القيم المضطربة سعت إلى إسكات الأصوات المعارضة ومصادرة الحريات الفردية، وهذا يمس بشكل مباشر علاقة السلطة بالشعب بصفة عامة وبالمتقف وموقفه من الأحداث بصفة خاصة، بوصف أغلب شخصيات الرواية من الفئة المثقفة .

بتركيز الروائي على حياة شخصية إنسانية واحدة والتقرب منها يكون قد حقق أهم مبدأ لنجاح الرواية المستفيدة من سياق السيرة الذاتية، كما أن محاولة خلق التناظر بين الأنوات الثلاث أنا الكاتب، أنا السارد وأنا الشخصية والتي تأتت باستثمار تقنية المخطوط ، يكون الروائي قد نجح أيضا في مراوغة القارئ وإيهامه بصدق مادته التخيلية، مستفيدا من التداخل بين جنسي الرواية والسيرة الذاتية .

هوامش الدراسة :

- 1 - واسيني الأعرج ، حوارات اليوم الأخير، صحيفة المساء، 25 جانفي 1987 ، ص10 .
- 2 - ينظر: معجب العدوانى، التجريب في الرواية، روايتنا وحوار الأجناس، ملتقى الباحة الثقافي الثاني، وزارة الثقافة والإعلام، النادي الأدبي بالباحة، ط1 2008، ص245 .
- 3 - ينظر: عمر عبد الهادي عتيق، تداخل الأنواع الأدبية (المجلد2)، جامعة اليرموك، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ص3.
- 4 - ينظر: عز الدين المناصرة ، علم التناص المقارن، دار مجدلاوي، عمان الأردن، ط1 2006، ص 72
- 5 - إدوار الخراط، الكتابة عبر النوعية، مقالات في ظاهرة القصة القصيرة ، دار شرقيات ، ط1 1996، ص28.
- 6 - ينظر: توماس نويهاوزر، الرواية ، تر: محمد فؤاد نغاع، الموقف الأدبي، ع 367، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001 ص19 .
- 7- ينظر: ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر، محمد برادة، دار الفكر، ط1 1987، القاهرة ، ص8
- 8 - أمل التميمي، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1 2005 ، ص204 .
- 9 - ينظر: عبد الله بن عبد الرحمن الحيدري، رواية السيرة الذاتية، مجلة علامات، ج 49، النادي الأدبي الثقافي جدة ، سبتمبر 2003، ص 584 .
- 10 - ينظر: حسين المناصرة ، مقارنة الرواية ، مقارنة في نقد النقد ، دن، ط2008، ص93 .
- 11- معجب الزهراني، القراءة الحوارية لعلاقات السيرة الذاتية بالرواية، الرواية العربية ممكنات السرد، أعمال الندوة الرئيسية لمهرجان القرين الثقافي 11، ديسمبر 2004، الكويت، ص299 .
- 12 - ينظر، عادل الدرغامي زايد، إشكالية النوع والتجنيس، السيرة الذاتية نموذجاً، مجلة علامات، ع 65، مج 17، ماي 2008 ص 181 .
- 13 - بشير مفتي ، دمية النار، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط 2010 ، الجزائر، ص167 .
- 14 - ابن حميد رضا، الخطاب الشعري الحديث من اللغوي إلى التشكيل البصري، مجلة فصول، ع2، صيف 1996، ص100 .
- 15- دمية النار ، ص119 .
- 16 - فيليب لوجون، السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي، تر عمر حلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1 1994، ص37 .
- 17 - دمية النار، ص05 .
- 18 - دمية النار، ص20 .
- 18 - ينظر: عمر عيلان، مستويات السرد عند جيرار جينيت، مجلة اتحاد الكتاب العرب 427 ، 2006، ص98 .
- 19 - لطيف زيتوني، معجم نقد الرواية، مكتبة لبنان، بيروت، ط1 1992، ص163 .
- 20 - مها حسن القصرأوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1 2004، ص 244 .
- 21 - عائشة بنت يحيى بن عثمان الحكمي، حكاية الفتى مفتاح، كفاية الميثاق بين القارئ والنص، مجلة علامات في النقد 66/65، ص 422 .
- 22- نور الهدى غولي، دمية النار، ط2013، ظهر الغلاف .
- 23 - حوار لبشير مفتي، أجراه معه سعيد الخطيبي، 10 فيفري 2010.
- 24 - دمية النار ، ص25 .
- 25 - دمية النار، ص 23 .

ترجمة المصطلح اللساني ومشكلاته

(نماذج تطبيقية من المعاجم المتخصصة)

(Problematic of Translating Linguistics Terms:

(Practical examples from specialized dictionaries

الأستاذة: إيمان بوشوشة

إشراف الدكتور: غريبي صالح

جامعة العربي التبسي - تبسة-

Bouchouchaimen99@gmail.com

الملخص:

تعد الترجمة أهم الوسائل التي بها يتطور العلم وينمو جهازه المصطلحي، ورغم هذه الأهمية فإن الترجمة إذا ما استخدمت بطريقة سيئة فإنها تعجز عن تحقيق هذه الوظيفة، وهو ما يبدو جليا واضحا في ترجمة المصطلح العلمي، وبصفة خاصة المصطلح اللساني، الذي تعود فيه أسباب تعدد المصطلحات الدالة على المفهوم الواحد إلى تعدد الترجمات، وقد انعكس هذا على البحث العلمي في هذا المجال، وقصور التواصل بين العلماء والباحثين العرب، كما تسبب في مزالقة ووقفت عائقا أمام تأسيس علم مصطلحي عربي حديث قادر على مسايرة التطور العلمي الدولي.

Abstract :

The translation is considered to be the most important method through which science evolves and its terminology develops. Despite its importance, it will be useless unless it is used correctly, and that is obviously clear in translating scientific terms and especially linguistic ones which have multiple significant for the same concept and this is mainly due to multiple translations of the same term. This later reflects on scientific research in this domain and the lack of communication between Arab scientists and researchers. This represents an obstacle to building modern Arabic terminology which will probably keep up with international scientific developments.

تمهيد:

يشهد العالم تطورا هائلا في كل مناحي الحياة يرافقه ظهور الكثير من المفاهيم والمبتكرات والمستحدثات التي تملأ حياة الإنسان وتحتاج إلى أسماء وعلامات تعرف بها، إذا أراد الفرد أن يتحدث عنها، ومعروف أن الجهة المخولة لاستيعاب كل الأمور المستحدثة والحاجات المتجددة والمفاهيم الجديدة هي اللغة، لأنها تتحرك طوعا كلما تلقت منبها خارجيا، فما أن يستفزها الحافز حتى تستجيب بواسطة الانتظام الداخلي الذي يمكنها من استيعاب الحاجة المتجددة، والمقتضيات المتولدة.

فالتقدم في المعرفة البشرية والتكنولوجيا والاقتصاد يعتمد إلى حد كبير على توثيق المعلومات وتبادلها، وتستخدم المفاهيم التي تعبر عنها بالمصطلحات والرموز أساسا لتنظيم الأفكار العلمية، "فإن لكل علم اصطلاحا خاصا به إذا لم يعد يعلم بذلك لا يتيسر للشارع في الاهتداء إليه سبيلا و إلى انفهامه دليلا"1.

فالحقيقة التي لا ينفىها باحث هي أن مفاتيح العلوم هي مصطلحاتها، ومصطلحاتها هي منتهى مقاصدها ومجمع حقائقها المعرفية، وعنوان ما يميز حقلها المعرفي عن سواه، "وهي نواة وجودها ولا يمكن أن تؤسس مفاهيمها ومعارفها دون ضبط هذا الجهاز المصطلحي الذي يؤسس هوية كل علم من العلوم بل تتفاضل العلوم بمدى تطور جهازها المصطلحي، ومسارته للنظريات العلمية الخاصة"2.

وكل لغات العالم "تعيش مخاض تولد الدوال عندما تقتحمها مدلولات مستحدثة، وتسعى اللغة دوما إلى استيعاب المداولات دون دوالها إما بالإحياء أو بالتوليد، فإذا أعييت الحيلة استقبلت القادم عليها دالا و مدلولا، فيكون دخيلا ترفده إلى أبنيتها حتى يتواءم ونسق الصوغ الأدائي لديها"3. واللغة العربية لا تشذ عن هذه القاعدة، فهي لغة حضارة إنسانية حية تطورت واستمرت في التطور عبر قرون عديدة لتسهم في ترجمة الفكر والعلوم من لغات عديدة مختلفة المصادر.

إن ثورة اللغة العربية من المصطلحات العلمية لها خصوصية الماضي والحاضر، وكانت مفرداتها وعاء لمصطلحات مختلف العلوم، ابتدع أبناؤها من علومها ما كان فريدا في زمانه، ومن فلسفتها ما كان يكشف عن مرونة اشتقاقها وطاقاتها على الترجمة، والتفاعل مع اللغات الأخرى، فقد وجه أسلافنا نشاطهم الفكري إلى ميادين العلوم المختلفة، واستوعبوا ثقافات أثرت مركبا ثقافيا جديدا وهو الثقافة العربية الإسلامية التي دخلت باللغة العربية، وتميزت بمنهجها العلمي ومحتواها الفكري، وبثورتها المصطلحية العلمية.

وازدادت الحاجة إلى وضع المصطلح مع كل مرحلة حضارية جديدة، لذا شهدت العربية أيضا من المصطلحات الجديدة في العصر الإسلامي الأول، ثم فيما تلاه من القرون في عصر ازدهار الترجمة والعلوم في الدولة العربية والإسلامية، فاعتنت العربية بذلك واستطاعت أن تنتقل من لغة بيان في الجاهلية إلى لغة بيان وعرفان في الإسلام، وإلى لغة بيان وعرفان وبرهان فيما بعد في العصر الحديث، عصر التقدم المتسارع في ميادين العلم والمعرفة والمعلومات واتساع أثر المعلوماتية، وتعاضمت في حياتنا نقاط من الحاجة إلى تنمية

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

اللغة، ورفدها بالألفاظ والمصطلحات العلمية التي تؤهلها لتكون مرة ثانية لغة العلم والثقافة، وهي لغة هذا العصر.

ويرى الباحث عبد القادر الفاسي الفهري أن حركة اللغة العربية في هذا المجال تتسم بالبطء الذي لا يتيح لها مواكبة الركب، ولم يوفق اللغويون العرب في تلافي حدوث تراكم في المصطلحات التي يتعين نقلها من اللغات الأخرى، ولم ترق الجهود الفردية المبذولة إلى مستوى التحدي⁴، ولا الجهود الجماعية استطاعت أن تجسد تصوراتها وآمالها في أرض الواقع.

على الرغم من المزايا الكثيرة التي تزخر بها اللغة العربية، والمتمثلة في قدرتها الكبيرة على توليد الصيغ والدلالات لمسايرة التطور في مختلف ميادين العلم والمعرفة، وإيجاد المصطلحات العلمية المناسبة لمختلف المستجدات، كونها لغة اشتقاقية.

I- المصطلح اللساني والترجمة (مفاهيم نظرية):

1- معنى المصطلح في اللغة:

إن كل ما يجمع عليه اللغويون هو أن المصطلح كلمة مشتقة من المادة (ص ل ح) على صيغة اسم مفعول من (اصطاح اصطلاحا) لمقدر محذوف تقديره "عليه". وقد حددت المعاجم دلالة هذه المادة (ص ل ح) بأنها ضد الفساد، وهذا ما أورده أبو بكر الرازي (ت 502 أو 565هـ، أو بعد 666هـ) بقوله: "الاصطلاح، كما يلي: "الاصطلاح ضد الفساد، والمصلحة واحدة المصالح، والاصطلاح ضد الاستفساد"⁵. وكذلك "ابن منظور" (ت 711هـ) إذ يقول: "الصالح ضد الفساد"⁶. وقد تدل على المسالمة والاتفاق، حيث يقول: "تصالح القوم بينهم، والصُّلح، السُّلم، وقد أصلحوا وصالحوا وأصلحوا وتصلحوا وأصلحوا [...] بمعنى واحد"⁷.

وبين المعنيين تقارب دلالي، فاصطلاح الفساد بين القوم لا يتم إلا باتفاقهم⁸، يقول محمود فهمي حجازي: "إصلاح الفساد بين القوم لا يتم إلا باتفاقهم"⁹.

والملاحظ أن لفظة "مصطلح" لم ترد عند القدماء بهذه الصيغة، حتى عصور متأخرة، حيث أورد مرتضى الزبيدي (ت 1205هـ) لفظ الاصطلاح، وعرفه بأنه: "اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص"¹⁰. وبذلك يكون أول قاموس لغوي عربي يورد لفظ "اصطلاح" ويعرفه بالشكل الذي رأيناه.

أما المعجمات الحديثة فمعظمها يقتفي آثار القدماء، فهذا "المعجم الوسيط" يورد قوله: "صلح الشيء كان نافعا أو مناسبا، واصطاح القوم زال ما بينهم من خلاف"¹¹.

والقليل منها يورد لفظة "المصطلح"، مثل معجم "المنجد": الذي يورد قوله: "مصطلحات: مجموع تعابير مصطلح عليها من علم أو فن أو مبحث"¹². وهذا التعريف يمكن عده من التعريفات الاصطلاحية.

2- مفهوم المصطلح عند المتخصصين:

أولاً: عند العرب:

لاحظنا سابقاً أن لفظ "مصطلح" لم يرد في كتابات اللغويين من القرون الأولى بمعناه المتداول اليوم، وإنما سبقه إلى الاستعمال في كتابات ذلك العصر لفظ آخر بصيغة المصدر هو "اصطلاح".

وقد عرفه "الشريف الجرجاني" (ت 816هـ) بأنه "عبارة على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول، كما عرف أيضاً على أنه "إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما"، أو هو "لفظ معين بين قوم معينين"، و"اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى 13"، وفي التعريف الأخير إشارة إلى أن كل تسمية في اللغة هي اصطلاح، ويقصد بذلك العرف العام.

وذهب **التهاوني** (ت-1185هـ): في تعريفه إلى العرف الخاص قائلاً: هو "العرف الخاص، أي اتفاق طائفة مخصوصة من القوم على وضع الشيء أو الكلمة 14".

ويبدو أن أول من استعمل لفظ "مصطلح" مرادفاً للاصطلاح هو **أبو البقاء الكفوي** (ت-1094هـ) الذي يقول: "المصطلح إخراج الشيء عن معناه اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد 15"، ويكون بذلك سابقاً إلى لفظ المصطلح وكذا إلى مفهومه الذي يركز على مبدأ الاتفاق الذي يتم من قبل طائفة مختصة، وهي سمة ضرورية، لأنه لا يمكن لأي فرد عام من المجتمع أن يقوم بوضع المصطلح وصياغته.

ورغم أن لفظ المصطلح قد تأخر في الظهور قليلاً، إلا أنه قد شاع في الوقت الحاضر شيوعاً واسعاً، وربما كان أول قاموس معاصر أدخل لفظ المصطلح إلى مدونته هو "المعجم الوجيز" الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة (1980م) ثم تبعه "المعجم العربي الأساسي" الصادر عن المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة سنة (1988) 16.

وقد عرفه "الوجيز" بأنه: "لفظ أو رمز يتفق عليه في العلوم والفنون للدلالة على أداء معنى معين 17". وقد ركز في تعريفه هذا على مبدأ الاتفاق، وخصه بمجال العلم والفن.

ثم توالت بعد ذلك تعريفات اللغويين العرب المحدثين أمثال **عبد الصبور شاهين** الذي عرفه بقوله: هو: "اللفظ أو الرمز الذي يستخدم للدلالة على مفهوم علمي أو فني أو أي موضوع ذي طبيعة خاصة 18".

و**الأمير الشهابي** الذي يقول في تعريفه للمصطلح: "هو لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلمية 19".

أما **إيمان السعيد جلال** فقد أوردت أحدث تعريف للمصطلح، والذي لا يغفل البنية، فالمصطلح (term) أو الوحدة المصطلحية (Terminological unit) هو: "كل وحدة دالة مؤلفة من كلمة (مصطلح بسيط) أو من كلمات متعددة (مصطلح مركب)، وتسمي مفهوماً محدداً بشكل وحيد الوجهة، داخل ميدان ما، وغالباً ما يدعى بالوحدة المصطلحية في أبحاث علم المصطلح 20". منطلقاً في تعريفها هذا من خصائصه التركيبية على أنه

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

وحدة لغوية إما بسيطة أو مركبة، وكذا خصائصه الدلالية، كونه يطلق على مفهوم محدد وواحد، وفي ميدان معين ومخصص.

وخلاصة القول: إن المصطلح هو اللفظ أو العبارة أو الرمز الذي يعين مفهوما مجردا أو محسوسا داخل مجال متخصص، وتكمن أهميته في كونه قادرا على الإمساك بالعناصر الموحدة للمفهوم، وتنظيمها في قالب لفظي 21، فالمصطلحات تمثل ألفاظ اللغة العلمية، في مقابل الكلمات التي تمثل ألفاظ اللغة العامة.

ثانيا: عند الغرب:

إن أقدم تعريف أوروبي للمصطلح يرجع إلى "كويكي" (kouikky) (ت 1935م) 22 ، والمصطلح عنده هو " كلمة لها في اللغة المتخصصة معنى محدود وصيغة محدودة، وعندما يظهر في اللغة العادية يشعر المرء أن هذه الكلمة تنتمي إلى مجال محدد 23.

و"يرجع معجم روبير (le grand robert) لفظ مصطلح: (terme) في اللغة الفرنسية، و (term) في اللغة الإنجليزية إلى أصله اللاتيني، ومعناه الحد، أي ما يحد الشيء، أو المعنى 24". والحد هو التعريف أو المفهوم.

أما غي روندو (Guy Rondeau) فيعرف المصطلح باعتباره دليلا لغويا بالمعنى الذي حدده دي سوسير (de Saussure)، بمعنى أنه وحدة لغوية تحتوي على دال ومدلول 25.

وأما التعريف الذي اعتمده المنظمة الدولية للتقييس إيزو (ISO) في توصيتها رقم 1087 الصادرة عن التقنية 37، فهو أن: "المصطلح هو أي رمز يتفق عليه للدلالة على مفهوم، ويتكون من أصوات مترابطة أو من صورها الكتابية (الحروف)، وقد يكون المصطلح كلمة أو عبارة" 26.

والملاحظ من خلال تعريفات الغربيين هو أنها قد ربطت المصطلح بمفهوم خاص ومحدد، وبمجال معين، كما حددت استعماله في فئة معينة من المختصين. وهذا ما ذهب إليه علماءنا العرب قديما وحديثا.

3- تعريف المصطلحية (علم المصطلح):

المصطلحية علم جديد النشأة شهد القرن العشرون مولده، وكان فوستر "Wuster" (ت 1977م) قد عرفه بأنه "العلم الذي يدرس طبيعة المفاهيم وخصائصها، وعلاقات بعضها ببعض، ونظمها ووصفها، وطبيعة المصطلحات ومكوناتها، وعلاقاتها الممكنة واختصاصاتها، والعلامات والرموز الدالة عليها 27".

ويتوافق هذا التعريف مع ذلك الذي أورده على القاسمي بقوله: هو "العلم الذي يبحث في العلاقات بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها 28". أي أنه العلم الذي يدرس النظام المصطلحي لكل علم، وفي ذلك إشارة إلى نظرية المصطلح. وكان فوستر قد حدد مكان علم المصطلح بين أنواع المعرفة بأنه مجال يرتبط بعلم اللغة وبالمنطق، وبعلم الوجود، وبعلم المعلومات، وبفروع العلم المختلفة 29.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

أما "المنظمة العالمية للتقييس" (ISO)، فعرفته بأنه: "دراسة ميدانية لتسمية المفاهيم التي تنتمي إلى ميادين متخصصة في النشاط البشري باعتبار وظيفتها الاجتماعية 30". وتقصّد بذلك عملية وضع المصطلحات في كل مجال متخصص، وفي ذلك إشارة إلى علم المصطلح التطبيقي.

وهذا التعريف يقترب مما أورده عبد السلام أرخصيص الذي يقول: "هو الدراسة النسقية للمفاهيم التي تنتمي إلى ميادين مختصة من التجربة الإنسانية 31". ومن خلال التعريفات السابقة نخلص إلى أن علم المصطلح يقوم بدراسة العلاقة القائمة بين المفاهيم العلمية والتسميات التي تدل عليها، في ميادين مختصة متعلقة بالنشاط البشري، كما يبحث في وسائل وضعها وأنظمة تمثيلها.

"أما وظيفته الأساسية فإنها تنحصر في:

- دراسة المفاهيم والعلاقات التي تربط بينها داخل الحقل الواحد.
- ضبط المفاهيم ضبطاً دقيقاً تراعى فيه المقاييس اللغوية.
- وضع نظرية ومنهجية خاصة لدراسة المصطلحات وتطورها 32. وهذا يعني وضع طرق يمكن من خلالها خلق مصطلحات تمكن من التواصل العلمي بشتى أنواعه.

4- مفهوم المصطلح اللساني:

من المعروف أن لكل علم مصطلحاته المتواضع عليها، والمصطلحات اللسانية هي تلك المصطلحات المتعلقة بعلم اللغة، والذي ارتبطت نشأته بظهور واكتمال منظومته الاصطلاحية. وترجع بدايات نشأته إلى القرن 18م، واكتمل على يد اللغوي الشهير فيرديناند دي سوسير، الذي ضبط معظم المفاهيم المتعلقة بهذا العلم، وتوسعت مجالاته وتعددت مناهجه ونظرياته باختلاف مدارسه.

فالمصطلحات اللسانية إذن تقصد بها تلك الوافدة إلينا من المدارس اللسانية الغربية -بغض النظر عن وجود مقابلات لها في التراث اللغوي العربي أو عدمه- وقد كان هذا الوفود نتيجة أسباب عديدة، أهمها: الاحتكاك بين الثقافات والحضارات أو بين الأمم والشعوب المختلفة، وحاجة اللغة العربية إليها من أجل تلبية حاجاتها اللغوية، ومثال هذه المصطلحات: (لغة) Langage، لسان (Langue)، كلام (parole) فونيم (Phonème)... الخ. وقد ساهمت هذه المصطلحات الوافدة في نشأة مصطلحات لسانية عربية حديثة، امتلأت بها بطون المؤلفات والمعاجم.

5- مفهوم الترجمة:

المراد بالترجمة في المعاجم اللغوية العربية: التفسير والإيضاح، والنقل، أما في الاصطلاح فالترجمة في أبسط تعريفاتها هي عملية نقل النصوص من لغة أصلية تسمى المصدر إلى لغة أخرى تسمى الهدف، ورد في معجم الوسيط "ترجم الكلام: بينه ووضحه، وترجم كلام وغيره: نقله من لغة إلى أخرى 33".

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

والت ترجمة قسمان: عامة، وهي التي لا تختص بمجال محدد، ومتخصصة، وهي التي تتعلق بمجال مخصص بعينه، مثل الترجمة العلمية الخاصة بالطب، أو الصيدلة، أو الفيزياء، أو اللسانيات... الخ.

وقد نشأت الترجمة منذ أقدم العصور باعتبارها فنا يعتمد على حذق المترجم، وتمكنه من اللغتين الناقلة والمنقولة منها، وإطلاعه على ثقافتيهما، ومعرفته بموضوع النص المترجم. ولكن مع حلول القرن العشرين للميلاد ظهرت محاولات تتولى إخضاع الترجمة لمنهجية علمية، ووضعت نظريات خاصة بها، وقد شجع على ذلك التطور الذي مس علم اللغة بشكل عام، ونظريات الدلالة، والاتصال، وقواعد الترجمة الآلية، وما يتطلبه ذلك من منهجية وتنسيق وضبط، فتطرقت إلى طبيعة المعنى بتحليل العلاقة بين الدال والمدلول والمرجع 34. فتعددت نظريات الترجمة وتم التمييز بين الترجمة العلمية والترجمة الأدبية، والترجمة الآلية، وغيرها من أنواع الترجمات.

6- العلاقة بين اللسانيات والمصطلحية:

لم تكن اللسانيات أسبق في احتضان البحث المصطلحي بكل أبعاده العلمية والاجتماعية إلا بعد السبعينيات من القرن العشرين ذلك لانشغالهم بالجانب الوصفي في دراساتهم المنصبة في كليتها على اللغات الطبيعية.

وقد اختلف الدارسون في ضبط العلاقة بين اللسانيات والمصطلحية، فمنهم من اعتبرها علما مستقلا بذاته وهو الغالب- على أن كليهما يعتمد المادة اللغوية رغم اختلاف المنطلقات والمناهج، ومنهم من ذهب إلى أن كليهما مختلف عن الآخر منهجيا، مركزا في ذلك على الجانب النظري الذي تستند إليه كل منهما، إذ يختلفان في المنطلقات والأنظمة.

لكن الأرجح أن المصطلحية فرع من فروع اللسانيات، يستثمر أصولها النظرية ومبادئها العلمية ويطبقها في مجالات مختلفة ذات الصلة بالمصطلح.

ومما لا شك فيه أن المصطلحية نشأت مواصلة لعلم التسمية، ولكنها تسمية المفاهيم، وهي حاجة ملحة للتطور العلمي والتقني، وضمانا للتواصل اللساني بين مختلف الاختصاصات والألسن، لذلك نذهب إلى أن المصطلحية عمل مشترك مع اللسانيات التي يؤدي فيها المصطلحي دور تحديد المنهج العلمي الذي ينتج المصطلح، والدور الذي تؤديه اللسانيات يتمثل في مساعدة المصطلحية على تسمية المصطلحات، وضبط مجال استعمالها، فهو دور توأسي بالأساس.

لذلك يمكننا اعتبار المصطلحية علما ينتمي إلى اللسانيات التطبيقية، أو مجالا من مجالاتها، يستمد الأسس النظرية التي يسند تطوره من اللسانيات النظرية، ويطبقها على مجالات مختلفة. ويقوم بضبط شكلها المعجمي، وهو ما يجعلها ذات صلة بالمعجمية (باعتبارها فرعا من اللسانيات) في إطار التشارك في البحث والمنطلقات والمقاربات.

7- العلاقة بين المصطلحية والترجمة:

تتشابك العلاقة بين المصطلحية ونظرية الترجمة، كما تتشابك أغصان شجرة المعرفة المتنامية، لأن كل العاملين في مجال الترجمة يستخدمون اللغة هدفا ومضمونا وسيلة، وبالتالي فهم يوظفون المصطلحات، ويستندون إلى مبادئ علم المصطلح في ترجمتها.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

وتعرف الترجمة في مجال وضع المصطلحات بأنها إعطاء كلمة الأجنبية -وهي في الغالب مصطلح علمي- مقابلها العربي الموضوع من قبل، فشرط الترجمة أن تكون الكلمة العربية المقابلة مما دخل حيز اللغة سابقا، أو مما تولد منها 35. فالمترجم إذا صادفته كلمة أجنبية فأفاد من تراث اللغة منتقيا لفظا مقابلا لها، كان بذلك قد ترجم وله 36. فالترجمة ليست فقط وسيلة من وسائل وضع المصطلح فحسب، بل تعد أيضا سبيلا إلى إحياء اللغة العربية وتنميتها، من خلال توليد مدلولات جديدة.

وبالتالي يكون كلا من المترجم والمصطلحي يسعيان إلى الهدف ذاته، أي فهم المعنى المقصود ونقله بدقة وأمانة، وهذا ما يتطلب منهما تمكنا من اللغتين ودراية معمقة ببنياتها الصرفية، وتراكيبها النحوية وأساليبها وثقافتها، لكن المصطلحي يقوم بتوليد المصطلحات باللغة ذاتها وتوحيدها، في حين المترجم يتعامل تقريبا مع نص كامل يرغب في نقله من لغة إلى أخرى، ولكن المصطلحي لا يتعامل إلا مع مصطلح واحد ويبحث عن معنى الشيء ومفهومه.

8- ترجمة المصطلح اللساني إلى اللغة العربية:

المصطلحات اللسانية هي رموز لغوية تحمل بين طياتها مفاهيم علمية تخص مجال اللغة، وتسعى إلى ضمان عملية التواصل بين اللغويين، لذلك تسارع العلماء إلى وضعها وترجمتها.

فالترجمة في مجال المصطلحية تعد من أهم وسائل نقل المصطلحات وأنجعها 37، وبما أن عملية الترجمة تتكون من شقين اثنين: أولهما مفهوم اللغة المصدر أو ما يسمى اللغة الأولى، وثانيهما التعبير في اللغة الهدف، أي اللغة الثانية المترجم إليها، فإنه لا بد للمترجم أن يفهم معاني الكلمات والتعبيرات الاصطلاحية في سياقاتها المختلفة 38، ولا بد أن يكون المترجم ملما بحقل اللسانيات والمصطلحات المستخدمة فيه حتى لا يخرج المصطلح بعد ترجمته عن المفهوم اللساني الذي يشير إليه في اللغة الأصل. وتقوم عملية ترجمة المصطلح على مراحل هي:

- **مرحلة تحديد التصور:** حيث يتم نقل المصطلح من لغة إلى أخرى بواسطة التكافؤ بين شبكة من العلاقات الصرفية والدلالية والتركيبية في اللغة الأصل واللغة الهدف، غير أن هذا التكافؤ لا يكون دائما موجودا لذلك يلجأ المترجم إلى التطويع، وهنا تظهر شبكة أخرى من العلاقات وتكافؤ جديد 39. ولكي نتجاوز هذا النوع من الترجمة يجب علينا أولا أن نترجم التصورات ثم نصوغها في مفاهيم ومصطلحات داخل اللغة الهدف، ويتطلب هذا الأمر معرفة بالأطر الابدستيمولوجية التي تولد فيها المصطلح في بيئته الأصلية، ثم كيف سيولد في بيئة جديدة بعد الترجمة، وهذا ما يمكن أن يجنبنا مختلف المشكلات الصرفية والتركيبية في المصطلح 40.

فالترجمة المصطلحية تحرص على إيجاد نوع من التطابق بين التصور والمفهوم، ولكن بما أن التصورات تسكن العقول، ولا تسكن كل اللغات، فهذا يطرح مشكلة في الترجمة، إذ يؤدي -أحيانا- إلى ترجمة متصور واحد بعدد من العبارات في اللغة الهدف.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

وحسب هينري بجوان فإن "جل ما تستطيع اللغات فعله هو أن تعيد ووبرجات متفاوتة من الدقة- إنتاج العلاقات المنطقية القائمة بين التصورات، ولها في ذلك ضروب وأشكال متغيرة للغاية" 41. وتتم الترجمة حسبه وفق مرحلتين:

- **مرحلة ضبط المفهوم:** وتقوم على تحليل المفهوم وضبط سماته المفهومية بدقة، حتى يتمكن المترجم من الإلمام بها قبل ترجمتها، فهو يبحث عن التعادل المفهومي بين اللغتين الأصل والهدف.
- **مرحلة ترجمة المصطلح:** وتقوم على ما توصلت إليه المرحلتان السابقتان من نتائج تكمن في ضبط المتصور، وتحديد المفهوم، وفهم العلاقات الرابطة بينهما في اللغة الأصل، ثم ترجمتها إلى اللغة الهدف.

واعتبر **عبد القادر الفاسي الفهري** أن استقراء الحقول الدلالية "في كل اللغتين تجعلنا نتلافى اضطراب الترجمة، وفوضى الاصطلاح الذي نلمسه بوضوح في قطاع العلوم اللسانية" 42.

لكن **خليفة الموساوي** يخالفه الرأي، ويؤكد على وجود مرحلة تصورية سابقة لمرحلة استقراء الحقول الدلالية في الترجمة، ويقترح لنا منهاجاً لترجمة المصطلح، يكون كالآتي:

1. إدراك المتصور الذي نشأ فيه المصطلح وتولد عنه.
2. إدراك المفهوم المرتبط بهذا التصور.
3. إدراك الحقل الدلالي الذي نشأ فيه المصطلح.
4. اختيار المصطلح المناسب وفق الشروط السابقة مع علاقته بالإمكانات اللسانية (المعجمية) التي تسمح بها اللغة الهدف من اشتقاق ونحت وتوليد، وتركيب.... لإخراج المصطلح الملائم لخصوصية اللغة الهدف.

فتكون هذه الترجمة مقيدة بالتصور والمفهوم المرتبطين بالحقل العلمي، مع إدراك العلاقات الرابطة بين المصطلح والمصطلحات المجاورة في ميدانه التداولي التواصلي 43.

وللترجمة العلمية شروط الأمانة في النقل، والدقة في اختيار اللفظ، ووضع المصطلح في موضعه، والإيضاح في التعبير، والإسراع في الإنجاز، وقد أصدرت مجامع اللغة العربية قرارات في شأن الترجمة 44؛ منها تفضيل الكلمة الواحدة على الكلمتين فأكثر عند وضع اصطلاح جديد، إذا أمكن ذلك، وإذا لم يمكن ذلك فهي تفضل الترجمة الحرفية.

وتعد ترجمة المصطلحات اللسانية إلى اللغة العربية من بين المهام الشاقة التي يضطلع بها الأفراد المؤسسات المختصة، وتظهر هذه المشقة من خلال تعدد المقابلات العربية الممكنة للمصطلح اللساني الغربي الواحد. وقد يبدو للوهلة الأولى أن الظاهرة صحية، إلا أنها تطرح الكثير من المشكلات، على الصعيد الاصطلاحي، حيث نلاحظ من خلال المؤلفات المترجمة اضطراباً كبيراً في ترجمة المصطلحات اللسانية، وتضارباً في نقل مفاهيمها الغربية، مما أوقع الباحث العربي في حيرة من أمره، يأخذ بهذه الترجمة أو تلك؟ ويتساءل أي هذه المصطلحات العربية المترجمة أصح وأدق؟

II- مشكلات ترجمة المصطلح اللساني إلى العربية (نماذج تطبيقية):

بعد أن كان العرب يصدرن العلوم والمعارف بلغتهم، وكانت الأمم الغربية تبعث أبناءها ليتعلموا العربية ليتربوا علومها إلى لغاتهم القومية، انقلبت الموازين، فأصبح العرب مستوردين للمعارف، لا مصدرين لها.

فتكاثفت الجهود العربية وتأسست المجامع اللغوية، وتعددت مراكز الترجمة والتعريب، فأخذت على عاتقها مهمة النهوض بالترجمة من مختلف اللغات، وفي عديد المجالات. ولم يكن مجال اللسانيات بمنأى عن هذا الواقع، حيث وفد إلينا علم اللغة بمصطلحاته الغربية، فهرع اللغويون العرب إلى ترجمتها، سعياً منهم للحاق بركب اللسانيات الغربية الحديثة. بدءاً بأول كتاب غربي في اللسانيات، ألا وهو "محاضرات في اللسانيات العامة" لفيرديناند دي سوسير (Ferdinand de saussure) الذي شهد عدة ترجمات إلى اللغة العربية، و**علم الدلالة لبيريير جيرو (Pierre Guiraud)** واللغة لجوزيف فنديريس (Joseph Vendryes) ودورالكلمة في اللغة لستفن ألومان (Stephen Ullmann)، و**معجم اللسانيات لجان ديبوا (Jean Dubois)** وآخرون، وغير ذلك كثير. وقد جاءت كتبهم تلك مليئة بالمصطلحات علوم اللغة بفروعها المختلفة، مما دعا الهيئات العلمية وبعض الأفراد من اللغويين إلى رصد هذه المصطلحات، ومختلف ترجماتها وصيغتها، ومختلف الشروح التي قدمت لمفهومها، في معاجم خاصة.

ومن أمثلة هذه المعاجم نذكر **"قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح" لعبد السلام المسدي، (1984)**، **"المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية للحمزاي" (1977)**. و**"معجم علم اللغة النظري" من إعداد محمد علي الخولي، (1982)**. معجم **"مصطلحات علم اللغة الحديث" من إعداد نخبة من اللغويين العرب، (1983)**. ومعجم علم اللغة التطبيقي **لمحمد علي الخولي (1986)**. ومعجم **"المصطلحات الألسنية" لمبارك مبارك، وغيرها.**

ومعظم هذه المعجمات ثنائية أو متعددة اللغات، ولكنها تتباين تبايناً واضحاً في ترجمتها لكثير من المصطلحات اللسانية، ومن أمثلة ذلك، تباينها مع الكتب التي ترجمت محاضرات دي سوسير في كثير من المصطلحات التي أوردها 45.

وهو ما سنبيئه في الجدول الآتي:

المصطلح	ترجمته	المصطلح	ترجمته
Langage	لسان (غازي)	Langue	لغة (غازي)
	كلام (القرمادي)		لغة (القرمادي)
	لغة (المسدي)		لسان (المسدي)
	لغة (بابا عمر)		لغة (زكريا)
	لغة أو لسان (الحاج صالح)		لسان (بابا عمر)
	أما ميشال زكريا فلم يرد عنده هذا المصدر		لغة أو هي لسان عند سوسير أو الوضع في مقابل الاستعمال عند العرب

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

إن اختلاف وتباين هؤلاء في ترجمة مصطلحات دي سوسير، يمثل صورة واضحة عن اختلاف المترجمين في فهم النصوص الأصلية ومفاهيم مصطلحاتها الغربية، كما يكشف عن عمق الاضطراب في عملية الترجمة. فإذا كان الاختلاف والتباين في إطار الترجمة لعدد من المصطلحات التي أساس اللسانيات، والتي تنبني عليها جل المدارس والاتجاهات، فكيف سيكون حال المصطلحات الأخرى المتفرعة عنها. ولتوضيح الصورة نقدم النماذج الآتية:

المصطلح	ترجمته	المصطلح	ترجمته
Parole	كلام (غازي)	Arbitraire	اعتباطية (غازي)
	لفظ (القرمادي)		اعتباطية (القرمادي)
	كلام (المسدي)		اعتباطية (المسدي)
	كلام (زكريا)		اعتباطية (زكريا)
	كلام (الحاج صالح)		لم يرد على هذا المصطلح (بابا عمر)
	كلام (بابا عمر)		اعتباطية (الحاج صالح)

ويرجع المسدي مشكلات ترجمة المصطلحات اللسانية إلى اللغة العربية الأسباب إلى الآتية 46:

- غموض المفهوم الذي يرمز له المصطلح الأجنبي بالنسبة لمترجمه إلى العربية، أو للمستعملين له في كتاباتهم بالعربية، وسرعة الترجمة، ولجوء المعرب إلى أسهل السبل لنقل المفاهيم الغربية الدخيلة، وذلك بتعريبه حتى دون مراعاة للميزان الصرفي والبنية الصورية للعربية.
- غياب أي خطة منهجية لنقل المصطلح اللساني إلى اللغة العربية، واللغات الأجنبية، وقيام المتخصص بمفرده ذلك الذي يجهل طرق الصوغ بالعربية في نقل المصطلح، ومن ثمة كانت حاجتنا إلى المصطلحي.
- غياب الدراسات التأصيلية للمصطلحات الأجنبية، وفهم سوابقها ولواحقها وجذورها وتطور دلالتها، وتغيرها زمنياً.
- عدم تفهم طبيعة المصطلح العلمي من حيث الدقة والوضوح والإيجاز، والفارق بينه وبين اللفظ العادي في اللغة العامة، وذلك لغياب الدراسات العميقة في هذا الحقل.
- كما يعيد المسدي أسباب اختلاف المصطلح العربي في حقل اللسانيات إلى:
- اختلاف المصادر التي ينهل منها علماء العرب اليوم، من لاتيني وسكسوني وجرماني... الخ.
- طبيعة المعرفة الإنسانية، وتنوع المدارس اللسانية وتعدد مناهجها، دوران المعرفة اللغوية بين متصورات مستحدثة ومفاهيم متوارثة.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- غفلة القائمين على أمر العلم عن ناموس وضع المصطلح وتطوره طبق مراحل التجريد
47.

فالدرس اللساني العربي الحديث ورغم الأشواط التي قطعتها مازال يعاني مشكلة تعدد المصطلحات 48، وفوضى المصطلح، وتباين الترجمات وقد أدى هذا إلى الاضطراب في الوضع والترجمة، وعدم تناسق المقابلات للمفردات الأجنبية، وصعوبة تطبيق الطرق المؤدية لصوغ المصطلحات وعدم التحكم في توحيدها.

إن الأشكال الحاصل بين الترجمة والمصطلح يتجلى في طريقة النقل أو التحويل لهوية هذه المصطلحات، فهي تقوم برحلة من لغة إلى لغة أخرى، وهذا ما يؤدي إلى خلق معضلات في نقله وتأصيله. وأول ما يمكن ذكره من الأسباب الكامنة وراء صعوبة ترجمة المصطلح الوافد نذكر مايلي:

أولاً: المشكلات اللغوية: وتعود إلى عدة أسباب منها:

أ- مشكلات تخص اللغة العربية: نلخصها في:

- **التعدد:** ونقصد به وجود أكثر من مصطلح عربي مقابل للمصطلح الأجنبي الواحد، 49.
- **الاشتراك اللفظي:** وهي أن المقابل العربي يحمل معاني مختلفة باختلاف السياق، وزمان ومكان الاستعمال (عدم التمييز بين المعاني التطورية، وكذا اختلاف اللهجات).
ويعود هذان السببان إلى تضخم المعجم العربي، الذي لا يميز بين القديم والحديث، ولا بين الأصل والفرع، ولا بين اختلاف اللهجات.

ب- مشكلات تخص اللغات المترجم عنها:

ونذكر منها:

- اختلاف المدارس اللسانية في القضايا الجوهرية؛ وكل مدارس لسانية تستخدم مصطلحات خاصة بها، وتفسرها من الزاوية التي توافق منهجها.
اختلاف اللغويين ضمن المدرسة الواحدة في المصطلحات التي يستخدمها، لاختلافهم في بعض القضايا الفرعية 50.

ولأجل تجاوز هذه الصعوبات، استخدم المترجمون العرب، اجتهادات خاصة، فمثلاً، يقول محمد علي الخولي في مقدمة معجمه "علم اللغة النظري" أنه اجتهد في وضع مرادفات مناسبة في الحالات التي لم يجد فيها مرادفاً جاهزاً، كما أنه اجتهد ليجد مرادفاً عربياً ليحل محل المرادف المعرب بعد شيوعه 51.

أما عبد القادر الفاسي الفهري فيخالف منهج محمد علي الخولي في وضع وانتقاء المصطلحات، فهو يرى في مقدمته أن معجمه غني بالمفردات الجديدة المقترنة بالمنطقات المعرفية الغربية، وقد حرص ألا تختلط بالمصطلحات العربية المقترنة بتصورات معرفية وثقافية مغايرة، وقد خالف بذلك من أراد التأصيل بتوظيف مفردات التراث، خشية يسقط في المعرفة القديمة ما لا يوجد فيها أو تحمّل المعرفة الجديدة تمثلات قديمة 52.

لذلك تميز منهج الفهري بالجرأة في وضع المصطلحات، فقد اتسمت أعماله بالابتكار والتوسع والتعريب، وإدخال صيغ ومشتقات غير مألوفة في اللسانيات 53.

وهذا الجدول يحوي بعض النماذج من كلا المعجمين لبيان الفرق بينهما.

المصطلح	معجم اللغة النظري	معجم المصطلحات اللسانية
Phone	صوت كلامي – صوت لغوي	صوتة
Phoneme	فونيم، فونيمة، صوتيم، صوت	فونيم، صوتية
Morph	مجرد	صرفة
Morpheme	مورف، مورفيم، مورفيم صوتية مجردة، صرفيم.	مورفيم، صرفية
Allophone	الفون، متغير صوتي	بديل صوتي، بد صوت
Acrophony	كتابة صوتية أوائلية	أوائلية صوتية
Pragmatics	علم الرموز	ذريعات
Sememe	سيميم الوحدة المجردة للدلالة	سيمية
Semiotic	رمزي، علاماتي	سيمياي

والملاحظ أن كلا من المعجميين لم يخالف المنهج الذي اتبعه وأفصح عنه في مقدمته، حيث يتبين لنا ما يلي:

- وضع كلمات مركبة مقابل المصطلح الواحد بالنسبة لمعجم الخولي، لكن نلاحظ أن الفهري يبتعد قدر الإمكان عن المركب.

- وضع مصطلحات عربية حديثة ونجنب المصطلحات القديمة بالنسبة للفهري 54.

- يذكر على الخولي أكثر من مقابل عربي واحد أمام بعض المصطلحات، مبررا ذلك بقوله: "وعندما كنت أجد مرادفات عربية كثيرة، كنت أسردها بادئا بما أراه أفضلها، وأترك لمستعمل المعجم الحرية في تبني ما يشاء منها" 55.

ولكن هذا الاجتهاد منه يؤدي إلى خلق مشكلة عدم استقرار المصطلح اللساني العربي، وهذا ما حاول الفهري تجنب الوقوع فيه في معجمه، فهو تقريبا يورد مقابلا واحدا أو اثنين لكل مصطلح"، وذلك لتأثره بمبدأ التوحيد القائم على اختيار مقابل واحد إما بمراعاة شيوع اللفظ أو بأحادية تركيبها أو بسهولة النطق بها أو بطواعيتها للتصريف.

- ويلاحظ أن الخولي يورد التعريف المفصل لكل مفردة عكس الفهري الذي يكتفي فقط بذكر المقابل العربي.

- أما الملاحظة العامة فتتمثل في العشوائية التي سادت وضع المصطلحات المقابلة، مما أدى إلى الفوضى في التطبيق.

خاتمة:

لقد بذلت الجهود ولا تزال تبذل في مجال إنتاج المصطلح اللساني العربي الحديث، من خلال التوليد والترجمة والتعريب، غير أن هذه العملية لم تخضع لضوابط علمية ثابتة وموحدة، مما أدى إلى فوضى مصطلحية، ورغم المحاولات المتعددة التي قام بها متخصصون أفراداً وهيئات علمية، إلا أن هذه الفوضى ما زالت سائدة.

وقد اقترح علماء اللسانيات والمصطلحية بوجه خاص، مجموعة من الاقتراحات لتجنب فوضى الوضع المصطلحي، نذكر من ذلك العلامة اللساني الجزائري عبد الرحمن الحاج صالح الذي حصر طريقة وضع المصطلح، فيما يلي: التعريب اللفظي للمصطلح الأجنبي، الترجمة اللفظية، تخصيص أو ارتجال لفظ له بكيفية عفوية، تخصيص لفظ عربي بعد البحث عنه في القواميس القديمة⁵⁶.

أما محمد خليل فيقترح طريقة حديثة كفيلة بتوحيد المصطلح اللساني في عالمنا العربي، بعد القيام بحصر المقابلات الموجودة عن طريق الحاسب الالكتروني، وبنك المعلومات، وأن نحدد كخطوة أولى أيها يمكن أن يكون المصطلح المقبول، وأيها يكون المصطلح المستهجن، وهذا العمل ينبغي أن تقوم به هيئة علمية كبيرة كمركز تنسيق التعريب بالوطن العربي⁵⁷.

ويبدو هذا الاقتراح عملياً أكثر من غيره، ومن شأنه أن يسهل عملية الجرد المصطلحي، لكنه يواجه هو الآخر اختلافاً في الآراء حول المعايير المعتمدة لانتقاء المصطلحات والمفاضلة بينها.

وهكذا بقي حال اللسانيين العرب والمجامع اللغوية دون الوصول إلى حل نهائي، واتفاق تام في سبل حل هذه المشكلات، وربما يعود السبب الحقيقي إلى انعدام إرادة سياسية عربية موحدة في الترجمة والتعريب، وكذا انعدام المراقبة العلمية لأعمال المترجمة من طرف الهيئات العلمية المختصة، مما يفسح المجال للمتطفلين على الترجمة وكذا للمتطفلين على اللسانيات لإغراقها في فوضى مصطلحية عارمة.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

هوامش الدراسة :

- 01 - ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1996، ج1، ص8.
- 02 - المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، خليفة الميساوي، دار الأفاق، ط1، الرباط، 2013، ص15.
- 03 - ينظر: قاموس اللسانيات، عبد السلام المسدي، دار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص20.
- 04 - يشير رشيد الجميلي إلى أن مفهوم النقل مختلف عن مفهوم الترجمة حيث أن الثانية تشتمل كل المصنفات التي ترجمت بشكل مباشر من اللغة المصدر، أما الأول فيشير إلى تلك المصنفات التي نقلت بلغة ثالثة عن طريق مصنف قد ترجم من اللغة المصدر بلغة ثالثة. نظر: حركة الترجمة والنقل في المشرق الاسلامي في القرنين الأول والثاني للهجرة، رشيد الجميلي، منشورات جامعة قاربيوس، دط، ص108.
- 05 - مختار الصحاح، أبو بكر الرازي، مكتبة لبنان، لبنان - بيروت، ط1، 1986 ص154.
- 06 - لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت - لبنان ط1 سنة 1997، ج4، مادة (صلح) ص60.
- 07 - لسان العرب، ابن منظور، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة دت، دط، مادة (ص ل ح).
- 08 - ينظر: أثر الفهم اللغوي في فهم المصطلحات العلمية. ديسعيد بن محمد القرني، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة، واللغة العربية وآدابها ج:17 ع 29 صفر 1425هـ ص586.
- 09 - الأسس اللغوية لعلم المصطلح، محمود فهمي حجازي، مكتبة غربي القاهرة، 1993، ص19_20.
- 10- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تح: عبد الكريم العرابوي مطبعة حكومة الكويت، ط2، (1987م) ج6، مادة (صلح)، ص551.
- 11 - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004م، ص520.
- 12 - المنجد في اللغة العربية المعاصرة، إيش: صبحي حموي، تح: أنطوان نعمة، تر: مأمون الحموي، دار المشرق، بيروت - لبنان ط1 سنة 2000 ص849.
- 13 - التعريفات: الشريف الجرجاني، تح: نصر الدين التونسي، شركة ابن باديس للكتاب، ط1، 2009م، ص55.
- 14 - كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد علي التهانوي، مرجع سابق، ص66.
- 15 - علم المصطلح لكلية العلوم الصحية والطبية، أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ومعهد الدراسات المصطلحية، فاس، المغرب، 2005م، ص24.
- 16- ينظر: البنية الدلالية والمعرفة للمصطلح، خالد الأشهب، وقائع ندوة قضايا المصطلح في الآداب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب، 2000م.
- 17 - المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط1، 1980م، مادة (صلح)، ص368.
- 18- اللغة العربية لغة العلوم والتقنية، عبد الصبور شاهين، دار الاعتصام، القاهرة (د.ط) ص121.
- 19 - المصطلحات العلمية في اللغة العربية، الأمير مصطفى الشهابي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1965م، ص03.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون2017

- 20 - المصطلح العربي وضبط المنهجية، أعمال مؤتمر التعريب السابع لمشاريع المعاجم ونظم الكتابة العربية العلمية، مكتبة تنسيق التعريب، سنة 1995.
- 21 - ينظر: مدخل إلى علم المصطلح، أحمد أبو حسين، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع 60-61 سنة 1989، ص84.
- 22 - الأسس اللغوية بعلم المصطلح، حجازي محمود فهمي، مرجع سابق، ص 09.
- 23 - المرجع نفسه، ص 09.
- 24 - التركيب المصطلحي، طبيعته النظرية وأنماطه التطبيقية، جواد حسني سماعنة، مجلة اللساني العربي، ع:50، 2000م، ص: 20.
- 25 - ينظر: Guy Rondeau, introduction à la terminologique, 2ed, gâetantmozin éditeur, canada 1984 P : 19.
- 26 - العناصر الوجودية في علم المصطلح، د.علي القاسمي، اللسان العربي، ع:48 س: 1999، ص81.
- 27 - الأسس اللغوية لعلم المصطلح، محمد فهمي حجازي، ص 20، 19.
- 28 - المصطلحية، مقدمة في علم المصطلح، على القاسمي، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، العراق، ط2، 1985 ص17.
- 29 - ينظر علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات العربية، ممدوح محمد خسارة، دار الفكر، دمشق، ط2، 2013، ص15.
- 30 - علم المصطلح بين المنطق وعلم اللغة، على القاسمي، مجلة اللسان العربي، ع:30، ص 85.
- 31 - من قضايا المصطلح اللغوي، مصطفى طاهر الحياذرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1 (1424هـ-2003م) ، ص 96.
- 32 - من قضايا المصطلح اللغوي، مصطفى طاهر الحياذرة، ص 20.
- 33 - معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص 83.
- 34 - مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاما، ص 175.
- 35 - ينظر الشهابي الأمير مصطفى، المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، دار صادر، ط3، بيروت، 1995، ص84/85.
- 36 - ينظر: علم المصطلح وأثره في بناء المعرفة وممارسة البحث في اللغة والأدب، بشير أبرير، ص 35.
- 37 - ممدوح محمد خسارة، علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية، دار الفكر، ط1، 2008، ص17.
- 38 - ينظر الترجمة معانيها ووسائلها: محمود إسماعيل صيب الفيصل، ع: 121، س: 1987، ص40.
- 39 - المصطلح اللساني، عبد القادر الفاسي الفهري، مجلة اللسان العربي، عدد 23، 1983، ص 11.
- 40 - المعنى في علم المصطلحات، هنري بيجوان، وفيليب توارن، نر: ريتا خاطر، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009، ص 180.
- 41 - المعنى في المصطلحات، ديببكر لويك، مرجع سابق، ص 168.
- 42 - المصطلح اللساني، عبد القادر الفاسي الفهري، ص 143.
- 43 - ينظر المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، خليفة الميساوي، دار الأمان، الرباط ، ط1، 2003، ص 78.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- 44 - المرجع نفسه، ص 182/177..
- 45 - دروس في الألسنية العامة، فردينان دي سوسير، ترجمة يوسف غازي ومجيد نصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، (د.ط)، الجزائر، 1986، ص 195.
- 46 - ينظر قاموس اللسانيات، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب تونس، 1984، ص 53/52.
- 47 - ينظر قاموس اللسانيات، عبد السلام المسدي، ص 72.
- 48 - ينظر: مجلة الألسنية، أدمختار عمر، عالم الفكر للطباعة والنشر، الكويت، دط، ص 05.
- 49 - ينظر المصطلحات اللغوية الحديثة، محمد رشاد الحمزاوي، الدار التونسية للنشر، دط، 1987، ص 31.
- 50 - ينظر: معجم علم اللغة النظري: محمد علي الخولي، المقدمة.
- 51 - المرجع نفسه، المقدمة.
- 52 - ينظر: معجم المصطلحات اللسانية، عبد القادر الفاسي الفهري، دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت، 2009، ص 50.
- 53 - ينظر: المصطلح الألسني العربي، مرجع سابق، ص 10.
- 54 - ينظر: المصطلح اللساني، عبد القادر الفهري، ص 144.
- 55 - ينظر: مصطلحات علم اللغة النظري، علي الخولي، المقدمة.
- 56 - ينظر المؤسسات العلمية وقضايا مواكبة العصر في اللغة العربية، صالح بلعيد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 11.
- 57 - ينظر المصطلح اللساني و قاموس اللسانيات، محمد حلمي خليل، مجلة اللسان العربي، الرباط، العدد 1987/28، ص 67.

صورة تلمسان في رحلة ابن بطوطة

يامنة جبور

اشراف الدكتور: ابن عزة عبد القادر

كلية الآداب واللغات

جامعة تلمسان

الملخص:

كثيرة هي الأقطار التي حظيت بزيارة الرحالين العرب أو الأجانب إليها وخصصوا لها جزء في كتاباتهم الرحلية إلا أنها قليلة تلك التي تسمى الجوهرة، فتجلب إليها الأنظار رحالة أو غيرهم، وأعني بذلك مدينة تلمسان الملقبة بجوهرة الغرب الجزائري، لؤلؤة تاج الشمال الإفريقي، والتي ما إن يذكر اسمها إلا وتتجلي صورة لامعة أمامك، وتحفة نادرة في سماء البلدان الإفريقية، وهي التي حظ الرحال بها رائد الرحالين العرب بلا منازع، رحالة العرب والغرب "ابن بطوطة"، وأعطاهها مكانة هامة في رحلته، وخصها بزيارتين، في كل مرة إلا وقادته قدماه نحو قطبها اللامع "أبا مدين شعيب" للتبرك به، ذلك الشيخ الذي بنفسه قادته قدماه ليرقد بين أحضان هذه المدينة الجميلة، والكريمة التي منحتهم أرضها لينعم بدفئها، بل وهبته بعضا من تربتها لتكون فراشه وغطاءه إلى الأبد.

توطئة:

إن كانت الرحلة عموما تعني التنقل والترحال وعدم المكوث والبقاء في مكان واحد مهما كانت الأسباب والدوافع والأهداف المرجوة، سواء تم تحقيقها، أو عاد الرحالة خائبا يجر أذيال الفشل، فإن المثل يقول: "تعددت الأسباب والموت واحد" فكذلك يمكن أن يسير المثل على الرحلة فيمكن القول: "تعددت القواميس والمعاجم واللفظ واحد" فقبل كل معجم هناك المعجم الرباني السماوي - القرآن الكريم - فقد وردت كلمة رحلة في الكتاب العزيز في سورة قريش: "لايلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف" (1)

أما ابن منظور في لسانه فقد فصل في مفهوم كلمة رحلة فجاء فيه: رحل: الرحل، مركب البعير والناقة، وجمعه أرحل ورحال.

وقال طرفة بن العبد:

جازت البيد إلى أرحلنا آخر الليل بيعفور حذر

والرحالة: نحوه، كل ذلك من مراكب النساء.

وأنكر الزهري ذلك قال: الرحل في كلام العرب على وجوه، ويقولون لا عواد الرحل بغير أداة رحل، ومنها ناقة رحيلة أي شديدة قوية على السير، ثم جرى ذلك على المنطق، حتى قيل: ارتحل القوم ارتحالاً، ورحل عن المكان يرحل زهو راحل من قوم رحل، انتقل.

والرحل والارتحال: الانتقال، وهو الرحلة والرحلة والرحلة اسم للارتحال للسير. (2)

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

وفي القاموس المحيط للفيروز أبادي قال: " مضى القوم من المكان، أي عبروا وانتقلوا، وكلمة رحلة مصدر اشتق من الفعل رحل، ومنه الارتحال بضم الوجه الذي يقصده السفيرية الواحدة، يقال راحله أي عاونه على راحلته، أي استرحله، سأل أن يرحل له، ومنه هذا رحل الرجل، أي منزله ومأواه، فهو من هذا لأن ذلك يقال في السفر لأسبابه التي إذا سافرت كانت معه يرتحل بها عند النزول وهو الأصل." (3)

وتطلق كذلك على الدابة إذا سمنت فأرحلت بعد هزال فأطقت الرحلة" (4) لقول الشاعر:

ومصاب غادية لجان تجارها نشرت عليه برودها ورحالها (5)

أمّا في المعجم الأجنبية، الفرنسية خاصة تقابل كلمة سفر ورحلة المعنى نفسه وسافر ورحل تعني Voyager والفاعل مسافر ورحلاتي Voyageur ومن يقوم بالعديد من الرحلات

من خلال ما سبق يتضح أن وقوف المعاجم العربية والفرنسية على المعنى اللغوي وكلها تصب في قالب واحد وتتحد على معنى واحد ومفهوم واحد، أنّ الرحلة تعني السفر والارتحال والانتقال من مكان إلى آخر سواء كان عن رغبة أو عن إكراه.

أمّا مفهومها اصطلاحاً فهي لون من التأليف الذي يجمع بين الدافع العميق والتأمل الدقيق في رصد المشاهدات والظواهر بأناة دقيقة والبحث عن الأسباب والنتائج ببصيرة واعية." (8)

كما يذكر محمد الفاسي: " أنّ الأساس في هذا النوع هو شخص المؤلف ووصفه ما يعرض له في سفره، ويذكر الإحساسات التي يشعر بها أمام المناطق التي يمر بها التي يمر بها مع اطلاعنا على أحوال البلاد التي يزورها، وعلى عوائد أهلها وأخلاقهم، وأفكارهم وهو في هذا يعبر عن نفسه، وعن عواطفه ووجهة نظره الخاصة في كل مسألة" (9)

فهذه المفاهيم توضح لنا أن الرحالة لا بد له أن يجمع في أثناء تدوين رحلته بين إحساساته العميقة، وبين تأملاته الدقيقة مضيافاً إبداء دوافعه للرحلة ونتائجها وأهدافها، حتى يتمكن من أن ينقل للقارئ كل ما شاهدته بصدق وموضوعية عن أفكار وعوائد وتقاليده وأخلاق تلك المجتمعات التي قام بزيارتها معبراً عن نفسه وعواطفه ووجهة نظره في كل ما يعرض له.

فالرحلات تختلف باختلاف الأهداف المنشودة والتي يمكن تحقيقها من وراء قيام الرحالين بزيارات لمختلف البلدان والبقاع، فيشترط في الرحالة أن يكون دقيق الملاحظة، واسع الإطلاع، عارفاً بلغات الأقوام التي ينزل عندهم، متطلعاً على تاريخهم ومعتقداتهم، وجغرافية بلادهم، حتى يتمكن من تصنيف رحلته في أيّ باب لتكون جغرافية، أو علمية، أو تاريخية، فيجئ تدوينه للرحلة بأسلوب شيق ومشوق، فيه الكثير من الإثارة بألفاظ عذبة منمقة، موحية ومعبرة ومؤثرة في النفوس البشرية، حتى يمكنها من الرغبة في زيارة تلك البلدان التي زارها الرحالة، وأبلغ عندها بإبداع تصوير ودقة وصف.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

وفي الأدب العربي الكثير من تلك الرحلات ذات الخيال الواسع التي تحمل في طياتها الكثير من القصص الخرافية الأسطورية، مثل رحلة " السندباد البحري" وقد يذهب الرحالة بكتابات بعيدا، فيصور بإبداعاته على شكل نظم، كما كان في أغلب قصائد الجاهلية التي تفتح عادة بالبكاء على الأطلال حتى أصبحت تلك عاداتهم التي ينبغي الحياء عنها، وغالبا ما تكون رحلة الشاعر على ظهر ناقته، أما واصفا لما رآه، وما وجدته في الديار التي غادرها، ثم عاد إليها من جديد ليجدها خرابا، أو واصفا معاناته بسبب فراق الأهل والأحبة، ولذلك يقول الدكتور شوقي ضيف: " فالإنسان ولد رحّالا، وإن أعجزته الرحلة تخيل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال"(10)

وهذا يعني أنّ الرحلة قديمة قدم الإنسان نفسه، فهو دائم الترحال والتنقل يجوب الأقطار شمالا، وجنوبا، وشرقا، وغربا، يسطر لخط رحلته مسارا يسير وفقه، وينشد لنفسه أهدافا يرغب في تحقيقها، بالرغم من المشاق والمتاعب التي تعترض سبيله، ومهما كلفه الأمر، وإن عاجزا على أن يقوم بالرحلة، ابتدع واخترع لنفسه رحلات في صنع خياله مدونا إياها حتى تشهد على براعته في التصوير والوصف، وحتى يسجل اسمه ضمن قائمة الصنوف الأدبية المتنوعة، جاعلا لكتابات اسماء وعنوانا هو أدب الرحلات.

وأشهر الرحالين العرب والغرب، بل أشهرهم في العالم كله، الرحالة المغربي ابن بطوطة الذي جاب العالم والبلاد العربية وآسيا والأندلس أعظم رحلة للمسلمين، وأول مكتشف لبلدان افريقية، صور الكثير من العادات والتقاليد لتلك البلدان، فجاءت رحلته صورة شاملة، ودقيقة للعالم الإسلامي خلال القرن الثامن هجري، وإبراز الجوانب مشرقة للحضارة الإسلامية.

من يكون ابن بطوطة؟

هو محمد بن عبد الله اللواتي، ويكن بأبي عبد الله وابن بطوطة شهرة اشتهر بها هو وعائلته، رحالة ومؤرخ، ولد سنة (703 هـ / 1304 م) في مدينة طنجة بالمغرب الأقصى جاب العالم في مدة سبع وعشرين سنة وعنوان رحلته: "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" توفي في مراكش سنة (779 هـ / 1377م)(11)

ومن بين البلدان التي حظيت بزيارة هذا الرحالة العبقري، ونالت شرف إقامته فيها، الجزائر عروس المغرب العربي، والتي خصص لها جزء هاما في كتاباته الرحلية، حيث جال وجاب معظم مدنها، وجعلها ضمن خط مساره الرحلي، هذه الأرض الطيبة، طيبة أهلها، الكريمة كرم سكانها، هذا البلد الواقع شمال القارة الإفريقية، ذات الموقع الاستراتيجي الهام، المطلة على البحر الأبيض المتوسط المتوسط، حيث "تعتبر عند الشمال الإفريقي والدرة الوهاجة في تاجه الثمين"(12)

إذن إن كانت الجزائر تلك الدرّة الوهاجة المتألّثة اللامعة في ذلك التاج الذي يعلو رأس القارة الإفريقية السمرّاء، فكيف لا يعجب بها من رآها، فيطلق العنان لخياله يسبح في سماء الإبداع، ليصور بقلمه، ما أحس به قلبه وما جاشت به عواطفه، ليخرج لنا مولودا جديدا اسمه فن الرحالة في ربوع الوطن الجزائري، وعلى هذا الأساس كانت الجزائر قبلة الكثيرين من الرحالين عربا وأجانب، افتتنوا بسحر طبيعتها وجمال البناء والعمران فيها،

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

فراحوا يصفون ويصورون، يتأملون المنظر الخلابة المتكونة من جبال شاهقة في السماء، المكلفة بالثلوج فتبدو وكأنها عروس في ثوب زفاف أبيض، كجبال الشريعة، حيث قال أحمد توفيق المدني عنها: " فيها من المناظر الطبيعية البديعة ما يسبي العقول، ويذهل الأبصار كجبال جرجرة، والأوراس، والونشريس، وتلمسان"⁽¹³⁾ ثم يضيف: " خلال هذه الجبال، كونت الأودية خلال ذات روعة وجلال، مثل فج خراطة الشهير في جبال البابور، وفج القنطرة في الأوراس، ومضيق الرمل بقسنطينة"⁽¹⁴⁾

حقا إنها مناظر رائعة تستحق الوصف والتصوير، والإعجاب، والاندهاش، حتى وإن كان المتأمل في جمالها إنسان عادي، فكيف إن كان الوقف أمام هذه الطبيعة الساحرة رجل عبقرى، رحالة متمكن، جغرافي بارع، كابن بطوطة ومن ضمن مدنها جوهره الغرب الجزائري، مدينة العلم والعلماء، ومهد الحضارة والفنون، ومنبع الثقافات، قبلة السياح المتجولين باحثين عن الجمال أينما كان، مدينة تلمسان التحفة الفنية، بها أصل الحضارة التي لا تضاهيها أي حضارة، لما تحفل به من مآثر عمرانية، تبقىها خالدة مدى العصور، مهد الحضارة الإسلامية، ومرسى الفنون المعمارية، تحفة نادرة التي تعددت ألقابها وأسماؤها، نتيجة تعاقب الحضارات عليها، فقد أطلق الرومان عليها اسم "بومارية" وتعني البستان، وسميت "أغادير" وتعني الجدار القديم، أو المدينة المحصنة"⁽¹⁵⁾ ثم سميت " تلمسان" وهو اسم مركب من كلمتين (تلم) و (سان) وقد جاء في نفح الطيب للمقري: " أن معنى كلمة (تلم) هي تجمع أما (سان) فمعناها اثنان أي الصحراء والتل"⁽¹⁶⁾ كما ذكر أن اسمها مركب من (تلم) و(شان) ومعنى ذلك أن المدينة ذات شأن عظيم"⁽¹⁷⁾

وقد أطلق عليها المرابطون في القرن الخامس هجري اسم (تافرارت) ومعناها معسكر، وهم من أنشأوا مدينة تلمسان، ومسجدها الجامع أثناء حصارهم لها"⁽¹⁸⁾ كما أطلق عليها اسم (المنصورة أو تلمسان الجديدة) بناها المرينيون من أهل فاس، وشيدوا مسجدا جامعاً وقصراً مسوراً"⁽¹⁹⁾

هكذا تعددت الأسماء والألقاب والبلد واحد - تلمسان - تلك العروس التي تزينت لتشرق الوطن الجزائري، وحتى يحلم الكثيرون بزيارتها، وهذه دلالة على مكانة تلمسان العلمية ذات الفكر والأدب، فهي عريقة عراقية غوصها في أعماق التاريخ، ولذلك توافدت عليها أقوام من مختلف الأنساب والأعراق واللسان، وحطت الرحال بها، فكانت الأسماء التي أطلقوها عليها إما بالنسبة لأشجارها ونبابيعها التي تسحر الألباب، وإما بالنسبة لحصنها المنيع، وأحجارها المحيطة بها، وإما لموقعها الذي جعلها تتوسط المغرب العربي، وإما باعتبارها نقطة فاصلة بين التل والصحراء، وإما بالنسبة لشأنها العظيم، وقيمتها الرفيعة بين مختلف البلدان، وإما لتجمع العلماء والأدباء، و مكان اللقاءات والندوات والملتقيات للتداول والتشاور في أمور تهم الفرد والمجتمع لكونها معسكراً مخصصاً للاجتماع.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

كل ذلك أهّلها لتكون رائدة في مجال التاريخ، فهي قديمة جدا، وبعد ذلك جاء دور الفاتحين المسلمين إليها من المشرق العربي على رأسهم عقبة بن نافع الفهري. هذا جانب قليل عن المدينة المضيافة، وعن تاريخها العريق، حيث تغنى بجمالها الكثيرون، ونظموا بشأنها الكم الهائل من القصائد، عرفانا بقيمتها وجمالها، وخير مثال عن هؤلاء الشعراء الذين سحرهم جمال تلمسان، فراح يناشدها الأمير عبد القادر الجزائري وملبيا نداها قائلا:

ولبت فهذا حسن صوت نداها
وبرد فؤادا من زلال نداها
فلا ترض من زاهي الرياض عداها

إليّ الصون مدّت تلمسان يداها
وقد رفعت عنها الإزار فلج به
وذا روض خديها تفتق نوره

ليس هذ فقط وإنما ما من زائر للجزائر، إلا أخذته الأقدار باتجاه تلمسان حيث يتخذها إحدى محطاته، ثم يعود ليدون ما وقعت عليه عيناه في هذه المدينة الفتية الساحرة، ليولها عناية كبرى، ويخصص صفحات لها في كتاباته الرحلية، ومن بين الرحالين العرب الذين استوقفهم تلمسان كخط عبور منها إلى مناطق أخرى، وهم ليسوا بالعدد القليل، بل هم كثر راحوا يسجلون انطباعاتهم وملاحظاتهم حولها نظرا لما تزخر به مناظر طبيعية خلابة، وموقع جغرافي جذاب ومعالم أثرية ومرافق عمومية، ومباني عمرانية، ومن عادات وتقاليد قلما نجدها في منطقة أخرى سواء داخل الجزائر أو خارجها. فقد وصف اليعقوبي عمرانها قائلا: " مدينة عظمى مشهورة بالمغرب، يقال لها تلمسان، وعليها سور حجارة وخلفه سور آخر من حجارة." (21)

كما تشتهر تلمسان بعدد الأبواب الموجودة فيها، ولا تزال حتى الآن فيها قيل عنها انها سبعة، وقيل إنها خمسة، كما جاء في تعداد الرحالة البكري: " تلمسان مدينة مسورة في سفح جبل، شجرة الجوز، ولها خمسة أبواب، ثلاثة منها في القبلة، باب الحمام، وباب وهب، وباب خوجة، وفي الشرق باب العقبة، وفي الغرب باب أبي قرّة" (22)

وبما أنها مدينة العلم والعلماء، مدينة الأدب والأدباء، مدينة الفقه والفقهاء والشيوخ، عدهم القلصادي أولئك الذين أخذ عنهم العلم علة أيديهم طيلة مدة إقامته في تلمسان حيث اعترف وأقر بفضلهم عليه وكيف أنه اكتسب من ورائهم تجارة رابحة، وأن ما حصل عليه من علم بالجلوس إلى مجالسهم وحضوره ندواتهم، ودرسهم هو تحصيل مشرف فيقول: "فأخذت فيها بالاشتغال بالعلم على أكثر الأعيان المشهود لهم بالفصاحة والبيان" (23)

ومن هؤلاء العلماء والشيوخ: " محمد بن مرزوق، عيسى الرتيمي، محمد الشريف، أحمد بن زاغو وغيرهم" (24)

دون أن ينسى القلصادي الاعتراف بجمال المدينة لتنوع أشجارها وحدائقها، وأنهارها فقال عنها: "تلمسان يا لها من شان، ذات المحاسن الفائقة، والأنهار الدافقة، والأشجار الباسقة، والأثمار المكددة" (25)

أمّا ما جاء فر رحلة عملاق الرحالين العرب المسلمين بلا منازع، الذي ذاعت شهرته في كل بقاع العالم العربي والغربي، زعيم الجولات الجغرافية والتاريخية والاجتماعية

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

والسياسية والعقائدية، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة تحفل بها البلدان التي زارها، ألا وهو ابن بطوطة الذي جاب وجال معظم البلاد العربية والغربية، وجمع في كتاباته الرحلية، العادات والتقاليد والعجائبية فيها تاريخ وجغرافيا الأقاليم والساحر منها، عمران وبناء مساكنهم والفن والإبداع فيها

ومن ضمن محطاته التي حطَّ الرحال بها مدينة تلمسان الجزائرية، وخصص لها جزء في رحلته بعد أن تأملها" وكان ذلك في عهد السلطان أبي تاشفين عبد الرحمان في أول القرن الثامن الهجري" (26)

وبقد دامت إقامته ثلاثا إقرارا منه لقضاء مآربه، إلا أنّ زيارته اقتصرت على زيارة الأولياء الصالحين، والتبرك بأضرحتهم حيث يقول: "... ثم خرجنا فوصلنا بعد عشر إلى مدينة تنس ثم إلى مازنونة، ثم إلى مستغانم، ثم إلى تلمسان فقصدت العباد، وزرت الشيخ أبا مدين رضي الله عنه ونفع به، ثم خرجت عنها على طريق ندرومة وسلكت طريق أخدقان، وبت بزواية الشيخ ابراهيم" (27)

يبدو أنّ الرحالة مولع بزيارة أضرحة أولياء الله الصالحين، ربما كان الشوق إليها نتيجة جمع معلومات عن المدينة الفتية الساحرة، وأن أروع ما فيها قطبها اللامع، فهو تحفة فنية، وجوهرة نادرة، وآية في الجمال في الفن والهندسة العربية البديعة، جعلت الرحالة يعاود زيارتها ليستجمع ما قد غفلت عنه عيناه في زيارته الأولى السابقة، وكان ذلك عام خمسين وسبعمئة للهجرة فقال: "وصلنا تلمسان، فقصدت العباد، وزرت الشيخ أبا مدين رضي الله عنه ونفع به" (28)

فصل المقال:

استحوذت تلمسان عروس الزينيين على عقول محبيها، وزوارها بجغرافيتها الساحرة، وتاريخها المجيد الضاربة جذوره في أعماق التاريخ، وطبيعتها الخلابة، وموقعها الاستراتيجي الذي يفصل التل عن الصحراء، وحدثها وبساتينها بأشجارها الباسقة ورياضها الغناء، وعمرانها وأثارها المعمارية، ذات النحوت والزخارف، ولا سيما أولئك الرحالين الذين قصدوها، فهناك من أطال إقامته بها وهناك من قصر، وهناك من جعلها نقطة عبور المهم في الأمر أنها جلبت إليها الكثيرين، فتغنوا بها، ودنوا ما تحتويها، إما على شكل قصائد، وإما في كتابات رحلية، ومن النتائج المستخلصة ما يلي:

- أنها تعددت أسماءها وألقابها لتعاقب الحضارات عليها
- ألقابها كانت حسبما استهوت المقيمين فيها كالأسوار، والينابيع، والحدائق، والرياض، مكان النقاء العلماء والفقهاء.
- توافد الرحالة عليها كان لوصف وتصوير جمال المنطقة بإبداع.
- رآها القلصادي مكان الشيوخ الذين أخذ عنهم العلم بقسط وافر.
- رآها ابن بطوطة مضجع الأقطاب والأئمة.

هوامش الدراسة :

- 1 - القرآن الكريم: سورة قريش - الأيتان 1 - 2
- 2 - بن منظور - لسان العرب - دار صادر - بيروت - المجلد 10 - ص 38
- 3 - الفيروز أبادي محمد بن يعقوب - المحيط - دار الجيل ط 3 بدون سنة ص 309.
- 4 - أبو الحسن أحمد بن فارس الرازي - مقاييس اللغة - تحقيق عبد السلام بن هارون - دار الجيل - د ط بيروت بدون سنة ص 497.
- 5 - الأعرشى - الديوان - دار بيروت للطباعة والنشر، د ط بيروت، د تا - ص 137.
- 6- larousse le dictionnaire de francais omega international sarh ed speciale algeriev2001voyage p 453.
- 7 - iblot le dictionnaire olfaraid arabe / francais ed oriotal bibliotheque cathroliquevt 21 beyrouth p 240.
- 8 - محمد بن عثمان المكناسي - الأक्सير في فكاك الأسير- تحقيق وتعليق علي الفاسي - المركز الجامعي للبحث العلمي د ط الرباط 1965 ص 1 من المقدمة.
- 9 - حسين فهميم - أدب الرحلات - عالم المعرفة - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ع 138 يونيو 1989 - الكويت ص 13
- 10 - عبد الله بن آل حمادي - رسالة ماجستير - أدب الرحلة في المملكة السعودية - جامعة أم القرى - السعودية 1997 ص 10
- 11 - ابن بطوطة - رحلة ابن بطوطة - تحقيق محمد الكتاني ج 1 ص 30
- 12- أحمد توفيق المدني - هذه هي الجزائر ويليه كتاب الجزائر - دار البصائر - الجزائر 2009 ص 216
- 13 - المرجع نفسه - ص 218.
- 14 - المرجع نفسه - ص 218
- 15 - محمد بن عمرو الطمار - تلمسان عبر العصور- المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1984 ص 08
- 16 - المقرئ - نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب - تحقيق إحسان عباس - دار الأبحاث بدعم من وزارة الثقافة ج 9 2008 ص 24
- 17 - المرجع نفسه - ص 24
- 18 - سعد بوفلاقة - أوراق تلمسانية - منشورات بونة للأبحاث والدراسات - عنابة - الجزائر 2011 ص 21
- 19 - المرجع نفسه - ص 22
- 20 - مجلة مسالك الصادرة عن مؤسسة الأمير عبد القادر فيفري 2012 عدد خاص بالملتقى الدولي حول الأمير عبد القادر عابر للزمن ص 46
- 21 - سعد بوفلاقة - أوراق تلمسانية - منشورات بونة للأبحاث والدراسات - عنابة - الجزائر 2011 ص 98
- 22 - المرجع نفسه - ص 100
- 23 - القلصادي - رحلة القلصادي - دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان - الشركة التونسية للتوزيع - تونس 1978 ص 94
- 24 - المرجع نفسه - ص 95
- 25 - المرجع نفسه - ص 95
- 26 - سعد بوفلاقة - أوراق تلمسانية - منشورات بونة للأبحاث والدراسات - عنابة - الجزائر 2011 ص 106
- 27 - ابن بطوطة - رحلة ابن بطوطة - تحقيق محمد الكتاني ج 1 ص 30
- 28 - المرجع نفسه - ص 30

التواصل اللغوي في حياتنا اليومية .

د/طول أمال
جامعة تلمسان

1- أهمية التواصل:

يضطلع التواصل في شتى مناحي الحياة، بما ذكرناه عن فعل التواصل (التفاعلي، الناقل للمعلومات والخبرات والأفكار والسلوكيات) وأنه ضرورة حتمية ويومية لا يستطيع الإنسان تجاهلها، لأنها أساس قضاء حاجاته المعيشية، التربوية، العلمية، المعرفية، الدينية... وما إلى ذلك من ممارسات يومية .

إنّ التواصل يفتح مجال الاحتكاك البشري ويتيح الفرصة للتفكير والاطلاع والحوار وتبادل المعلومات في شتى المجالات والميادين، كما أنه يؤكد ويولد الاحساس بأنّ البشر يعيشون مع بعضهم البعض، فالتواصل يبعد الإنسان عن العزلة ، ويتيح له الفرصة للتعرف على آراء الآخرين وأفكارهم عن طريق الحركة التي يحدثها على شكل جدال وحوار بين طرفين من الناس، أو مجموعة مع مجموعة أخرى، وبين فرد وفرد.

و لعلّ معاناة هيلين كيلير⁽¹⁾ Helen Keller. ومحاولة فك عزلتها بابتكار وسائل بديلة للتواصل تنهض دليلاً على مدنية الإنسان واجتماعيته وطبيعته التواصلية الضرورية .

فلقد وضحت (Helen Keller) في كتابها (قصة حياتها) معاناتها وخيبة أملها وعدم الشعور بالانتماء ، بعد فقدانها للسمع والبصر منذ نعومة أظافرها، وكافحت كفاحاً مستميتاً من أجل ابتكار وسائل بديلة للتواصل .⁽²⁾ يقول يسبرسن Jespersen⁽³⁾: "بالخبز وحده لا يعيش الإنسان"⁽⁴⁾ ، فالتواصل حاجة ملحة وضرورية جداً، وذلك بالنظر إلى أثره بين الناس. بل هو حياة يتغذى بها الفرد كما يتغذى بالخبز . فالكلام⁽⁵⁾ وسيلة من وسائل الراحة، وتقليل الاضطراب، وكسر حواجز الغربة بين الفرد ومن يشاركونه الحديث، وإقامة علاقات بينهم.

- إنّ التواصل يساعد الأفراد والمجتمعات على نقل الحضارات والتقاليد واللغات والعادات والتقاليد إلى مجتمع آخر، وحتى يستطيع الإنسان أن يعرف مقدار قيمة عاداته وبيئته، عليه أن يرى ويحتك بالآخرين.

- يستعمل التواصل اليوم لترفيه المجتمعات، وذلك بتوظيف تكنولوجيا الاتصال من الهاتف والتلفزة والانترنت.

- يساهم التواصل في تنمية النشاط الاقتصادي المحلي والعالمي، وذلك بالاستعانة بتقنيات التواصل والبيع والتسويق واستثمار وسائل الاتصال المتنوعة.

- التواصل وسيلة للتعليم والتعلم والدعاية والإعلام والترفيه.

- يحقق التواصل التنظيم والنظام والتفاهم، ويجنب الفوضى، فهو نشاط جماعي وليس نشاطاً فردياً، إنه يحكم علاقة الفرد بقريبه، بزوجه أو أخيه.. والقريب بالغريب عنه (تاجر أو عالم..) بل ويحكم العلاقات الدولية والخارجية للشعوب والأمم.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

للتواصل أهمية فعالة في نشوء المجتمعات، وترقيتها، وتفعيل العلاقات بين أبناء الشعب الواحد، والشعوب المختلفة محلياً ودولياً، هو رابط متين بين الناس، ووسيلة سلسة ومرنة لجميع الأعمار والطبقات واللغات والديانات.

فمن خلال التواصل يتبادل العالم ثقافته وعلومه وعاداته وتقاليده، وتجارته واقتصاده، فيحدث التطور وتُفضى الحاجات، ويزدهر الاقتصاد، وتروج البضائع، وتكبر المؤسسات، وتنشط المصانع، وتتطور العلوم وتحسن السلوكيات، وتتحاكى الثقافات. اللغة كذلك - علاوة على كونها أداة للتواصل - لها وظائف أخرى، وهي لا تستخدم فقط في الكلام؛ بل في الغناء أيضاً وفي كسر حواجز الغربة وفي الترويج عن النفس، وفي التوثيق بالكتابة، أي تسجيل الأحداث والتاريخ، والحقائق، والمعارف ... (6) إلخ وقد أشار القرآن الكريم في أكثر من موضع إلى أهمية القلم، وإلى أهمية الكتابة، قال تعالى: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) (7)

وقال أيضاً عن كتابة الدّين: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ..) (8)؛ أي: أن الكتابة ذاكرة الفرد والأمة، وهي سجل لكل جوانب حياته، وهي منبع لا يغيض لكل المعارف والعلوم.

فاللغة وعاء الثقافات، وهي تركيب دال تعكس كمية من المعاني العميقة؛ شعورية وأخيلة وظلال معنوية متنوعة، وعندما تُستبدل بترجمة وعبارات من لغة أخرى فإنها لا تعكس نفس المعاني العميقة حتى ولو كان المقابل اللفظي صحيحاً.

وهكذا، ومما سبق نقول: إن للغة وظائف متعددة، اجتماعية وفكرية ونفسية، وهي بهذا تمثل الأداة الأساسية لتواصل البشر سواء في المجتمع الواحد أو في المجتمعات المختلفة. يقول الجاحظ: "القلم أبقى أثراً، واللسان أكثر هذراً" (9).

2- أنواع التّواصل

يتم التواصل بطريقة مباشرة وغير مباشرة، ومنها: اللغة والعلامات والخطابات والأنساق وسائر الكائنات الموجودة في الطبيعة. ويعني هذا أن كل شيء في عالمنا يحمل دلالة ووظيفة. وأن هذه الآليات التواصلية قد تكون لفظية أو غير لفظية، تعبر عن وعي أو عن غير وعي.

فالتواصل هو: " الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور. إنه يتضمن كل رموز الذهن، مع وسائل تبليغها عبر المجال، وتعزيزها في الزمان. ويتضمن أيضاً تعابير الوجه وهيئات الجسم والحركات ونبرة الصوت والكلمات والكتابات والمطبوعات والقطارات والتلفون، وكل ما يشمله آخر ما تم في الاكتشافات في المكان والزمان" .. (10).

فالجاحظ مثلاً عندما يتحدث عن المفهوم العام لكلمة "بيان" يعني بها: "الدلالات الظاهرة على المعنى الخفي" و يحصرها في خمسة أقسام: اللفظ، والكتابة، والإشارة و العقد و الحال أو النصبية.

- يقول عن اللفظ ، إنه : " إحدى الدلالات الخمس على المعاني، ميزة الإنسان و خاصته الأساسية التي بها يتحدد نوعيا و هي قدرته على الكلام و الإبانة عن نفسه بالألفاظ. " - الخط أو التدوين: و يعني به كتابة الكلام و تدوينه، و قد جعله في الترتيب تاليا للحفظ مباشرة.

-الإشارة: (11) وهي عند الجاحظ، في الاصطلاح البياني "إحدى الدلالات الخمس على المعاني"

- العُقْد: و هو البيان بالحساب. وهو دون اللفظ و الخط".
- النَّصْبَة أو الحال: و النصبية هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، و في تعريف "النصبية" يقول الجاحظ في "البيان والتبيين": و أما النصبية فهي الحال الناطقة بغير اللفظ، و المشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السماوات و الأرض و في كل صامت و ناطق، و جامد و نام، و مقيم و ضاعن و زائد و ناقص. فالدلالة التي في الموات الجامد، كالدلالة التي في الحيوان الناطق. فالصامت ناطق من جهة الدلالة، و العجماء معربة من جهة البرهان" (12).

ومن كل هذا نقول : إن التواصل يتم بواسطة آليات لفظية و غير لفظية ، أ و يتمظهر في مستويين سلوكيين: لفظي و غير لفظي.

التواصل اللغوي / اللفظي :

التواصل باللفظ هو تبادل اللغة المنطوقة بين أطراف الاتصال، للوصول إلى أكبر عدد من الفهم المشترك للمعنى الذي تثيره الألفاظ لدى أطراف الاتصال . ذلك أن اللغة تعد من أهم آليات التواصل، و من أهم تقنيات التبليغ و نقل الخبرات و المعارف و التعليمات من الأنا إلى الغير أو من المرسل إلى المخاطب (13).

ويظهر الاتصال اللفظي في :

1 - الحوار و النقاشات.

2 - التعلم و التعليم.

3 - و الإعلام المرئي و المسموع.

أنواع التواصل اللغوي :

إن الطبيعة الإنسانية تتيح لنا التعبير عبر أشكال متعددة من التواصل باللغة ، في شكلها المراسي : المنطوق و المكتوب (14). و يمكن إجمالها في ثلاثة أنواع :

أولاً: التواصل الشفهي أو بالمنطوق: هو الطريقة الأكثر استعمالاً، والذي يتم فيه تبادل المعلومات بين المتصل و المتصل به شفهيًا عن طريق الكلمات المنطوقة، و يعتبر هذا الأسلوب أقصر الطرق لتبادل المعلومات و الأفكار و أكثر سهولة، فهو يستعمل في الحديث اليومي و أثناء مزاولة العمل و في تقديم العروض... إلخ، و من مميزات أنه يساعد على توضيح الرسالة عن طريق الحوار المستمر.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

ثانياً: التّواصل المكتوب: يتم التّواصل المكتوب بأشكال كثيرة ومتعدّدة من الكتابات والمطبوعات؛ أي بـ: "رسوم وأشكال حرّفيّة تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس .." (15)

وتعد الكتابة من مكملات الكلام الشفهي.

ثالثاً: التّواصل اللفظي: يشتمل هذا النوع على كلّ أشكال التّواصل الإنساني التي يعبر عنها شفهيّاً أو كتابةً. (16)

التواصل غير اللفظي

التواصل غير اللفظي هو العملية التي يتم من خلالها تبادل الافكار والمعاني بين الأفراد بدون اللفظ. فالتواصل خارج منطوق اللغة، ينعت أحياناً باللغة الصامتة وحيناً بلغة الجسد، وفي بعض الأحيان بفعل الإشارة أو الحركة، وحسب تنظيمات الأشياء، واللباس وطريقة الجلوس واستقبال الضيف الخ ... و يتمظهر أحياناً أخرى في الأقنعة والرقص والألوان والروائح، كلغات استخدمها الإنسان إلى جانب لغات أخرى غير لفظية.

ووفقاً لهذه الاعتبارات تقوم كل حاسة، بوظائف وأدوار خاصة خلال ممارسة الإنسان شعائره وطقوس احتفالاته، فقد تهيمن لغة الرائحة، وتتداخل مع لغة اللون، التي تخاطب العين بلغة الرمز، هذا فضلاً عن لغة اللمس ..، أي أن كل خلية حسية تحمل نوعاً معيناً من المستقبلات (17).

أدوات التواصل غير اللفظي

أ- **العينان:** هي أكثر أدوات الاتصال غير اللفظي صدقا وثقة. و اتصال الأعين هو أكثر وسائل التأثير الشخصية التي نملكها .

ب- **تعبيرات الوجه:** مثل الابتسامة، فهي جزء أصيل من لغة الوجه .

ج- **لغة الجسد:** هي الأحوال التي تكون عليها أجسامنا أثناء الوقوف والجلوس والمشي وهي ترسل رسائل غير لفظية .

د- **اللمس:** بداية بالمصافحة ونهاية بالاحتضان وهي تعبر عن مشاعر التشجيع والحنان والعطف.

هـ- **الملابس:** نوع ملابسنا وألوانها تدل على مكانتنا و وظائفنا ومستوانا الاجتماعي .

و- **الديكور:** هي الطريقة التي يستخدمها الناس في تزيين مكاتبهم وترتيبها .

ز- **الروائح:** فهي تعطي رسائل عن ذوق الشخص وطبيعة عملة ومستواه الصحي والاجتماعي .

ح - **الصوت:** هو اداة التعبير عن شخصيتنا، فهو يعكس ما بداخلنا ويعبر عن انفعالاتنا وحالاتنا العاطفية والنفسية .

ط - **المسافات:** ويقصد بها القرب او البعد المكاني ويعرف بالمساحة الشخصية او الحيز المحيط بالشخص .

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

فالعلمية التواصلية ، وفق هذا المفهوم ، تتطلب تفاعل الشخص في تجاربه اليومية الممتدة عبر الزمان والمكان مع الآخر أو مع موضوعات العالم، وتوسيع وسائله التواصلية لتطال آليات أخرى ليست دائما لفظية وصريحة؛ " فقد تكون حركية وقد تكون إيمائية، وقد تكون وجدانية داخلية، تتجسد أحيانا في بعض المشاعر أو السلوكيات ، أو من خلال لعبة الأشكال والألوان والأنغام التي تتكلم معنا، وتولد فينا إحساسات أو ذكريات"(18) ؛ أي أن مظاهر التواصل غير اللفظي تشكل قناة تتداول رسائلها من فرد لآخر أو من مجتمع لآخر..

يقول فرويد: " من له عينان يرى بهما يعلم أن البشر لا يمكن أن يخفوا أي سر، فالذي تصمت شفاته يتكلم بأطراف أصابعه، إن كل هذه السموم تفضحه"(19) ويفرق بين التواصل اللغوي وغير اللغوي : **فالفغوي اللفظي** يستعمل من أجل نقل أخبار ومعارف، و**غير اللغوي/غير اللفظي** يعبر بالخصوص عن العلائقي"(20) وهكذا يمكننا القول إن عبارة التواصل غير اللفظي تستعمل للدلالة على حركات وهيئات وتوجهات الجسم وعلى خصوصيات جسدية طبيعية واصطناعية ، وألوان مثل: نظام إشارات المرور، والأيقونة: مثل: صورة شخص أو خريطة بلد. والمؤشر Indice: وهو ما يخبر عن شيء مستتر كالدخان، فهو مؤشر على النار إذا لم تكن مرئية، وعلامات الوجه قد تكون مؤشرا على فرح أو غضب أو حزن. والرمز Symbole: ، مثل: الحمامة رمز للسلام، و الميزان رمز للعدالة(21).

جاء في كتاب (البيان و التبيين) في باب (البيان)، قول الجاحظ : البيان هو "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، و يهجم على محصوله، كائنا ما كان ذلك و من أي جنس كان ذلك الدليل، لان مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القائل و السامع، إنما هو: الفهم و الإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، و أوضحت عن المعنى، فذاك البيان في ذلك الموضوع"(22) و يحدد هذه الوسائل التي تؤدي الوظيفة التواصلية التي تفهم معنى من المعاني بلغة ليست بالضرورة هي لغة الكلام، فيقول : " جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ و غير لفظ خمسة أشياء لا تنقص و لا تزيد: أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة"(23).

ومن بين هذه الوسائل التي تؤدي وظيفة التواصل بين المرسل والمرسل إليه : (الإشارة) ، وإن كانت تعني عند البلاغيين الإيحاء بالكلام الموجز . يعبر الجاحظ عن وظيفتها التواصلية بقوله : "الإشارة .. كاشفة لما لا يستطيع اللفظ أن يبوح بسرّه في حال من الأحوال"(24).

ولذا فتواصلها يتم بواسطة أعضاء الجسم: كالحواجب والأجفان و الشفاه و الأعناق و الأيدي و قسّمات الوجه، و غير ذلك مما يعبر بالحركة عن حاجة النفس و أسارىرها. وتستقبل فقط بحاسة النظر العيني

وقد قال الشاعر في دلالات الإشارة: من البسيط
 العينُ تُبدي الذي في نفس صاحبها من المحبة أو بغض إذا كانا
 والعينُ تنطق والأفواه صامتة حتى ترى من ضمير القلب تبيانا (25)
 وقال آخر: (ينسب إلى علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ورضي عنه) :
 وللقلب على القلب دليلاً حين يلقاه
 وفي الناس من الناس مقاييس وأشباه
 وفي العين غنى للمرء أن تنطق أفواه

النسبة أو الحال:

و في تعريف " النسبة " يقول الجاحظ في " البيان والتبيين " و أما النسبة فهي
 الحال الناطقة بغير اللفظ، و المشيرة بغير اليد " (26) ، ويكون المرجع فيها تدبيراً عقلياً
 ذاتياً، لا صفة موضوعية في الأشياء نفسها ؛ أي أن "النسبة" هي ما توحى به الأشياء
 لعقل الناظر و ذهن المتبصر. فإن لم تجب حواراً، أجابت اعتباراً (27).

وقال شاعر في هذا المعنى: من الرجز
 ومَعشَرٌ صيدٌ ذوي تجلَّة ترى عليهم للندى أدلَّة
 وقال عنتر بن شداد العبسي وجعل نعيب الغراب خيراً للزاجر: من الكامل:
 حرق الجناح كأنَّ لحبي رأسه جلمان بالأخبار هَشَّ موع (27)
 وأنشد أبو الرديني العُلي في تنسُّم الذئب الرِّيح واستنشاقه واسترواحه: من
 الرجز:

يَسْتخْبِرُ الرِّيحَ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ بِمِثْلِ مِقْرَاعِ الصَّفَا المَوْقِعِ (28)
 - التواصل بحاسة البصر

حاسة البصر أداها العين وتشكل دعامة أساسية في تواصل الإنسان مع محيطه ، وتقوم
 بمهمة أساسية في عملية إدراك المحيط ، بحيث تسنح للناظر بتكوين علاقات ونسج
 روابط وإدراك رسالات ، فمثلاً ، نظرة هادئة وحالمة قد تكون مبعث جذب و إثارة،
 وعين دامعة قد تكون رسالة ألم اقتناده حبيب أو قريب، كما قد تعبر عن الفرح والحنين،
 وعين متسعة حدقتها تشي بتملك الخوف لكائن بشري ما.

قال الإمام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله تعالى في «تفسيره»: «البصر هو الباب الأكبر
 إلى القلب، وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثرت السقوط من جهته، ووجب
 التحذير منه، وغضه واجب عن جميع المحرمات، وكل ما يخشى الفتنة من أجله» (29)
 ولقد سجل القرآن الكريم أثر عملية التواصل العينية علي المستقبل فقال : (يُطَافُ عَلَيْهِمْ
 بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهُيهِ الْأَنْفُسُ وتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (30)،
 أي في الجنة ما تستلذه الأعين، وتقر بمشاهدته.

وقد بني التواصل على الاستعارة المكنية (تَلَذُّ) حيث شبه المشاهد في الجنة بشيء
 مطعوم أو مشروب ثم حذفه وأبقى لازمة من لوازمه هو اللذة (تَلَذُّ)، وهكذا نجد أن من
 صفات الألفاظ المستعارة أنها تجعل القارئ يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه ، وتصور
 المنظر للعين مثلما تنقل الصوت للأذن وتجعل الأمر المعنوي ملموساً محسناً .

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

ومن هنا جاءت أهمية هذه الحاسة، لا سيما وهي بوابة جهاز التغذية الجسمية، حيث مجال متعة الأطعمة والأشربة ، وإن كانت هذه المتع تتفاوت جماليا ولذة؛ إذ أن "لذة إرواء الظمأ ألطف من لذة إشباع الجوع، وأدنى منها إلى المشاعر الجمالية، ولعل سبب ذلك هو أن إرواء أسرع فعلا في إنعاش الجسم"⁽³¹⁾.

التواصل بالألوان .

لا ينكر أحد أن اللون هو من المواد المشتركة بين الرسام والأديب، وإن كان الأديب يتعامل مع اللون عن طريق اللغة، باستخدام الكلمات الدالة على اللون أو الموحية به. واللون يأخذ بعداً رمزياً ودلالات سيكولوجية لدى المجتمعات، لارتباطه بمشاعر إنسانية مختلفة، فالأحمر مثلا يدل على التضحية والجهاد، والأسود يرمز للحداد والظلم..، والأبيض يعلن السلم والطهارة، وهكذا. وللون -في التوظيف اللغوي- قدرة إيحائية وتعبيرية يستخدمها المرسل لترميز فكرته وتحقيق أهدافه.

وفي القرآن الكريم رصد التواصل بالألوان من مختلف مظاهر الكون والحياة، فأصدر منها تشكيلات مختلفة تجعل الإحساس بالجمال والإيحاء فيها مختلفا ومتفاوتا من صورة تواصلية إلى أخرى.

فمثلا، تستوقفنا ألوان مختلفة في هذه اللوحة؛ إذ يقول تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)⁽³²⁾.

إن جميع الحواس هنا تعمل بصورة تعاونية، وإن كانت بعض الظروف أحيانا لا تسمح لبعضها بالعمل، وتعطل إدراكها، مثل الظلام، فإنه يعطل حاسة البصر، ويصيبها بالاضطراب، فلا تدرك إلا بمساعدة حواس أخرى كالسمع أو اللمس أو غيرهما.

وهذا ما يجعلنا نقول مع القائل إن "الكيفيات البصرية لا يمكن أن تبقى قائمة بذاتها في استقلالها عن الكيفيات اللمسية التأثيرية"⁽³³⁾ لأن للحواس الأخرى أيضا جماليات وإدراكات وقدرات تخيل وتميز لا تتوفر عليها حاسة البصر، بل إن "الإحساسات التي تحدث بالتماس المباشر، كالإحساسات اللمسية والإحساسات الناتجة عن تنبيه كيميائي كما في الشم والذوق تكون كفيئتها الوجدانية من ارتياح أو عدمه، أو من لذة أو الم أقوى منها في الإحساسات البصرية"⁽³⁴⁾.

أي أن الحواس الأخرى أيضا تملك من الإحساسات ما ترقى بها إلى مستوى الشعاعية كحاسة البصر، يقول أحد النقاد: " العيون والأذان والبشرة شاعرية بصورة فعالة وليست مجرد مسجلات للمعلومات الحسية"⁽³⁵⁾.

ويقول آخر: "إن حس اللمس يتيح لنا دائما أن نشعر بإحساسات فنية من كل نوع حتى لا يستطيع ينوب مناب البصر إلى حد بعيد"⁽³⁶⁾.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

ومن هنا فإننا لا نستطيع أن ننفي الإدراكات الجمالية والتأثرات اللمسية والالتذاذية عن الحواس الأخرى، فقد تطلعتنا حاسة اللمس مثلا عن جمال معين تعجز عن توصيله إلينا حاسة البصر، وكذلك الأمر بالنسبة للحاسة السمعية، والحاسة الذوقية...
والقرآن الكريم خاطب في الإنسان جميع حواسه وجميع ملكاته قصد التبليغ الكامل والوافي للرسالة، وذلك لما تتميز به كل حاسة من إدراك وإحساس خاص لا نستطيع إدراكه أو الإحساس به حاسة أخرى.

ولعل مثل هذا التواصل التصويري نجد له مثيلا عند بشار بن برد⁽³⁷⁾ في قصيدته التي يتغنى فيها بقينة (مُعْنِيَّة)؛ إذ يقول: البسيط.

وذاث دلّ كأن البدر صورتها
باتت تغني عميدا القلب سكرانا
إن العيون التي في طرفها حورٌ
قتلنا ثم لم يُحيين قتلانا
يا قوم أذني لبعض الحي عاشقةٌ
والأذن تعشق قبل العين أحيانا
فقلت: أحسنت! أنت الشمس طالعةٌ
أضرمت في القلب والأحشاء نيرانا

يصف هذه المُعْنِيَّة وصفاً عينياً بحاسة السمع (تراسل الحواس) ، و بمعجم الجمال: (ذات دل، البدر، العيون الحور، الشمس) الذي لا يدرك إلا بحاسة البصر ، فيصفها بالبدر أحيانا ، وبالشمس أحيانا أخرى ، ويصف عينيها بلون معين .
ويرسم (بشار بن برد) صورة تواصلية أخرى أدق وأوسع ، على الرغم من عاهته البصرية، إلا أنه عبر عما يقع في المعركة من إثارة غبار ، ولمعان سيوف ورماح بصورة مركبة ، يقول فيها:

كأنّ مُثَارَ النَّعْجِ فوق رُؤوسنا ... وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبهُ
فإن وجه الشبه فيه -مجموع الهيئة المنتزعة من تساقط أجرام مشرقة، مستطيلة الأشكال، متناثرة في جوانب شيء مظلم -ولا يصح في الذوق البلاغي جعل واحد من هذه الأشياء وجه شبه على حدة، لأن الشاعر قصد إلى تشبيه الطرفين في الهيئة المجتمعة -كما لا يصح إسقاط واحد منها- في اعتبار المرسل - لصيرورة الهيئة وحدة متضامة الأجزاء.
إن هذا التواصل بتراسل الحواس قد ألمع إلى طبيعته حازم القرطاجني⁽³⁸⁾ في قوله: "إن المحاكاة بالمسموعات تجري من السمع مجرى المحاكاة بالمتلونات من البصر"⁽³⁹⁾.

- التواصل بحاسة الشم

فالأرائحة مدونة كيميائية علانقية، تثير الذكريات أكثر مما تثيرها الصورة والصوت، كما هو الشأن في طقوس جماعة "كناوة" بالمغرب، وجماعة "ديوان سيدي بلال" بالجزائر ؛ حيث تعتمد هذه الجماعات في طقوسها على روائح البخور في بث رسائل متعددة إلى كل مريديها . وتلعب أدوارا ووظائف متعددة نجد من بينها⁽⁴⁰⁾:

- توحى بالفرح كما بالحزن وبالآلم كما بالحنين..
- تساعد على التمييز بين الأفراد و على التعرف عليهم . (مثل الكلاب) تستخدم في أمور هامة وحيوية.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- تساعد على تحديد أماكن القوت وعلى اكتشاف القطيع في حالة الضلال عند الحيوان. كما نجد ذلك عند النحل - مثلاً- حيث خصه الله بحاسة شم قوية تمكنه من التعرف على مصادر حبوب لقاح الأزهار ، وعلى موقع خليته، كما يتمكن الفرد من تحديد مؤسسة المنطقة .
- تمكن من خداع حضور العدو.
- توظف كوسيلة للدفاع فهي عبارة عن جرس إنذار تنذر الإنسان من خطر داهم ، مثل رائحة غاز محرق أو دخان مميت أو غاز سام أو غيره. إذن، الشم يعطي الفرد دارة أمان واسعة جداً.

ولذا قيل إن "الإحساسات الناتجة عن تنبيه كيميائي كما في الشم والذوق تكون كيفية الوجدانية من ارتياح أو عدمه، أو من لذة أو ألم أقوى منها في الإحساسات البصرية"⁽⁴¹⁾.
و لكل شخص رائحة خاصة به يفرزها جلده بشكل طبيعي ، وهي مواد كيميائية يفرزها البشر والحيوان خلال لحظات التوتر والخوف والشهوة، و يحملها الهواء .
ويقول الباحث في حاسة الشم (هانس هات) إن هناك تفاعلاً قويا بين حاسة الشم والعاطفة . فقد تؤدي روائح مميزة إلى تفعيل ذكريات عاطفية معينة .

كما " أن استرجاع ذكريات أو لحظات معينة في الحياة عن طريق حاسة الشم أمر وارد في حياة الإنسان مهما ابتعد زمنياً عن هذا الحدث. فمن اللحظة الأولى التي يولد فيها الإنسان تقريباً، تكون حاسة الشم ملازمة له، ويكون قادراً على التعرف على رائحة حليب أمه ابتداءً من اليوم الأول ويظهر الاشمزاز على وجهه إذا استنشق رائحة كريهة"⁽⁴²⁾.

- التواصل بأعضاء الجسم

إن السيرة النبوية اشتملت على كثير من الإشارات الدالة بسمات الجسم ؛ حيث جاء الحديث عن التعبير بالوجه أو سمات الوجه بما ورد في هذا الحديث ، مثلاً: عن عبد الله بن سلام قال: "أول ما قدم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، المدينة انجفل الناس إليه، فكنت فيمن جاءه، فلما تأملت وجهه واستبنته علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب. قال: وكان أول ما سمعت من كلامه أن قال: يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام"⁽⁴³⁾.

وهكذا يتأكد لنا أن التواصل يتم بغير اللغة، فمثلاً: تُقرأ الأسارير على الوجه، وتُنضح دواخل الباطن على الوجه، إذ " بالوجه يتم التصوير الحقيقي لباطن الإنسان، فما يدور في خلد المرء وفي باطنه، ترى آثاره على ملامح الوجه، فتقرأ هناك بوضوح وجلاء، ويتفهمها أكثر أهل الفراسة "⁽⁴⁴⁾؛ أي أن الإنسان يتأثر ظاهره بباطنه، فإذا كان القلب شفافاً ظهر أثر ذلك على الوجه، وعلى البدن كله. وقد كان وجه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كلما تغيّر لشيء طارئ، سُجّل ذلك التغييرُ على الوجه، فقرأه الصحابة الذين كانوا يلاحظون ذلك جيداً.

ففي حديث هند بن أبي هالة الذي يصف فيه النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: "... وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم، يفتر عن مثل حب الغمام..."⁽⁴⁵⁾.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

فالابتسامه ، مثلاً، هي تواصل غير ملفوظ وغير مكتوب، إذ من خلالها تمر الانفعالات والمشاعر، ومن خلالها يتم التعبير عن المودة والمحبة. والابتسامه موضعها الوجه، وهو المحيا، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ"⁽⁴⁶⁾.

- التواصل باليد

كان الرسول، صلى الله عليه وسلم، يرفق كلامه بإشارات يديه الشريفتين، فيزداد المعنى وضوحاً وتثبيتاً. ومن ذلك مثلاً ما روي عن سهل بن سعد الساعدي، رضي الله عنه، قال: "قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين. وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى، وفرج بينهما شيئاً"⁽⁴⁷⁾.

وقد كان استعمال الرسول لليد في التعبير واضحاً في العديد من أقواله وأفعاله، ويجمل ذلك ابن أبي هالة في حديثه عند وصفه المشهور، حيث يقول: "... إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها وضرب براحته اليمنى بطن إبهامه اليسرى.." ⁽⁴⁸⁾.

إن الإشارة باليد تعين المتلقي من خلال تتابع حركات المتحدث وسكناته على التركيز والتتبع، وتزيد في بيان الكلام وإيضاحه وتأكيد. و يمكننا القول: إن " العيون والأذان والبشرة شاعرية بصورة فعالة وليست مجرد مسجلات للمعلومات الحسية"⁽⁴⁹⁾.

- وظيفة الحاسة اللمسية:

تُعَدُّ حاسة اللمس أول وسيط تواصلي، اعتمده الإنسان في عملية التمييز بين مختلف المثيرات الحسية، إذ عَبَّرَ الملامسة يتم إدراك الإشارة الخارجية بشكل مباشر..، "إنه الوسيط الذي حول الإنسان من كائن بيولوجي إلى كائن سيميولوجي، يميز بين اللمسة الباردة والحارقة، الناعمة والخشنة، الحميمة.. الخ"⁽⁵⁰⁾.

ومن الدلائل على ذلك من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وضعه يده على يد مخاطبه أو على منكبه، ليثير انتباهه بذلك الفعل، وليشعر المخاطب بالاهتمام الذي يوليه إياه، و بما يعلمه ويلقنه، ومن ذلك ما يرويه البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "علمني رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وكفي بين كفيه، التشهد، كما يعلمني السورة من القرآن..." ⁽⁵¹⁾. ومنه أيضاً ما رواه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "أخذ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بمنكبي فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعد نفسك من أهل القبور"⁽⁵²⁾.

- التواصل بالجسد

تؤدي أوضاع الجسد أثناء الحديث دوراً مهماً للغاية في عملية التواصل، فلقد كان الرسول، صلى الله عليه وسلم، يعطي كل واحد من جلسائه حقه من الالتفات إليه والإقبال عليه. وفي ذلك يروي البخاري عن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، قال: "قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراف بالله وعقوق الوالدين، وكان متكفاً فجلس، فقال: ألا وقول الزور

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

وشهادة الزور.. فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت" (53). فالجلوس بعد الاتكاء دليل على خطورة ما يتحدث به أو يحذر منه، و يَحْمِلُ ، في الوقت نفسه ، مخاطبيه على التفاعل المتبادل بما يثيره من انفعال أثناء الحديث.

و هكذا يمكننا القول : إن الآليات غير اللفظية التي لها وظيفة تواصلية تتكون مما يلي:

- حركات الأجسام ، وأوضاع الجسد: مثل التواصل بالإشارات، وتعابير الوجه، وتعابير أخرى، وأوضاع الجسد....
- الإشارات الدالة على القرب: يتعلق باستعمال الإنسان للمجال المكاني.
- التواصل اللمسي والشمي والذوقي والبصري والسمعي إلى درجة نستطيع فيها إبعاد أنساق دلالية غير لفظية أخرى قائمة أيضا على السمع والبصر.
- التواصل الشبهي: هي الأنساق القائمة على أشياء يروضها الإنسان، وينتجها، ويستعملها: ثياب وحلي وزخارف وأدوات مختلفة والآلات بناء من كل نوع وموسيقا وفنون رمزية.

- التواصل المؤسساتي: المقصود به كل أنواع التنظيمات الاجتماعية، وبالتحديد كل الأنساق المتصلة بروابط القرابة والطقوس والأعراف والعادات والنظم القضائية والديانات والسوق الاقتصادي. (54).

3- الاستهلاك الاجتماعي.

إن " إمكانية الفهم المتبادل " بين مستعملي اللهجات العربية ما زال أمراً ممكناً، ولاسيما في ظل بقاء اللغة العربية الفصحى قاسماً مشتركاً بين هذه اللهجات، حيث تسود الفصحى في أنماط التواصل الرسمية والمكتوبة في شتى البلدان العربية، في حين تستخدم اللهجات في شتى أنماط التواصل غير الرسمية.

إلا أن التعددية اللهجية واللغات الأجنبية مقابل الأحادية اللغوية الفصحى، لا شك تؤثر و تحتم التغيير اللغوي على المدى البعيد ومن ثم تتأثر " الكفاءة اللغوية الذهنية " على إمكانية الفهم المتبادل بين اللهجات المحلية والعربية الفصحى. وتهيمن سلبياً على تعلم الفصحى للأطفال العرب، لأنهم يتشربون اللهجات المحلية من خلال " الاكتساب الطبيعي " (، في حين نجدهم يتعلمون العربية الفصحى من خلال " التدريس الرسمي " (55).

" فإذا أخذنا - على سبيل المثال - أحد هذه " المجتمعات اللغوية " العربية مثل مجتمع مصر، نجد أنه - إلى جانب العربية الفصحى السائدة في فصول الدراسة، والخطب الدينية، والأحاديث الرسمية في الإذاعة والتلفزيون،

وأنماط التواصل الرسمي من خلال الكتابة والقراءة، وبعض المسلسلات وأفلام الكرتون تهيمن اللهجات المحلية، التي يمثل كل منها نظاماً لغوياً مختلفاً، على شتى أنماط التواصل . فعلى سبيل المثال، تهيمن لهجة " العربية القاهرية " على سائر اللهجات المحلية، من خلال المسلسلات، والبرامج التلفزيونية والإذاعية،

و الأفلام الكرتونية والأغاني، هذا بالإضافة إلى حرص الكثير من الآباء والأمهات في صعيد مصر على اكتساب أبنائهم للعامية القاهرية باعتبارها رمزاً للتمدن والتميز" (56)

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

إن الفروق اللغوية بين أي لهجة من اللهجات المحلية وأي لهجة أخرى هي فروق جوهرية على المستويات اللغوية المختلفة: المستوى الصرفي ، المستوى النحوي، المستوى الصوتي، المستوى الدلالي، المستوى المعجمي.. ولعل جذور هيمنة اللهجات المحلية على اللغة العربية الفصحى في العالم العربي تكمن في " أن النمط اللغوي الذي يتعرض له الطفل العربي منذ نشأته، ويعيش فيه، ويتشربه ويتقنه هو في واقع الأمر اللهجة المحلية وليست العربية الفصحى...والاكتساب يتم بنجاح كامل منذ الطفولة المبكرة، وبطريقة مباشرة وطبيعية، ودائمة طوال الحياة اليومية، في حين أن التعلم الرسمي يتم عند الالتحاق بالمدرسة..في سياق مملوء بالمشكلات والصعوبات" (57).

وتترتب عن هذه الهيمنة للهجات المحلية خطورة التفكير باللهجة المحلية، وليست العربية الفصحى؛ لأن التفكير يتم - عادة - من خلال النظام اللغوي الأكثر رسوخاً في ذهن. والطفل قد اكتسب اللهجة المحلية منذ فترة الطفولة المبكرة، ومن ثم فإن الطفل يجد صعوبة في التوصل إلى المعنى الدقيق للنص. مما يجعله يلجأ إلى ممارسة " الترجمة الذهنية" من الفصحى التي لا يستطيع فهمها بسهولة إلى اللهجة العامية التي يتقنها ويفكر فيها.

وهذه العملية تشوه المعنى القائم في النص الأصلي وفي النص الهدف لأنها مشوهة مرتين ؛ مرة من خلال الترجمة الذهنية ، ومرة عند التعبير عنها باللغة الهدف. وقد يصل الأمر عند المتحدثين باللهجات العربية المتباعدة مكانياً إلى تعذر الفهم المتبادل ، أو إلى انعدامه تماماً ، فقد لوحظ - مثلاً - "حالات عدة من انعدام الفهم المتبادل كلية بين المتحدثين باللهجة المحلية المغربية والمتحدثين باللهجة المحلية المصرية، ولاسيما عندما يكون هؤلاء المتحدثون من الأميين الذين لا يجيدون العربية الفصحى" (58). أما عند المثقفين والمتعلمين فإنهم يجدون صعوبة ، أيضاً ، في الفهم المتبادل بسبب الاكتشافات أو الاختراعات الجديدة - مثلاً - في مجالات تكنولوجيا المعلومات، والاتصالات، والإنترنت، والحاسوب والتي لم يكن لها وجود قبل التوصل إلى هذه الابتكارات، التي تتطلب اختراعاً مصطلحاتياً لها .

وبالنظر إلى واقعنا اللغوي الذي لا يبدع تكنولوجيا ، وإنما يستهلك ما أنتجه الآخرون وبلغتهم ومصطلحاتهم ، فإننا نجد صعوبة في توحيد المصطلحات المترجمة أحياناً والمتسللة عن طريق اللهجات أحياناً أخرى عموماً.

ففي الترجمة يكون نصيب العربية الفصحى من هذه المصطلحات الجديدة هو ما تترجمه المجامع اللغوية في شتى البلدان العربية، والتي تعتمد مرجعيات فكرية ولغات أجنبية متعددة في فهم المصطلح وفي إيجاد ما يناسبه في العربية ، فبينما عن ذلك تعدد المصطلحات واختلافها، مما يحدث فوضى وصعوبة في الفهم المتبادل .

فاللغة في عالم الاقتصاد، تعتبر قيمة مضافة لأي إنتاج اقتصادي على اختلاف طبيعته، فعن طريق الاقتصاد المادي والمالي تضمن انتشار الاقتصاد المعرفي القائم على "صناعة المعرفة". وهذا ما قصده " ستالين" (59) في مقولته "اللغة أداة من أدوات الإنتاج" (60).

مجلة الآداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

لأنه يعي بأن اللغة أداة لنقل المعرفة والعلم والثقافة والمشاعر والأحاسيس ، وبإتقانها و تطويرها وتوظيفها يحدث الفعل والانتشار والتأثير في الواقع وفي الحضارة. فعملية التواصل تؤثر لغوياً عن طريق المجال التكنولوجي والاقتصادي ، ولكنها تسهم في بناء مجتمعات متحضرة ، وترسم معالم التنمية في شتى جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والمعرفية .. الخ.

" أما بقية التغيرات اللغوية التي تطرأ على شتى جوانب اللغة فتصب في اللهجات المحلية. ونحن لا ننسى في هذا السياق ظاهرة " **الابتداع اللفظي** " ، حيث يفاجئنا الشباب كل يوم بألفاظ عامية جديدة لم يسبق لنا سماعها أو استخدامها، مما يزيد من حجم الفجوة بين العربية الفصحى واللهجات المحلية، ومن ثم المزيد من هيمنة اللهجات المحلية " (61). هذا بالإضافة إلى أن هيمنة اللغات الأجنبية التي تنتج تكنولوجياً ومواداً اقتصادية على اللغة الأم من شأنه أن يؤدي إلى **التدافع اللغوي** وإلى تداعيات اقتصادية سلبية . ولقد قُدِّمَ بحثٌ (62) حول دور اللغة القومية في التنمية الاقتصادية، وفي بناء رأس مال الاقتصاد البشري، مفاده أن الاستثمار بلغة ثانية يكون عائده مقصوراً على المجال الاقتصادي وحده، ولا يخلو من نواقص تشوبه أيضاً. وسماه بعضهم بوظائف اقتصاد اللغة ونظرياتها. ووظائفها خمس، وهي:

1. اللغة تضمن تبادل المعرفة والخبرة بين الأفراد والمؤسسات، مثلما يحقق المال تبادل السلع.
2. إتقان اللغة العلمية من قبل القوى العاملة يحقق نقل التقنية من منابعها العالمية.
3. العمل المشترك يقتضي لغة علمية وتقنية مشتركة ويحقق زيادة الدخل، ولا يتسنى ذلك إلا باللغة الأم.
4. تحويل العلم والتقنية إلى اقتصاد منتج يحتاج إلى لغة.
5. بناء مجتمع المعلومات يقتضي المعرفة والتقنية من قبل القوى العاملة وكامل المجتمع، ولا يتسنى ذلك إلا باللغة الأم.

وفي النموذج اللغوي في الجزائر ، يقول رئيس المجلس الأعلى للغة العربية : " تعاني **الجزائر** حالياً من مشكل **التهجين اللغوي** الذي يظهر من خلال اللغة المتداولة في المجتمع **الجزائري**، وحتى المجتمع العربي بصفة عامة، ولهذا أصبحت اللغة العربية تعيش أوضاعاً انتكاسية بالنظر إلى الواقع اللغوي العربي الحالي الذي نتج عنه هجين لغوي متناسل ومتردد، وهذا من خلال الاستعمال والممارسات اللغوية لخليط من الأنماط اللغوية من مختلف لغات الاستعمال اليومي على غرار العربية، الفصحى والدارجة واللغات الأجنبية. " (63).

ويضيف الدكتور صالح بلعيد قائلاً : ولعل أهم المصادر الذي شوه لغة الضاد وخلق هذا الخليط اللغوي " هو الإعلام بمختلف قنواته بالدرجة الأولى، خصوصاً الفضائيات وما تحمله من إبداعات لغوية من خلال وصلات الإشهار، مثلما تأتينا حمولة ثقافية مرنة بسيطة سهلة على الحفظ تعمل جاهزة على الإقناع بما تحمله وباللغة الحاملة لها، وتعمل لغة الإشهار وهذه القنوات على تجاوز المؤلف والتحرر إلى حد ما من سلطة اللغة

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

الثابتة، فتعمل على إحداث الكسر اللغوي والانحراف عن سلطة النحو وتلجأ إلى التهجين اللغوي الذي تراه وسيلة لتأدية رسالتها.

أما المصدر الثاني للتهجين هو الأنترنت ولغة "الأرابيش" التي تعتبر مزيجاً من الكلام بالعربية الدارجة والكتابة اللاتينية والرسائل القصيرة التي تحمل في طياتها اقتراضات لغوية وعرفاً خاصاً في كتابة الرسائل الإلكترونية، إلى جانب دور الأغاني التي تعمل على إيجاد فجوة في التواصل اللغوي، بما تحمله من مزيج من صور الأغاني التي لا يتحكم فيها حسن الأداء ولا انتقاء الكلمات النظيفة ولا ترنيمات الموسيقى الهادئة".⁽⁶⁴⁾ وإن كانت الفنون وسيلة تواصلية وحوارية بين المبدعين لتطوير إبداعاتهم وتحقيق التواصل الحضاري وبناء العلاقات.

وينبه إلى خطورة هذا التواصل المهجن بالوسائل التكنولوجية المتطورة فيقول: " يشكل التهجين اللغوي نوعاً من الاغتراب الثقافي الذي يؤثر سلباً على توافق الفرد مع محيطه وثقافته ولغته، ... ويؤدي هذا إلى هشاشة في التواصل وهو نوع من الاستعمار الثقافي الذهني الأعمى التبعي، كما ينتج لنا جيلاً لا يتقن أي لغة. ... وأنه يمكن أن يوقع هؤلاء كأسرى ثقافات غير عربية إذا اعتبروا أن هذا التهجين يحقق لهم التواصل العالمي والأمل في التقدم، ..ويخلق نوعاً من التواصل الاستعماري بامتياز أو استعمار فكري لغوي جديد فيزيدهم اغتراباً عن لغتهم الوطنية وتفكير وحدثهم الثقافية".⁽⁶⁵⁾

ويربط باحث آخر مسألة الاستقرار الاجتماعي بالأمن اللغوي؛ إذ يرى: " في التطورات التقنية الرقمية الجديدة وسيلة للأمن (و للتواصلات في مختلف الميادين) ، وفي نفس الوقت للأمن، إذا لم نطور لغتنا ونعتبرها حصناً وثغراً لهويتنا، ومن هنا يصبح "الأمن اللغوي والثقافي مرتبطاً بالأمن الاجتماعي والسياسي"⁽⁶⁶⁾.

وأضاف المحاضر إن "الثنائية اللغوية" غير المنتجة تحدث التمزق اللساني، الفكري والاجتماعي، فيكون اللا استقرار والخلل في العلاقات التواصلية بين الفئات الاجتماعية والنخب... فالحدود الجديدة تستدعي تعبئة من نوع خاص، وهي؛ "حدود اللغة والهوية"⁽⁶⁷⁾.

وهنا لا بد لنا من التفريق بين الازدواجية اللغوية وبين الثنائية اللغوية :

فالازدواجية اللغوية تعني وجود لغتين من نفس النظام اللغوي، كالعامة والفصحى.

أما الثنائية اللغوية فهي وجود مستويين لغويين مختلفين ليسا من نفس النظام اللغوي في لغة قوم وعلى بقعة جغرافية محددة ، ومثالنا على ذلك وجود اللغة العربية والفرنسية في لغة سكان المغرب العربي الكبير.⁽⁶⁸⁾

ويستعمل بعض المتقنين السياسيين والمؤرخين مصطلحي⁽⁶⁹⁾: "الاحتلال العقلي" و"الاحتلال اللغوي" للتعبير عن الذوبان في شخصيات الأجانب لسنة وسلوكاً وتصرفاً . فيرى بعضهم بأن " الأمة -أية أمة- " لا تكون أمة إلا بها" (وحدة اللغة)، لأنه من المستحيل على أبناء تلك الأمة أن يكونوا كياناً واحداً منسجماً من دونها؛ فهي كما يقول الفيلسوف الألماني(فيشته)⁽⁷⁰⁾: "رمز وجود الأمة، وبقدر أصالة اللغة، والمحافظة على اللغة الأصلية أو فقدانها تكون المجموعة البشرية أمة وشعباً أصيلاً، أو مجرد أشتات

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

فحسب "، وقد عدّها "هي القوة الطبيعية الأولى للأمة"، وأنها " الأسمت الذي يضمن تماسك الوحدة الوطنية" (71)

ويرى بعض الباحثين أن وسائل الإعلام قد أسهمت بدور سلبي في إدراج مصطلحات عامية؛ مثل: (الشكارة، و"الحلّابة" و"السّيّنة" و"الأرانب"....) إلى الاستعمال اليومي في السياسة والإعلام، مما أضفى على اللغة طابع السذاجة والرداءة والسخرية، يقول عن ذلك أحد الباحثين في علم الاجتماع:

" إن السياق الذي ظهرت فيه المصطلحات هو سيوسيو- ثقافي جديد، يتجلى ب بروز مفاهيم ومصطلحات أصبحت شائعة التداول، خاصة في الحقل الإعلامي، الذي يتميز بالتنوع الإيديولوجي لمختلف وسائله، ولعل ما يجب تسجيله كملاحظة أولية أن المصطلحات انتقلت من التداول العامي إلى مستوى التداول الإعلامي، وهذا ما يفسر أن اللغة الصحفية المستعملة في مختلف وسائل الإعلام بتوجهاتها الحزبية والعمومية، يغلب عليها طابع "السذاجة"، أو ما يعرف بـ"لغة السخرية الاجتماعية"، أو مفهوم "الرداءة اللغوية" (72).

و ربط المتحدث متغيرات تحوّل خطاب الشارع إلى خطاب الصالونات ووسائل الإعلام بالتعددية السياسية وما رافقها على الصعيد الإعلامي، حيث يقول: " ففي بداية التجربة كانت هناك "نخبة" مثقفة وواعية بمسؤولياتها الإعلامية، وأعطت "نموذجاً" جزائرياً محضاً في الممارسة الديمقراطية، وهو ما خلق منافسة بين مختلف المحطات الإعلامية العربية على استقطاب الصحفيين الجزائريين، عكس مرحلة التدهور الأخلاقي والقيمي.. التي بدأت مع مرحلة الانزلاق والانحراف في الممارسة السياسية التي تتطلب مبدأ التداول على السلطة سلمياً، ديمقراطياً وإعلامياً، .." (73)

وهكذا يمكننا القول إن طغيان مصطلحات قاموس الشارع على اللغة في التواصل يعود للخطاب السياسي والإعلامي في الجزائر، - حسب - رأي الدكتور ديبش الذي يرى بأن القاعدة السياسية تقول إن كل نظام سياسي يخلق ثقافة سياسية واجتماعية تناسبه، وتكون في الغالب الأعم مضادة في المخيال الاجتماعي والإعلامي. وهي حالة من العجز في التواصل مع الجماهير.

نستنتج من كل ما أشرنا إليه في هذه الآراء أن تأثير الشارع والممارسين للفعل الإعلامي والسياسي يلعب دوراً توجيهياً في قاموس مصطلحات الخطابات التواصلية، ويوطن لسيادة الثقافة العامية على العلمية، التي تؤدي إلى تغيير النمط الثقافي للمجتمع الجزائري في غياب المؤسسات الاجتماعية.

وهذه إشارة إلى الاحتقار للرأي العام، وتدني الذوق العام. والدليل على ذلك: أن منسوبي الحملات الانتخابية تجدهم يوظفون القواميس "الشوارعية" (74)، بغرض استثارة انفعالية الجزائري، وهذا في ظل غياب خطاب سياسي حقيقي يحقق الإقناع ويخاطب العقل.

وإن كان البعض الآخر يرى بأن استعارة الألفاظ الشعبية يحقق الانسجام والإقناع والفعل، فهي لا تعبر فحسب، بل تفعل أيضاً، وتسمى (بلاغة الجمهور).

هوامش الدراسة :

1- Helen_Keller Sourde, muette, aveugle : histoire de ma vie trad. de l'anglais par A. Huzard, Payot & Rivages, 2001 (ISBN ...
2 - نفسه.

3 - يسبرسن، ينس أتو هاري Jens Otto Harry Jespersen (1860 - 1943) - عالم لغات linguist وعالم صوتيات phonologist دنماركي. ولد في بلدة راندرز Randers وتوفي في مدينة روسكيلده Roskilde، وأسهم في تطوير تعليم اللغات في المناهج التعليمية الأوربية، كما ساعد بقسط كبير من خلال مؤلفاته المتعددة على تطوير علم الصوتيات والنظرية الألسنية وتاريخ اللغة الإنكليزية، إضافة إلى تأسيس لغة عالمية عُرفت باسم «نوفبال» Novial - ينتمي اللساني يسبرسن إلى مدرسة "كوبنهاجن اللسانية".

ينظر: عبد القادر بن عسلة - اللغة وعملية التواصل - مجلة أقلام الثقافية - فبراير 2009.
4 - العبارة مستمدة من قول المسيح عليه السلام : (لَيْسَ بِالْخُبْرِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانَ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ)

(إنجيل القديس متى 1 / 4) ينظر: <http://ar.aleteia.org/2014/03/08> روما / أليتيا (aleteia.org/ar)

وينظر : كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت - الإسكندرية - مصر <http://St-Takla.org> الإصحاح الرابع .
5 - (الفرق بين اللغة والكلام هو فرق بين شكل لغوي جامد وواقع لغوي معيش).

ينظر : **د. أحمد الهادي رشراش** - (ثنائية "اللسان والكلام" وأثرها في الدراسات الحديثة) - صحيفة اللغة العربية - صاحبة الجلالة -

www.arabiclanguageic.org/print_page.php?id=1700

6 - د. فتحي علي يونس - التواصل اللغوي والتعليم (وزارة التربية والتعليم) - (د. ط) يناير 2009م ص 9-10

7 - سورة (ن) - الآية 1.

8 - سورة البقرة- الآية 282.

9 - البيان والتبيين - تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان/ (د-ت) 79/1

10 - Charles Cooley:(social organisation), cité in:J.Lohisse :

anonyme.ED.Universitaire1969,p :42 la communication

ينظر: **جميل حمداوي** - سيميانيات التواصل اللفظي وغير اللفظي - مجلة : طنجة/الأدبية، الجريدة الثقافية لكل العرب2010.

11 - - وأشار إليه بيده إشارةً وشورَ تشويرًا لَوَحٍ بَشِيءٍ يَفْهَمُ مِنَ النَّطْقِ فَأِشَارَةٌ تُرَادِفُ النَّطْقِ فِي فَهْمِ الْمَعْنَى كَمَا لَوْ اسْتَأَذَنَهُ فِي شَيْءٍ فَأَشَارَ بِيَدِهِ أَوْ رَأْسِهِ أَنْ يَفْعَلَ أَوْ لَا يَفْعَلَ فَيَقُومُ مَقَامَ النَّطْقِ، (الفيومي - المصباح المنير - مادة: ش و ر)

12 - الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان/ (د-ت) 81/1.

13 - جميل حمداوي- سيميانيات التواصل اللفظي وغير اللفظي- مجلة : طنجة/الأدبية، الجريدة الثقافية لكل العرب2010

14 - فتيحة حداد-آراء تحليلية للمفاهيم المراسية في العملية التواصلية من خلال كتاب: اللغة والتواصل لـ (عبد الجليل مرتاض) ص 81.

15 - ابن خلدون - المقدمة ص 323.

16 - عز الدين الزباني - التواصل اللفظي غير اللفظي ، ص 16 - 17.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون2017

- 17 - محمد سيد فهمي - مهارات الاتصال في الخدمة الاجتماعية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى 2011م. ص
- 18 - Pinok et Mato, expression corporelle mouvement et pensée 5° édition Paris librairie philosophique 1979 P22
- Edward .T.Hall: la dimension cachée.Ed Seuil.Coll. Point, n° 89.1971, - 19 - P:13
- Charles Roncin, le corps et les communications ,20 - Pierre Vayer Vigot , 1986, p, 15 humaines , éd
- 21 - جميل حمداوي - سيميائيات التواصل اللفظي وغير اللفظي - الأدبية، الجريدة الثقافية لكل العرب. طنجة/-المغرب .2010.
- 22 - الجاحظ: البيان والتبيين-45/1.
- 23 - نفسه 76/1
- 24 - نفسه 14/1.
- 25 - أنشدته الأصمعي ولم يسم قائله-البيان والتبيين - الجاحظ - 56/1
- 26 - المصدر نفسه 81/1.
- 27 - قال الفضل بن عيسى الرقاشي في قصصه: سل الأرض، فقل: مَنْ شقَّ أنهارك، وعرَسَ أشجارك، وجنَى ثمارك؛ فإن لم تُجِبْكَ حواراً، أجابتك اعتباراً.
- الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي الواعظ كان قاصاً يقص بالبصرة ..ينظر:كتاب (المجروحين) لابن حبان "باب الفاء "
- الحافظ الأصبهاني - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (نكر طوائف من جماهير النساك والعباد). دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع -
- 28 - الحرّق: الأسود شبّه لُخبيّه بالجلمين لأنّ الغراب يخبر بالفرقة والغربة تقطع كما يقطع الجلمان.
- 29 - المقرّاع الفأس التي يكسر بها الصخر والموقع: المحدّد يقال: وقّعت الحديد إذ حدّدتها
- 30 - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. بيروت. دار الكتب، - 1935 - 222/ 12
- 31 - سورة الزخرف - الآية 71.
- 32 - جويور جان ماري -مسائل فلسفة الفن المعاصرة -ترجمة: سامي الدروبي، بيروت، دار اليقظة العربية، ط2 ، 1965.ص 74.
- 33 - سورة فاطر - الآيتان 27..28. (قصر صفة على موصوف (يخشى العلماء) فقد قصر الخشية على العلماء.)
- 34 - جون ديوي -الفن خبرة - ترجمة، تحقيق: زكريا إبراهيم -دار النهضة العربية ، القاهرة، 1963ص 208.
- 35 - عباس محمود عوض -علم النفس الفسيولوجي، دار المعرفة الجامعية- (الإسكندرية) ط9- 1999ص 132- 133.
- 36 - تشارلز فيدلون ألين -الرمزية والأدب الأمريكي، ترجمة هاني الراهب، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1976. ص 25.
- 37 - جويور جان ماري -مسائل فلسفة الفن المعاصرة -ترجمة: سامي الدروبي، بيروت، دار اليقظة العربية، ط2 ، 1965. ص 72.
- 38 - بشار بن برد (96هـ - 168 هـ). إمام الشعراء المولدين. عاصر نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية. ولد أعمى، وكان من فحولة الشعراء وسابقهم المجددين.
- 39 - حازم القرطاجني، (608هـ - 684هـ).. أديب وناقد أندلسي المولد تونسي الوفاة وشاعر مشهور في القرن السابع للهجرة.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون2017

- 40 - حازم القرطاجني ،أبو الحسن - منهاج البلغاء وسراج الأدباء -تح : الدكتور الحبيب ابن الخوجة- تونس ، 2008 ص 104.
- 41 - Edward. T. Hall, La dimension cachée, éd, Seuil, 1971, P, 129
- 42 - عباس محمود عوض -علم النفس الفسيولوجي، ص 132-133.
- 43 - الشم..حاسة لها تأثير على عواطفنا 30 DW.COM IN <http://www.dw.com/ar> DW.COM IN 30
- LANGUAGES أكاديمية DW
- 44 - رواد الترمذي في سننه، في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله.
- 45 - عبد الهادي دحاني - منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في لغة التواصل- مجلة (الإحياء) مجلة الرابطة المحمدية للعلماء- المغرب.
- 46 - رواد الطبراني في المعجم الكبير: 156/22، رقم: 414.
- 47 - رواد الترمذي في سننه، في كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في صنائع المعروف.
- 48 - رواد البخاري في صحيحه، في كتاب الطلاق، باب اللعان.
- 49 - رواد الطبراني في المعجم الكبير: 156/22، رقم: 414.
- 50 - تشارلز فيدلون ألين -الرمزية والأدب الأمريكي، ترجمة هاني الراهب، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1976. ص 25.
- 51 - Edward. T. Hall, La dimension cachée op.cit., P, 85
- 52 - رواد البخاري في صحيحه، في كتاب الاستئذان، باب الأخذ باليمين.
- 53 - رواد البخاري في صحيحه، في كتاب الرقائق، باب كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل.
- 54 - رواد البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر.
- 55 - حنون مبارك: دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط 1987، م، ص: 23.
- 56 - عبدالجواد توفيق محمود - الواقع اللغوي في العالم العربي في ضوء هيمنة اللهجات المحلية واللغة الإنجليزية.
- 57 - جامعة أسبوط جمهورية مصر العربية. مجلة : رؤى استراتيجية -يناير 2014 ص 125
- 58 - عبدالجواد توفيق محمود - الواقع اللغوي في العالم العربي- ص 126.
- 59 - نفسه - ص 130.
- 60 - جوزيف فيساريونوفيتش ستالين 1878- 1953 هو القائد الثاني للاتحاد السوفيتي ورئيس الوزراء (1941-1953)، عرف بقسوته وقوته وأنه قام بنقل الاتحاد السوفيتي من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي مما مكن الاتحاد السوفيتي من الانتصار على دول المحور في الحرب العالمية الثانية والصعود إلى مرتبة القوى العظمى.
- 61 - محمد مراياتي- اثر اللغة العلمية و التكنولوجيا في النمو الاقتصادي العربي: أسئلة اللغة. منشورات معهد - الدراسات والأبحاث للتعريب -يوليوز 2002 ص 34
- 62 - نفسه - ص 130.
- 63 - للمزيد عن دور اللغة القومية في النمو الاقتصادي، وكيف أن دور اللغة القومية في بناء منظومة المعرفة والتنمية البشرية، لا يقل أهمية عن دور العملة القومية في بناء المنظومة الاقتصادية والتنمية الاقتصادية، يظر: محمد عبدالعظيم، " اللغة القومية عامل خفي في النمو الاقتصادي"، مجلة التعريب، ع (43 دمشق 2012 ص 176-177
- 64 - صالح بلعيد - الأمازيغية أكثر اللغات عرضة للتهجين اللغوي بسبب تدرسها باللاتينية حوار أجرته معه : دليلة حباتي -

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- نشر في (الجزائر نيوز) يوم 13 - 03 - 2010 (جزائرس - محرك بحث إخباري)
- 65 - نفسه - الحوار نفسه .
- 66 - نفسه - الحوار نفسه .
- 67 - بومدين بوزيد - "الأمن اللغوي والاستقرار الاجتماعي" محاضرة ألقاها بالمجلس الأعلى للغة العربية الجزائر -
- نشر المقال : حميد عبد القادر - الخميس 28 فيفري 2013 الجزائر.
- 68 - نفسه .
- 69 - فادي شاهين، ازدواجية لغوية - القدس العربي، عدد 5817، تاريخ 16 شباط 2007.
- الثنائية اللغوية (بالفرنسية: Bilinguisme) هي وجود لغتين من نظامين لغويين مختلفين عند نفس المتكلم، مثال الفرنسية والعربية في الجزائر وفي المغرب العربي الكبير بالعموم. تعتبر كندا دولة ثنائية اللغة حيث تستخدم اللغة الفرنسية والإنجليزية كلغة رسمية للدولة.
- لا يجوز أن نقول إن هذا الأمر يسمى الازدواجية اللغوية لأن يتميز الشخص ثنائي اللغة بقدرته على التواصل والتحدث مع الآخرين بشكل أكبر لأنه يمتلك أكثر من لغة تساعد فيه ذلك. اثبتت الدراسات بأن الأفراد الذين يتحدثون أكثر من لغة هم أكثر ذكاءً من غيرهم، فهي تحسن من مهاراتهم المعرفية وتساعدهم في الوقاية من الخرف في سن الشيخوخة.
- تفيد ثنائية اللغة الأطفال في تطور نموهم المعرفي. حيث يتفوق اطفال ثنائي اللغة على احادي اللغة في كثير من المواد كالرياضيات والعلوم. فادي شاهين، ازدواجية لغوية - القدس العربي، عدد 5817، تاريخ 16 شباط 2007.
- 70 - مصطلحان استعمل أولهما الأديب الأصيل مصطفى صادق الرافعي، واستعمل ثانيهما الكاتب الكبير أحمد حسن الزيات، كما استعمل مصطلحا آخر هو "العبودية العقلية". ينظر: الهادي الحسني - الاحتلال اللغوي- جريدة الشروق 2013/03/14.
- 71 - يوهان غوتليب فيشته (1762-1814) فيلسوف ألماني. واحد من أبرز مؤسسي الحركة الفلسفية المعروفة بالمثالية الألمانية.
- (ينظر : الموسوعة العربية الميسرة، - المكتبة العصرية (صيدا - بيروت) - 2010. (فيشتيه).
- 72 - الهادي الحسني - الاحتلال اللغوي- جريدة الشروق 14/03/2013 . (يفرق الأستاذ مالك بن نبي بين الاحتلال والاستعمار، ويعتبر الاحتلال ألصق بالماديات، بينما الاستعمار ألصق بالماديات والنفسيات معاً..)
- ينظر: مالك ابن نبي مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي.. صص 141 و 145.
- 73 - فاتح ديبش- ضرورة تشكيل أكاديمية وجهاز يضمن حقوق صيانة اللغة العربية- نشر الحوار: مكي أم السعد- بجريدة (الخبر) الجزائرية - بتاريخ : الجمعة 16 ماي 2014.
- 74 - نفسه .
- 75 - مكي أم السعد- (ضرورة تشكيل أكاديمية وجهاز يضمن حقوق صيانة اللغة العربية) جريدة (الخبر) الجزائرية - بتاريخ : الجمعة 16 ماي 2014.

مقارنة جهود ابن حزم الصوتية بالدراسات الصوتية الحديثة

إعداد أ. محمد بو علي
وحدة البحث تلمسان

الملخص:

استوعب ابن حزم الكثير من خصائص الصوت اللغوي ودرس مكوناته وتطرق إلى جهاز النطق، واكتفى بما يخدم طرحه العلمي ومع ذلك وافق طرحه المحدثين في العديد من القضايا. ويأتي هذا المقال ليحدث مقارنة بين جهوده وما جاء به المحدثون. **الكلمات المفتاحية:** ابن حزم، المحدثون، المقارنة، الترتيب، الأصوات.

Abstract :

Ibn Hazm has accommodated a lot of linguistic sound characteristics and studied its constituents by tackling the Pronunciation Device. He was only sufficient with what serves his scientific research. Thereby, numerous Modernists have agreed on his substract among various issues. This article comes to make a comparison between his efforts and what modernists reach.

Key-words :

Ibn Hazm, Modernists, Comparison, Arrangement, Voices(Sounds)

1- تمهيد:

لقد أحاط ابن حزم بأصول المعرفة عند غيره من المفكرين الذين سبقوه واهتم كثيراً بعلوم عصره وعاش الأحداث المطروحة فاتخذ لنفسه منهجاً يقدر فيه العقل، جرّه إلى إتباع المذهب الظاهري الذي بدأه داود بن علي الأصفهاني بالعراق فتعامل مع النص كما هو وواجه الوقائع مهما تعددت وتعقدت، وقد جرت ظاهريته الفقهية إلى الاهتمام بالجوانب اللغوية فجاءت مؤلفاته حافلة بمجهودات في المجال المعجمي والنحوي والبلاغي والصرفي.

وأما جهوده الصوتية التي نحن بصدد تجليتها فقد ارتبطت بالمادة اللغوية في عمومها ولذلك جاءت محدودة كما بينت سابقاً، ولم يخرج فيها عن إجتهدات سابقه.

اعتمد ابن حزم في حديثه عن الأصوات إلى ما خلص إليه علماء العربية وإلى مشاهداته للواقع اللغوي في بلاد الأندلس وإلى حسه العقلي، فتحدث عن الأصوات من جوانبها الوظيفية وميز بين ما يحقق فائدة وما لا فائدة منه، ثم كشف عن جهازي التصويت والسّمع دون أن يوغل في الوصف والتعمق لأن مدار الأمر عنده هو الجوانب الوظيفية لأعضاء هذين الجهازين.

لم يقدم ابن حزم دراسات معمقة في المجال الصوتي ولم ينجح إلى تفاصيل واضحة، غير أن المعلومات المتناثرة في مؤلفاته تكشف مدى تنظيم وترتيب المعطيات الصوتية وفق طبائعها العلمية، وقد أبدى قدرة فائقة في إحاطته بعناصر جهاز التصويت.

2- جهاز التصويت كما حدده ابن حزم ووصفه المحدثون:

جمع ابن حزم في حديثه عن إنشاء الأصوات وإيصالها إلى المتلقي بين جهازي التصويت والسمع، ولم يلجأ إلى الشرح والتحليل، وإنما ذكر ذلك إجمالاً فجاء ترتيبه لأعضاء جهاز التصويت تصاعدياً بدءاً بالصدر ثم الحلق فأنابيب الرئة والحنك ثم اللسان فالشفيتين وأخيراً الأسنان.

ولا نعتقد بأن لهذا الترتيب ما يبرره علمياً فأعضاء النطق - كما قال ابن حزم في موطن آخر - لا يستقل كل عضو منها بصوت وإنما تتداخل وظائفها وتتشرك في صناعة الأصوات، ويتضح ذلك أكثر في قوله: «وهيأ لها الهواء المندفع بقرع اللسان إلى صُمغ الأذان»⁽¹⁾ فقد أدرك أهمية وظيفة هذا العضو في صناعة الأصوات وإتصاله ببقية الأعضاء وهذا ما أكدته الدراسات الصوتية الحديثة التي ذهبت إلى أن تنشئة الأصوات اللغوية مردها أساساً إلى اللسان.

أ- ترتيب ابن حزم لأعضاء النطق:

رتب ابن حزم أعضاء جهاز النطق بدون شرح ولا ذكر لحدها ولم يشر إلى أدوارها، فجاءت عنده كالاتي:
الصدر (ويقصد الرئتين) - الحلق - أنابيب الرئة - الحنك - اللسان - الشفتان - الأسنان.

ب- ترتيب المحدثين لأعضاء النطق:

- الشفتان - الأسنان - الحنك - اللسان - الحلق - المزمار - الحنجرة - الأوتار الصوتية - التجويف الأنفي - الرئتان.
وبذلك يكون المحدثون قد رتبوا من الأعلى إلى الأسفل خلافا لابن حزم الذي رتب من الأعمق إلى الظاهر.

ج- طبيعة جهاز التصويت عند المحدثين:

لم يخرج العلماء المحدثون كثيراً على ما أورده العلماء العرب القدماء ومنهم ابن حزم عن تحديد أعضاء جهاز التصويت، فإذا كان ابن حزم قد اكتفى بالأعضاء الرئيسية الفاعلة دون التطرق إلى مزيد من الشرح في مجال أداء وظائفها المتعددة البيولوجية والنطقية، فقد قسم العلماء المحدثون أعضاء النطق إلى نوعين:

أولاً: الأعضاء الثابتة وهي: الأسنان العليا واللثة والغار (الحنك الصلب) والجدار الخلفي للحلق.

ثانياً: الأعضاء المتحركة وهي: الشفتان واللسان والطبق واللهاة ولسان المزمار (يتحرك بتحريك اللسان) والحنجرة والرئتان والقصبه الهوائية.

ويبقى أن نذكر أن العلماء المحدثين سموا هذه الأعضاء بأعضاء النطق نظراً لوظيفتها الظاهرة، فلهذه الأعضاء وظائف بيولوجية متعددة وهي ذات أهمية قصوى لبقاء الإنسان على قيد الحياة.

د- وظيفة أعضاء النطق في إحداث الصوت بين ابن حزم والمحدثين:

شرح المحدثون دور أعضاء النطق في إحداث الأصوات اللغوية وهذا ما لم يتطرق إليه ابن حزم ولعله كان يدرك أن ذلك واقع بالضرورة وفيما يأتي دور كل عضو من الأعضاء.

1- الشفقان: تتحركان بحرية في كل اتجاه وتتخذان أوضاعاً مختلفة عند النطق بالأصوات، فتتطبقان إنطباقاً تاماً يمنع مرور الهواء وتنفرجان، فيندفع من ثمة الهواء منفجراً محدثاً صوتاً إنفجارياً وتستدير كما يحدث في الضمة وتنفرجان كما يحدث في الفتحة. وتختلف عادات البشر في استغلال حركة الشفتين والانتفاع بها فمن الشعوب من تتميز عادات النطق لديهم بكثرة الحركة ومنهم من يقصد في ذلك⁽²⁾.

2- الأسنان: خصها ابن حزم بالذكر دون إبراز لأنواعها وأقسامها، وفصل العلم الحديث صفاتها وطبائعها وعدد وظائفها في إنتاج الأصوات وهي من الأعضاء الثابتة غير أن الفك الأسفل يتحرك، ولا تنتج الأسنان الأصوات بمفردها وإنما تشترك مع اللسان أو الشفة السفلى⁽³⁾.

3- الحنك: وهو المقابل للسان من أعلى الفم ولا يقوم سقف الحنك بإنتاج الأصوات بمفرده، وإنما بالاشتراك مع اللسان وينقسم إلى أربعة أقسام: اللثة والغار والطبق وهو سقف الحنك الرخو واللهاة وهي عضو متحرك تنتج الأصوات بمساعدة مؤخرة اللسان.

4- اللسان: رتبته ابن حزم في المرتبة الخامسة شأنه في ذلك شأن العلماء المحدثين وذلك من باب التدرج نحو الأبعد وهو من أهم أعضاء النطق باتفاق القدماء والمحدثين ويتكون من عدد كبير من العضلات التي تمكنه من الحركة والإمتداد والانكماش والتلوي إلى الأعلى أو الخلف، وقد مكنته هذه الأوضاع من الإتصال بأية نقطة من الفم، قسمه العلماء المحدثون إلى ثلاثة أجزاء:

أ- مقدمة اللسان، ب- وسط اللسان، ج- مؤخرة اللسان.

5- الحلق: ذكره ابن حزم مباشرة بعد الصدر في قوله: «مكّن الحكيم القادر لها المخارج من الصدر والحلق...»⁽⁴⁾ فعمق الحلق مقارنة بالأعضاء الظاهرة جعل ابن حزم يرتبه بعد الصدر الذي يصدر عنه الهواء المندفع وحددت الدراسات العلمية الحديثة موقعه بالضبط، فهو «يقع بين الحنجرة وأقصى الحنك، وهو عبارة عن تجويف في الخلف من اللسان يحدُّ به، وربما يسمّى الحائط الخلفي للحلق من الخلف، والحائط الخلفي ليس إلا عظام العنق مغطاة بما يكسوها من اللحم»⁽⁵⁾.

6- الرئة: وقد عبر عنها ابن حزم بقوله: «وأنايبب الرئة» وهو وصف على جانب كبير من الدقة والصحة ففي الرئتين تجاوبف هي بمثابة أنايبب ناقلة للهواء الذي يبعث الحياة في الجسم، ويدفع الهواء ماراً بالقصبة الذي يتسبب في حدوث الأصوات، وتعد الرئتان «مخزناً للهواء تتحركان تمداً وانكماشاً بحسب حركة الحجاب الحاجز الموجود تحتها أسفل الصدر»⁽⁶⁾، وبغير الرئتين لا تتم عملية النطق ولا تتم عملية التنفس بل ولا تكون الحياة.

7- الوتران الصوتيان: لم يشر إليهما ابن حزم ويسميها البعض بالحبال الصوتية «وهما عبارة عن رباطين من العضلات مرنين يشبهان الشفتين ويتصل بهما نسيج يقعان متقابلين على قمة القصبة الهوائية ويمتدان بشكل أفقي من الخلف إلى الأمام وعند ذلك يلتقيان بالبروز المسمى بتفاحة آدم، وقد تعمق المحدثون في دراستهما فحددوا طولهما البالغ حوالي 22 إلى 27 ملم وهما عند الرجال أطول من النساء ويتسمان بالغلظة والمتانة عند الرجال في حين يتسمان بالرقّة عند النساء والأطفال غير البالغين»⁽⁷⁾.

3- خلاصة المقارنة بين ما جاء به ابن حزم وما قدمه المحدثون في جهاز النطق:

بعد أن قدمنا ما ذكره ابن حزم من أعضاء النطق وما ذكرته الدراسات الصوتية الحديثة فإننا نلاحظ أن ابن حزم إكتفى بذكر الأعضاء متحدثاً عن وظيفتها في الإنجاز الصوتي اللغوي بصفة عامة، أشار إلى ذلك في بداية حديثه من أنها تحدث إيقاع الكلمات، ولم يذكر الحنجرة ولا الوتران الصوتيان ولا التجويف الأنفي، على طريقة علماء الأصوات القدماء من أمثال الخليل وسيبويه وابن جني باستثناء ابن سينا الذي قدّم وصفا تشريحيا للحنجرة فذكر غضاريفها ودورها في التّصويت.

إن المتصفح لجهود ابن حزم اللغوية المتناثرة في مؤلفاته⁽⁸⁾ يلاحظ أنه كان يذكر الجوانب الصوتية عرضاً عندما تفرض عليه القضية العلمية التي يكون بصدد عرضها وتحليلها والدفاع عنها، لقد كان ابن حزم يهتم في بداية حياته بالبحث اللغوي وسرعان ما تحول إلى عالم فقه حمل لواء مذهب ودافع عنه دفاعاً مستميتاً ولاقى من أجله الأتعاب ومما لا شك فيه أن ابن حزم قد استفاد كثيراً من علماء آخرين ومفكرين سبقوه في مختلف أجناس العلم والمعرفة وربما كان من أبرزهم تأثيراً في فكره الفلاسفة اليونان والعرب الذين تعددت معارفهم وتنوعت لديهم العلوم من فكر وفلسفة وفقه وأدب ولغة، بيد أن ابن حزم حاول أن يتناول معارفه بمنهج يخصه برزت من خلاله شخصيته التواقة إلى العلا والطامحة إلى تسجيل إسمه في سجل العظماء.

4- مفهوم الصوت بين ابن حزم وعلماء الأصوات المحدثين:

أ- تمهيد:

يبدأ ابن حزم في حديثه عن الصوت البشري بتطبيق منهجه الذي يعتمد على ملاحظة الظاهر، ووصف الظاهرة كما هي، فهو يقسم الصوت قسمين.

الصوت الذي يؤدي وظيفة وهو الذي يدل على معنى وهذا ما ينبغي الإهتمام به والإشتغال به والصوت الذي لا يحصل لنا منه فائدة نفهمها، وهذا ما لا ينبغي العناية به، وقد راح يفسر ذلك، وهذا ما أورده في الفصل الثاني من هذه المذكرة⁽⁹⁾.

لقد إنطلق ابن حزم في تعريفه للصوت من معارفه الفلسفية حول طبيعة اللغة عند الإنسان، فهي وقف أم مواضعة أم تقليد لأصوات الطبيعة، وبعد أن ذكر جميع أعضاء النطق، مثل الفم والشففتين والأسنان واللسان والرئة وهي معروفة للجميع ولذلك فإنها يمكن أن تدرس وتوصف ويتحدث عن نشاطها.

شرع في ترسيم مشاهداته وملاحظاته فجاء حديثه عن الصوت البشري ملامسا لما يعرف عند الدارسين المحدثين بعلم الصوت النطقي (الفسيولوجي) الذي يعني بدراسة

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

أعضاء النطق من أجل إنتاج أصوات الكلام أي أنه يهتم بعملية إنتاج الأصوات، وطريقة هذا الإنتاج.

ويعد علم الأصوات النطقي من أقدم فروع علم الأصوات وأرسخها قدمًا وأكثرها حظًا من الانتشار في البيئات اللغوية كلها، فهو يدرس نشاط المتكلم بالنظر إلى أعضاء النطق، وما يعرض لها من حركات، فيعين هذه الأعضاء، وما يعرض لها من حركات، ويحدد وظائفها ودور كل منها في عملية النطق⁽¹⁰⁾.

وقد كانت هذه الدراسات الصوتية في القديم مبنية في أساسها على هذا الجانب النطقي، بوصفه الوسيلة المتاحة، التي يمكن الاعتماد عليها في زمن لم تتوفر فيه الآلة و الأجهزة الفنية التي تساعد على الكشف عن الجوانب الأخرى للصوت اللغوي⁽¹¹⁾.

ب- الصوت السمعي عند ابن حزم:

عبر ابن حزم عن الصوت السمعي بعد أن صدر من المرسل بقوله: «وهيأ لها الهواء المندفَع بقرع اللسان إلى صمغ الأذان فتوصل بذلك نفس المتكلم مثل ما قد استبانته واستقرَّ فيها إلى نفس المخاطب وتنقله إليها بصوت مفهوم بقبول الطبع منها للغة إتقفا عليها فتستبين من ذلك ما قد استبانته نفس المتكلم، ويخرج إليها بذلك مثل ما عندها لطفًا من اللطيف الخبير»⁽¹²⁾.

واضح أن ابن حزم رسم القناة التواصلية التي تربط بين:

المرسل ← المرسل إليه ثم تحدُّث الأصوات الصادرة عن جهاز النطق صوب جهاز السمع، والرسالة التي هي محور العملية التواصلية، وهذا تقدُّم في الفهم نلاحظه عند ابن حزم وقد استعمل مصطلح "الصمغ" ليعبر به عن جهاز السمع ومعلوم أن الصمغ في الأذن هو الموطن الحقيقي الذي يستقبل الصوت ويوجهه إلى المخ لتفسيره.

لقد اعتمد ابن حزم على الملاحظة الذاتية المباشرة في الحديث عن علاقة النطق بالسمع، فتوصل إلى تحقيق نتائج ملموسة والفضل يرجع إلى حسه المرهف فحدد العلاقة العلمية بين المرسل والمتلقي وقد طبقت أراؤه ما توصلت إليه الدراسات الصوتية الحديثة شأنه في ذلك شأن العلماء العرب القدامى.

ج- الصوت السمعي عند علماء الأصوات المحدثين:

توصل العلماء في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة إلى تخصيص علم يدرس الجانب السمعي سمي بعلم الأصوات السمعي، ويعد أحد فروع علم الأصوات وهو ذو جانبين:

1- جانب عضوي فسيولوجي psychological

2- جانب نفسي psychological

فالجانب الأولي حددوا بموجبه أعضاء جهاز السمع والتي تحدثنا عنها سابقاً² والتي لفتت بال ابن حزم أثناء حديثه عن جهاز النطق وإستقبال الأصوات اللغوية لدى المتلقي.

والملاحظ في الدرس الحديث أن العلماء ما زالوا غير راضين على النتائج المحققة في هذا الفرع من علم الأصوات نظرا لحاجته إلى متخصصين في علم النفس الإدراكي من ناحية أخرى⁽¹³⁾.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

ويذكر روبنس مجموعة من الصعوبات التي تواجه الباحثين اللغويين في مجال هذا العلم وهي:

* إنتشار الموجات الصوتية على طبقة الأذن ووقع هذه الموجات على أعضاء السَّمع شيء لا يمكن إدراكه، إلا بواسطة أجهزة خاصة، وفي حال الاستعانة بهذه الأجهزة فيما لو أتاحت للغوي، سوف نجد أنفسنا في النهاية غير قادرين على إدراك العملية السمعية، باستثناء عملية سماع الأصوات بوصفها ضوضاء لا أكثر ولا أقل.

* عملية السَّماع لا يمكن التحكم فيها، فليس الإنسان بقادر على وقف هذه العملية واستئنافها حين يشاء، على عكس عملية النطق التي يستطيع المتكلم أن يتحكم فيها بالقطع والاستئناف متى شاء.

* ما يجري في الجهاز السمعي وكثير من أعضائه أشياء بعيدة المنال بالنسبة للعين المجردة، وكذلك الحال بالنسبة للملاحظة الناتجة عن استعمال ذلك النوع من الأجهزة والآلات التي يحتمل أن تتاح للباحث اللغوي العام⁽¹⁴⁾.

أما فنديريس Vendryس فإنه يرى أن الصور السَّمعية التي يستقبلها السَّمع، ليس لها أي قيمة، إلا على أساس أن هذا السامع لديه القدرة على تحويلها إلى صور نطقية فعلية، ومن ثم يمكن أن يكون متكلمًا هو الآخر، وبمعنى آخر إن السامع متكلم بالقوة، إذن هو يمتلك ما حوَّله المتكلم إلى أحداث نطقية واقعية وبهذا يمكن الاستغناء عن علم الأصوات السمعي⁽¹⁵⁾.

د- الكلمة صوت عند ابن حزم:

إنطلق ابن حزم في تعريفه للكلمة من الجانب المنطوق للغة إيمانًا منه بأن الجانب الصوتي قبل الرسم الإملائي، فالكتابة سلوك حضاري أعقب الجانب الشفهي للغة، يقول في تعريفه للاسم والفعل: «الإسم صوت موضوع باتفاق لا يدل على زمان معين، وإن فرقت أجزاءه لم تدل على شيء معين»¹⁶، وبهذا التعريف يكون قد ربط الصوت بالدلالة وميزه عن الفعل والحرف وأوضح أنه مركب من أصوات وهاته الأصوات التي سماها أجزاء فإنها لا تحمل دلالة، وبذلك يكون قد لامس تعريف المحدثين إلى حد بعيد.

وقال في شأن الفعل: «وقال الأوائل، إنه يدل على زمن مقيم لأنك تقول صحَّ يصحُّ وهذه الكلمة صوت موضوع باتفاق أيضا على ما قدمنا في الاسم لا يدل بعض أجزائها على معناها إلا أنها تدل على زمان مقيم كما ذكرنا»⁽¹⁷⁾، وأضح أن ابن حزم كان مطلعًا على تعاريف النحاة الأوائل للفعل وقد صرح بكامل العبارة دون أن يذكر عالما من علماء العربية، وبيَّن أنهم ربطوا الفعل بالزمن خلافا للاسم، وقد أكد هذا الرأي في النهاية.

إن الفعل عند ابن حزم صوت جاء بالاتفاق ليحمل دلالة وإن قسمت أجزاؤه أي فونيماته فإنها لا تحمل دلالة، وقدّم لذلك أمثلة.

هـ الكلمة عند علماء الأصوات المحدثين:

إعتاد النحاة القدامى أن يقدموا لدراسة النحو العربي بباب "الكلام وما يتألف منه" فيعرفون الكلام والكلم والكلمة، وهو مبحث كثر فيه التفسير والتحليل، وأن صنيعهم هذا كان يستخدم المستوى الصوتي والمعطيات الصرفية المختلفة في التحليلات المتنوعة، إلا

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

أن المحدثين جنحوا إلى تقسيم النشاط اللغوي إلى مستوياته بدءًا بالمستوى الصوتي ثم المستوى الصرفي فالمستوى النحوي ثم المستوى الدلالي، وبذلك تعدد تعريف الكلمة في كل مستوى، فللكلمة في المستوى المعجمي مفهوم وفي المستوى النحوي مفهوم، وهل نعتبر المباني الصرفية التي تتحقق بها الظواهر الموقعية وكذلك اللواصق الصرفية أجزاء كلمات أم نعتبرها كلمات مستقلة.

وللحديث عن الكلمة لا بد أن نفرق بين اللغة وبين الكلام، فاللغة مجموعة من الأنظمة والعلاقات بينما الكلام هو النطق بحسب قواعد هذه الأنظمة والعلاقات.

«إن الكلمة هي صورة صوتية مفردة في ذهن المجتمع، أو هي صورة وحين يلتقطها المتكلم يحولها من الصورة إلى الحقيقة الحسية سمعيًا من الأفراد (وهو طابع المعجم) إلى السياق الاستعمالي وهو طابع الكلام»⁽¹⁸⁾، وعندما يتحرك اللسان وينطق الكلمة تتحول إلى لفظ، فهناك إذن فرق ما بين الكلمة واللفظ وهو فرق ما بين اللغة والكلام فاللغة صامته وسكون والكلمة حس وحركة⁽¹⁹⁾.

وهذا هو أحد أوجه الاعتراض على من عرف الكلمة بأنها: «اللفظ المفرد» "أو لفظ وضع لمعنى مفرد" لأن هذا التعريف يغفل عن حقيقة الفرق بين الكلمة وبين اللفظ، وقد حاول بعض النحاة أن يعرف الكلمة بأنها "قول مفرد" على أن هذا التعريف لا يختلف عن الأول بل وقد يعقد الأمر لأن القول قد يكون في أكثر من لفظ واحد، «وتقاليد التحليل في اللغة العربية تجعل من مقول القول دائما في صورة جملة»⁽²⁰⁾.

لذلك يمكننا الجزم بأن ابن حزم كان قد وقف على هذا الجدل فأورد تعريفه الذي نصَّ أن الاسم - الذي هو كلمة طبعاً - عبارة عن صوت له معنى وأن جزءه لا يدل على معنى، وفي هذا يكون قد إقترَب من تعريف المحدثين الذين جاؤوا بمصطلحات المونيم monème واللكسيم lexem والفونيم phonème .

و- التنظيم الفونيمي في اللغة العربية بين ابن حزم وعلماء الأصوات المحدثين:
قد لا أكون مبالغا إذا قلت أن ابن حزم حينما قال: «... وإن فرقت أجزاءه لم تدل على شيء معين»⁽²¹⁾ فقد كان يقصد بالأجزاء إما الحروف وما دام حديثه في الصوت فربما كان يقصد الأصوات المجزأة الصغرى وهو ما عرف عند علماء الغرب المحدثين بالفونيمات.

«والفونيم هو أصغر وحدة لغوية غير قابلة للتقسيم لا تحمل أي دلالة وفونيمات اللغة تشكل فئة من العناصر اللغوية المتمثلة في عقل كل أعضاء المجتمع اللغوي»⁽²²⁾، ويشير العلماء إلى وظيفة الفونيم في تركيب اللغة وفي التمييز بين كلماتها ومنهم ثرو بتسكوى الذي يرى أن الفونيم هو أصغر وحدة لغوية التي تستطيع بطرق التبادل أن تميز كلمة من كلمة أخرى، وهو يعرف الفونيم بأنها: الوحدات الصوتية التي يمكن تقسيمها إلى عناصر صوتية متتابعة من وجهة نظر اللغة المعينة التي يقوم الباحث بدراستها. وهو يقرر بأن الفونيمات علامات مميزة، ولا يمكن تعريفها إلا بالرجوع إلى وظائفها في تركيب كل لغة على حدة⁽²³⁾.

ويعرف علماء مدرسة ليننجراد الفونيم على أنه النموذج الصوتي الذي له القدرة على تمييز الكلمات وأشكالها، أو أنه عبارة عن الصور الصوتية المستقلة التي تميز الكلام المعبر عن غيره من الأحداث الأخرى⁽²⁴⁾.

5- الخلاصة:

لقد أعمل ابن حزم منهجه الظاهري في جميع مناحي معارفه التي أوردها في كتبه، فعالج الجوانب الصوتية على أساس أنها المظهر الأول في اللّغة فتحدث عن جهاز النطق الذي به تتم صناعة الأصوات اللغوية إنطلاقاً من مخارجها، ثم تحدث عن طبيعة الصوت اللغوي فقسّمه إلى دال وغير دال، فأهمل مالا يؤدي وظيفة دلالية واعتنى بالجانب الأول فجاء حديثه عن الكلمة وأقسامها مطابقاً لما إتفق عليه القدماء والمحدثون. وهكذا جاء إجتهد ابن حزم مثمراً فقد سار في عرض معارفه معتمداً على المنقول الذي أخذ عن سابقيه وعلى المعقول الذي محص به الظواهر اللغوية معتمداً على المشاهدات والتجارب والملاحظات. ويمكن حصر النتائج في النقاط الآتية:

- أ- عرف ابن حزم طبيعة الصوت البشري وقسمه إلى دال وغير دال وأهمل مالم يدل وراح يدرس الأصوات الدالة.
- ب- تعرض لعملية إنتاج الكلمة فوصف جهاز النطق ذاكراً أهم مكوناته.
- ج- تحدث عن عملية إستقبال الصوت وخص جهاز السمع بالحديث.
- د- اكتفى ابن حزم بتسمية أعضاء جهاز النطق أثناء حديثه عن مخارج الأصوات وطبيعة اللّغة، بينما يحرص دارسو الأصوات من المحدثين على تخصيص فصل في صدر أبحاثهم الصوتية لوصف وشرح أعضاء آلة النطق.
- هـ- غير أن عدم ذكر ابن حزم لأعضاء آلة التصويت على نحو ما هو في الدراسات الحديثة هذا لا يعني أنه لم يكن واعياً بوظيفة هذا الجهاز، وربما سكت عن ذكره لأن العمل يتوفر إلى مختص عارف باللّغة ومخارج الأصوات وما يتعلق بها في أعضاء النطق، سماها القدماء بالأصول الذي ينبغي أن يكون على دراية بها كل من يخوض في قضايا اللّغة.
- و- يستعين المحدثون بالرسوم التوضيحية لبيان الحالة التي تشكلها أعضاء النطق في صناعة الأصوات كما إستعانوا بعلم التشريح في إبراز مكونات كل عضو، بينما لا نجد ذلك عند ابن حزم ولذلك ما يبرره عنده.

هوامش الدراسة :

- الرسائل 4 / 96.1
رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث، القاهرة، 1985، ص23.
حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث،
مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ص 24
الرسائل 4 / 96.
رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث، ص36
رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص27.
حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث،
ص27.
- الجهود الصوتية عند ابن حزم، مذكرة الماجستير، ص87.
أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، لقاهرة، 1976، ص79
حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب، ص16.
الرسائل 4 / 96.
ينظر مذكرة ماجستير الجهود الصوتية في رسائل ابن حزم الأندلسي، بوعلي محمد،
ص46.
كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، القاهرة، 1970، ص13.
كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات ص13 - 14.
كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، ص15
الرسائل 4 / 187.
الرسائل 4 / 141.
حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص317
حسان تمام، مناهج البحث في اللغة، ص93.
ينظر عباس حسن، النحو الوافي، 23/1.
الرسائل 4 / 187.
حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية، ص158.
نفسه، ص160.
نفسه، ص161.

أنواع الصراع في رواية "لا أحب الشمس في باريس" " لعبد الجليل مرتاض "

حنبلي سميرة
قسم اللغة والأدب العربي
جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان-
إشراف الدكتورة: أمينة بن جماعي

الملخص:

هذه المقالة عبارة عن محاولة لاستجلاء أنواع الصراع المبتوثة في كنف رواية "لا أحب الشمس في باريس" للكاتب "عبد الجليل مرتاض"، وسعي للكشف عن أنواع شخصيات الرواية التي ذابت في الآخر وتأثرت بالديانات و الحضارات المختلفة .

Subtract :

This article is an attempt like to show different factes of the conflict diffused within Abdeljalil Murtath's novel « I do not like the sun in Paris » of the writer. The article ai mis to discover how at the end of the novel, characters melted and striped off from their own origins due to the influence of different religions and civiilisations.

Keywords : Conflict-Civilisations Conflict-Religious Conflict-Political Conflict-Economical Conflict-Abedeljalil Murtath-Ido not like the sun in Paris.

المقال:

الرواية واحدة من أجناس الأدبية التي : " تقوم مقام المرأة للمجتمع مادتها إنسان في المجتمع، وأحداثها نتيجة لصراع الفرد- مدفوعا برغباته ومثله- ضد الآخرين وربما ضد مثلهم أيضا ، وينتج عن صراع الإنسان هذا .. أن يخرج القارئ بفلسفة ما أو رؤيا عن الإنسانية"¹. فارتباط الرواية بالحياة ، وتصويرها للواقع ، من خلال الشخصيات والمكان والزمان ، مكنها من رصد التحولات الاجتماعية والفكرية في المجتمعات، والتعبير عن واقع الصراع الإنساني والكشف عن حقيقته، من وجهة نظر الكاتب ورؤيته الخاصة . وذلك "بسبب ما لديها من طاقات مكنتها من الولوج بسلام إلى مناطق مُحَرَّمة ، ونتيجة لذلك تمخَّضت نماذجها عن مضامين ساخنة يُعبَّر أكثرها عن مواقف ساخطة مُتبرِّمة، لا تتوافق مع الواقع ، ولا ترغب في استقراره . وسلكت في سبيل ذلك مسالك مُتعدِّدة من التشكيل والرمز"².

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

لقد شهد العالم تحولا خطيرا في نمط الحياة و في جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والثقافية، و نتج عن ذلك كله تحولا كبيرا في شخصية الإنسان العربي، تحت وطأة المثاقفة و ما تحمله من: " التغيير أو التطور الثقافي الذي يطرأ حين تدخل جماعات من الناس أو شعوب بأكملها تنتمي إلى ثقافتين مختلفتين في اتصال و تفاعل يترتب عليها حدوث تغيرات في الأنماط الثقافية الأصلية السائدة في الجماعات كلها أو بعضها"³.

وحسب عز الدين المناصرة فإنّ المثاقفة قد تحمل عدة معان: كالتعالى عند أحد الطرفين و الدونية عند الآخر، وقد تحمل معنى الصراع بين الطرفين ، و قد تحمل معنى الاتصال و التواصل و الانفتاح والتبادل الثقافي الايجابي، وربما تفيد أيضا معنى التأقلم مع ثقافة الآخر و الاندماج فيه مما يساعد على إضافة عناصر جديدة إلى ثقافة الآخر، إلا أنّها قد تؤدي أحيانا إلى ازدواجية في الشخصية التي تبقى حائرة بين عناصر الهوية الأولى وبين العناصر الجديدة وقد يفضي ذلك إلى رفض الثقافتين دون طرح البديل⁴.

وعليه فرواية: "لا أحب الشمس في باريس" محاولة للتعبير عن هذه الأفكار، و التطرق إلى مختلف الصراعات التي صار يشهدها العالم نتيجة هذا التثقاف العالمي.

تدور أحداث الرواية حول البطل "رشيد" الذي هاجر إلى فرنسا، بحثا عن حياة جديدة لكنه وجد صعوبة في التأقلم و التخلص مما يحمله من ثقافة، و أصالة، ليبقى البطل في صراع نفسي داخلي بين المحافظة و الذوبان. إلا أنه في الأخير يتأثر بالمكان الذي غير من مجرى حياته و من شخصيته البدوية، إلى شخصية الأوروبية، "نسيت نفسي أنني ثعبان سلخ رداءه كله ليكسو جسده بزي آخر لكنه غير مباين في شيء للذي انسلخ منه"⁵. وهذا التغيير يرجع إلى إلحاح وإصرار الكثيرين من أصدقائه: "اقتنعت بأراء الأصدقاء لأبحر كسائر الفتيان المغتربين في هذا اليم الذي لا ساحل له"⁶. إلا أنّ التأثير الأكبر كان من قبل "فولة" حبيبته "لولا فولة التي أخرجتني من بحر هذه الظلمات إلى حياة جديدة مشرقة"⁷. هي من الشمسيات اللآئي تحضرن سريعا"⁸. وقد وصل الحال ب"رشيد" إلى درجة مقت الوطن و حاله و رغبته في تحوله و تغييره: "وهذا الجو؟ الم يئن له بعد أن يتغير؟ فلم يرتدي أنواعا من الأزمنة المكدسة مرات في يوم واحد، ولا يبدو إلا بمظهر واحد على مستوى أعوام و أعوام"⁹. إلا أنّ التغيير في شخصية "رشيد" لم يكن على جميع الأصعدة، فقد بقي محافظا في بعض أفكاره فهو يتساءل أحيانا عن "و من يضمن لنا أنه يتغير من سيء إلى أسوأ هناك، ومن حسن إلى أحسن هنا؟"¹⁰. وقد حملت الرواية عدّة مدلولات للصراع الحاصل في العالم من خلال شخصياتها الزئيقية التي لا تبقى على حال فتتعدد " بتعدد الأهواء والمذاهب والإيديولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطباع البشرية "¹¹.

علاقة المكان بالصراع :

انحصرت أحداث الرواية بين مدينتي "باريس" العاصمة و "مرسيليا" ذات الطابع الشعبي، ولعل اختيار الروائي فرنسا كحيز مكاني للرواية، يرجع إلى ما تعرف به هذه البلاد من تعدد جنسيات قاطنيها، و بالتالي التعدد الثقافي للبلاد ، فهذا الحيز المكاني يسمح له بالتعرض لمختلف الثقافات و الديانات، مما يسهم في تأجيج الصراعات، و دعم أفكاره

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

وتأكيدا. حيث "لا يحكم على سلوك الإنسان إلا من خلال تواجده في المكان"¹². وقد تجلّى واضحا اهتمام الروائي بالمكان سواء من خلال العنوان، أو المتن الروائي ككل.

رمزية الشمس في الرواية " لا أحب الشمس في باريس":

تعدّ تيمة "الشمس" بمثابة المرجع الجوهري الذي انبنى عليه المتن الحكائي فقد تعدّدت معانيها و رمزياتها فهي لم ترد بمعناها المعروف بالكوكب المتوهّج فقط، وإنما تعدته إلى معان كثيرة و عميقة. فوردت بمفهومها المعجمي في قوله: "إني أحببت هذا البلد لأنني أولعت بطبيعته الخالية من الشمس"¹³ ليتعداها ويستعملها كرمز ووسيلة للتغزل بالمرأة: "لم تصرف عني عينيها اللتين توهجتا كقرص شمسنا الباهت هناك في الغمام"¹⁴. ثم اتسعت دلالتها أكثر، فأضحت رمزا للوطن: "لم يكن أكثر من كتابي، يوم غادر الشمس هناك منذ ثلاثين سنة"¹⁵. و لم تقف عند هذا الحد فقط، وإنما شملت العالم الثالث كلّه، وما تعانيه هذه البلدان: "لا أحب شمسها وما تكشف تحتها في هذه القارات اليابسة من فقر مدقع، وجهل مريع، ووباء منتشر واستبداد متسلط"¹⁶. وقد قابلها بمصطلح "السحاب" ليعبر عن العالم الآخر المتطور.

أنواع الصراع في الرواية:

يعدّ الصراع عنصرا أساسيا في الرواية إذ أنّه "هو الذي يمنحها الحياة ويبعث فيها الحركة، ويدفع إلى تطوير الأحداث، ونموها، ويحدث التفاعل بين الشخصيات"¹⁷. وذلك راجع لكونه "شكل من أشكال التفاعل الشخصي الديناميكي المكثف بين طرفين أو أكثر، تربطهما علاقة اعتماد متبادل interdépendance، و هو ينتج عن بروز قدر من الاختلاف و عدم التوافق في الرؤى والمصالح والأهداف والتوجهات"¹⁸.

لهذا فقد حاول الكاتب من خلال هذه الرواية، رصد مختلف أنواع الصراع التي شهدها العالم ككل، وذلك كنتيجة حتمية للتطور الذي حصل في العقود الماضية، و تمخّض عنه صراع الحضارات الذي هو في جوهره "صراع قبائلي على نطاق عالمي، والفروق الثقافية هي التي تحتل الأساس و المركز في التصنيف و التمييز بين البشر اليوم"¹⁹. وقد اعتمد لتوضيح ذلك عدة شخصيات كون "العمل الروائي يتيح فيما يتيح القدرة على التشخيص [...] بحيث تصبح الشخصية الفنية الروائية قادرة على التعبير عن طبقة، فئة شريحة اجتماعية معينة"²⁰. فهي وسيلة الكاتب من أجل التعبير عن فكرة ما أو الإشارة إلى قضية تشغل باله حيث إن "تشكيل الشخصية في عمل روائي ما، يرتبط بالضرورة بموقف المؤلف منها، سواء أكان ذلك الموقف ايجابيا أم سلبيا، فقد يقترب المؤلف من الشخصية لاقترب توجهاته من توجهات الشخصية تقف إلى الجانب المقابل من توجهه الفكري والعقدي"²¹ فمن خلال الشخصية يوصل الروائي أفكاره وقيمه.

وقد استطاع الروائي تجسيد صراع الحضارات، من خلال شخصية "رشيد"، مستعينا في ذلك بالمونولوج و الحوار بين الشخصيات.

الصراع الديني:

يتجلّى الصّراع الديني باعتباره هاجسا مركزيا تلوح به الرواية منذ البداية، فقد وظف الروائي عدة شخصيات وحملها عقائد دينية مختلفة، فنجد الشخصيات الإسلامية تتمثل في

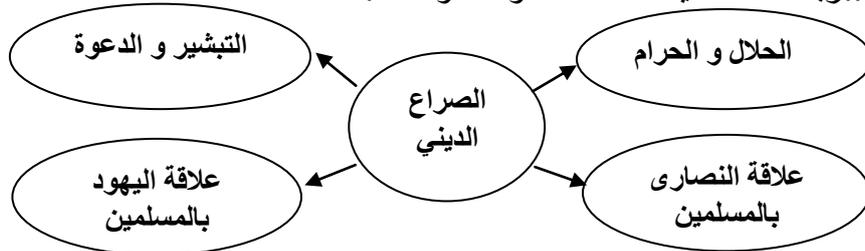
كل من "رشيد" بطل الرواية و حبيبته "فولة" و "صالح" و "سي حميد" شريكاه في العمل، و"موسى" الإفريقي، و"عبد اللاي" احد أصدقائه.وقد اجتمعوا في كونهم" فقدوا جل آثارهم الشمسية إلا هذا الدين الذي لا يزال يعمل في نفوسهم"²². إلا أنه يشيد بالأفارقة السود أكثر منّا"فهم قائلون على شرائح دينهم أحسن قيام خلافا لنا نحن عرب شمال إفريقيا"²³. فنحن نكتفي بالاهتمام بالأمور السطحية، أو نركز على البعض ، بينما ندع الباقي مثل قوله:"اللحم حلال على الشريعة الإسلامية"...مثل هذه العبارة وحدها كافية لأن تجلب إلى مطعمنا عشرات الزبائن [...]لكن معظم هذا الصنف من الزبائن لا يتورع في شرب الخمر، رأيت سي حميد متشددا في مراقبة الذبائح، لكنه لا يبالي ببيع الخمر ما عدا أربعين يوما قبل حلول رمضان "²⁴. فالمسلمون يهتمون باللحم، و رمضان لكنهم يتجاوزون عن معاقرة الخمر أو المقامرة و العلاقات غير الشرعية واللباس...الخ.حتى أن القارئ يمكن أن يفهم أن الاهتمام بهذا الجانب الديني له أهمية مادية و تجارية.

أما الصراع الديني الإسلامي المسيحي فنجد ممثلا في شخصية "ماريا كازنوبا" و "المبشرة كاترين" التي أذهلتها من حيث اهتمامها بدينها "وقدرتها على العمل و أملها العريض في التبشير"²⁵عكسنا نحن المسلمين أمة الدعوة إلا أن أحدا من المسلمين لا يدخل حيا مثل هذا الحي للتبشير أو الدعوة"²⁶.

ليتجسد الصراع الديني الإسلامي اليهودي من خلال شخصية "أنجال" التي:"لا تجترئ على أن تصرّح بنسبها خوفا من سوء ظن الناس بها [...]نافية أن يكون كل يهودي يدمن حقدا دفينا للعرب"²⁷. ويتأكد هذا النفي من خلال علاقتها الوطيدة برشيد، و تأكيدها على أخوة العرب و اليهود فتقول:"إن رزقت أنثى اسمها سارة،...أليست جدتنا،...وان وهبت ذكرا فلن أتردد في تسميته"إبراهيم" أو ليس جدنا جميعا؟"²⁸.

وقد أكد الجانب الراض لهذا الصراع العربي اليهودي من خلال شخصية عم "أنجال" اليهودي. إلا أنه مع ذلك جسد صراعا دينيا هو الآخر حيث تقول "أنجال": "رفض أن يبارك زوجي من صالح إلا إذا تمّ ذلك في "البيعة" بينما أصرّ صالح على أن تكون تلك المباركة في المسجد"²⁹.

وقد أرجعت "أنجير" زوجة عم "أنجال" سبب هذا الصراع إلى عدة أسباب حيث تقول:"هكذا ربينا على الحقد و الكراهية،...تعرضنا للاغتياالات الجماعية، والتشريد البشع،...ربما كنا ضحية الحاخامات و التلمود"³⁰.



رسم تخطيطي لبعض أنواع الصراع الديني المبنوثة في الرواية

● **الصراع الاجتماعي :** لقد تمثل الصراع الاجتماعي من خلال مقارنة الروائي لعدّة مظاهر للتحضّر فأبدى إعجابه مثلاً: بما يشهده العالم من رفاهية سواء على مستوى المعيشة، فنجده يقارن عيش "عائشة" والدة "فولة" بطريقة عيش أمه: " فتذكرت ساعتها أُمي المعذبة وما تتعرض له من استفزازات التخلف و الحرمان"³¹. أو على مستوى التعليم حيث تصفه "فولة" مقارنة بقولها: "لا حصير، ولا لوحة، ولا "تباع" ولا صلصال،...كلها أجهزة وأشرطة، ووسائل سمعية بصرية عجيبة تجعلك تتعلم أية لغة في اقصر مدة وبغير كلل ولا سأم"³⁵. ولكنه في الوقت ذاته ينكر الكثير من الأمور مثل تقليد المظهر و اللباس مثل قوله: " طالما عاينت البعض يركبه غرور التعقيد، فيطيل شعره و يدهنه[...]"ويقلد الشبان المحليين في زيهم، وحركتهم، وحتى غنة خطابهم"³² فنلاحظ أنّ اللغة قد تأثرت هي الأخرى بهذا الصراع الحضاري، الذي فرض تغيير اللغة الأم إلى الفرنسية وهي "التي غالباً ما بقيت معجزة لأبناء الشمس"³³. كما أنّه أنكر بعض الأمور الأخرى في تصرفات "فولة" و"أنجال" و كذا "صالح" فهو " لا يزال عائماً في روح محافظته الغربية، غريباً في بعض معتقداته، ممسوحاً بتقاليد و عاداته "³⁴. فنجده ينكر العلاقات الاجتماعية عند السحابين التي لا تهتم بالعلاقات الاجتماعية التي "أضحت قائمة على التكتلات الاجتماعية و العلاقات النوعية"³⁵ ف"لا أحد يبالي بالأخر، قد يعبأ الفرد بالكل، ولكنّ الكل لا يكثرث بالفرد"³⁶ مفضلاً عليها العلاقات عند الشمسيين ، مصرّحاً : "إننا نريد أن نبقى شمسيين بعاداتنا و قيمنا الروحية والثقافية"⁴¹. مشيداً خصوصاً بالأفارقة المسلمين إذ أنّ: "هؤلاء الإفريقيين و الإفريقيات أكثر تشبهاً منا نحن المغاربة بعاداتهم و تقاليدهم و لهجاتهم الشمسية"⁴².

كما أشار أيضاً إلى الأخلاق التي بدأت تنحلّ بفعل هذا التثاقف الحضاري وبدأ يتأثر به الشمسيون على عدة مستويات، من بينها الحب الذي تحوّل من حب صادق عفيف مثل حب "فولة" و"رشيد" حيث كان : "هواهما البدوي العفيف هو روحياً مجرداً"⁴³. ليتحوّل بعدها إلى حب سحابي إذ يقول "رشيد": "ألا يكفيها علاقتي غير المشروعة معها حتى أنجب معها أولاداً؟"⁴⁴. بل ويصل إلى تعدّد العلاقات غير الشرعية "أما أنا فتعرفون عني تجربتي مع ماريلا الفلانسية،... وهناك تجارب أخرى مع سواها"⁴⁵.

وقد أشار من خلال شخصية "ماريا كازانوف"، إلى قضية أخلاقية كبيرة تمثلت في انتشار الدعارة : "و إذا ببذور آدمية تصطف على الأرضة كاسيات عاريات"⁴⁶. وهذه الظاهرة لم تقتصر على جنس واحد، أو ديانة واحدة "فمنهنّ العربية، والإفريقية، ومنهنّ الآسيوية، ولا سيما الأوروبيات"⁴⁷. وقد عبّر أيضاً عن إيديولوجيات متعدّدة لأسباب الرفض و القبول فهذا يخاف مرضاً معدياً، وذلك ضنين يخشى أن يلدغه جيبه، والآخر يحكم الدين و العقل في إقدامه و إحجامه، وصنف آخر، يقبل غير مبال بحد من هذه الحدود"⁴⁸.

ومن القضايا التي أثارها أيضاً الروائي، قضية الزواج ، فعند السحابين الزواج الشرعي يكاد يندم "⁴⁹. أمّا عند الشمسيين فنجد "فولة" مثلاً تتساءل: "ألا تفهم العائلة

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

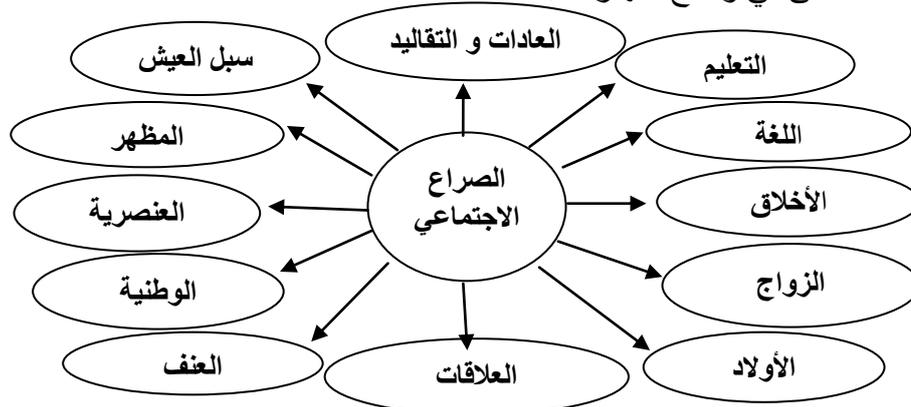
المتحصرة بأن الزواج هنا رغبة شخصية و حب داخلي و ليس قسمة أو نصيبا كما اعتادوا أن يقنعونا هناك؟⁵⁰

إلا أنه في قضية إنجاب الأولاد، فقد فضل السحائيين أكثر فهو يصرح أن: "النصارى أفضل منا في تنظيم نسلهم"⁵¹. عكس الشمسيين ف"متى كان عربي هنا أو هناك يلد أقل من عشرة؟"⁵². ويشرح سبب هذا التفضيل إلى بقوله: "لم يعد الأولاد يجلبون غير الهموم و المصائب، الأمراض الفتاكة، الدراسة، المجتمع، الحروب، الأزمات الاقتصادية العائلية..."⁵³

وفي الموضوع آخر فقد أثار قضية ال "تهافت وراء الأموال التي اعتادوا أن يجنوها بطرق قصيرة سهلة و بدون بذل مجهود"⁵⁴ ف"هم يفرخون، وفرنسا تخدم عليهم!"⁵⁵ طارحا بذلك إشكالية أعمق تمثلت "هل أدرك شمسي ما ينتظره من اندماج إلى في آجال أقرب مما يتصور؟"⁵⁶

كما أنه فضلهم في كونهم يتميزون علينا بحبهم الدائم لأوطانهم: "سبحان الله! أن هؤلاء يختلفون عنا نحن الشمسيين.... فقد بلغ المقت منا لشمسنا مبلغا لم يعد من السهل معه أن نفكر من جديد في حبا"⁵⁷.

لكنه أنكر ظاهرة العنف التي انتشرت في بلاد السحاب: ف"الجرائم في هذه المقاطعة أضحت تحدث حتى في وضح النهار"⁵⁸.



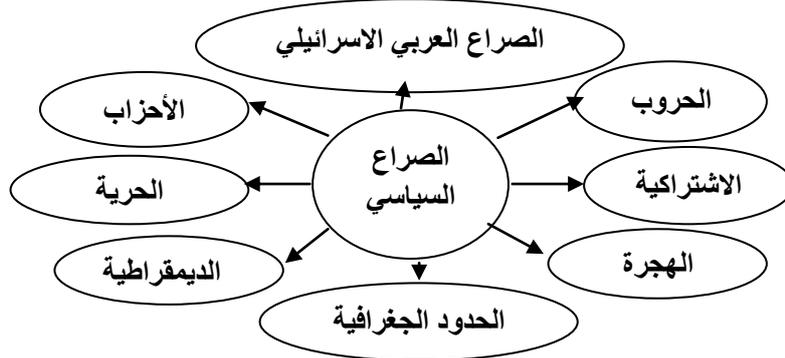
رسم تخطيطي لبعض أنواع الصراع الاجتماعي الموثقة في الرواية

الصراع السياسي:

جسد الروائي الصراع السياسي من خلال عدة الشخصيات مثل شخصية "موسى" الإفريقي المسلم، الذي حاول تأسيس حزب سياسي خاص بالمهاجرين و تعرض لاتهام بمحاولة الإخلال بأمن فرنسا، فيها هي جريدة فرنسا المساء تعرض"في صفحتها الأولى صورة لموسى وسط مقالة شديدة اللهجة، تبرر إلقاء القبض عليه من الشرطة بمحاولته هو وجماعة من الشمسيين تأسيس حزب جديد يعمل سرا بعد أن رفض اعتماده، وبعد أن وصفته وزارة الداخلية بأنه حزب عنصري أجنبي، وحزب تخريب لكل ما بنته وكسبته فرنسا من أجيال منذ الحرب العالمية الأولى"⁵⁹.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

إضافة إلى شخصية "سي حميد"، فالكل " يعرف تمام المعرفة أن سي حميد مغرم بالسياسة هي عشيقته "60. إنكتشف في الأخير انه هو المسؤول عن هذا الحزب. كما طرح قضية الاشتراكية بالجزائر، والسياسة المنتهجة عامة بالبلاد: "لنا بلد رائع ولكنه... الحزب الوحيد... الاشتراكية الخاوية... الديمقراطية الغائبة "61. وقد قارنها بإسرائيل: "إسرائيل وهي دولة غير اشتراكية بخير و الحمد لله "62. ومن القضايا التي أوردها أيضا، قضية الحدود الجغرافية التي فرقت الشعوب ف"إلى متى تظل هذه التأسييرات السخيفة تتحكم في رقابنا؟ و إلى متى سنظل هذه الحدود الجغرافية الزائفة تفصل بيننا "63. فهناك في بلاد السحاب قد تم التخلص من العنصرية حيث" لا اثر لخطاب الكره و العنصرية لكل من هو أجنبي "64. مؤكدا ذلك من خلال تعرف "رشيد" على عشرات الأصدقاء الجدد من أجناس و ألوان يمتون بصلاتهم إلى عوالم وقارات مختلفة"65 إلا أن الاندماج قد يؤدي إلى تحولات سياسية ف"الشمسيين غدوا يشكلون قوة بشرية استثمارية يمكن أن تقلب موازين الاتجاهات السياسية في هذا البلد"66. و قد ولج الروائي عالم الصراع العربي الإسرائيلي السياسيين، فقد "عشنا على مر آلاف السنين سواسية متآلفين متصاهرين،... لا يحق اليوم أو غدا لكمشة من الساسة المتهورين من هذا الجانب أو ذاك أن تتحكم في رقاب شعوبنا لتقودها نحو الهلاك و الخراب"67.



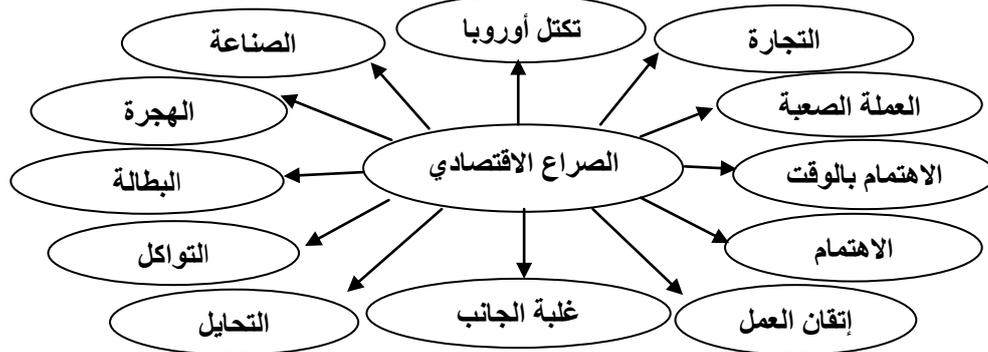
رسم تخطيطي لبعض أنواع الصراع السياسي الميثوثة في الرواية

• الصراع الاقتصادي:

تجسد الصراع الاقتصادي، من خلال حوار الدائر بين الشخصيات "انظر إلى أوروبا الغربية كيف بدأت تتكفل اقتصاديا؟ ضحت بسياساتها وتجاوزت عن عصبية سياستها الضيقة، وبننت مجتمعا اقتصاديا مزدهرا"68.

كذلك مقارنة في قضية الاهتمام بالوقت، وكذا إتقان العمل و الإخلاص فيه ،على عكس الشمسيين المتحاليين و الإتكاليين ،فهم " لا يباشرون أعمالهم متأخرين، ولا يغادرونه متقدمين [...]. إنهم قوم لا يركون ولا يرغبون من احد أن يركي عليهم، ولا يعتدون على حقوق الغير، ولا يرضون من مخلوق كان من كان أن يجسر على الاعتداء عليهم، مختلفون في السياسة متفقون في تنمية الوطن متطاحنون في الحقوق، متماسكون في الواجبات "69.

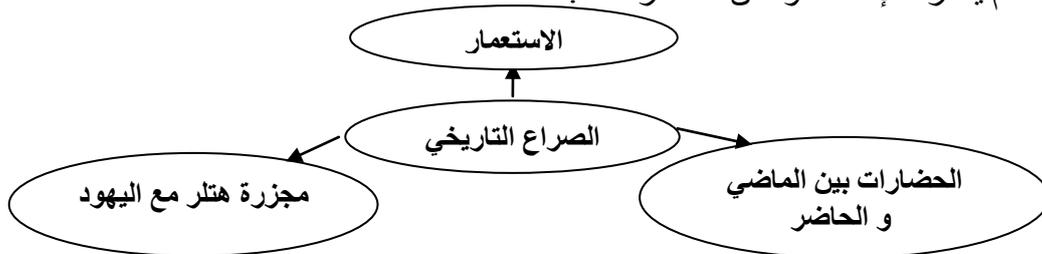
مؤكداً "أنَّ السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة... يجب أن ننفص عن أنفسنا أو هام الإتكالية"⁷⁰. ولكن مع ذلك "ينبغي ألاَّ يشغلنا التفكير في بطوننا اليوم و أوضاعنا الاجتماعية المزرية أو المحظوظة عن التفكير في غدنا... في أحفادنا من بعدنا"⁷¹.



رسم تخطيطي لبعض أنواع الصراع الاقتصادي المبنوثة في الرواية

• الصراع التاريخي:

تجسد الصراع التاريخي من خلال عدة شخصيات منها شخصية العجوز التي قارنت بين الحضارة في الماضي و الحاضر: "كل شيء فيه تغير، حتى الناس تغيروا"⁷². متحسرة على ما آل إليه العالم "آه من حضارة آلت إليها إنسانياتنا! آه من عصر داهمنا من سياسة اجتماعية و ثقافية و اقتصادية... لا تأخذ بعين الاعتبار إلا مصالحها"⁷³. لتثير قضية الحروب أيضاً "آه! آه! آه!... أ يوجد مجتمع [يقوم] بانفاق ملايين الدولارات لصنع أسلحة يفتك بها أخاه الإنسان"⁷⁴. مؤكدة "أنَّ الحرب لا تولد إلا الهيمنة و الانتصار، هزيمة الباغي المعتدي، وانتصار الضعيف المعتدى عليه"⁷⁵. أما شخصية "أشير" فأثارت قضية تاريخية أخرى تمثلت في حرق هتلر لليهود: "ركبوا فينا روح العظمة التي حولها هتلر في أيام إلى أفران من الجحيم [...]. هل كان العالم يتحرك لإنقاذنا لو كان منتصراً؟"⁷⁶



رسم تخطيطي لبعض أنواع الصراع الاقتصادي المبنوثة في الرواية

تعد رواية "لا أحب الشمس في باريس" رواية مكنتزة ومحملة بأنواع شتى للصراع يجد فيها المتلقي رؤى تعبر عن حال الإنسان العربي في ظل عالم تلعب فيه الهويات القاتلة دوراً بارزاً في تأجيج رحي الصدام.

هوامش الدراسة:

1. دراسات في الرواية العربية ، عبد الرحيم محمد عبد الرحيم، دار الحقيقة للإعلام الآلي، ط1، 1990، ص3.
2. المرجع نفسه ، ص5
3. المحمول الثقافي الغربي في الرواية العربية المعاصرة - نماذج مختارة - ، جمال مبارك ، مجلة قراءات ، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، قسم الأدب العربي، كلية الآداب و اللغات، جامعة بسكرة ، العدد الخامس، 2013، ص111
4. المرجع نفسه ، ص 108-109، بتصرف.
5. مقدمة في نظرية المقارنة ، عز الدين المناصرة ، نقلا عن المرجع السابق ، ص111.
6. المحمول الثقافي الغربي في الرواية العربية المعاصرة - نماذج مختارة - ، جمال مبارك ، ص، 112، بتصرف
7. لا أحب الشمس في باريس ، عبد الجليل مرتاض ، دار هومة، الجزائر، 2005: ص37 .
8. المصدر نفسه: ص3
9. المصدر نفسه: ص 73.
10. المصدر نفسه: ص87.
11. المصدر نفسه: ص20.
12. المصدر نفسه: ص 20
13. في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عبد الملك مرتاض، عالم المعرفة، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت، ديسمبر، 1998، ص73.
14. دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاصر - دراسة في إشكالية التلقي الجماعي للمكان- ، قادة عقاق منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، 2001 ، ص268.
15. الرواية : ص 19
16. المصدر نفسه: ص9
17. المصدر نفسه: ص22
18. المصدر نفسه: ص19
19. الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، عبد الله بن صالح العريني، نقلا عن الاتجاه الإنساني في روايات نجيب الكيلاني، علي محداد، تحت إشراف: احمد موساوي، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي، تخصص الأدب الحديث ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2013- ص125.
20. مفهوم الصراع الاجتماعي، ص25.
21. صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، صامويل هنتجتون، ترجمة: طلعت الشايب ، تقديم صلاح قنصوة ، ط2، 1999، ص10.
22. البنى السردية" 2" (نقد الرواية)، عبد الله رضوان، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2003، ص376.
23. في السرد الروائي ، عادل ضرغام، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط2010، 1، ص40.

مجلة الآداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

24. صدام الحضارات اعادة صنع النظام العالمي، صامويل هنتنجتون، ص 10
25. الرواية:ص 66.
26. المصدر نفسه:ص68
27. المصدر نفسه:ص 31
28. المصدر نفسه:ص65
29. المصدر نفسه:ص 66
30. المصدر نفسه: ص56
31. المصدر نفسه:ص 96.
32. المصدر نفسه: ص 92.
33. المرجع نفسه: ص 134
34. المصدر نفسه: ص41
35. المصدر نفسه: ص9
36. المصدر نفسه:ص58
37. المصدر نفسه: ص 23-24
38. المصدر نفسه: ص1
39. المصدر نفسه: ص 118
40. المصدر نفسه: ص 114-115.
41. المصدر نفسه: ص81-82
42. المصدر نفسه: ص 59
43. المصدر نفسه: ص6.
44. المصدر نفسه: ص 87.
45. المصدر نفسه: ص 141
46. المصدر نفسه: ص 33
47. المصدر نفسه: ص 33.
48. المصدر نفسه: ص 33.بتصرّف.
49. المصدر نفسه: ص29.بتصرّف.
50. المصدر نفسه: ص 28.
51. المصدر نفسه: ص96
52. المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
53. المصدر نفسه: ص133
54. المصدر نفسه: ص 87
55. المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
56. المصدر نفسه: الصفحة نفسها
57. المصدر نفسه: ص36
58. المصدر نفسه: ص139
59. المصدر نفسه: ص98
60. المصدر نفسه: ص100
62. المصدر نفسه:ص134.

مجلة الآداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- 63.المصدر نفسه:ص 6
64.المصدر نفسه:ص86
65.المصدر نفسه: ص58
66. المصدر نفسه: ص140
67. المصدر نفسه: ص 92
68.المصدر نفسه:ص112.
69. المصدر نفسه: ص 7
70. المصدر نفسه: ص 80
71.المصدر نفسه:ص71.
72. المصدر نفسه: ص10
73. المصدر نفسه: ص10
74.المصدر نفسه:ص10
75. المصدر نفسه: ص17
76.المصدر نفسه:ص134.
77. المصدر نفسه: ص 96
78. المصدر نفسه: ص71
79. المصدر نفسه: ص 63.
80. المصدر نفسه: ص 54

الجموع في بردة المديح لكعب بن زهير - دراسة نحوية صرفية دلالية

"The masses in burdah praise to Ka'b bin Zuhir-
grammatical study of morphological semantic "

إعداد الدكتور/ إبراهيم أحمد سلام الشيخ عيد
البريد الإلكتروني: alsheikhed@hotmail.com
جامعة الأقصى - غزة- فلسطين
كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم اللغة العربية

ملخص:

يتناول هذا البحث الموسوم بـ "الجموع في بردة المديح لكعب بن زهير- دراسة نحوية صرفية دلالية" بالدراسة والتحليل أنواع الجموع المختلفة في اللغة العربية؛ حيث ذكر علماء النحو والصرف أن جمعي السلامة: (المذكر، والمؤنث)، هما من جموع القلة، أما جموع التكسير ففيها أربعة أوزان تدل على القلة هي: (أفعل، وأفعال، وأفعلة، وفعلة)، وأوزان أخرى تدل على الكثرة، وهي كثيرة، وذكروا اسم الجنس الجمعي والإفرادي وعلاقة هذه الجموع بالمعنى، وتأثيرها في بردة كعب.
الكلمات المفتاحية: الجمع- القلة- الكثرة- الإفرادي - السالم- التكسير.

:Abstract

This research is marked by "the masses in burdah praise to Ka'b bin Zuhir- grammatical study of morphological semantic" by studying and analysis of the different types of crowds in the Arabic language; grammar scientists mentioned that collective of Al-Salama (masculine, feminine) are few masses, while cracker masses consist of four awzan indicate to fewness which (Afal-Afaal-Afela-Fela), other awzan indicate to multitude, they said the name of collective and differentiated gender, the relationship of these masses with meaning and the effecting of Ka'b burdah.

Key words: masses- fewness - multitude - Differentiated – Salem - cracker.

سبب اختيار البحث:

الرغبة في الوقوف على ما بين الجموع من اتفاق واختلاف، ودلالة كل صيغة من صيغ الجمع، ومدى براعة الشاعر في توظيف هذه الجموع في خدمة فكرته، وبيان موضوعات النحو والصرف التي تناولتها، والرغبة في خدمة اللغة العربية، وهذا ما شدني للكتابة فيه.

منهج البحث: اعتمد الباحث المنهج الوصفي الذي يدرس الظواهر اللغوية ثم يعللها ويحللها في الموضوعات النحوية الصرفية لدراسة الجموع المتنوعة.
الدراسات السابقة: تضمنت شروحا وتعليقات على قصيدة البردة لكعب بن زهير، ولكن هذه الدراسة -على حد علم الباحث- أن أحدا لم يكتب في الجموع في بردة كعب بن زهير من قبل.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في كونه يتناول موضوعات النحو والصرف المتعددة، والأوزان النحوية والصرفية في بردة المديح لكعب بن زهير.

خطوات البحث: قسم الباحث بحثه إلى مقدمة تتحدث عن الجموع بأنواعها المختلفة، ومبحثين: وخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث في جمع مادة بحثه العلمية.

المبحث الأول- الجانب النظري: الجمع لغةً واصطلاحاً، وأنواعه، وآراء العلماء فيه، ويتناول النقاط الآتية: (1) تعريف الجمع لغةً واصطلاحاً. (2) الجمع السالم بنوعيه: المذكر والمؤنث. (3) اسم الجمع. (4) جمع التكسير بنوعيه: القلة والكثرة. (5) اسم الجنس الجمعي والإفرادي. (6) الفائدة من الجمع.

المبحث الثاني- الجانب التطبيقي: قام الباحث بذكر الجموع في أبيات بردة كعب من خلال استقراء كل صورة من صور الجموع، وهي تتناول موضوعات نحوية صرفية، وخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدها في جمع مادة البحث العلمية.

المقدمة: ذكر علماء النحو والصرف في لغتنا العربية، الجموع، وقسموها إلى جموع قلة، وكثرة، وحددوا القلة من ثلاثة إلى عشرة، أما الكثرة فقد حددها من أحد عشر إلى ما لا نهاية، هذا عند جمهورهم، أما عند بعضهم؛ فإن جموع الكثرة من ثلاثة إلى ما لا نهاية، وبعدها ذكر الباحث المقصود بجمع القلة والكثرة، وكذلك ذكر استعمال الجموع دالة على حقيقة استعمالها في القلة والكثرة، واستعمال جموع الكثرة في موضع يدل على القلة، وحاول أن يبين العلة التعبيرية لهذا الاستعمال، وتحدثوا عن الجمع السالم بنوعيه: (المذكر، والمؤنث)، واسم الجنس الجمعي والإفرادي، واسم الجمع وأوزانها المختلفة.

الجموع في العربية على نوعين: جمع سالم، وجمع تكسير، وجمع التكسير له أوزان كثيرة تبلغ سبعة وعشرين وزناً، وقد يكون للاسم الواحد عدة جموع، نحو: ساجد، سجد، ساجدين؟ فما تفسير ذلك، وهل تختلف معاني الجموع باختلاف الأوزان؟(1).

وبعض النحاة لم يفسروا هذا الأمر تفسيراً كاملاً، ورأوا أنه يعود إلى اختلاف اللغات، وإلى دلالة الجمع على القلة أو الكثرة، أو لاختلاف المعاني للفظة المشتركة بين معنيين.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

ويرى د.فاضل السامرائي أن هناك اختلافاً بين هذه الأوزان في المعنى فالكُتَّاب ليس بمعنى الكتبة تماماً، وأن أهم أسباب اختلاف أوزان الجموع يرجع إلى: 1- اختلاف لغات العرب فتميم قد تخفف (فُعلاً)، فنقول: في جمع حمار حُمُر لا حُمُر، وقد جعل بعض النحاة هذا السبب الأول بل الوحيد.

والذي يؤكد اختلاف الدلالة ما جاء في القرآن الكريم من استعمال الحميم جمع حمار للأهلية منها قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ (2)، أما الوحشية فـ(حُمُر)، وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ* فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ (3).

2- الضرورة فقد يضطرّ العربي إلى استخدام جمع بدلاً من آخر لإقامة الوزن.
3- اختلاف المعنى، وهذا في المشترك اللفظي، نحو: جمع (ربيع): الكلاء، أربعة، ويجمع ربيع الجدول على (أربعاء)، ويجمع خال الرجل على أخوال، والخال في الجسد على خيلان.

4- القلة والكثرة، وجموع القلة اشتهر منها أربعة: أفعل، أفعال، أفعله، فُعلة، كما أن الجمع السالم يفيد القلة، وقد يستغنى بجمع عن جمع فيستعمل القلة للكثرة والعكس (4).

المبحث الأول- الجانب النظري: تعريف الجمع وأنواعها، وآراء العلماء فيها:

(1) تعريف الجمع: (أ) لغة: الضم؛ أي: ضم شيء إلى شيء، حتى إن بعض اللغويين جعل أقلّ الجمع الاثنين وليس الثلاثة، في حين يرى النحاة أن أقلّ الجمع ثلاثة، وما ذهبوا إليه هو من باب المجاز؛ لأن الاثنين هو ضم واحد إلى واحد ولولا هذا الضم لم يكونا اثنين، قال تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيْلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (5)، فقد جمع القلوب وهما اثنان، وهذا كله يُخرجه العلماء على أنه مجاز، وفي كتاب الله تعالى إطلاق عبارة الجمع على المثني لقوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ (6)، وقال تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَمَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (7)، وقال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبْوُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ* إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَخَظَمَ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْنِطُ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ (8).

قال ابن منظور(ت711هـ): "جمع: جمع الشيء عن تفرقه يجمعه جمعاً وجمعه وأجمعه فاجتمع. والجمع: مصدر قولك: جمعت الشيء(9)

وقال الزبيدي(ت1205هـ): "الجمْعُ كالمَنْعِ تَأْلِيْفُ الْمُتَفَرِّقِ، وفي المُفْرَدَاتِ لِلرَّاغِبِ، وَتَبَعَهُ الْمُصَنَّفُ فِي البَصَائِرِ: الجَمْعُ ضَمُّ الشَّيْءِ بِتَقْرِيْبِ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ، يُقَالُ: جَمَعْتُهُ فَاجْتَمَعَ" (10).

بينما يرى إبراهيم أنيس: "جَمَعَ: المُتَفَرِّقَ جَمَعًا: ضَمَّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ، والله جمع القلوب ألقها، فهو جامعٌ وجموعٌ أيضاً(11).

(ب) الجمع اصطلاحاً: ما دلّ على أكثر من اثنين، و"ما له واحد من لفظه صالح لعطف مثليه، أو أمثاله عليه دون اختلاف معنًى"؛ لأنهم قسموا الاسم إلى مفرد، وهو ما دلّ على

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

واحد، وإلى مثني وهو ما دلّ على اثنين مطلقاً (12)، الجمع اسمٌ ناب عن ثلاثة فأكثر، بزيادة في آخره، مثل: كاتبين وكاتبات، أو تغيير في بنائه، مثل: رجال، وكُتِبَ وعلماء، وهو قسمان: سالم ومُكسّرٌ.

(2) فالجمع السالم ما سلم بناء مفردة عند الجمع وإنما يُزادُ في آخره واوٌ ونونٌ، أو ياء ونونٌ، مثل: عالمون وعالمين، أو ألف وتاء، مثل: عالِمات وفاضلات، وهو قسمان: جمع مذكر سالم، وجمع مؤنث سالم.

فجمع المذكر السالم: ما جُمع بزيادة واو ونون في حالة الرفع، مثل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (13)، وياء ونون في حالتي النصب والجر، مثل: أَكْرَمُ المجتهدين، وأحسن إلى العاملين (14) والسالم قسمان: جمع مذكر سالم، وجمع مؤنث سالم، فجمع المذكر السالم: ما دلّ على اثنين فأكثر بزيادة واو ونون، أو ياء ونون كـ(الزيدون، والصالحون)، أي: سلم بناء مفردة من التغيير في الجمع (15)، أما جمع المؤنث السالم فهو ما دلّ على اثنين فأكثر بزيادة ألف وتاء، على مفردة كـ (فاطمات وزينبات)، من دون تغيير في مفردة (16)، وهو ما جُمع بألف وتاء زائدتين، مثل: هندات ومرضعات وفاضلات (17).

(3) اسم الجمع: هو ما تضمن معنى الجمع، غير أنه لا واحد له من لفظه، وإنما واحده من معناه، وذلك: كجيش (وواحدة: جندي، وشعب وقبيلة وقوم ورهط ومعشر وثلة (وواحدة: رجل أو امرأة)، ونساء (وواحدة: امرأة)، وخيل (وواحدة: فرسٌ)، وإبل ونعم (والواحدُ جَمَلٌ أو ناقَةٌ)، وغنم وضان (والواحد شاة للذكر والأنثى)، ولك أن تعامله معاملة المفرد؛ باعتبار لفظه، ومعاملة الجمع، باعتبار معناه، فنقول: القومُ سارٌ أو ساروا، وشعبٌ ذكي أو أذكيا، وباعتبار أنه مفرد، يجوزُ جمعه كما يُجمعُ المفرد، مثل: أقوام وشعوب وقبائل وأرهُط وأبال"، وتجوُرُ تثنيته، مثل: قومانٍ وشعبانٍ وقبيلتانٍ ورهطانٍ، وإبلان.

واسم الجمع: ما يدل على أكثر من اثنين، وليس له مفرد من لفظه ومعناه، وليست صيغته على وزن خاص بالتكسير، أو غالب فيه، فيدخل في اسم الجمع: ما له مفرد من معناه فقط، مثل: إبل وقوم وجماعة؛ فهذه الكلمات وأشباهاها مفرد من معناه فقط، ويدخل في اسم الجمع ما يدل بصيغته على الواحد والأكثر من غير أن تتغير تلك الصيغة، نحو: فلك للسفينة الواحدة والأكثر (18)، ويدخل في اسم الجمع ما له مفرد من لفظه، ولكن إذا عطف على المفرد مماثلان أو أكثر كان معنى المعطوفات مخالفاً لمعنى اللفظ الدالّ على الكثرة، نحو: قریش مفردة قرشي. ويدخل في اسم الجمع ما لصيغته مفرد من لفظها ومعناها، ولكنها ليست على أوزان جموع التكسير المعروفة، كراكب وركب، وصاحب وصحب؛ فقد قيل: إنّ صيغة (فَعَل) ليست من صيغ جمع التكسير عند فريق من النحاة، واسم الجنس الجمعي: ما له مفرد يشاركه في لفظه ومعناه معاً، ولكن يمتاز المفرد بزيادة تاء التأنيث في آخره، أو ياء النسب، نحو: تمر مفردة تمرّة، وشجر مفردة شجرة، وعرب وعربيّ، وترك تركيّ، ويدل اسم الجنس الجمعي على ما يدل عليه جمع التكسير من الدلالة العددية. وصيغ منتهى الجموع: هي كل جمع تكسير بعد ألف تكسيره حرفان أو ثلاثة وسطها ساكن (19).

(4) اسم الجنس الجمعي والإفرادي: اسم الجنس الجمعي: ما تضمن معنى الجمع دالاً على الجنس. وله مفردٌ مُميّزٌ عنه بالتاء أو ياء النسبة: كتفاح وسفرجل وبطيخ وتمر وحنظل ومفردها: تفاحة وسفرجلة وبطيخة وتمرّة وحنظلة، مثل: عرب وترك وروم ويهود، ومفردها: عربيٌّ وتركِيٌّ وروميٌّ ويهوديٌّ.

ويكثر ما يُميّزُ عنه مفرده بالتاء في الأشياء المخلوقة، دون المصنوعة: كنخل ونخلة، وبطيخ وبطيخة، وحمّام وحمّامة، ونعام ونعامة، ويقل في الأشياء المصنوعة: كسفين وسفينة، وطين وطينة(20)، والجموع متعدّدة: جمع الجمع، والجمع لا مفرد له، والجمع على غير مفردة، ما كان جمعاً وواحداً، وجمع المركبات، وجمع الأعلام(21). والجمع قسمان: سالم، وتكسير، وأما جمع التكسير فهو "ما دلّ على أكثر من اثنين بتغيير صورة مفرده تغييراً مقدراً كفلّك، بضم فسكون للمفرد، والجمع، فزنته في المفرد كزنة فُقل، وفي الجمع كزنة أسد... أو تغييراً ظاهراً إما بالشكل فقط؛ كأسد بضم فسكون جمع أسد بفتحيتين(22).

اسم الجنس الإفرادي: وهو ما دلّ على القليل والكثير من جنس واحد بلفظ واحد، وذلك كماء وتراب وزيت وخل، ومنه المصدر كضرب وشرب وقيام وجلوس(23).

(5) جمع التكسير (أ) تعريفه: ما تغيرت فيه صيغة الواحد، إما بزيادة أو نقص أو تبديل أو بزيادة وتبديل، أو بنقص وتبديل(24).

(ب) أوزانه: إن الأصل في الصفات أن تجمع جمعاً سالمًا، وقد تجمع جمع تكسير، وأشهر أوزان جمع التكسير للصفات هي:

1- فُعَال (بضم الفاء وتشديد العين): ويطرد جمعاً لوصف صحيح اللام على فاعل لمذكر، ويدل على كثرة القيام بالفعل، وقد يدل على الحركة، وأشهر دلالة هذا البناء هي التكثر والمبالغة في القيام بالفعل. وأن فُعَال قد تلتقي مع فُعَلَاء في جمع المفرد الواحد، فتقول: ضُعفاء، وضعفأف؛ فالأول يختص بالأمر المعنوية وفي الثاني جسدي مادي، لذا نرى هذا الجمع، مثل: رياح، وعتاق إلى الاسمىة أقرب، وعليها أدل(25).

2- فَعَلَة (بفتح الفاء والعين): ويطرد في وصف لمذكر عاقل على فاعل صحيح اللام.

3- فُعَل (بضم الفاء وتشديد العين): ويطرد جمعاً لوصف على فاعل صحيح اللام، ويدل على الحركة وتكثر القيام بالفعل.

4- فواعل: وهو لجمع (فاعلة) صفة أو اسمًا، نحو: ضوارب وفواطم، وهذا الوزن (فاعلة) وصفاً تجمع أيضاً على (فُعَل) ولكن الفرق بينهما أن فُعَلًا فيه عنصر الحركة، أمّا هذا الوزن فأقرب إلى الاسمىة والدلالة على الثبوت كما في عوارض وذوابل الواردتين في القصيدة.

5- فُعَلان: وهو من جمع الأسماء لا الصفات.

6- الجمع على وزن المصدر: قد يؤتى بالجمع على وزن مصدر فعله كالحضور والقيام ويكون للدلالة على المعنى الحقيقي للفعل، وإنما جيء بالجمع على وزن مصدره للإشارة إلى هذا الأمر.

- 7- فعلى وفعالى: وهو جمع لما دل على آفة من هلاك أو نقص من فعيل بمعنى مفعول.
- 8- فُعلاء وفعال: ويترد فعلاء جمعاً لفعيل وصف ذكر عاقل بمعنى فاعل أو مُفعل أو مُفاعل.
- 9- فعائل: هو جمع لكل رباعي مؤنث بمدة قبل آخره مختوماً بالتاء أو مجرداً منها(26).

(ج) دلالة جمع التفسير: جاء في شرح الرضي على الشافية: اعلم أن الأصل في الصفات أن لا تُكسر لمشابهتها الأفعال وعملها عملها فيلحق للجمع بأواخرها ما يلحق بأواخر الفعل وهو الواو والنون فيتبعه الألف والتاء لأنه فرعه... ثم أنهم مع هذا كلّه كسروا بعض الصفات لكونها أسماء كالجوامد وإن شابهت الفعل(27). مما يؤكد أن جمع الصفات جمعاً سالماً يدل على إرادة الحدث. وجمعها جمع تكسير يُبعدها عن ذلك ويقربها إلى الاسمية من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾(28)، لأنه أراد الحدث وتفيد الفعلية، وعند إرادة المعنى جاء قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾(29)، خزنة لا تدل على الفعل وإنما تدل على الاسم إذ هو اسم لصنف من الملائكة الموكّلين بالنار(30).

ويرى الباحث أن دلالة أوزان فَعَلَة وفُعَلَة كلاهما قياسي في كل وصف على وزن فاعل لمذكر عاقل، لكن يشترط في الأول أن يكون صحيح اللام، مثل: كتبه، أما الثاني فمعتل اللام رام رماة، داع دعاة. حدث فيها إعلال فأصلها رُمِيَة ودُعُوَة تحركت الياء والواو وفتح ما قبلها فقلبتا ألفاً، وهذا الجمع يدل على الصنف المعين من العقلاء، وليس فيه معنى الحدث كما في جمع واش وُشاة على وزن فَعَلَة.

(د) القلة والكثرة في الجموع: قسّم النحاة الجموع إلى جموع تدل على القلة، والكثرة في العدد، وقد تكون القلة التي تدل عليها الجموع الخاصة بها قلةً نسبيةً "لا حقيقيةً، بمعنى أنه إذا قيس المعدود بمقابله كان قليلاً فيستعمل للأكثر جمع الكثرة، ولما هو دونه في الكثرة جمع القلة، وإن كان كثيراً في ذاته"(31).

واختلفوا في العدد الذي تدل عليه القلة، والعدد في الكثرة، فذهب جمهورهم إلى أن القلة تكون من الثلاثة إلى العشرة، وذهب بعضهم إلى أن العشرة غير داخلة في القلة، يعني أن التسعة هو أقصى ما يدل عليه جمع القلة(32).

وكلام سيبويه(ت180ه) إمام النحاة يدل على أن القلة محصورة بين الثلاثة والعشرة، قال: "وإنما صارت التاء والواو والنون لتثليث أدنى العدد إلى تعشيره"(33).

أما جمع الكثرة فيبدأ من أحد عشر إلى ما لا نهاية وهذا رأي الجمهور، أما على الرأي الثاني فإن جمع الكثرة يبدأ من العشرة إلى ما لا نهاية(34)، وعلى هذا فهما مختلفان مبدأً ونهايةً.

وقال الخصري(ت1287ه) معلّقاً على قول ابن عقيل: "بقوله: "على ما فوق العشرة"، فهما مختلفان بدءاً وانتهاءً. من الممكن أن نذهب إلى أن "إِطْبَاقِ النَّحَاةِ مَبْنِيٌّ عَلَى اللَّغَةِ، وَتَفْسِيرِ الدَّرَاهِمِ بِثَلَاثَةِ مَبْنِيٌّ عَلَى الْعُرْفِ، وَالْعُرْفُ مُقَدَّمٌ عَلَى اللَّغَةِ، وَهَذَا الْجَوَابُ عَلَى تَسْلِيمِ إِطْبَاقِ النَّحَاةِ عَلَى مَا ذَكَرَ، وَأَنَّ مَنَعُهُ بِمَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّ الْجَمْعَيْنِ مُتَّفِقَانِ فِي الْمَبْدَأِ

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

مُخْتَلَفَانِ فِي الْمُنْتَهَى" (35). وأجاب الخصري عن ذلك بأن الدراهم "ليس لمفرده جمع قلة" (36)، والمفرد إذا لم يكن له إلا جمع واحد سواء كان جمع قلة، أو جمع كثرة، فهذا الجمع يستعمل حقيقة في القلة، والكثرة، والدراهم كذلك؛ لأنه ليس له جمع قلة كما ذكر الخصري، والله أعلم.

وذكروا من الجموع التي تدل على القلة الجمع السالم بنوعيه، فذهب أغلب النحاة إلى أنه يدل على القلة حقيقة، وقد يستعمل للدلالة على الكثرة، لكن استعماله فيها مجاز (37). وهذا ما ذكره سيبويه بقوله: "وإنما صارت التاء والواو والنون من تثليث أدنى العدد إلى تعشيريه وهو الواحد، كما صارت الألف والنون للتثنية ومثناه أقل من مثله، ألا ترى أن جرّ التاء ونصبها سواء، وجرّ الاثنين والثلاثة الذين هم على حدّ التثنية، ونصبتهم سواء فهذا يقرب أن التاء والواو والنون لأدنى العدد؛ لأنه وافق المثني" (38).

وقال ابن يعيش (ت643هـ) عن الواو في جمع المذكر السالم: "وهذه الواو حرف الإعراب كما كانت الألف في التثنية كذلك، وهي علامة الرفع والجمع والقلة، فإنه لا يجمع على هذا الجمع إلا ما كان من الثلاثة إلى العشرة، فهو من أبنية القلة، فإن أطلق بإزاء الكثير فتجوز، والحقيقة ما ذكرناه" (39).

وعلّل ابن يعيش سبب دلالة الجمع المذكر السالم على القلة بقوله: "وإنما كان كذلك؛ لأن هذا الضرب من الجمع على منهاج التثنية فكان مثله في القلة، وليس كل الأسماء يجمع هذا الجمع" (40). ولأنها تدل على العدد القليل عابوا علي حسان قوله مفتخرًا: (41).

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْعُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا (الطويل)

"وقد كان ينبغي أن يقول: لنا الجفان البيض؛ لأن الغرة بياض يسير، وكان حقه أن يستعمل السيوف موضع الأسياف، وهذا وإن كان الظاهر ما ذكروه إلا أن العرب قد تستعمل اللفظ الموضوع للقليل في موضع الكثير" (42).

وذهب ابن خروف (ت610هـ) إلى أن جمعي السلامة مشتركان في الدلالة على القلة والكثرة، فقد نقل ابن الحاجب (ت646هـ) عن ابن خروف هذا الرأي، وعلّق عليه الرضي (ت688هـ) بأن جمعي التصحيح لمطلق الجمع، فهما صالحان للقلة والكثرة، وحجّة ابن خروف أنهما يستعملان في الدلالة على القليل والكثير، والأصل في الاستعمال هو الحقيقة، فعلى هذا؛ فإن استعمالهما في القليل استعمال حقيقي، وفي الكثير استعمال حقيقي أيضًا، وعليه فإنهما من باب الاشتراك، والله أعلم (43).

وقال الرضي: "وقال ابن خروف: جمعا السلامة مشتركان بين القلة والكثرة، والظاهر أنهما لمطلق الجمع من غير نظر إلى القلة والكثرة، فيصلحان لهما" (44). ويرى الرضي أنه إن كان للاسم جمعان جمع سلامة وجمع تكسير وزنه من أوزان جموع الكثرة، فجمع السلامة للقلة، والتكسير للكثرة، ولو لم يجئ إلا جمع السلامة فهو مشترك بين القلة والكثرة (45).

فالظاهر: "أن الاسم إن كان له جمع السلامة، وجمع الكثرة، فالسلامة للقلة، فالجفان في جمع الجفنة للكثرة، والجفان للقلة، ولو لم يجئ إلا جمع السلامة فمشترك بين الأمرين" (46).

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

وقال سيبويه: "وقد يجمعون بالتاء وهم يريدون الكثير، كقول حسان بن ثابت في بيته السابق، فلم يرد أدنى العدد" (47).
وذكر الدكتور فاضل السامرائي أن دلالة جموع السلامة على القلة، كما ذكر الجمهور ليس على إطلاقه؛ لأنه إن كان مفرد الجمع السالم جامدًا فهو للقلة، أما في الصفات فليس على إطلاقه، قائلًا: "ذكرنا أن الأصل في الجمع السالم أنه يفيد القلة غير أن هذا القول ليس على إطلاقه، وإنما يحتاج إلى تفصيل، فإن هذا الجمع يدلُّ على القلة في الجوامد، وأما في الصفات فإن دلالاته على القلة ليست مطردة، بل نستطيع أن نقول: إن الأصل فيه عدم دلالاته على القلة، وإنما الأصل فيه أن يدلَّ على الحدث، فجمع الصفات جمعًا سالمًا يقربها من الفعلية، وتكسيرها يبعدها من الفعلية إلى الاسمية" (48).
أشهر أبنية جموع التكسير الدالة على القلة أربعة أوزان، مجموعة في بيت الألفية في قوله:

أَفْعَلَةٌ أَفْعُلٌ ثُمَّ فِعْلَةٌ ثَمَّتْ أَفْعَالٌ جَمُوعٌ قَلَّةٌ (49).

فأبنية القلة (أفْعَلَةٌ) نحو: أرغفة، و(أفْعُلٌ) نحو: أكْلَبٌ، و(فِعْلَةٌ) نحو: فِئِيَّةٌ، و(أفْعَالٌ) نحو: أفراخ.

قال الزمخشري (ت 538هـ) عن الجمع: "وينقسم إلى جمع قلة وجمع كثرة، فجمع القلة العشرة فما دونها، وأمثله أفعال وأفْعَلَةٌ فِعْلَةٌ، كأفلس وأثواب وأجربة وغلمة، ومنه ما جمع بالواو والنون، والألف والتاء، وما عدا ذلك جموع كثرة" (50).
والدليل على أن هذه الأبنية الأربعة للقلة، أننا نصغرها بلفظها، على العكس من جموع الكثرة؛ إذ يجب فيها أن نرجعها إلى واحدتها فنصغرها، وأنها نفسر بها العدد القليل من الثلاثة إلى العشرة.

قال سيبويه: "اعلم أن كل بناء كان لأدنى العدد، فإنك تحقر ذلك البناء لا تجاوزه إلى غيره من قبل أنك إنما تريد تقليل الجمع، ولا يكون ذلك البناء إلا لأدنى العدد، فلما كان ذلك لم تجاوزه" (51).

وذكر النحاة أن المعتبر، في جمع القلة هو إذا كان الجمع نكرة، أما إذا كان معرفة فهو يكون للقليل، والكثير.

قال الحملاوي (ت 1351هـ): "وإنما تعتبر القلة في نكرات الجموع، أما معارفها بـ (أل)، أو بالإضافة فصالحة للقلة والكثرة باعتبار الجنس، والاستغراق، وقد ينوب أحدهما عن الآخر وضعًا، بأن تضع العرب أحد البنائين صالحًا للقلة والكثرة، ويستغنون به عن وضع الآخر، فيستعمل مكانه بالاشتراك المعنوي لا مجازًا، ويسمى ذلك بالنيابة وضعًا كأرْجُلٍ، بفتح فسكون فضم، في جمع رجل، بكسر فسكون، وكرجال بكسر ففتح، في جمع رجل بفتح فضم؛ إذ لم يضعوا بناء كثرة للأول، ولا قلةً للثاني، فإن وضع بناءان للفظ واحد، كأفلس، وفلوس، في جمع فليس بفتح فسكون، وأثوب، وثياب، في جمع ثوب، فاستعمال أحدهما مكان الآخر يكون مجازًا، كإطلاق أفلس على أحد عشر، وفلوس على ثلاثة، ويسمى بالنيابة استعمالًا" (52)، لا يجوز أن نجتمع الجمع الذي على وزن: مفاعل أو مفاعيل أو فَعْلَةٌ أو فُعْلٌ؛ إذ لا شبيه لها في الأحاد (53).

(6) **الفائدة من الجمع والغرض منه:** هو الإيجاز والاختصار؛ إذ إن التعبير باسم واحد أخف من التعبير بأسماء متعددة؛ فربما تعذر إحصاء آحادها جميعها، وعطف أحدها على الآخر لكثرة عددها، أو لكون المتكلم راغباً في إيصال المعنى إلى السامع بوقتٍ أسرع مما لو عدَّ هذه الآحاد وعطفها، وصولاً إلى أبلغ تعبير (54).

المبحث الثاني- الجانب التطبيقي: الجموع في بردة المديح لكعب بن زهير بن أبي سلمى المُرَني (من البحر البسيط)، وقد اعتمدت في دراستي على ديوان كعب بن زهير الذي حققه وشرحه وقدم له الأستاذ/ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1417هـ-1997م، قصيدة بانث سعاد في مدح الرسول- صلى الله عليه وسلم- الصفحات (60-67)، والمقصود برقم البيت في القصيدة.

التعريف بالشاعر: كَعْبُ بن زهير بن أبي سلمى المُرَني شاعر مخضرم (عاش في العصرين: الجاهلي والإسلامي) كان فحلاً مُجيداً. وكان أخوه بجيرُ بن زهير، قد أسلم، وشهد مع النبي -صلى الله عليه وسلم- فتح مكة، وحنيناً. فأرسل إليه كعب أبياتاً ينهاه عن الإسلام، ودَكَرَهُ للنبي -صلى الله عليه وسلم- فأوعده، فأرسل بجيرُ إليه "ويلك! إن النبي أوعدك"، وقد أوعد رجالاً بمكة فقتلهم، وهو والله قاتلك أو تأتيه فَنُسلِم". فاستطير، ولفظته الأرض (55). عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن سعيد بن المسيب قال: قَدِمَ كعب منتكراً حين بلغة، فأتى أبا بكر. فلما صَلَّى الصُّبْحَ أتى به وهو مُتَلَمِّمٌ بعمامة. فقال: يا رَسُولَ الله! رَجُلٌ يبابيعك على الإسلام. وبَسَطَ يَدَهُ، وَحَسَرَ عن وجهه وقال: بأبي وأمي يا رسول الله. هذا مكانُ العائذ بك. أنا كعب بن زهير... فأمنه رَسُولُ الله- صلى الله عليه وسلم- فأُنشد مدْحَتَهُ التي يقول فيها:

بَانَتْ سَعَادُ فِقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُورٌ * مُتَمِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفَدَّ مَكْبُورٌ

فكساه النبي -صلى الله عليه وسلم- بُرْدَةً اشتراها معاوية من آل كعب بن زهير بمالٍ كثير، فهي البردة التي يَلْبَسُهَا الخلفاء في العيدين (56).

أنواع الجموع في بردة كعب:

أولاً- جمع الكثرة: في البيت الرابع ورد في كلمة: عَوَارِضَ، وزنها: فواعل، عوارض: من قضايا الياء وبقائها في وزن (مفاعل) أو شبهه. وفي البيت السادس ورد في ثلاث كلمات: الأولى: الرِّيَّاحُ، وزنها: فِعَالٌ، والثانية: بِيضٌ، وزنها: فُعَلٌ، والثالثة: يِعَالِيْلٌ، وزنها: فَعَالِيْلٌ. وفي البيت العاشر ورد في كلمة: العَرَابِيْلُ، وزنها: فَعَالِيْلٌ. وفي البيت الحادي عشر وردت في ثلاث كلمات: الأولى والثانية مَوَاعِيْدُ مكررة (مرتين)، وزنها: مفاعيل، مواعيد: إثبات الياء، والثالثة: الأَبَاطِيْلُ، وزنها: أَفَاعِيْلٌ. وفي البيت الثالث عشر ورد في كلمة: الأَمَانِي، وزنها: أَفَاعِيْلٌ. وفي البيت الرابع عشر ورد في كلمتين: الأولى: العَتَاقُ، وزنها: فِعَالٌ، والثانية: المَرَاسِيْلُ، وزنها: مفاعيل. وفي البيت السابع عشر ورد في كلمتين: الأولى العُيُوبُ، وزنها: فُعُولٌ، والثانية: الحُرَّانُ، وزنها: فُعَلَانٌ. وفي البيت الثامن عشر ورد في كلمة: بَنَاتٍ، وزنها: فَعَلَاتٌ. وفي البيت الثاني والعشرين ورد في كلمتين: الأولى: القُرَادُ، وزنها: فُعَالٌ، والثانية: زَهَالِيْلٌ، وزنها: مفاعيل.

وفي البيت الخامس والعشرين ورد في كلمة: الأَحَالِيلُ، وزنها: أفاعيل. وفي البيت السابع والعشرين ورد في كلمتين: الأولى: يَسْرَاتٍ، وزنها: فَعَلَات، والثانية: ذَوَابِلُ، وزنها: فواعل. وفي البيت الثامن والعشرين ورد في أربع كلمات: الأولى: سُمُرُ، وزنها: فُعَل، والثانية: الحَصَى، وزنها: الفَعَل، والثالثة: رُؤُوسَ، وزنها: فُعول، والرابعة: الأَكْم، وزنها: الفُعَل. وفي البيت الثلاثين ورد في كلمتين: الأولى: القور، وزنها: فُعَل، والثانية: العَسَاقِيلُ، وزنها: فَعَالِيل. وفي البيت الثاني والثلاثين ورد في أربع كلمات: الأولى: الجَنَادِبِ، وزنها: فَعَالِل، والثانية: وُرُقٌ، وزنها: فُعَل، والرابعة: الحَصَى، وزنها: الفَعَل. وفي البيت الثالث والثلاثين ورد في كلمتين: الأولى: نُكْدٌ، وزنها: فُعَل، والثانية: مَتَاكِيلُ، وزنها: مفاعيل. وفي البيت الخامس والثلاثين ورد في كلمتين: الأولى: تَرَاقِي، وزنها: تفاعِل، والثانية: رَعَابِيلُ، وزنها: فعاليل. وفي البيت الثاني والأربعين ورد في كلمتين: الأولى: الوُشَاة، وزنها: فُعَلَة، والثانية: الأَفَاوِيلُ، وزنها: أفاعيل. وفي البيت السابع والأربعين ورد في كلمتين: الأولى: الأَسَدُ، وزنها: فُعَل، والثانية: ضِرَاءٌ، وزنها: فِعال. وفي البيت الثامن والأربعين ورد في كلمة: خَرَادِيلُ، وزنها: فعاليل. وفي البيت الخمسين ورد في كلمتين: الأولى: حَمِيرُ، وزنها: فعيل، والثانية: الأَرَاجِيلُ، وزنها: أفاعيل. وفي البيت الحادي والخمسين ورد في كلمة: الدَّرَسَانِ، وزنها: فعلان. وفي البيت الثاني والخمسين ورد في كلمة: سَيُوفٍ، وزنها: فُعول. وفي البيت الرابع والخمسين ورد في ثلاث كلمات: الأولى: كُشَفٌ، وزنها: فُعَل، والثانية: مِيلٌ، وزنها: فُعَل مثل بيض فُعَل حدث فيها إعلال، والثالثة: مَعَازِيلُ، وزنها: مفاعيل. وفي البيت الخامس والخمسين ورد في ثلاث كلمات: الأولى: العَرَانِينِ، وزنها: فَعَالِين، والثانية: شُمٌ، وزنها: فُعَل، والثالثة: سَرَابِيلُ، وزنها: فعاليل. وفي البيت السادس والخمسين ورد في ثلاث كلمات: الأولى: بِيضٌ، وزنها: فُعَل، والثانية: سَوَايِعُ، والثالثة: حَلَقٌ، وزنها: فُعَل. وفي البيت السابع والخمسين ورد في كلمتين: الأولى: رِمَاحٌ، وزنها: فِعال، والثانية: مَجَازِيْع، وزنها: مفاعيل. وفي البيت الثامن والخمسين وردت في أربع كلمات: الأولى: الجِمالِ، وزنها: فِعال، والثانية: الزُّهْرُ، وزنها: فُعَل، والثالثة: السُّودُ، وزنها: فُعَل، والرابعة: التَّنَابِيلُ، وزنها: تفاعيل. وفي البيت التاسع والخمسين ورد في كلمتين: الأولى: نُحُورِ، وزنها: فُعول، والثانية: حِيَاضُ، وزنها: فِعال.

ثانياً- اسم الجمع الجنسي والإفرادي: في البيت الرابع ورد في كلمة: الرَّاحِ، وزنها: فِعَل. وفي البيت السادس ورد في كلمة: القَدَى، وزنها: فَعَل. وفي البيت الثامن ورد في كلمة: دَمٍ، وزنها: فَع. وفي البيت العاشر ورد في كلمة: ماءً، وزنها: فَعَل. وفي البيت الثالث والعشرين ورد في كلمة: الرُّورِ، وزنها: فُعَل. وفي البيت الخامس والعشرين ورد في كلمة: النَّخْلِ، وزنها: فَعَل. وفي البيت التاسع والعشرين ورد في كلمة: النارِ، وزنها: فَعَل. وفي البيت الثاني والثلاثين ورد في كلمة: القَوْمِ، وزنها: فَعَل. وفي البيت الثامن والأربعين ورد في كلمتين: الأولى: لَحْمٌ، وزنها: فُعَل، والثانية: القَوْمِ، وزنها: فَعَل. وفي البيت الخمسين ورد في كلمة: الوُحْشِ، وزنها: فَعَل. وفي البيت الثالث والخمسين ورد في كلمة: عَصْبَةٍ، وزنها: فَعَلَة.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

وفي البيت السابع والخمسين ورد في كلمة: قَوْمًا، وزنها: فَعْل.

ثالثاً- جمع القلة: في البيت التاسع ورد في كلمة: أثوابها، وزنها: أفعال. وفي البيت الثالث عشر ورد في كلمة: الأحلام، وزنها: أفعال. وفي البيت السادس عشر ورد في كلمة: أعلام، وزنها: أفعال. وفي البيت الثاني والعشرين ورد في كلمة: أقراب، وزنها: فعال. وفي البيت الثاني والأربعين ورد في كلمة: أقاويل، وزنها: أفاعيل، هذا جمع الجمع. وفي البيت الرابع والخمسين ورد في كلمة: أنكاس، وزنها: أفعال. وفي البيت الخامس والخمسين ورد في كلمة: أبطال، وزنها: أفعال.

رابعاً- جمع المؤنث السالم: في البيت الرابع عشر ورد في كلمة: النَّجِيَّاتُ، وزنها: فعيلات. وفي البيت السابع والعشرين ورد في كلمة: يَسْرَاتٍ، وزنها: فعلات. وفي البيت الثامن والعشرين ورد في كلمة: العجايات، وزنها: فعالات. وفي البيت الخامس والأربعين ورد في كلمة: فعالات، وزنها: فعلات.

خامساً- جمع المذكر السالم: ورد في البيت الرابع والثلاثين مرة واحدة في كلمة: النَّاعُونَ، وزنها: فاعون.

عدد الجموع في قصيدة بانث سعاد لكعب بن زهير يمدح الرسول - صلى الله عليه وسلم-(83) مرة.

الرقم	نوع الجمع	العدد	النسبة المئوية
1	جمع الكثرة	58	69.879%
2	اسم الجمع الجنسي والإفرادي	13	15.662%
3	جمع القلة	7	8.433%
4	جمع المؤنث السالم	4	4.0819%
5	جمع المذكر السالم	1	1.0204%

نلاحظ ندرة واضحة لجمعي التصحيح المذكر والمؤنث، كذلك جمع القلة، فما ورد من جمع المذكر السالم بناء واحد، ومن المؤنث السالم أربعة أبنية، وهي مُدرجة مع القلة عند العلماء، وكذلك ما ورد من جموع القلة سبعة أبنية، أما جمهرة الأبنية فجاءت على الكثرة، تليها بقية أسماء الجموع، وهذا يمكن تفسيره بما كان يعانيه الشاعر كعب بن زهير من ألوان العذاب التي يقاسيها عندما أهدر الرسول -صلى الله عليه وسلم- دمه، وهو ينتظر الموت في كل لحظة، كما نلاحظ سيطرة جموع الكثرة على اللسان العربي في ذلك الزمن المُوغل في الفصاحة والبيان، حيث يعزز هذا كثرتها في كتب العلماء، مقابلة بما للقلة من أبنية لا تزيد عن أربعة أوزان، فكثرة جموع الكثرة ربما تتناسب مع ما في صدر كعب بن زهير من أحزان وخوف ورجاء أن لا يقبل الرسول- صلى الله عليه وسلم- توبته واعتذاره.

الختامة

- توصل البحث الموسوم بـ "الجموع في برده المديح لكعب بن زهير- دراسة نحوية صرفية دلالية" إلى النتائج الآتية:
- 1- جمع القلة محدد عند جمهور النحاة من ثلاثة إلى عشرة، وجمع الكثرة حدده النحاة من أحد عشر إلى ما لا نهاية، هذا عند الجمهور.
 - 2- جمعا السلامة من جموع القلة عند جمهور النحاة، أما جمع القلة في جمع التكسير فهو محدد بأربعة أوزان فقط، هي: (أفعل، وأفعال، وأفعله، وفعله)، وغيرها من جموع الكثرة.
 - 3- القلة، والكثرة المرادة بهما هنا القلة العددية، والكثرة العددية.
 - 4- قد تكون القلة التي تدلُّ عليها الجموع الخاصة بها قلةً نسبيةً، إن كان للاسم جمعان جمع السلامة وجمع الكثرة في التكسير، فجمع السلامة للقلة، والتكسير للكثرة، ولو لم يجرى إلا جمع السلامة فهو مشترك بين القلة والكثرة، وكذلك إن وجد للاسم جمعًا تكسير أحدهما قلة، والآخر كثرة فيستعملان على حقيقتهما، أما إن وجد للاسم جمع تكسير واحد فهو يستعمل حقيقة في القلة، والكثرة، والله أعلم.
 - 5- جمع القلة لا يستعمل إلا إذا أريد بيان العدد القليل، فلا يستعمل إذا أريد بيان الجمع، أو الجنس؛ لأنه ليس أصلاً في الجمع؛ لأنه لا يذكر إلا حيث يراد بيان القلة، ولا يستعمل لمجرد الجمع، والجنسية كما يستعمل له جمع الكثرة.
 - 6- ذكر النحاة أن هذه الجموع تتعاور فيما بينها، فقد يستعمل جمع قلة في موضع جمع الكثرة، وبالعكس، وهذا الاستعمال مجازي، والعلاقة بينهما اشتراكهما في الدلالة على الجمع.
 - 7- ذكر بعضهم أن الاعتبار في دلالة الجموع على القلة، أو الكثرة، إذا كانت منكراً، أما إذا دخلتها (أل) الاستغراقية، أو الجنسية فهي متساوية في الدلالة على القلة، والكثرة.
 - 8- موضوعات الجموع المختلفة، كانت معروفة لدى النحاة والصرفيين منذ العصور الأولى.
 - 9- وزن فعيل قد يأتي الجمع على وزن المصدر، ووزن فُعُول يستعمل هذا الوزن الآتي على وزن المصدر للدلالة على المعنى الحقيقي للمصدر (الحدث) وهو ملازم للدلالة على الاسمية بعيداً عن دلالة الفعل التي لا تتأى إلا بصيغتي الجمع السالمين، ونجد ذلك في (العيوب، رؤوس).

هوامش البحث:

- (1) فاضل السامرائي، معاني الأبنية في العربية: طبع في جامعة الكويت، الطبعة الأولى، 1981م، وساعدت جامعة بغداد على نشره، ص129.
- (2) سورة النحل، الآية: 8.
- (3) سورة المدثر، الآيتان: 50-51.
- (4) معاني الأبنية في العربية: 130-135 "بتصرف"
- (5) سورة التحريم، الآية: 4.
- (6) سورة الحج، الآية: 19.
- (7) سورة الأنبياء، الآية: 78.
- (8) سورة ص، الآيتان: 21-22.
- (9) ابن منظور، لسان العرب: تحقيق: عبد الله الكبير وآخرين، ج1/678(مادة جمع)، دار المعارف، مصر.
- (10) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس: تحقيق: عبد العليم الطحاوي، ج451/20، وزارة الإعلام الكويتية، 1984م.
- (11) إبراهيم أنيس، وآخرين، المعجم الوسيط: الطبعة الثانية، 134/1.
- (12) الحملوي، شذا العرف في فن الصرف: ضبطه وعلق عليه: علاء الدين عطية، الطبعة السابعة، مكتبة ابن عطية، 2007م، ص174.
- (13) سورة المؤمنون، الآية: 9.
- (14) مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية: دار الحديث، القاهرة، 2005م، ص191.
- (15) الحملوي، شذا العرف في فن الصرف: ص176.
- (16) الحملوي، شذا العرف في فن الصرف: 178، وينظر: د.خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: بغداد، الطبعة الأولى، 1965، ص292.
- (17) مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية: ص194.
- (18) عباس حسن، النحو الوافي: ، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة، ج4/680.
- (19) عباس حسن، النحو الوافي: ج4/681-682.
- (20) مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية: ص282.
- (21) مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية: ص230.
- (22) الحملوي، شذا العرف في فن الصرف: ص188-189.
- (23) ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الطبعة السادسة، 1980م، ج11/1.
- (24) ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ج3/254.
- (25) فاضل السامرائي، معاني الأبنية: ص148.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- (26) معاني الأبنية: 148-170، وبقية أوزان جمع التكسير في أوضح المسالك: ج 254/3-270.
- (27) رضيّ الدين الإسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب في الصرف: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد وجماعة، مطبعة حجازي بالقاهرة، ج 116/2.
- (28) سورة الحجر، الآية: 22.
- (29) سورة غافر، الآية: 49.
- (30) معاني الأبنية العربية: ص 146.
- (31) معاني الأبنية العربية: ص 142.
- (32) ابن الناظم، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: تحقيق: د. عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ص 768.
- (33) سيبويه، الكتاب: تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، 1991، ج 492/3.
- (34) شرح ابن الناظم: ص 768.
- (35) حاشية العطار على جمع الجوامع: ج 17/2، ولم يرتضِ القرافي هذا الجواب، وذكر لبطلانه عدة وجوه، ينظر: العقد المنظوم في الخصوص والعموم: ج 73/2.
- (36) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل: ج 351/2.
- (37) شرح المفصل: ج 3/5.
- (38) سيبويه، الكتاب: ج 610+492/3.
- (39) شرح المفصل: ج 3/5.
- (40) شرح المفصل: ج 3/5.
- (41) شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري: وضعه وضبطه وصححه: عبد الرحمن البرقوقى، المطبعة الرحمانية- مصر، 1929، ص 371.
- (42) شرح المفصل: ج 11/5.
- (43) البحر المحيط في أصول الفقه: ج 91/3.
- (44) شرح الرضي على الكافية: ج 191/2، وينظر: عبد المنعم سيد عبد العال، جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية: مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977، ص: 8-9.
- (45) شرح الرضي على الكافية: ج 191/2.
- (46) السيد الشريف الجرجاني، حاشية على شرح الرضي على الكافية: دار الكتب العلمية، بيروت، مطبوع مع شرح الرضي على الكافية، ج 191/2.
- (47) سيبويه، الكتاب: 578/3.
- (48) معاني الأبنية في العربية: 144.
- (49) ابن عقيل، عبد الله بهاء الدين، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1998، مطبوع مع حاشية الخضري: ج 114/4.
- (50) الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، المفصل في صنعة الإعراب: عالم الكتب، بيروت، مطبوع مع شرح المفصل، لابن يعيش: ج 9/5.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- (51) الكتاب، سيبويه: ج 489/3.
- (52) الحملوي، شذا العرف في فن الصرف: ص 190.
- (53) عباس حسن، النحو الوافي: ج 675/4.
- (54) ابن يعيش، شرح المفصل: عالم الكتب، ج 2/5، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه: 292.
- (55) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء. قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة 1974، ص 99.
- (56) طبقات فحول الشعراء: ص 103، وابن قتيبة الدَّيْنَوْرِي: الشعر والشعراء: دار الثقافة بيروت، ص 89.

أولوية التنظير وتغيب خصوصيات النصّ العربيّ

ديش هاشمي

إشراف : الأستاذ الدكتور : لخضر العرابي

جامعة ابي بكر بلقايد . تلمسان

ملخص:

لا يخفى على أيّ منتبّع للحركة النقديّة العربيّة المعاصرة ما أحقه التنظير المستمرّ والمتّسم في كثير من الأحيان بالاجترار الذي لا طائل منه من ضرر في جسد هذا النّقد ، الذي كان ، ومازال أرضا خصبة للإشكاليّات ، التي عصفت ، وما تزال تعصف به ، فمن هذا المنطلق نحاول في هذه المداخلة أن نشرّح هذه الظّاهرة موجدين لها الأعذار حيناً ، وموجّهين لها النّقد حيناً آخر ، مركزين اهتمامنا على أكبر إشكاليّات النّقد العربيّ المعاصر ، والتمثّلة في المفارقة الكبيرة بين التنظير ، والتّطبيق ، طارقين إشكاليّة أخرى ليست أقلّ شأناً من الأولى متمثّلة في تغيب خصوصيّة النصّ العربيّ ، والانبهار غير المبرر لنفر كبير من النّقاد العرب المعاصرين بالمناهج النقديّة الغربيّة المعاصرة .

Summary

No follower to the modern arabe criticism movement can ignore wahat has the theoitical dabate done as harm to the criticism itselt which is a fertifle land for problematics that shake it entirely.

from that poit i want to clarify and moke things more and obvious to explain this phenomenon by criticizing in one hand and finding clibi for it in a nother .

we are going to focus ourin terest on the great modern arabe problematic criticism which makes a good deal which the both sids of the same coin which are the theoitical face and the application one and by doing so we will notice how harm were the charactiris tice of the arabe critic who are redly blendly tide to the western criticism way.

مقدمة :

كغيره من الحقول المعرفية المتعددة لم يسلم النقد العربي المعاصر من موجة الحداثة الغربية ، بعد أن رأى فيها ملاذا كبيرا ، ومخلصا وحيدا من قصور النقود السابقة ، ومعضلة النص العصي على حدّ سواء ، وإثر ذلك راح النقاد العرب المعاصرون يقرأون ماكتبه النقاد الغربيون بنهم وانبهار منقطعي النظر، فترجموا ما ترجموا من نظريات مؤسسين بذلك النواة الأولى للنقد العربي المعاصر معرفين بتلك المدارس النقدية ، وأعلامها ، وخلفياتها ، فالمكتبة العربية الآن تعجّ بألاف الكتب المعرّفة بهذه القراءات ، وإنه لجهد

كبير ما قُدّم وما يُقدّم ، فبفضل هذه المؤلفات تعرّف القارئ العربي على هذه المقاربات باختلافها من شكلية إلى بنوية إلى سيميائية إلى تفكيكية إلى أسلوبية ، ووصولاً إلى نظرية التلقي ، لكنّ هذا الإيغال في التّظهير شكّل منعطفا خطيرا في مسيرة النقد العربي المعاصر مضافا إلى إشكاليات أخرى لا يكاد هذا النقد يخرج من واحدة منها إلا وقع في الثانية ، فحقيقة إنّ الهوة الكبيرة بين التّظهير، والتّطبيق داء في جسد هذا النقد ، وشرّ الأدوية ما تفاقم ، فكيف السبيل إلى التّقليص من هذه الهوة بين التّظهير، والتّطبيق ؟ وفرصاً أننا عزمنا على التّطبيق هل طبيعة النصّ العربي مواتية لهذه القراءات ؟ وهل نحن قادرون على تكييف هذه المناهج وفق خصوصية النصّ العربي؟

1- كان لابد من التّظهير :

لا ينكر أيّ أحد ما للتّظهير من قيمة في أيّ مجال من المجالات المعرفية حيث إنّه الحجر الأساس لكلّ منطلق

وطبعا إنّ النقد العربي المعاصر وُجِدَ بسبب الانفتاح على الثقافة الغربية ، هذه الثقافة المحمّلة بالكثير من المشارب خاصة الفلسفية منها ، وبما أنّ هذا الانفتاح لا بدّ له من تأسيس وتأسيس في الوطن العربيّ سارع النقاد العرب المعاصرون إلى التّظهير لهذه المناهج النقدية " فلم يكن النقد الأدبيّ العربيّ بمنأى عن التّطورات الحاصلة في العالم، بحكم عوامل الاتّصال الحضارية وبحكم الحاجة إلى مواكبة التّطورات الحاصلة في النقد الأدبيّ العالميّ، وهكذا وصلت إلينا عبر الترجمة، النظريات الأدبية الحديثة، وما رافقها من نقد تطبيقيّ، فأخذ قسم من الأدباء العرب يبشرون بالمناهج النصّية الحديثة واتّخذوها وسائل لدراسة النصوص الأدبية. " (1) ولعلّ من أوائل المناهج التي استرعت اهتمام النقاد المنهج البنيويّ

أ- في التّظهير للبنيوية : لا يكاد يخلو كتاب في النقد العربيّ المعاصر من الحديث عن البنيوية ، لكن في حديثنا هذا سنشير إلى كتابين كانا سباقين في هذا المجال " ولعلّ أول العرب الذين كتبوا في البنيوية هو المفكّر زكريا إبراهيم المعروف بإبداعاته الفكرية في المجال الفلسفيّ ، ولعلّ كتابه مشكلة البنية من أوائل الكتب العربية التي وُضعت في التّظهير للبنيوية فقد أصدره عام 1976 انطلاقا من أنّ البنيوية أصبحت اللّغة الشارحة لكلّ حضارتنا ، وأنّ إنسان القرن العشرين قد بدأ يعرف ذاته بأنّها مجرد بنية ، وأنّه هو نفسه إنسان دالّ صانع معان " (2)

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

ففي هذا الكتاب قدّم زكريا إبراهيم جهدا كبيرا في التعريف بالبنويّة ، وبأعلامها ، وبأنواعها ورأى فيها معتمدا على آراء أعلامها أنّها منهج " فالواقع أنّ الكثير من البنيويين ، وعلى رأسهم العالم الأنثروبولوجي كلود ليفي اشتراوس قد أعلنوا منذ البداية أنّ البنيويّة ليست بأيّ حال من الأحوال فلسفة ، وإنّما هي مجرد منهج للبحث العلمي " (3)

وبعد أن يعرف الكاتب البنية " على أنّها القانون الذي يحكم تكوّن المجاميع الكليّة من جهة ومعقوليّة تلك المجاميع من جهة أخرى ، مفهوم البنية هو مفهوم العلاقات الباطنة الثابتة التي تقدّم الكلّ على أجزائه بحيث لا يفهم هذا الجزء خارج الوضع الذي يشغله داخل المنظومة الكليّة " (4) يسهب الكاتب في التعريف بميادين البنية بدءا من البنية اللغويّة عند فاردينان دي سوسير ، ثمّ البنية في ميدان الأنثروبولوجيا عند كلود ليفي اشتراوس ، ثمّ البنية في ميدان الإيستيمولوجيا وتاريخ النّقافة عند ميشال فكو بعد ذلك البنية في ميدان التّحليل النّفسيّ عند لاكان وصولا إلى البنية في ميدان الماركسيّة عند ألتوسير

أمّا الكتاب الآخر ، والذي عدّ مرجعا يعود إليه كلّ من يشتغل على النّقد العربيّ المعاصر فهو نظريّة البنائيّة في النّقد الأدبيّ لصاحبه صلاح فضل ، والذي جعله تنظيرا خالصا للبنائيّة ، يقرّ النّاقّد نفسه أنّ كتابه عالج أصعب المناهج الحديثة " وأنّه يلتزم بمستوى نظريّ تجريديّ عال يقتضي منه العزوف عن التّطبيقات المبسّطة في محاولة لاستعاب النّظريّة أوّلا ، وموقعتها في إطارها النّفقيّ الشّامل ثانيا " (6)

حقيقة إنّ هذا الكتاب قدّم فيه صاحبه دراسة مميّزة متكاملة عن النّظريّة البنائيّة فقد عدّ " أفضل كتاب وضع بالعربيّة عن التنظير للنّقد البنيويّ آنذاك لأنّه كتاب علميّ جاد ، وُضع بلغة نقدية وعالج أصول البنيويّة وأتجاهاتها ، ومستوياتها ، وضرب في الصّميم فتحدّث عن أصول البنيويّة لدي سوسير ، والشّكلانين الرّوس ، وحركة براغ اللّغويّة ، والمدارس الألسونيّة الأمريكيّة ، ثمّ عرّف بالبنية والبنيويّة ، وتحدّث عن تطبيقاتها في العلوم الإنسانيّة ، وعن معاركها مع الوجوديّة ، كما تحدّث عن البنيويّة في حقليّ الأدب والنّقد وعن لغة الشّعر ، وتشريح القصّة والنّظم السّيميولوجيّة " (7)

ولعلّ من أهمّ ما يصادفنا في هذا الكتاب ، ومما لا يستغني عنه كلّ ناقد في تحليل النّصوص وفقا للمنهج البنيويّ هو ما أقرّه النّاقّد من مستويات :

" أ. المستوى الصّوتيّ : حيث تدرس الحروف ورمزيتها ، وتكويناتها الموسيقية من نبر ، وتنغيم وإيقاع

ب. المستوى الصّرفيّ : وتدرس فيه الوحدات الصّرفيّة ووظيفتها في التّكوين اللّغويّ والأدبيّ خاصة .

ج. المستوى المعجميّ : وتدرس فيه الكلمات لمعرفة خصائصها الحسيّة ، والتجريدية ، والحيوية ، والمستوى الأسلوبيّ لها .

د. المستوى النّحويّ : لدراسة تآليف ، وتركيب الجمل وطرق تكوينها ، وخصائصها الدّلاليّة ، والجماليّة .

هـ . مستوى القول : لتحليل تراكيب الجمل الكبرى لمعرفة خصائصها الأساسيّة ، والثّانويّة .

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

و. المستوى الدلالي: الذي يشغل بتحليل المعاني المباشرة، وغير المباشرة، والصّور المتّصلة بالأنظمة الخارجة عن حدود اللّغة التي ترتبط بعلم النفس والاجتماع، وتمارس وظيفتها على درجات في الأدب والشعر.

ز. المستوى الرمزي: الذي تقوم فيه المستويات السابقة بدور الدال الجديد الذي مدلولا أدبيا جديدا يقود بدوره إلى المعنى الثاني، أو ما يسمى باللّغة داخل اللّغة. " (8)

ب- في التّظهير للسميائية: كسابقه كان لا بدّ أن يُنظر الناقد العربي للمنهج السيميائي قبل الولوج في تطبيقه، وفي ذلك تجسيد للعمل المنهجي، ولعنا في هذا الصّدّد سنشير إلى ناقلين ساهما في إرساء قواعد المنهج السيميائي وهما الناقد المغربي محمّد مفتاح في مؤلفاته الثلاثة: في سيمياء الشعر القديم وتحليل الخطاب

إستراتيجية التّناس، ثمّ كتابه ديناميّة النّص تنظير وإنجاز، والناقد السعوديّ عبد الله الغداميّ في كتابه الخطيئة والتكفير. أمّا الأوّل فيرى في التّظهير ضرورة منهجية لافكك منها حين يقول " ربّما لم يبق مستحسنا بعدما بدأت المناهج الحديثة تشيع بين المهتمين، والطّلبة، وعموم المثقّفين أن يكتفي الكاتب فيها بتقديم تطبيقات بدون الكشف عن الخفيات الإبيستولوجية، والتاريخية التي نمت، وترعرعت فيها تلك المناهج، وإتّما صار متعيّنا عليه أن يبيّن قواعد اللعبة وآلياتها، ويهتك خبايا أسرارها " (9)

وبعد أن يبيّن الناقد في كتابه هذا تغلغل علم البيولوجيا في كلّ الميادين ينبّه إلى التّركيز على " بيولوجيا علم النّص، بديناميته خصوصا، ولذلك، فإنّنا سنركّز على الاتّجاهات التالية: النّظرية

السيميوطيقية، والنّظرية الكارثية، ونظرية الشّكل الهندسي، ونظرية الحرمان، ونظرية الذّكاء الاصطناعي، ثمّ نظرية التّواصل والعمل " (10) ثمّ بعد ذلك ينظر لكلّ هذه النّظريات بما يتلاءم والإشكالية المراد الاشتغال عليها

أمّا في كتابه تحليل الخطاب إستراتيجية التّناس فينظر الناقد للتّيّار السيميوطيقّي راثيا أنّ أهمّ ممثليه كريماص ومدرسته " فيستعرض الخطوط الرئسيّة لتحليلات هذا التّيّار الشعريّة ومواقفه في الخطاب الشعريّ ويمكن تلخيصها في محاولات في السيميوطيقية الشعريّة، وبلاغة الشعر لجماعة M، ثمّ سيميوطيقا الشعر لمكائيل رفاتير، ثمّ معجم كريماص، وكروتيس " (11)

أمّا الناقد عبد الله الغداميّ في مؤلفه الخطيئة والتكفير، وفي عنصر أسماء مفاتيح النّص البنيويّة والسيميوطيقية، والتّشريحية فقد نظر للمنهج السيميائي أيضا وبعد أن يخوض في اختلاف التسمية عند النقاد العرب من علم العلامات كما قال عبد السلام المسدي، والسيمايا كما قال: نصرت عبد الرّحمن، وسعيد مصلوح، والدلائلية كما قال: الطيّب البكوش، تحدّث الكاتب عن سوسير كيف تناول السيميوطيقيا من الناحية اللّغوية لا الفلسفية كما فعل بيرس، ثمّ يذكر ثلاثة عناصر للسيميوطيقيا العلامة، والمثل، والإشارة مقدّما تعريفا مختصرا لهم وهكذا يعرض الناقد لأراء المتأخرين في السيميوطيقيا مثل رولان يارث، ولاكان (12)

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

ج- في التنظير للتفكيكية : يعدّ مؤلّف الخطيئة ، والتكفير لصحابه عبد الله الغداميّ من أوّل المؤلفات التي تعاطت التفكيكية ، فكما نظر الناقد للبنويّة ، والسيميائية وجدناه أيضا ينظر للتفكيكية ، والتي سماها آنذاك بالتشريحية ، يقول في هذه التسمية " احترت في تعريب هذا المصطلح ، ولم أر أحدا من العرب تعرّض له من قبل - على حدّ اطلاعي - وفكرت له بكلمات مثل : النقص ، والفكّ ، ولكن وجدتهما يحملان

دلالات سلبية تسيء إلى الفكرة ، ثمّ فكرت باستخدام كلمة التحليلية من مصدر حلّ أي نقض ولكنني خشيت أن تلتبس مع حلّ أي درس بالتفصيل ، واستقرّ رأيي أخيرا على كلمة التشريحية أو تشريح النصّ ، والمقصود بهذا الاتجاه هو تفكيك النصّ من أجل إعادة بنائه ، وهذه وسيلة تفتح المجال للإبداع القرائيّ كي يتفاعل مع النصّ " (13)

ويورّخ الناقد لانطلاقة جاك دريدا حيث يراها " مع صدور كتابه في النحويّة عام 1967 حيث حاول نقض الفكر الغربيّ منذ أيام أفلاطون ، وأرسطو حتّى هيدجر ، وليفي شتراوس وكذلك سوسير واتهم ذلك الفكر الفلسفيّ بما أسماه التمرکز المنطقيّ ، وهو الارتكاز على المدلول وتغليبها في البحث الفلسفيّ والتّغويّ " (14)

ومن النقاد الذين نظروا للتفكيك أيضا نجد الناقد بسّام موسى قطّوس في كتابه إستراتيجيات القراءة التّأصيل والإجراء النقديّ حيث يبدأ مؤلّفه هذا بتعريف التفكيك فيقول " ليس التفكيك منهجا كما أنه ليس نظرية عن الأدب ، لكنّه إستراتيجية في القراءة : قراءة الخطابات الفلسفية والأدبية ، والتّقدية من خلال التّموضع في داخل تلك الخطابات ، وتقويضها من داخلها من خلال توجيه الأسئلة وطرحها عليها من الدّاخل " (15)

أيضا من النقاد الذين نظروا للتفكيكية الناقد عبد العزيز حمّودة رغم موقفه البارز من الحداثة والحداثيين ، وذلك في كتابه المرايا المحدّبة من البنويّة إلى التفكيك ففي الفصل الرّابع الذي يعنونه : التفكيك والرّقص على الأجناب يتحدّث الناقد عن الجذور الفلسفية للتفكيك ، ثمّ تيار النّقد بعد ذلك يتحدّث عن أركان التفكيك ، وهي القارئ والتّلقي ، ثمّ التفكيك والمعنى. (16)

د- في التنظير للأسلوبية :

لا يكاد يخلو بحث من البحوث التي تتحدّث عن الأسلوب ، والقراءة الأسلوبية من مؤلّف الناقد التّونسيّ عبد السلام المسديّ وهذا يعود في المقام الأوّل إلى سبقه في هذا المجال إضافة إلى قيمة هذا المؤلّف بشهادة معاصريه من النقاد حيث يقول صلاح فضل فيه " أمّا الدّراسات التي ألّفت في الآونة الأخيرة داخل إطار المنهج البنائيّ في التّحليل الأدبيّ فأهمّها في تقديري ثلاثة أعمال تسعدني الإشارة المحتفية إليها أوّلها : الدّراسة الشّيقة المتمكّنة التي قدّمها الأخ التّونسيّ الدّكتور عبد السلام المسديّ نحو بديل السونيّ في نقد الأدب التي نُشرت عام 1977 " (17)

فبعد السلام المسديّ في كتابه هذا يقدم تنظيرا بديعا للأسلوبية مؤرخا لبداياته " فمنذ 1902 كدنا نجزم مع ش . بالي أنّ علم الأسلوب قد تأسست قواعده النهائيّة مثلما أرسى أسناده دي سوسير اللسانيات " (18) كما تحدّث الناقد عن أزمة الدّراسات الأسلوبية بين موضوعيّة اللسانيات ونسبيّة الاستقرّاءات ، ثمّ أخذ يورّخ لأهمّ محطاتها كانعقاد ندوة

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

بجامعة آنديانا عام 1960 حضر إليها أبرز اللسانيين ونقاد الأدب ، وعلماء النفس ، علماء الاجتماع وكان محورها الأسلوب ألقى فيها جاكبسون محاضراته حول اللسانيات والإنشائية فيشر يومها بسلامة بناء الجسر الواصل بين اللسانيات والأدب ، وفي عام 1965 ازداد اللسانيون ، ونقاد الأدب اطمئنانا إلى ثراء البحوث الأسلوبية ، وذلك عندما أصدرت . تدوروف أعمال الشكليين الروسيين مترجمة إلى الفرنسية ، وفي عام 1969 يبارك الألماني س . أولمان استقرار الأسلوبية علما لسانيا .⁽¹⁹⁾

كذلك من الكتب المنظرة للأسلوبية كتاب الأسلوب دراسة لغوية إحصائية لصاحبه سعيد مصلوح حيث يعرف الناقد في الفصل الخامس بمعادلة بزيمان حيث يقول " وتعرف المعادلة التي تستخدم لقياس هذه الخصائص ، وتشخيص لغة الأدب تشخيصا كميا باسم بزيمان نسبة إلى العالم الألماني بزيمان الذي كان أول من اقترحها ، وطبقها على نصوص من الأدب الألماني في دراسة نشرت له عام 1925 " ⁽²⁰⁾ ومفاد هذه المعادلة يكمن في أنه " من الممكن تمييز النص الأدبي بتحديد النسبة بين مظهرين من مظاهر التعبير أولها التعبير بالحدث وثانيها مظهر التعبير بالوصف ويعني بزيمان بأولهما الكلمات التي تعبر عن حدث أو فعل ، وبالتالي الكلمات التي تعبر عن صفة مميزة لشيء ما أي وصفا كميا أو كيفيا " ⁽²¹⁾ ثم بعد ذلك يسهب الناقد في الحديث عن هذه المعادلة .

هذا غيظ من فيض ، ولعلّ المجال لا يتسع لذكر الكتب التي صبت كلّ جهدها في التنظير لهذه المناهج حتى أصبح ظاهرة مرضية يُتطلب علاجها بسرعة لعلنا ننقذ شيئا من هذا النقد فليس التنظير عيبا ولا وجها من وجوه القصور ، وإنما هو خطوة منهجية لابد من توفرها كي يستقيم عود النقد العربي المعاصر ، إنما العيب كلّ العيب أن يصبح الناقد العربي رهينا له ، بل لابد له أن يلج التطبيق الذي يعدّ فيصلا حقيقيا في الكشف عن أصالة الناقد وفي هذا يقول صلاح فضل في تقديم أحد كتبه التي حرص فيها على التطبيق " هذه محاولة لارتياح أفق جديد في التحليل النقدي ، من منظور تطبيقي بدلا من الوقوف عند التكوينات النظرية ، والتعثر في الأسماء ، والمصطلحات ، و الإغراق في الأفكار ، والمبادئ ، والجدل حول مشروعيتها مما يجعل التجربة العلمية في التشرب ، والتوظيف هي المحكّ الفاصل في مدى الجدوى ، والجدية " ⁽²²⁾ وهنا يطرح السؤال نفسه إلام يعود الإقبال الكبير على التنظير؟ يبدو أنّ الإجابة على هذا السؤال ستكون متنشعبة جدا فإقبال النقد على التنظير بشراهة تسببت فيه الكثير من العوامل لعلّ أهمها صعوبة تطبيق هذه المناهج على النص العربي مما يقود الناقد مكرها للتنظير

2- الناقد العربي بين قطبي النص والمنهج :

أ- لا شكل للنص : لعلّ من أهم الصعوبات التي تواجه الناقد في تعامله مع النصوص الأدبية هي اختلاف النصوص من نصّ إلى نصّ ، واختلاف النصوص من مبدع إلى مبدع ، واختلاف النصوص من عصر إلى عصر واختلاف النصوص من بيئة إلى بيئة ، فالنصّ غير ثابت كي يثبت معه المنهج فما يصلح لنصّ ما من منهج قد لا يصلح لنصّ آخر، وهنا يكون التحدي كبيرا أمام الناقد كيف يوفق بين المنهج ، وخصوصية النصّ ،

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

وذلك " بالحفاظ على المسافة الحيوية اللازمة بين المنهج ، والنص الشعري " (23) وفي هذا الصدد يقول الناقد الأسلوبى والشاعر الإسباني داماسو ألونسو " إن الشعر عصفور وديع إن شددت عليه قيضتك الدراسية أزهقت روحه وحولته إلى جثة لا يغنيك تشريحها في معرفة سرّ رشاقتها ، وهي ترفّ من حولك " (24) وإذا كان الناقد الأسلوبى قد شبه الشعر بعصفور وديع فهناك من رأى العكس تماما ، فقد شبه أحد النقاد " القصيدة بوحش أوريلو الذي كلما قطع السيف عضوا منه عاد العضو إلى مكانه من الجسم وظلّ الوحش مخيفا كما كان " (25)

إنّ تباين القولين إنّما يحيلنا إلى نقطة مهمّة في النصّ ، وهي أنّ النصّ مجموعة من العلاقات المتشابهة ممّا يعسرّ التعامل معه " ومن هنا نجد أنّ هاملتون كان مصيبا حين سئل بعد أن وصف التجربة الشعرية بأنّها موضوع محيرّ بسبب تماسكها وعضويتها ، وفرديتها أثناء نموّها فكيف يستطيع الناقد أن يحلّلها تحليلا مفيدا " (26) لعلّ الإجابة على هذا السؤال ، والذي طرحه صاحبه ليؤكد صعوبة اقتحام النصّ قد لا تكون نهائية وهذا عائد " إلى غياب نموذج واحد وقرارّ لتحليل النصوص الأدبية، أي غياب وصفة تعليمية لتقبّل النصوص وتحليلها. " (27)

وغياب منهج واحد قار إنّما يعود إلى " تعدّد الأشكال النصّية ما أوقع في مأزق الضبط المعرفي لمصطلح النصّ الذي يمثّل بؤرة الهم المنهجيّ في هذا الحقل " (28). وقد يعود أيضا إلى ما يصادف الناقد من أنواع من النصوص ، فإن صادف " مثلا النصّ الوصفيّ *texte descriptif* ، فإننا نجده مبنيا من حيث عالمه النصّي على تصوّرات للأشياء استعانة ، بالصفة ، والحال ، والتمثيل ، والتخصيص ، بينما يتحدّد عالم النصّ في النصوص القصصية *narrative text* بواسطة تصوّرات الحدث ، والعمل ، والعلّة ، والسبب ، والعرض ، والزّمان ، والمكان ... " (29)

وهكذا بكلّ نوع من أنواع النصوص إلا وله خصائصه التي يتفرّد بها .

أيضا تعدّ المناهج النقدية المعاصرة ذات طبيعة علمية خاصة البنيوية ومن هنا " لا تزال الشكوك تُثار حول إمكانية تحديد نظام للإبداع يكون في مستوى متطلّبات العلم ، ويرقى في الوقت نفسه إلى مستوى معايير الفن ، ونحن نسمع في أحيان كثيرة تأكيدات باستحالة الجمع بين نظام مؤسس علميا وبين إلهام المبدع وخياله المتوتّب ، ويرى أصحاب هذه التأكيدات أنّ الإبداع الفنيّ متعدّد الجوانب ولا نهائيّ ، وهذا ما يجعله غير قابل للتحليل العلميّ العقلانيّ " (30).

وهكذا ظلّ النصّ متقلّنا عصيا على التّأويل ، وظلّ النقاد في بحث له عن سبل ومناهج للوصول إلى أغواره ، واكتناحه ، وما قول رولان بارت -على سبيل المثال لا الحصر - بموت المؤلّف إلا ضرب من ضروب هذا البحث ، فمقولته هذه تعدّ " إعلانا عن ولادة عصر المتلقّي لأنّه يعني أنّ اللّغة هي التي تتكلّم في النصّ وليس المؤلّف ، وأنّ دلالة النصّ لا تتبع من منتجه بل من علاقته بالمتلقّي ، أو القارئ " (31)

ومهما حاول الناقد الوصول إلى دلالة النصّ إلا أنّه قد لا يصل .

ومردّ هذا إلى طبيعة النصّ نفسه ، وما يحمله من خصائص " فأَيّ نصّ إبداعيّ ، مهما كان انتماؤه النوعيّ لابدّ وأن يحمل خصائص ترسخ انتماؤه كنوع لذلك مهما كانت ثقافة الناقد لا يستطيع أن يتجاوز هذه الخصائص النوعيّة ، ويسقط على النصّ ما يشاء من رؤى تنظيريّة ، وإذا كان الناقد كمال أبو ديب على سبيل المثال وفي تحليله لقصيدة أبي نوّاس ، قد وجد أنّ البنية الإيقاعيّة تجسّد العلاقات الجذريّة في البنية الدلاليّة فإنّه لا يستطيع أن يعمّم هذا الكلام ويخضع له قصيدة لأدونيس مثلا " (32)

وخلاصة القول في النصّ أنّه مجموعة من العلائق المتشابكة فمن " السّداجة السّداجة أن يزعم زاعم من الدّارسين مهما تعمّقت تجربته ، واستطالت في الزّمان خبرته ، ودامت ممارسته لتحليل النصّ الأدبيّ ، بأنّه قادر كلّ القدرة على وضع قواعد تضبط دراسة هذا النصّ وتستخرج كنوزه " (33)

لعلّ ما اتّصف به النصّ من غموض ، وصعوبة هما ما جعلتا السّاحة التّقديّة سواء الغربيّة ، أو العربيّة تعجّ بالكتب التّنظيريّة ، فمهما حاول الناقد الإمساك بمفاتيح النصّ إلاّ تعالى النصّ فوق التّنظيرات والمناهج المقترحة لتحليله ، وهكذا يجد الناقد نفسه في حاجة ماسّة إلى تنظير آخر يشفي غليله من جديد ، لكن شتّان بين التّنظير في الوطن الأمّ لهذه المناهج ، والتّنظير في الوطن العربيّ ، فأكبر معضلات هذا الأخير عدم إمكانية تطبيق هذه المناهج على النصّ العربيّ ، وإن طُبّق جزءا منه أغفل جزء آخر ، حينها يجد الناقد العربيّ متنفسا في التّنظير .

ب - ما فرضته المناهج :

قبل الخوض في هذه الإشكاليّة لابدّ من إعطاء كل ذي حقّ حقه ولا نركب موجة التعميم الأعمى ، فالنقد العربيّ المعاصر شهد جهودا كبيرة من طرف مجموعة من النقاد أسّست له في وقت مبكّر لم يكن فيه النقد العربيّ قد اشتدّ عوده حتّى في وطنه الأمّ ، ولعلّ من أهمّ الأعمال التّقديّة العربيّة التي اتّسمت بالجديّة ، وركّزت اهتمامها على تطبيق المنهج ما قدّمه الناقد كمال أبو ديب في كتابه جدليّة الخفاء والتّجليّ الذي يشيد الناقد صلاح فضل بالجهد المبدول فيه إذ يقول " قدّم أبو ديب رؤية جديدة للشعر الجاهليّ على ضوء المنهج البنائيّ تعدّ إنجازا حقيقيّا يتقدّم بدراسة الأدب العربيّ خطوات جادّة في سبيل التّحليل العلميّ المثمر " (34).

إضافة إلى الدّراسة التي قدّمها كمال أبو ديب هناك دراسة أخرى من الدّراسات الجادّة في النقد العربيّ المعاصر ، والتي يحاول صاحبها محمّد بنيس تطبيق المنهج البنيويّ التكوينيّ وهي: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب مقارنة بنيويّة تكوينيّة ، والتي ظهرت في وقت مبكّر لم تكن الدّراسات التّقديّة ذات المناهج الجديدة قد بدأت تتوافد علينا ، وهو رسالة جامعيّة تقدّم بها لنيل دبلوم الدّراسات العليا السّلك الثالث بكلّيّة الآداب بجامعة الرّباط المغرب ، وقد بيّن الباحث أسباب اهتمامه بالشعر المغربيّ المعاصر ، وأسباب تبنيه المنهج البنيويّ التكوينيّ في النقد الأدبيّ استنادا إلى الوعي بالقوانين والبنىات الداخليّة والخارجيّة للمتن الشعريّ المغربيّ " (35)

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

إضافة إلى هذين الدراستين تعدّ الدراسة التي قدّمها الناقد السعودي عبد الله الغدامي الخطيئة والتكفير من أهمّ الدراسات ، وأسبقها في النقد العربي المعاصر التي جمعت بين التنظير والتطبيق حيث يحاول الناقد أن يطبق المنهج التشريحي (التفكيكي) على قصائد الشاعر السعودي حمزة شحاته " وقد وظّف في تحليله المفهومات النظرية السابقة على ضوء منهجية البنيوي والتشريحي من أجل سبر كوامن النصّ ، لتأسيس الحقيقة الأدبية للبناء الأدبي ، فأجرى مبضع النقد في جسد النصّ في عملية مزدوجة تبدأ بتفكيك النصّ ثم إعادة تركيبه بغية الوصول إلى كلّ عضوي يختلف عن الكلّ الأولي ، باعتبار الكلّ العضوي فعالية تبحث عن القراءة الابتكارية للنصّ المشرّح بينما الكلّ الأولي حتمية إنشائية مفروضة على العمل الأدبي ، ولو ظاهرياً " (36)

لكن هذه الدراسات الأصلية – مع أنها قُوبلت بنقد لاذع ممّن يرون في المناهج النقدية الغربية خطراً على الهوية العربية ، والأدب العربي على حدّ سواء – ليست كافية ألبتة إذا ما قُورنت ببعض المحاولات التي سعى أصحابها " إلى التوسّل ببعض مناهج النقد الجديد التي أعطت ثماراً كئيبة ، أو جزئية عند الغربيين ، ولكن سعيهم لم يتجاوز التجريب الذي لم يتح له أن يتمّ دون الوقوع في الخلل ، وهو خلل مرده إلى أنّ التطبيق لم يكن متقناً ، وسليماً " (37).

وبالرغم من هذا التعثّر الصّارخ إلا أن هناك من المتحمّسين لهذه النقود من يُوجد له تسويغاً فيمنى العيد ترى " أنّ هذه المحاولات مازالت محدودة جداً ، ومتواضعة جداً ، ولكنها برغم ذلك متحفّزة ، وطموحة وهي في وضعها هذا لا تخلو من التعثّر الذي يظهر في ضياع هدفها أحياناً أي في عدم وضوح ما تتوخّاه هل تريد هذه المحاولات أن تحقّق معرفة علمية بالنصّ الأدبي ؟ أم أنها مجرد مواكبة لحركة تطوّر النقد ؟ " (38).

ثمّ تحاول الناقدة أن تجد إجابة لما تساءلت عنه ، فتردّد أسباب التعثّر إلى أنّ النقاد يمارسون محاولاتهم مصحوبين بهمّين ، أمّا الهمّ الأوّل يتمثّل في أنّ هذه المحاولات تنطلق من النصّ العربيّ في خصوصيته اللغوية ، وفي ضوء ارتباطه بواقع ثقافي أدبيّ معيّن ، ممّا يدعو إلى تملك المناهج النقدية تملكاً علمياً واعياً ، وهذا التملك مرهون بمعرفة خلفيات هذه المناهج ، وهو تملك ليس بالسهولة التي نتصورها ، والهمّ الثاني أنّها محاولات لتملك مناهج ما زالت هي نفسها تطرح علامات استفهام على بعض أسسها أحياناً ، وعلى وظيفتها أحياناً أخرى . (39)

ومهما حاولت هذه الفئة إيجاد مسوّغات لما هو عليه واقع النقد العربيّ المعاصر إلا أنّ هذا الأخير مازال بعيداً عن التحكّم المنهجيّ " فالنقد العربيّ المعاصر لا يزال في جزء يسير منه أسيراً لجملة من الهرطقات التي تفصح عن قصور فاضح في إدراك العلاقة بين النقد ، والإبداع وبين النقد ، والعصر الذي ينتمي إليه النصّ المنقود " (40)

ولعلّ هذا القصور الذي لازم النقد التطبيقيّ يظهر جلياً في طغيان " طابع التوفيقية والانتقائية والضعف المنهجيّ " (41) هذه الانتقائية الصّارخة " التي لم يستطع النقد العربيّ أن يتخلّص منها إلى الحدّ الذي أصبح فيه ذلك النقد في أغلب ممارساته تليقاً منظماً على مستوى التنظير والإجراء معاً ، وبذلك ليس من المبالغة وصف ما يمرّ به النقد العربيّ

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

بالإشكالية المنهجية " (42) وأمثلة هذا التلّيف كثيرة في النّقد العربيّ المعاصر مثلما فعلت الناقد خالدة سعيد - على سبيل المثال - في كتابها حركيّة الإبداع " الذي ضمّ من بين موضوعاته دراستين لقصيدتين هذا هو اسمي لأدونيس ، والنهر والموت للسيّاب في ضوء المنهج البنيويّ ، والملاحظ على دراسة الناقدّة لهاتين القصيدتين أنّها خلطت بين منهجين ، وهما البنيويّة الشكليّة ، والسيميائيّة فقد حاولت الناقدّة الالتزام بالمنهج البنيويّ بتطبيقها لمقولات البنيويّة في تحليل القصيدة ، ثمّ خرجت إلى دلالات القصيدة أو مضمونها ، وهذا منهج سيميائيّ دلاليّ " (43).

كلّ هذا كان نتيجة أسباب " منها ما له علاقة مباشرة بالطبيعة الخاصة للمناهج باعتبارها أدوات إجرائيّة يجب أن تخضع دوماً ، وأبداً للفحص ، والنّظير المستمرين في محاولة لتحسين مردوديتها ، وجعلها مواكبة للتطوّرات الحاصلة في المجالات المعرفيّة الموظّفة لخدمتنا خصوصاً " (44) ومنها ما يعود إلى " الممارسات النّقدية الحاليّة ، وما تعرفه أحيانا من تعامل غير سليم ولا واع مع المناهج قديمها وحديثها ، ممّا انعكس آثاره سلباً على الخطاب النّقدّي العربيّ عامة في شكل ظواهر مرضيّة " (45)

ومن تجلّيات التّعامل غير السليم في نقدنا العربيّ المعاصر مع النّصوص " ظاهرة التّداخل بين لغة النّقد ، ولغة الحقول المعرفيّة الأخرى ، مثل العلوم ، والسياسة ، والطبّ ، وغيرها فضلاً على تداخل اللّغة النّقدية مع لغة الشّعر ، فقد باتت اللّغة النّقدية أقرب إلى أن تكون لغة شعريّة عائمة ، وكأنّها تجسيد لإحدى مقولات الحداثة في انعدام الفواصل بين النّقد ، والإبداع " (46)

هذا التّداخل الذي يورث النّقد العربيّ المعاصر غموضاً ، ينأى بالعملية النّقدية عن المراد المقصود وأمثلة هذا الغموض كثيرة ، لعلّ من أعقدها ما قام به كمال أبو ديب في شرحه أحد أبيات امرئ القيس حيث يقول " ويمكن من النّاحية اللغويّة أن نرى أنّ هذه الجمل مرتّبة على النّحو التالي : توجد (أ) ، وتوجد (ج) وكانت هناك (د) ، وكانت هناك (أ) و (ب 1) ، وكان هناك أ و هناك الآن (ج 1 + د 1) ولكنّ التّوافق بين (أ) ، (أ 1) ، و (ب) و (ب 1) إلى آخره ليس هو كلّ شيء ، إذ إنّ صيغتي (ج 1) و (د 1) ليستا مثل (ج) و (د) على الرّغم من أنّ (د) قريبة جدّاً من (د 1) على حين أنّ (ج) و (ج 1) ليستا قريبتين ، وهذا بسبب أنّ (ج) ، (ج 1) تنتمي إلى الأقطاب المتعارضة في التجربة " (47)

هذا الغموض الذي ما هو إلاّ ضرب من ضروب " الاستعارة سواء ، بالاختيار أو بالانتباس أو الإحالة المستخلصة من النّقد الغربيّ معتقداً أنّ ذلك هو ما يقوّي موقفه ، فاستحال معه النّقد العربيّ خطاباً مشوّهاً " (48) وما كان لهذا التّشوّه ليكون لو أحسن الناقد العربيّ التّعامل مع هذه المناهج عامة ومع البنيويّة بشكل خاصّ " فجاءت تحليلاته عبارة عن بنيويّات أخرى أقلّ مستوى من البنيويّات الغربيّة " (49) على حدّ قول محمّد سويرتي ، أمّا توفيق الزّبيديّ ، فينعت ظاهرة التّصرّف في المناهج الغربيّة ، بالواضحة " فلا نجد اتّباعاً كلياً لتلك المناهج ، وإنّما استلهم نقادنا مبادئها العامة ولعلّ هذه الظّاهرة تجعل نقدنا اللّسانيّ يتّسم بالسّطحيّة " (50)

هذه السّحطية التي مارستها القراءات السّيميائية العربيّة حيث " ما تزال بعيدة عن في مهدها الأروبيّ ، إذ لم تعالج مجموعة من الميادين ، ولم تتطّلق من أراضية علمية ومعرفة شمولية عن الظاهرة الأدبية ، ولعلّ هذا ما صرّح به حنون مبارك حين أجرى مقارنات يسيرة بين النّقد السّيميائيّ في إيطاليا ، والوطن العربيّ " (51)

وإذا نظرنا للخطاب التّفكيكيّ العربيّ في شقه الإجماليّ نجدّه سطحياً مشوّهاً أيضاً فالتمتعن في قراءة عبد الله الغداميّ لشعر حمزة شحاته يجد أنّ النّاقّد " قد تورّط في النظرة الجزئية لنصوص شحاته ، من أجل بلوغ هدفه في تطبيق مفاهيم ، وأسس النّقد التّفكيكيّ التي تعامل معها واعتبرها تصوّرات ، وأساليب يقينية راسخة لا تحتاج إلى نقاش ، أو تطويع ، أو تعديل " (52)

وبعد ، إنّ ما يحدث في السّاحة النّقدية العربيّة خاصة في جانبها التّطبيقيّ نتاج فهم سطحيّ للمنهج على أنّه أداة ، و فقط متغافلين أنّ " كلّ مصطلح أو منهج إلاّ ويحمل في أحشائه ، حتماً خلفية فكرية ، تختصر نفسها ، ورؤيتها ، وتحليلها " (53)

ومن هنا نكاد نتبين سبب غلبة التّنظير في واقع النّقد العربيّ المعاصر ، فكلمّا ارتطم النّاقّد العربيّ بصخر المنهج العتيّ إلاّ وجد نفسه مضطراً إلى التّنظير ، الذي أضحى مُتّفسّساً له و الذي أثقل كاهل المكتبة النّقدية العربيّة المعاصرة ، حيث أصبح النّقد معه " يعيش مفارقة حادة يتجلّى طرفاها في تضخيم الدّراسات التّنظيرية ، وندرة الممارسات التّطبيقية " (54)

إضافة إلى عدم التّمكّن من مقولات النّقد الغربيّ ، وعدم الاطّلاع على الخلفيات والأسس التي تركز عليها بتتوّعها ، أغفل نفر كبير من النّقاد العرب المعاصرين خصوصية النّصّ العربيّ ، والتي تتنافى مع طبيعة النظريات النّقدية الغربية فهذه " النظريات في أصولها قد انطلقت من طوابع الآداب الأوروبية ، وذاتيتها وتشكّلت وفق مضامين تلك الآداب ، واعتمدت أساساً على النظريات التي بدأت في دائرة العلم الطّبيعيّ ثمّ فرضت نفسها على الفلسفات ، والآداب ، وهي النظريات التي اعتبرت الإنسان حيواناً خاضعاً لظروف البيئة خضوع مختلف الأشياء ، وهي نظرية مادية خالصة لا تتفق مع روح الأدب العربيّ الذي يقوم على أساس ترابط واضح بين المادية ، والرّوحية ، وبين القلب ، والعقل ، والتي تعتمد قاعدة التّوحيد الإسلامية أساساً لمنطلقها " (55)

فمقولة موت المؤلّف مثلاً " ترتبط بمنظومة فلسفة نيتشه في نزاع الطّابع القدسيّ الذي كانت تتخذ صورة المؤلّف في كلّ الأعمال ، كما ساهمت أيضاً في انتشار فلسفة العبث ، واللامعقول حين استبدلت بفكرة الفاعل ، والخالق فكرة العود الأبديّ ، وما تعنيه من تعاود ، تكرار سيزيفيّ يتنافى وفكرة المعنى في الحياة ، كذلك نصّ بدون مؤلّف فكرة آليّة لا تحمل صوتاً ولا صدى ، ولا مقصداً كما لا تتطوي على نية ، أو أيّ مغزى نهائيّ " (56)

3 - في تغييب خصوصية النّصّ العربيّ :

لم يكن تغييب خصوصية النّصّ العربيّ في الخطاب النّقدية المعاصر إلاّ ضرباً من ضروب الانصهار ، والنّماهي مع الآخر ، وهو ما يشكّل خطراً كبيراً على المورث الأدبيّ

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

العربيّ ، بل هو تغريبٌ على حدّ تعبير حسن حنفي ، وذلك " باعتبار الغرب النمط الأُوحد لكلّ تقدّم حضاريّ ، واعتبار الغرب الإنسانيّة جمعاء ، وأروبا هي مركز الثقل ، واعتبار الغرب المعلم الأبدّي ، واللاغرب التلميذ الأبدّي " (57)

كلّ هذا من منطلق الولوج في الحداثة ، تلك الحداثة " التي تمثّل قطيعة معرفيّة مع الماضي ، تطمح إلى التعلّق بالحاضر ، والخروج من المعتاد إلى غير المعتاد ، ومن المعروف إلى غير المعروف ، وانتقالا من المجهول إلى المعلوم ، ومن هذا المنطلق أخذ النقاد العرب يحاولون ترجمة مصطلح الحداثة ، والكشف عن الميكانيزمات لهذا المنهج الجديد " (58)

فقد اختار تيار الحداثة العربية " أن يتنازل عن كلّ شيء ، عن هويّته ، وقيمه ويستعير النموذج الحداثيّ الغربيّ بسلبياته ، وإيجابياته ، فاستنسخه ، وجعل منه نموذجا مستوردا وحافظ عليه كما هو دون أن يكف نفسه عناء التّعديل " (59)

ولعلّ أقوى تجلّيات هذا التنازل عن الهوية العربيّة تتمثّل في تغييب خصوصيّة النّصّ العربيّ في النّقد العربيّ المعاصر " والنّظر إليه على أساس أنّه إنتاج من درجة دنيا ، أو في أحسن الحالات السقوط في التّطبيق الآليّ للمنهج وإهدار خصوصيّة النّصّ العربيّ " (60)

فتطبيق هذه المناهج الغربيّة على النّصوص العربيّة هو أكبر دليل على عدم احترام خصوصيّة النّصّ العربيّ ، فإذا تخيرنا المنهج الشّكلانيّ مثلا وجدنا " مرجعيّته الدينيّة ، والفلسفيّة عند الشّراح المسيحيّين للتّوراة ، والإنجيل من ناحية ، وفي أعمال فيلسوف يهوديّ هو سبينوزا " (61) فكيف لنا مثلا أن ندرس أدبا لأمة إسلاميّة متشعبة ، بالثقافة الإسلاميّة بمنهج تعود مرجعيّاته إلى أديان أخرى " ومن هنا هذا الأدب لا يدرس على ضوء مناهج وضعت لأداب أخرى ذلك أنّ أساليب النّقد ، والبحث إنّما توضع للأداب بعد ظهور هذه الآداب ، ولذلك فهي مستمدّة منها ، ولا يمكن العكس " (62) فاختلف مرجعيّات الأدب العربيّ عن مرجعيّات الآداب الأروبيّة " يجعل من العسير خضوع الأديبين لمقاييس واحدة ، أو لقوانين واحدة ، والمعروف أنّ الآداب الغربيّة جميعا تستمدّ مصادرها من الأدب الهيلينيّ ، والفلسفة اليونانيّة ، والحضارة الرّومانيّة " (63).

والمشهد النّقديّ العربيّ حافل بهذا التّغييب لخصوصيّة النّصّ العربيّ ، وبالانهيال الكبير بالمناهج المستعارة على النّصّ العربيّ التي تغيّبه ، ولا تنيره مثلما فعل كمال أبو ديب عندما استعار لغة الرّياضيات في تحليله للنّصّ الجاهليّ مكثرا من " الرّسومات التّوضيحيّة والبيانات والجداول الإحصائيّة والرّسومات المعقّدة من دوائر ومثلثات وخطوط متوازية ومتقاطعة وساقطة " (64)

ومن النّقاد المعاصرين من لم يكتف بتغييب خصوصيّة النّصّ العربيّ ، بل راح يتفنّن في جلد الذات مثلما فعل الغداميّ عندما اتّهم " الشّعر العربيّ القديم ، والحديث بأنّه السّبب في صناعة الاستبداد (الفحل / الطّاغية) بوصفه أهمّ أركان الثقافة العربيّة ، وعلى الرّغم ممّا في الشّعر العربيّ من جمال أخاذ إلا أنّه أضمر عيوباً نسقيّة خطيرة تجسّدت في الشّخصيّة العربيّة " (65)

خاتمة :

و بعد ، فلسنا نجانب الحقيقة إن قلنا إن المكتبة العربية قد وصلت حدّ التّخمة في التّنظير للمناهج النّقدية الغربية في حين تفتقر افتقار كبيراً للجانب التّطبيقيّ ممّا يعمّق الهوة بينهما ، هذا التعميق الذي سيحيل ، النّقد العربيّ المعاصر ضرباً من ضروب اجترار مقولات ، ومسلّمات النّقود الغربية ، ممّا يساهم في نكوص الحركة النّقدية العربية ، التي يزخر تراثها النّقدية بكمّ هائل من المقومات والأدوات القادرة على اقتحام النّصّ الأدبيّ دون المساس بخصوصيته ، هذه الخصوصية التي أصبحت مهدّدة نتيجة إطلاق العنان للتّجريب النّقدية .

هوامش الدراسة :

- (1) مرشد الزبيدي " اتجاهات نقد الشعر العربيّ في العراق ، دراسة الجهود النّقدية المنشورة في الصحافة العراقية بين 1958 _ 1990 " منشورات اتحاد الكتاب العرب ، د ط ، 2000 ص 160.
- (2) محمد العزام " تحليل الخطاب الأدبيّ على ضوء المناهج النّقدية الحداثيّة " منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق د ط ، 2003 ص 34 .
- (3) زكريا إبراهيم " مشكلة البنية أو أضواء على البنيويّة " مكتبة مصر 3 شارع كامل صدقيّ الفجالة ، د ط ، دت ، ص 21.
- (4) المرجع نفسه ص 233.
- 5 ينظر: المرجع نفسه " مشكلة البنية أو أضواء على البنيويّة " من ص 234 ، إلى ص 238.
- (6) صلاح فضل " نظرية البنائية في النّقد الأدبيّ " دار الشّروق ، القاهرة ط 1 ، 1998 ص 12.
- (7) محمد العزام " تحليل الخطاب الأدبيّ على ضوء المناهج النّقدية الحداثيّة " ص 38.
- (8) صلاح فضل " المرجع السابق " ص 213.
- (9) محمّد مفتاح " ديناميّة النّصّ تنظير وإنجاز " المركز الثّقافيّ العربيّ ، بيروت ، ط 1 ، 1987 ص 5.
- (10) محمّد مفتاح " المرجع نفسه " ص 8.
- (11) محمّد مفتاح " تحليل الخطاب إستراتيجية التّناص " المركز الثّقافيّ العربيّ ، بيروت ، ط 3 ، 1992 ، ص 9.
- (12) ينظر: عبد الله الغدّاميّ " الخطيئة والتّكفير من البنيويّة إلى التّشريحية قراءة نقدية لنموذج معاصر " الهيئة المصريّة العامة للكتاب ط 4 ، 1997 ص 44 ، 45 ، 46 ، 47 .
- (13) عبد الله الغدّاميّ " المرجع نفسه " ص 52.
- (14) المرجع نفسه ص 54.
- (15) بسام قطّوس " إستراتيجيات القراءة التّأصيل والإجراء النّقدية " دار الكندي للنّشر والتّوزيع ، الأردن ، ط 1 ، 1998 ص 17.
- (16) ينظر : عبد العزيز حمودة " المرآة المحذبة من البنيويّة إلى التّفكيك " عالم المعرفة المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب الكويت د ط ، 1998 ص 267 ، 280 ، 281 ، 295 .
- (17) صلاح فضل " نظرية البنائية في النّقد الأدبيّ " ص 7.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- (18) عبد السلام المسدي " الأسلوبية والأسلوب " الدار العربية للكتاب ط3، 1982 ص 20 .
(19) ينظر: المرجع نفسه ص 22، 23 ، 24 .
(20) سعيد مصلوح " الأسلوب دراسة لغوية إحصائية " عالم الكتب ، ط3 ، 1992 ص 83.
(21) المرجع نفسه ص 84.
(22) صلاح فضل " شفرات النصّ دراسة سيميولوجية في شعرية القصّ و القصيد " عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ط2 ، 1995 ص 3.
(23) صلاح فضل " أساليب الشعرية المعاصرة " دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة دط ، 1998 ص 7.
(24) المرجع نفسه ص 7.
(25) حاتم الصكر " ترويض النصّ دراسة للتحليل النصّي في النقد المعاصر إجراءات و منهجيات " الهيئة العامة المصرية للكتاب دط ، 1998 ص 27 .
(26) المرجع نفسه ص 29 .
(27) حسين خمري " الظاهرة الشعرية العربية الحضور والغياب دراسة " منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، دط 2001 ص 20 .
(28) نعمان بقرّة " نحو النصّ مبادئه واتجاهاته الأساسية في ضوء النظرية اللسانية الحديثة " علامات ، جذّة ، ج 61 ، مج 16 ، جمادى الأولى ، 1428 هـ ، مايو 2007 ، ص 19.
(29) المرجع نفسه ص 23 .
(30) فؤاد المرعي " في العلاقة بين المبدع والنصّ و المتلقي " عالم الفكر، الكويت ، مج 23 ، العددان الأوّل ، والثاني يوليو / سبتمبر _ أكتوبر / ديسمبر 1994 ، ص 342.
(31) المرجع نفسه ص 252 .
(32) صبحي الطعان " بنية النصّ الكبرى " عالم الفكر، الكويت ، مج 23 ، العددان الأوّل ، والثاني يوليو / سبتمبر _ أكتوبر / ديسمبر 1994 ، ص 444.
(33) حبيب مونسي " في ماهية النصّ : الحضور والغياب القراءة السياقية وتغيير النصّ " مجلة مدائن ص 138.
(34) صلاح فضل " نظرية البنائية في النقد الأدبيّ " ص 8.
(35) محمد العزام " تحليل الخطاب الأدبيّ على ضوء المناهج النقدية الحداثيّة " ص 269 .
(36) المرجع نفسه ص 133.
(37) عبد العالي بوطيب " إشكالية المنهج في الخطاب النقديّ العربيّ الحديث " عالم الفكر، الكويت ، مج 23 ، العددان الأوّل ، والثاني يوليو / سبتمبر _ أكتوبر / ديسمبر 1994 ، ص 458 .
(38) عبد الله إبراهيم وآخرون " معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة " المركز الثقافيّ العربيّ ، الدار البيضاء ، ط 2 ، 1996 ، ص 70.
(39) ينظر: المرجع نفسه ص 71 .
(40) باقر جاسم محمّد " نقد النّقد أم الميّا نقد ؟ محاولة في تأصيل المفهوم " عالم الفكر ، الكويت ، مج 37 ، العدد 3 يناير / مارس 2009 ، ص 111 .
(41) محمود أمين العالم " مفاهيم وقضايا إشكالية " منتدى مكتبة الاسكندرية ، دط ، دت ص 648 .
(42) علي حسين يوسف " إشكاليات الخطاب النقديّ المعاصر " الروسم للصحافة والنشر والتوزيع ، بغداد ، ط 1 ، 2015 ، ص 173 .
(43) المرجع نفسه ص 238 .
(44) عبد العالي بوطيب " إشكالية المنهج في الخطاب النقديّ العربيّ الحديث " ص 455 .

مجلة الآداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون2017

- (45) المرجع نفسه ص 456 .
- (46) علي حسين يوسف " المرجع نفسه " ص 309.
- (47) كمال أبو ديب " الرّؤى المقتنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهليّ ، البنية والرّؤيا " الهيئة المصريّة للكتاب، القاهرة 1986 . ص 40 .
- (48) عبد العاطي الزّياتي " نقد النّقد وأبعاد التّنظير النّقديّ " علامات ، جدّة ، ج 56 ، م 14 ، ربيع الآخر ، 1426 هـ ، يونيو 2005 ، ص 137 .
- (49) فتيحة سريدي " نظريّة جماليّة التّلقي في النّقد العربيّ الحديث " مجلّة التّواصل في اللّغات والآداب ، الجزائر ، العدد 37 ، مارس 2013 ، ص 4 .
- (50) فتيحة سريدي " المرجع نفسه " ص 4 .
- (51) بشير تاوريريت " السّيميائيّة في الخطاب النّقديّ المعاصر " علامات، جدّة ، ج 54 ، م 14 شوال 1425 هـ ديسمبر 2004 ص .
- (52) سمير حجازي " مدخل إلى مناهج النّقد الأدبيّ المعاصر مع ملحق قاموس المصطلحات الأدبيّة " دار التّوفيق ، سورّيّة ، ط 1 ، 2004 ، ص 61 .
- (53) عباس الجراري " خطاب المنهج " منشورات السّفير ، مكناس ، المغرب ، ط 1 ، 1990 ص 40 .
- (54) علي حسين يوسف " إشكاليات الخطاب النّقديّ المعاصر " ص 208 .
- (55) أنور الجندي " خصائص الأدب العربيّ في مواجهة نظريّات النّقد الأدبيّ الحديث " دار الكتاب اللّبنانيّ ، بيروت ، لبنان ط 2 ، 1975 ص 77 ، 78 .
- (56) حميد سمير " خطاب الحدائث قراءة نقدية " وزارة الأوقاف و الشّئون الإسلاميّة قطاع الشّئون الثقافيّة ، الكويت ط 1 2009 . ص 21 .
- (57) إسماعيل الملحم " الخصوصيّة في الثّقافة القوميّة العربيّة دور الإنتاجيّة والإبداع " منشورات اتّحاد الكتاب العرب دمشق ، دط ، 1996 ، ص 9 .
- (58) باقي أحمد " معضلة الحدائث قراءة في الأطر المعرفيّة للحدائث " مجلّة النّقد والدراسات الأدبيّة و اللّغويّة ، الجزائر، العدد 3 ماي 2015 ، ص 227 .
- (59) حميد سمير " المرجع نفسه " ص 43 .
- (60) حسين خمري " الظاهرة الشعريّة العربيّة الحضور والغياب دراسة " ص 11 .
- (61) سعد عبد الرّحمن البازغي " ما وراء المنهج تحيّرّات النّقد الأدبيّ العربيّ " المجلة العربيّة للعلوم الإنسانيّة ، الكويت ، مج 10 ، العدد 38 ، 1990 ، ص 59 .
- (62) أنور الجندي " خصائص الأدب العربيّ في مواجهة نظريّات النّقد الأدبيّ الحديث " ص 18 .
- (63) المرجع نفسه ص 19 .
- (64) عبد العزيز حمودة " المريّا المحدّبة من البنيويّة إلى التّفكيك " ص 12 .
- (65) علي حسين يوسف " إشكاليات الخطاب النّقديّ المعاصر " ص 214 .

التحول الهوياتي في المجتمع العربي
- من الكائن الاجتماعي إلى الكائن الرقمي -

Identity transformation in Arab society
- From the social object to the digital object -

ماحي فتحي
اشراف: أ.د/ قريصات الزهرة
جامعة ابن خلدون
mahitfethi@gmail.com

الملخص:

لقد سعت المجتمعات منذ بداية البشرية إلى ضمان تميزها اجتماعيا وثقافيا لذلك اهتمت بأن يكون لها هوية تميز شعوبها عن بعضهم البعض وتُرقى الوعي بالذات الثقافية والاجتماعية كما ترفع بذلك من شأن أفرادها غير أن التحولات التي عرفها ويعرفها المجتمع حاليا قد بددت بشكل كبير كل الخصوصيات وأكسبت الفرد مميزات غيرت من خصائص هويته الأصلية إلى أن أضحي غريبا داخل مجتمعه، هذه التحولات التي مست جميع مجالات الحياة هي نتاج تطورات فكرية وأخرى مادية شكلت بيئة حديثة تطورت إلى أن بلغت أوج صورها في ظل التطورات التكنولوجية الراهنة، فما هي أبعاد الهوية في عالم افتراضي رقمي لا يعترف بالحدود الثقافية والمعرفية؟
الكلمات المفتاحية: (التحولات، الهوية، العالم الافتراضي).

abstract:

Since the beginning of mankind, societies have endeavored to ensure their social and cultural distinction, so they have an identity that distinguishes their peoples from one another and promotes cultural and social awareness, as well as their members. However, Changed from the characteristics of his original identity until he became a stranger within his society. These transformations that touched all spheres of life are the product of intellectual and material developments that have formed a modern environment that has evolved to the height of its image in light of the current technological developments. Mai does not recognize the cultural and cognitive boundaries ?

Key words: (transformations, Identity, The virtual world)

مقدمة:

لقد سعت المجتمعات منذ بداية البشرية إلى ضمان تميزها اجتماعيا وثقافيا لذلك اهتمت بأن يكون لها هوية تميز شعوبها عن بعضهم البعض وتُرقي الوعي بالذات الثقافية والاجتماعية كما ترفع بذلك من شأن أفرادها غير أن التحولات التي عرفها ويعرفها المجتمع حاليا قد بدّدت بشكل كبير كل الخصوصيات وأكسبت الفرد مميزات غيرت من خصائص هويته الأصلية إلى أن أضحي غريبا داخل مجتمعه، هذه التحولات التي مست جميع مجالات الحياة هي نتاج تطورات فكرية وأخرى مادية شكلت بيئة حديثة تطورت إلى أن بلغت أوج صورها في ظل التطورات التكنولوجية الراهنة.

ساهمت التطورات التكنولوجية الحديثة ومختلف وسائل الإعلام والاتصال وشبكة الانترنت على ظهور بيئة تكنولوجية رقمية خلقت لدى المجتمعات قضايا معاصرة وأنتجت في ذات الوقت قيما وسلوكيات وطرائق تعبيرية وقولية حديثة كما حالت دون أبعاد القيم التراثية للفرد فأنتجت ثقافات حديثة وتوالت على إثرها الأحداث الفكرية والمهنية فنشأت التجارة الرقمية والنشر الرقمي والإرهاب الرقمي وغيرها، إذ يمكن الجزم بأن عصر الرقمية سيطال كل اكتشافات البشرية بل سيتعدها لتحديد أبعاد وأشكال هوياتنا، وهو ما أشار إليه المختصون في هذا المجال من بينهم ما جاء به الدكتور عبد الرحيم العطري في مقال له بعنوان "احتمالات التحول القيمي - صيغ التفاوض والترميح" الذي وضح بأن المجتمعات تتجه لإنتاج مفهوم جديد للكائن الاجتماعي فبدل أن يوصف بأنه كائن اجتماعي، كائن رمزي كائن طقوسي أو كائن ثقافي، يمكن أن يوصف وصفا جديدا بأنه كائن رقمي تتحدد أبعاده هويته وخصائصها بما يمتلكه من صفحات بالفضاء الافتراضي، كم من حساب إلكتروني يمتلك، كم من معجبين لديه، ربما تعريف الكائن الاجتماعي هو في اتجاه الرقمنة لا في اتجاه الاجتماعي⁽¹⁾.

تبقى الهوية بأبعادها لدى العديد من الدارسين والمختصين الذين ينطلقون من مفهومها التقليدي ميزة اجتماعية وثقافية بعيدة كل البعد عن ما هو تقني أو رقمي هذه الرقمنة التي قلبت المعادلة التقليدية وأرست ما جاءت به الانترنت من قيم جديدة غريبة أثرت على السلوكيات ومنها على الهوية وخلفت عالمان متوازيان عالم واقعي تقليديّ وعالم رقمي حيث يعيش الإنسان المعاصر على حدودهما في صراع القيم الموروثة والقيم الوافدة عبر نافذة الانترنت.

تحاول الإشكالية المطروحة رصد أبعاد الهوية في عالم افتراضي رقمي لا يعترف بالحدود الثقافية والمعرفية التي تساهم بشكل كبير في نحت خصائصها وإرساء قيم مغايرة لتلك السائدة داخل كل مجتمع وحسب ثقافته، عبر الإجابة عن التساؤلات التالية:

- 1- ما هي حدود التلاقي بين العالمين الافتراضي والواقعي التي يعيش الإنسان المعاصر على نقاط تماسهما.
- 2- هل يمكن تحديد أبعاد التحول القيمي في ظل التحولات التكنولوجية الراهنة.

1- أبعاد الهوية في المجتمع المدني:

يعد الحديث عن الهوية من المواضيع التي تتداخل فيها أفكار الباحثين والمهتمين وتصل أحيانا إلى الاختلاف، لا سيما في المجتمعات العربية والإسلامية نظرا لعدم الفصل في بعض المحددات الأساسية التي توّطر مجتمعاتنا العربية. تتناهما هذه الأفكار حول الهوية عندما ترتبط بالعالم الافتراضي مما يتطلب منا محاولة ضبط هذا المفهوم وتحديد خصائصه.

1-1 ضبط مفهوم الهوية وخصائصها:

جاءت كلمة "هوية" في قواميس ومعاجم اللغة العربية بمعنى بئر بعيدة المهواة وعرفت أيضا بأنها وحدة الذات، كما عرفت بأنها حقيقة الإنسان المطلقة وصفاته الجوهرية وسنحاول فيما يلي توضيح مفهوم الهوية بناء على ما قدمته مختلف التخصصات:

التعريف اللغوي: فإن الهوية هي ما يجعل من شكلين متشابهين في اللون والشكل وهي مجموعة ظروف أو وضعيات تجعل من شخص ما مميّزا وخصوصا (2) كما تعرف بأنها وحدة الذات (3) في حين أشار جون بيار بلوخ إلى أن الهوية تعد حالة الكينونة المتطابقة بإحكام أو التماثلة إلى حد التطابق التام أو التشابه المطلق والكينونة هنا تتعلق بالشيء المادي أو بالشخص الإنساني (4).

إذ يمكن الإشارة في هذا الصدد إلى التطابق التام ما بين الشيء وظاهره أو بتماثله مع جوهره العميق.

التعريف الفلسفي: تعرف الهوية فلسفيا بأنها حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره (5). كما حدد جون بول سارتر هوية الشخص بأن "الأنا كائن يستدعي حضور كيان آخر" (6) ولعل المقصود من وراء عبارة سارتر هذه هو أن علاقة الفرد بكيان آخر تستلزم سياقاً معيناً غالباً ما يكون جماعياً كالأسرة مثلاً أو جماعة الأقران وغيرها.... إلخ بحيث تضم المعايير والقيم والقوانين.

التعريف النفسي: يستعمل مفهوم الذات في الأبحاث الانجلوساكسونية للتعبير عن الهوية ويعتبر وليم جيمس من الأوائل الذين استعملوا هذا المفهوم، حيث اعتبر الذات بأنها مجموع كلي لما يستطيع الفرد أن ينسبه لنفسه.

الهوية هي جملة من المعايير التي تمكن من تعريف فرد ما، وهي شعور داخلي ويتعدى للوصول إلى الشعور بالوحدة والانسجام والانتماء وبالقيمة والاستقلالية والثقة (7). كما اعتبرها نظاماً من تصورات الذات ونظام مشاعر إزاءها (8).

كما يمكن اعتبار هوية الشخص مجموعة الخصائص الجسدية والنفسية والأخلاقية والقانونية والاجتماعية والثقافية التي تمكن الشخص من تعريف نفسه وتصور ذاته وتعريف غيره بها أو التي يستطيع الغير أن يعرفه بها، كما أنه لا وجود للهوية من دون وجود وشعور بذلك الوجود، وهذا يقوم على وعي للذات ينطوي على إدراك لتمييزها عن الآخرين ولخصوصيتها في آن معاً، مهما كانت درجة ذلك الإدراك حتى لو كان إدراكاً أولياً (9).

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

لا يمكن اعتبار الهوية كنتيجة سياق معين ولا كمرجع ذو دلالة تدرك بصفة موضوعية فصورة الذات هي بناء ذاتي متجدد باستمرار، يتناوب بين المشاعر والانفعالات التي تختلف في اتجاهها وطبيعتها، فالهوية هي العنصر الذي يحس الفرد بواسطته بأنه موجود كشخص في كل أدواره ووظائفه ويحس بنفسه مقبولا ومعترفا به من طرف الغير ومن جماعته الثقافية.

التعريف الاجتماعي: ليست الهوية بنية مغلقة وإنما هي بنية متحولة باستمرار، ولكن على محور ثبات. إنها مصطلح يعكس نفسه تحت مجهر الزمن ومعاييرها، وفي سياق علاقة تبادلية تنهض على تفاعل متحقق أو مكبوح، مع معطيات الوجود ومكونات المحيط، بحيث لا يُمكن التعامل معه بمعزل عن إدراك مناحي تأثره بالسلطة الزمنية للتاريخ، وبمعطيات حركة الحياة وغايات الحراك أو السكون الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والقانوني. لأنه من البديهي أن يفتح الوجود الواعي على الآخرين ويحتاج إليهم ولا يظهر تمايزه إلا بالاحتكاك بهم، ولكن حضوره ومشروعه وقوة وجوده كل ذلك يتجلى دائما بوعيه لخصوصيته وهويته التي تحفظ له ذلك التمايز الذي تكون عبر تجارب وبيئة وزمن وموروث أجيال من التاريخ والخبرة (10).

لم تتفق كل التعاريف التي تم عرضها على ضبط وتحديد مفهوم للهوية بشكل قطعي غير أنها لم تختلف أيضا بأن للهوية جانب شخصي ذاتي وآخر اجتماعي حيث أجمع المختصون في أن كل محاولة لإعطاء تعريف شامل يرضي كل التخصصات ستظل بدون جدوى.

2-1 خصائص الهوية:

- الهوية اتجاه وأهداف بالنسبة لحياة الفرد من خلال القيم والأهداف المتحققة، وتساعد في فهم الذات والاستمرارية للذات عبر الزمان والمكان (11).

- الهوية ترتبط ارتباطا لا يمكن فصله بالتمييز، كما أنها نسبية، ولكل الأشياء هوية مؤقتة وانتقالية، بينما تطورها وتغيرها مطلقان (12).

- الهوية عملية أيديولوجية، حيث تصطفى من قبل نخبة سياسية معينة وذلك بانتقاء عناصر معينة لتثبيتها، ثم تحدد الهوية الأصلية من خلالها وتضفي عليها هالة من القداسة والسمو (13).

- الهوية عملية اعتقاد وإرادة، ذلك أن الاعتقاد والإرادة وليس الإلزام هما ما يميزان الهوية فالهوية ليست القانون، ولا يجب أن تكون مساوية له فالإسلام مثلا- وهو أحد المركبات الأساسية للهوية في كل الأقطار العربية قد يتعارض مع القانون - جزئيا أو كليا- فالإلزام بتعاليم الإسلام لا تنبع هنا من الإلزامية القانونية، بل من اعتقاد الشعوب (14).

- الهوية عملية ديناميكية، كونها تتكون من مجموعة من العناصر، فهي بالضرورة متغيرة في ذات الوقت الذي تتميز فيه بالثبات، فهي كالكائن البشري الذي يولد ويشب ويشيخ، ومع المراحل العمرية المختلفة تتغير ملامحه وتصرفاته وذوقه وكل عناصر شخصيته لكنه يبقى هو ذاته (15).

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

الهوية جزء مكمّل للحياة الاجتماعية، وهي تتشكل فقط عبر التمييز بين هويات مختلف الجماعات والتي يمكن ربطها بأناس آخرين، والإطلاع على مختلف الهويات يعطي إشارة عن نوع الفرد الذي تتعامل معه، ومن ثم كيفية الارتباط به (16).

3-1 مفهوم المجتمع المدني:

تغير مفهوم المجتمع المدني كباقي المفاهيم في العلوم الإنسانية والاجتماعية من حيث المعنى والدلالة، حيث عرفه توماس هوبز غير مميز بينه وبين الدولة على النحو التالي "المجتمع المنظم سياسياً عن طرق الدولة القائمة على فكرة التعاقد" (17)،

أما في القرن الثامن عشر اكتسبت فكرة المجتمع المدني معنا مغايراً كونها تشير إلى موقعها الوسيط بين مؤسسات السلطة وبقية المجتمع، عندما اعتبره جان جاك روسو "هو مجتمع صاحب السيادة، باستطاعته صياغة إرادة عامة يتماهى فيها الحكام والمحكومون". كما نجد نفس الاتجاه عند مونتسكيو الذي ربط المجتمع المدني "بالبنى الأرستقراطية الوسيطة المعترف بها من قبل السلطة القائمة بين الحاكمين والمحكومين". وكذلك لدى الفيلسوف الألماني هيغل الذي أكد الموقع الوسيط للمجتمع المدني "بين العائلة والدولة بحيث يفصل بينهما" دون أن يغفل حقيقة التداخل الموجود بين المجتمع المدني والمؤسستين المذكورتين بحيث يخترق الواحد منهما الآخر. ونجد عند توكفيل اقتراباً من المعنى الحديث المتبادل اليوم إذ يركز على أهمية "المنظمات المدنية النشطة ودورها في إطار الدولة بالمعنى الضيق للكلمة". وفي الأدبيات الحديثة خاصة ذات التوجه الراديكالي ارتبط مفهوم المجتمع المدني باسم أنطونيو غرامشي المفكر الشيوعي الإيطالي الذي حاول تجاوز التحديد الماركسي كونه يعتبر المجتمع المدني مجتمعاً برجوازيّاً بالأساس، وقد اعتبره غرامشي مجال تحقيق الهيمنة في ظل سيادة الرأسمالية بمعنى فرض النفوذ الثقافي والأيديولوجي للبرجوازية، بينما تكون الدولة مجال تحقيق السيطرة (18).

2- الهوية الرقمية في المجتمع الافتراضي:

1-2 ضبط مفهوم الهوية الرقمية:

هي الشخصية التي يتم إنشاؤها من طرف المستخدم الإنسان الذي يعمل كصلة وصل بين الشخص الطبيعي والشخص الافتراضي الظاهر للمستخدمين (19). هي السمات والمواصفات التي يقدمها الفرد الطبيعي للآخرين عبر الانترنت فتكون عملية الاتصال تتم بين ثلاثة أطراف وليس طرفين وهي الشخص العادي والهوية الافتراضية والأشخاص الآخرين (20).

الهوية الرقمية هي مجموع الصفات والدلالات والرموز التي يوظفها الإنسان للتعريف بنفسه في الفضاء الافتراضي، فيتفاعل ويتواصل على أساسها مع الآخرين، بحيث قد لا يتوافق مضمونها مع هويته الحقيقية في الواقع الاجتماعي (21).

2 - 2 خصائص الهوية الرقمية:

تتولى الهوية الافتراضية عملية تنشئة نفسها بالانتقال المستمر داخل الفضاء الافتراضي الذي يكون كحيز لتبادل قيم مختلفة وليدة أنساق ثقافية متباينة ما يجعل الهوية الافتراضية طرفاً في عملية تفاوض قد تدعم خصائصها أو تكسبها دلالات مختلفة، كل هذا

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

يتشكل حسب قدرة الفرد على المحافظة على العناصر الأساسية المشكلة لخصائص هويته وقدرته على المراوغة لتجنب آليات الهيمنة التي قد يتعرض لها في الفضاء الافتراضي خاصة إذا أخذت عملية التواصل الإلكتروني طابع التفاعل الاستجابي الفوري بتغيب التفكير في طبيعة الطرف الآخر في العملية الاتصالية، مما يتطلب التركيز على أهمية استحضار البعد القيمي لتحقيق عملية تواصلية ذات معنى تنعكس على الممارسة الواقعية.

تبدو خصائص الهوية الرقمية في الفضاء الافتراضي بمثابة:

- انعكاس مباشر لتمثلات جزء بسيط من الذات الفاعلة في الواقع، سواء من حيث طبيعة قيمها أو تصوراتها التي تؤسس وجودها الاجتماعي والرقمي على حد سواء، بحكم أن جزءاً مهماً من تمثلاتها في المجتمع الشبكي قد تكون مزيفة وتعبّر عن مثل وتطلعات لا تمت بصلة إلى الواقع، لكنها في الوقت ذاته، قد تعكس بعض المضامين التي تبحث لها عن وجود في الواقع، لهذا قد تكرر ممارساتها المقنعة أو المزيفة في الفضاء الافتراضي محاولاتها للتخلص من القيود الاجتماعية في الواقع الفعلي، مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار اختلاف تلك التمثلات والدلالات باختلاف مواصفات الفئات الاجتماعية، وطبيعة المجموعات الافتراضية التي تشترك فيها، والغايات التي تسعى إليها، عليه فإن ممارسات عرض الذات في الفضاء الافتراضي، يمثل رهانا اجتماعيا حقيقيا بالنسبة إلى المستخدمين من حيث درجة تمثلهم لقيم الاجتماعي، وكيفية تفاعلهم معها، وكيفية تقبل الآخرين لهم (22).

- يتمثل الأشخاص الرقميون بما يرغبون أن يتمثلوا به، أي يتظاهرون بالأشياء التي يحبونها في الحديث وفي التعريف بأنفسهم وبآرائهم وأفكارهم وغير ذلك، وليس شرطاً أن يكونوا كما هم في واقع الأمر، لكن هذا لا يعني أن كثيراً منهم يحاول أن يكون صادقاً في كل ذلك ولكن الأمر المشترك في معظم المتمثلين افتراضياً، هو تمثلهم بما يريدون من الآخرين أن يروههم به (23).

كما توصلت الباحثة الفرنسية فاني جورج في دراسة بعنوان " أسس عرض الهوية الافتراضية على شبكات التواصل الاجتماعي " إلى بعض الخصائص للهوية الرقمية كما يلي:

- تبقى الهوية الرقمية التي تتجلى خصائصها داخل المجتمع الافتراضي كجزء من الهوية الاجتماعية، وقد تبني الهوية الرقمية خصائصها من خلال جمعها للقيم والمبادئ التي اكتسبها الفاعل عبر مراحل تنشئته الاجتماعية والإمكانيات التي يتوفر عليها الجهاز ويتجلى ذلك من خلال استخدام رموز على الشاشة تحمل دلالات ومعان متعددة سواء كانت كلمات أو نصوص، أو صوراً أو مقاطع فيديو ذات أبعاد دلالية تساهم في التعبير عن معناها حيث تنقسم الهوية الافتراضية إلى ثلاثة عناصر رمزية تعكس مظاهرها في المجتمع الافتراضي، تبرز ملامحها، والتغيرات التي تطرأ عليها وهي كالاتي:

الهوية التصريحية: تبرز من خلال المعلومات التي يجري إدخالها من قبل صاحب الحساب مثل الاسم، تاريخ الميلاد، الصورة... الخ (24).

الهوية النشطة: هي تلك الهوية التي تجسدها التقارير الدورية من نصوص مكتوبة وصور ومقطوعات مصورة أو غنائية... إلخ التي تشكل نشاطات المستخدم كعدد الأصدقاء أو انضمام الأفراد إلى مجموعة.

الهوية المحسوبة: الخاصة الثالثة للهوية الرقمية تبرز من خلال متغيرات كمية أو كيفية تعد من خلال حسابات النظام وتعرض على الصفحة، توضح عدد الأصدقاء، عدد المجموعات، تواريخ مهمة حيث تسمح هذه الأبعاد الثلاثة بالتحليل الكمي لتغيرات ملامح الهوية وسياق توجهاتها في الفضاء الرقمي على خلاف الهوية التصريحية فالهوية المحسوبة لا تبرز من خلال المعلومات التي يجري إدخالها من قبل صاحب الحساب (25).
تمكننا الخصائص السالفة الذكر من إدراك أهمية الهوية الرقمية في المجتمع كما تمكننا من تحديد طبيعة الرهانات التي تتعرض لها الذات الفاعلة في فضاء افتراضي مفتوح على مختلف الثقافات العالمية، والذي يتيح للذات الفاعلة باب التواصل الرقمي وعملية التبادل المعلوماتي الذي يتخذ شكل الرموز التي يمكن إحصاؤها المتوفرة عبر شبكات التواصل الاجتماعي كما أنه من الضروري تسليط الضوء على الهويات النمطية الموجودة في الفضاء الافتراضي خاصة تلك التي تتميز بدرجة تأثيرها الكبير.

إن المجتمع الافتراضي يُخضع أطراف العملية التواصلية لعملية تنشئة إلكترونية مستمرة بحكم تفاعلها ضمن فضاء ثقافي يتميز بدرجة من الانفتاح لا حدود لها متجاوزا بذلك الفضاء الثقافي التقليدي المحدد مسبقا.

تؤكد الدراسة أن نمط الهوية النشطة التي تنمي هويتها الرقمية بحضور افتراضي وتفاعل وتجديد معلوماتي على صفحتها والاندماج في مجموعات افتراضية هي العنصر الأساسي في تركيبية الهوية الافتراضية.

كما أنجزت الباحثة التونسية سهام النجار (26) بحثا حاولت من خلالها رصد الممارسات الاجتماعية المرتبطة بالانترنت، وعلاقتها بتغير الهويات والروابط في المجتمعات المغاربية سعت من خلاله إلى إبراز دور شبكة التواصل الاجتماعي فايسبوك في تعزيز الرابط الاجتماعي بين الجماعات المهاجرة عبر تحليل مضمون الصفحات الشخصية لمستخدمين من ذوي الاهتمامات المشتركة من الأقليات المهاجرة، حيث اتجهت إلى بحث عناصر الهوية المستخدمة للتعريف بنفسها.

وعليه استطاعت الدراسة أن تكشف عن وجود ثلاثة نماذج من الهويات الافتراضية وهي:
هوية متجذرة: تضم الأقلية المهاجرة التي تعتن بأصولها وتفتخر بعرض ذلك عبر صفحات موقع التواصل الاجتماعي face book.

هوية ثنائية القطب: تتشكل ضمنها أقلية مهاجرة تعبر عن ارتباطها العميق وانتمائها للوطن الأم، والبلد المستقبل في نفس الوقت.

هوية عالمية: تتقبل كل الثقافات العالمية ومتفتحة عليها (27).

وتجدر الإشارة إلى الانتقال الحاصل للهوية من هوية مغلقة إلى هوية متحركة لتصل إلى حد هوية هجينة على حد تعبير الباحثة.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

كما تبين الباحثة أن الروابط الاجتماعية التي جرى تعزيزها عبر الشبكة لا تخفي حقيقة التغييرات التي تعرفها الممارسات الهوياتية بفعل سهولة التواصل والتفاعل عبر الفضاء الافتراضي والتي تترجم مظاهر الاستيطان الهوياتي في فضاء ثقافي كوني يساهم بطريقة أو بأخرى في إعادة هيكلة الذات الجماعية ليتأكد لنا من جديد تلك التأثيرات (28).

من أخلاقيات العالم الافتراضي، أنه لا يكفي المستخدم أن يكون مجرد مستهلك للمواد المنشورة على الشبكة أي كان موضوعها، ولكن عليه أن يكون أيضاً منتجاً لها من خلال المشاركة والتعليق على ما يقرأه، فهو مجتمع تفاعلي بكل المقاييس. لهذا، بدأت تتبلور تخصصات اجتماعية جديدة، تهتم بدراسة أنماط تفاعل المستخدمين وأنماط شخصياتهم واهتماماتهم ودورها في تشكيل ثقافة المجتمع وتنميتها (29).

3 - 2 المجتمع الافتراضي:

يتخذ المجتمع الافتراضي سمات متميزة تجعله فضاء مثالياً للتواصل خاصة بالنسبة إلى الأجيال الشابة التي أضحت الثقافة الرقمية المرتكزة على الصورة تشغل حيزاً مهماً من حياتها بكل ما تحمله من رموز ودلالات، قواعد التواصل والتبادل، وعلاقات اجتماعية وجماعات افتراضية، التي أوجدت نطماً جديدة لإثبات الذات بعد أن أصبح جزء من الحياة الاجتماعية للفرد حياة رقمية بامتياز، ما انعكس على ثقافة الشباب، وبخاصة كونهم الشريحة الأكثر تأثراً بفاعلياتها، والتي أضحت أكثر ارتباطاً به ما أثر في تصوراتها واتجاهاتها في الواقع (30).

يعد المجتمع الافتراضي بمثابة تجمعات اجتماعية، تنشأ من الشبكة حين يستمر أناس بعدد كاف في مناقشتهم علنياً لوقت كاف من الزمن بمشاعر إنسانية كافية لتشكيل شبكات من العلاقات الشخصية في الفضاء السيبراني (31).

أما الباحث الاجتماعي نديم منصور، فيعرف المجتمع الافتراضي بأنه مجموعة من الأفراد الذين يتشاركون عبر شبكة الانترنت، لفترة زمنية لتحقيق غاية أو هدف أو هواية، من خلال علاقة اجتماعية افتراضية تحدها منظومة تكنو - اجتماعية.

التفاعل داخل المجتمع الافتراضي يأخذ صوراً مختلفة، فيمكن القول أن علاقات الفاعلين الاجتماعيين الافتراضيين تتحدد درجات ارتباطها ومدى استمراريتها بحسب طبيعة القيم المشتركة بينهم إذ يمكن استخلاص تعريف للمجتمع الافتراضي من التعاريف السابقة للمختصين بأنها جماعات افتراضية يتفاعل أفرادها ضمن سياق ثقافي محدد زمنياً وأهداف مشتركة، لإشباع حاجات نفسية اجتماعية تترتب عنها علاقات افتراضية تفرضها حدود التلاقي بين العالمين الافتراضي والواقعي.

إن المجتمع الافتراضي يبدأ بتحديد المجتمع (الفئة العمرية، النوع، الطبقة ...) توضيح أهدافه ومخططاته (أهداف ثقافية، اجتماعية، سياسية...)، يستمر في مراحل متعاقبة يزداد من خلال مشاركة الأعضاء وحضورهم الاتصالي زيادة الأعداد وحجم المشاركين، يتم ذلك من خلال العديد من الأنشطة (عرض صور، وضع تعليقات، رسوم، تفاعلات ...) للوصول إلى التمثيل التنظيمي (32).

4 - 2 الوجود الافتراضي:

يتشكل من خلال الحضور المستمر للفاعل الافتراضي على الفضاء الافتراضي بهويات خاصة مميزة ودائمة من خلال ما يلي:

- برونه كفاعل أو متفاعل أثناء عمليات التواصل عبر الشبكة من خلال المشاركة، والتعليق والتعقيب، وليس مجرد مترقب أو ناقل لمعلومة فحسب.
- وتيرة استخدام التواصل المتزامن الفوري وغير المتزامن على الشبكة، ذلك أن طبيعة التواصل عبر الشبكة، تستلزم الردود والاستجابات الفورية على الشبكة، والتي تغير منطق التواصل.
- طبيعة الآثار التي يخلفها وراءه على صفحته بعد لحظة التواصل.
- حجم الاطلاع والاستجابة والردود التي تحظى بها صفحته على الشبكة.
- درجة ارتباط المستخدم بهويته الافتراضية من خلال التحديثات التي يجريها على الصفحة، ويتقاسمها مع أصدقاء الصفحة، وعلاقة ذلك بممارساته الواقعية (33).

إن الحضور الافتراضي يرتبط أساسا بالحضور الاجتماعي، الأمر الذي تؤكد العلاقات التي أصبحت تتخذ طابع العلاقات الاجتماعية الافتراضية وهو ما أشار إليه المختصون في هذا المجال من بينهم ما جاء به الدكتور نديم منصور في كتابه سوسيولوجيا الانترنت الذي يؤكد على ثنائية الحضور الافتراضي والانقطاع الافتراضي كحالتين متلازمتين، تعبران عن حدود التلاقي بين المجتمعين الافتراضي والواقعي.

3 - التحول القيمي نحو الافتراضي:

تعرف القيم بأنها تصورات توضيحية لتوجيه السلوك في الموقف، تحدد أحكام القبول والرفض وتتبع من التجربة الاجتماعية وتتوحد بها الشخصية، وهي عنصر مشترك في تكوين البناء الاجتماعي والشخصية الفردية، فهي من مكونات الموقف الاجتماعي، لأنها تتضمن نظام الجزاءات المرتبط بنظام الأدوار في البناء الاجتماعي، كما أنها تكون جزء من لب الشخصية الاجتماعية، لأنها حصيلة أو نتاج عملية التنشئة الاجتماعية، والقيم قد تكون واضحة تحدد السلوك تحديدا قاطعا، أو غامضة متشابهة تجعل الموقف ملتبسا مختلطا (34).

بعد عصرنا هذا عصر التطورات التكنولوجية والانفتاح الثقافي وعصر التحولات العميقة والمتسارعة التي تقوم أساسا على المعرفة العلمية واستخدام المعلومات المتدفقة بمعدلات سريعة.

لقد أحدثت مميزات وخصائص هذا العصر تغيرات عميقة في تمثيلات الأفراد اتجاه أدوارهم وتفاعلهم الاجتماعي كما غيرت طرائق تعاملهم مع الأحداث كما تغيرت المعايير ليصبح مقياس تطور الفرد وحضارته هو مدى اندماجه في الحضارة العالمية والأخذ بمعطيات الثورة المعلوماتية ولعل ابرز جوانب هذه الأخيرة هو ذلك الخاص بالتطورات الهائلة لعالم الحاسوب فهو يزداد سرعة وكفاءة وتخصصا وانتشارا حيث انتقل من المغناطيسي إلى الضوئي إلى الرقمي، ومن الثابت إلى المتحرك.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

قلصت التكنولوجيا الحديثة لوسائل الإعلام والاتصال والفضاء الافتراضي المسافات بين المجتمعات وذوبت الحدود الجغرافية، أرست خدمات كثيرة ومتنوعة، سرعتها فائقة وجودتها عالية نشرت الثقافات ودعمت المعتقدات، أدى استخدامها إلى تغيير بعض القيم الاجتماعية كقيمة العلاقات الأسرية والقرابية، وقيمة الانتماء والاندماج الاجتماعي الأمر الذي أثر في تشكيل وبناء المجتمع باعتباره نسق تحكمه معايير قيمية.

تحول الفرد بفعل اندماجه في الفضاء الافتراضي وتواجده الدائم والمستمر فيه من كائن اجتماعي إلى كائن رقمي حيث نتج عن ذلك عزله وتفكك روابطه الاجتماعية وتراجع علاقاته، فحصول الفرد على متطلباته إلكترونياً من دون حاجة إلى تواجده ضمن إطار اجتماعي دفع به إلى الانعزال تدريجاً من المجتمع البشري لينصهر ضمن المجتمع الإلكتروني، هذه العزلة ولدت لدى الفرد اغتراباً عن الواقع الاجتماعي.

إن ارتباط الكائن الاجتماعي بعلاقات مع مجموعات افتراضية وقضائه لجميع متطلبات حياته عدا البيولوجية منها على صفحات المجتمع الافتراضي أدى إلى تحوله إلى كائن رقمي تتحدد أبعاد هويته بمدى تغذيته لصفحة على مواقع التواصل الاجتماعي وتشتتها بالانتقال داخل الفضاء الافتراضي.

تتولى الهوية الافتراضية عملية تنشئة نفسها بالانتقال المستمر داخل الفضاء الافتراضي الذي يكون كحيز لتبادل قيم مختلفة وليدة أنساق ثقافية متباينة، ما يجعل الهوية الافتراضية طرفاً في عملية تفاوض قد تدعم خصائصها أو تكسبها دلالات مختلفة، كل هذا يتشكل حسب قدرة الفرد على المحافظة على العناصر الأساسية المشكلة لخصائص هويته، وقدرته على المراوغة لتجنب آليات الهيمنة التي قد يتعرض لها في الفضاء الافتراضي خاصة إذا أخذت عملية التواصل الإلكتروني طابع التفاعل.

الخلاصة:

إن تصنيف المختصين لنماذج وخصائص الهوية الافتراضية في المجتمع الافتراضي يتطلب منا الأخذ بعين الاعتبار ما يستوجب على الهوية التصريحية فعله من الإفصاح على كل البيانات الشخصية والتي يصرح بها المستخدم، وكذا مختلف نشاطاته حسب ما تستوجه الهوية النشطة من منشورات على الصفحة والتي تحدد مواقفه وملامح هويته الافتراضية، وما تتميز به عن الآخرين، كما أن الهوية الرقمية تتأثر بدرجة اندماج المستخدم في المجموعات الافتراضية ذات الاهتمام المشترك بالإضافة إلى استجابته على الصفحة، سواء كفاعل أو متفاعل أو منفعل أو مجرد ناقل لمعلومة أو مترقب لها، ذلك أن طبيعة تفاعله في الصفحة ومواقفه، تحدد وجوده في المجموعات الافتراضية، أخذاً بعين الاعتبار معدل استخدامه تردده اليومي على صفحات المجتمع الافتراضي، على اعتبار أنه كلما زاد حضور المستخدم زادت حاجته إلى عرض الذات، وتبادل المعلومات مع المجموعات ذات الاهتمام المشترك.

هوامش الدراسة:

- 1- د . عبد الرحيم العطري، إحتتمالات التحول القيمي - صيغ التفاوض والترمييق، الحوار المتمدن، 2015.
- 2- لاروس 2012، ص 406.
- 3- لسان العرب لابن منظور، [376-375/15]، دار صادر، بيروت - لبنان.
- 4 - J . P BLOCH , IDENTITY THIEF, KINDLE EDITION, 1992, P 295
- 5 - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، المنوفية، مكتبة الصحوة ، ص 1039.
- 6 - Jean-Paul Sartre, L'Être et le Néant, EDITION GAILIMARD, 1943, p 89.
- 7- pierre tap, identité, style personnel et transformation des rôles sociaux, 1987, p 59
- 8 - pierre tap, identité, style personnel et transformation des rôles sociaux, 1987, p 59.
- 9- محمد عبد الجابري، المنهاج التجريبي وتطور الفكر العالمي، دار الطليعة بيروت، الطبعة الثانية، 1982، ص 722.
- 10 - د . فتيحة كركوش، إشكالية بناء الهوية النفسية الإجتماعية- دراسة تحليلية نقدية، مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية، العدد 16، 2014.
- 11- محمد شريف عبد الرحمان: " الهوية الثقافية لطلاب الجامعات الخاصة في ظل العولمة"، دار الهدى للنشر والتوزيع، مصر 2008، ص 59.
- 12 - روزنتال و ب. يودين. الموسوعة الفلسفية. ترجمة سمير كرم. دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 4 بيروت، لبنان، ص 564، 565.
- 13 - بومهرة ، نور الدين، الجزائر والعولمة، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 2001، ص 212 .
- 14 - محمد صالح الهرماسي: مقارنة في اشكالية الهوية: المغرب العربي المعاصر، ط2، دار الفكر، دمشق سوريا، 2002، ص26.
- 15- بومهرة ، نور الدين، المرجع السابق، ص 212.
- 16 - هارلمبس وهولبورن، سوسولوجيا الثقافة والهوية، ترجمة: حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2010 ص 93.
- 17 - عزمي بشارة، واقع وفكرة المجتمع المدني، قراءة شرق أوسطية. - إشكاليات تعثر التحول الديمقراطي في الوطن العربي. مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية. - رام الله، 1997 - ص 391
- 18 - العياشي عنصر، ماهو المجتمع المدني، مجلة إنسايات، 2001.
- 19 http://www.webopedia.com/TERM/V/virtual_identity.html

- ²⁰ - بايوسف مسعودة، الهوية الافتراضية، الخصائص والأبعاد - دراسة استكشافية على عينة من المشتركين في المجتمعات الافتراضية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، عدد خاص الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ص 470
- ²¹ - كلثوم ببيمون، السياقات الثقافية الموجهة للهوية الرقمية في ضوء تحديات المجتمع الشبكي، من التداول الافتراضي إلى الممارسات الواقعية مجلة إضافات، العدد 33، ص 77
- ²² - كلثوم ببيمون، السياقات الثقافية الموجهة للهوية الرقمية في ضوء تحديات المجتمع الشبكي، من التداول الافتراضي إلى الممارسات الواقعية مجلة إضافات، العدد 33، ص 72
- ²³ - المرجع السابق، ص 73
- ²⁴- Fanny Georges, Les composantes de l'identit_e dans le web 2.0, une etude semiotique et statistique 2008, p 4
- ²⁵ Fanny Georges, Les composantes de l'identit_e dans le web 2.0, une etude semiotique et statistique 2008, p 5
- ²⁶ - Sihem NAJAR, sociologue tunisienne, Professeur de l'enseignement supérieur en Sociologie
- ²⁷ - Sihem najar, Les pratiques sociales de l'Internet et les transformations des identités et des liens sociaux au Maghreb, revue géographique des pays méditerranéens, 2011.
- ²⁸- كلثوم ببيمون، السياقات الثقافية الموجهة للهوية الرقمية في ضوء تحديات المجتمع الشبكي، من التداول الافتراضي إلى الممارسات الواقعية مجلة إضافات، العدد 33، ص 74.
- ²⁹- د. عبد الغني عماد، الأنفوميديا والإعلام الشبكي وإشكالية الهوية، مركز نقد وتنوير للدراسات الإنسانية، أبريل 2016 ص 20.
- ³⁰- كلثوم ببيمون، السياقات الثقافية الموجهة للهوية الرقمية في ضوء تحديات المجتمع الشبكي، من التداول الافتراضي إلى الممارسات الواقعية مجلة إضافات، العدد 33، ص 75
- 31- Rheingald Howard, les communauté virtuelles, addition-Wesley France, paris 1995, p 2**
- ³²- كلثوم ببيمون، السياقات الثقافية الموجهة للهوية الرقمية في ضوء تحديات المجتمع الشبكي، من التداول الافتراضي إلى الممارسات الواقعية مجلة إضافات، العدد 33، ص 76 .
- ³³- المرجع نفسه، ص 77.
- ³⁴ - مرعي توفيق وآخرون، الميسر في علم النفس الاجتماعي، دار الفرقان، ط2، عمان، 1984م، ص 216، 217.

آليات ضمان جودة تدريس علوم اللسان

Mechanisms of Guaranteeing the Quality of Teaching the Language Sciences

الطالبة: لعدي سليمة

جامعة بجاية

الأستاذة المشرفة:

الدكتورة قصري خيرة

Laidi.salima@gmail.com

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى التعرف على آليات ضمان جودة تدريس علوم اللسان، من خلال التركيز على العناصر التعليمية التالية: المحتوى التعليمي، الوسائل التعليمية وطرائق التدريس، حيث يمكن عرض كل عنصر بمثابة آلية من آليات ضمان جودة التدريس.

وحاولنا في دراستنا تحديد بعض الإجراءات القابلة للتنفيذ لتحقيق الآليات المقترحة، وتنبيه الجهات المعنية بضرورة تطبيقها قصد النهوض بالتعليم نحو مستوى أفضل وتحقيق جودة الخريج.

Abstract :

This article aims at shedding light on the mechanisms that are supposed to guarantee the efficient teaching of language sciences. As being efficient teaching mechanisms, the content of instruction as well as the teaching methods and aids are presented as the focal points of our study.

We attempted in this study to provide some practical recommendations to fulfil the good functioning of those mechanisms. We attempted also to raise the awareness of the concerned authorities about the importance of the mentioned mechanisms to improve both the quality of teaching and the level of our graduates.

تقديم:

يتناول هذا المقال موضوعا واسعا وبالغ الأهمية لا يزال في بؤرة اهتمام العديد من الباحثين، وهو موضوع ضمان جودة تدريس علوم اللسان. وقد اهتمت الدول المتقدمة بموضوع ضمان الجودة، وسعت إلى اكتشاف الجوانب السلبية في التدريس بهدف إحداث تغيير نوعي، ومواكبة التطورات لتحقيق الجودة والتميز وتحسين الأداء في كافة العمليات التعليمية.

وحيث إن معظم المؤسسات التعليمية لم تصل بعد إلى المستوى المطلوب من الأداء، فعملية التدريس تحولت في كثير من الكليات والأقسام إلى ممارسة شكلية، لا تقوم على أسس نوعية بهدف تحقيق تقدم وتحسن في مستوى الطالب، كما أنها -الكليات- لا تبحث في سياسات وإجراءات مناسبة لوضع محتويات جديدة، وتطوير أجهزة التدريس لتغيير الطرائق، فهذا المقال يهدف إلى إثارة الاهتمام بموضوع ضمان جودة تدريس علوم اللسان، والإسهام في بناء آليات له، ووضع مجموعة من الإجراءات القابلة للتطبيق في المحتويات التعليمية، ووسائل تنفيذه وطرائق تدريسه، بهدف تطوير تدريس علوم اللسان بصفة خاصة والتدريس الجامعي بصفة عامة.

فآليات ضمان جودة تدريس علوم اللسان متعددة، تشمل كل عناصر العملية التعليمية بما فيها: تحقيق جودة هيئة التدريس، تحقيق جودة الطالب، تحقيق جودة المؤسسة، تحقيق جودة تقييم الطلاب... إلخ)، ومتى سعت الكليات والأقسام لتحقيقها وتطبيق إجراءاتها، فسُحِّدَتْ تحولا جذريا في نمط التدريس، وتنقله من الاتجاه التقليدي إلى الاتجاه الحديث. وسنركز في هذا المقال على الآليات التالية:

- تحقيق جودة المحتوى التعليمي
- تحقيق جودة الوسائل التعليمية
- تحقيق جودة طرائق التدريس.

1- إشكالية الدراسة:

إن المشكلة الأساسية التي تواجه الجامعات والمؤسسات التعليمية متمثلة في كيفية ضمان التحسين المستمر، من خلال استغلال قدرات ومهارات العاملين، والاهتمام بالمحتويات التعليمية وتحديثها وتجديدها، وتغيير أساليب التدريس واستيعاب التقنيات الحديثة والمتجددة لتقديم تدريس أفضل وتحقيق أهداف المؤسسة الجامعية.

لذا يعدّ موضوع ضمان جودة تدريس علوم اللسان من المواضيع الرئيسية التي يجب أن تولي لها الجامعات اهتماما رئيسيا قصد تحقيق التحسين والتميز، ولن يكون ذلك إلا بالبحث عن الآليات التي تضمن جودة التدريس، وفي هذا الصدد يتبادر إلى أذهاننا طرح التساؤل التالي: ما هي آليات ضمان جودة تدريس علوم اللسان؟

2- أهداف الدراسة:

تكمن أهداف الدراسة في النقاط التالية:

- كيفية ضمان جودة تدريس علوم اللسان، عن طريق البحث عن آلياته ، وذلك بتسليط الضوء على آلية تحقيق جودة المحتوى التعليمي، آلية تحقيق جودة الوسائل التعليمية، آلية تحقيق جودة طرائق وأساليب التدريس.
 - البحث عن الإجراءات القابلة للتطبيق في كل آلية لضمان جودة تدريس علوم اللسان.
 - نشر ثقافة ضمان جودة عناصر العملية التعليمية التعلمية.
 - مجموعة توصيات يمكن أن تساهم في عملية التحسين المستمر.
- ## 3- تحديد مفاهيم الدراسة:

3-1- مفهوم ضمان الجودة:

لقد اختلفت التعاريف المرتبطة بمصطلح ضمان الجودة من عالم إلى آخر، وذلك لاختلاف وجهات نظرهم اتجاه هذا المفهوم، رغم إدراكهم دوره الفعّال في تحقيق التطور والتفوق في الخدمة المقدمة من طرف المؤسسات سواء التعليمية أو الصناعية، ومن تعاريف ضمان الجودة نذكر:

- ضمان الجودة هي "عملية مستمرة ونشاط منظم لقياس الجودة طبقا لمعايير قياسية بغرض تحليل أوجه القصور المكتشفة واتخاذ الإجراءات اللازمة لتحسين وتطوير الأداء ثم قياس الجودة مرة أخرى لتحديد مدى التحسن الذي تحقق بغرض التأكد من الامتثال للمواصفات أو المتطلبات أو المعايير، كما يشمل ضمان الجودة وضع المعايير وإبلاغها وتحديد المؤشرات اللازمة لرصد الأداء والامتثال للمعايير.⁽¹⁾

- ضمان الجودة هي "الوسيلة للتأكد من أنّ المعايير الأكاديمية، المستمدة من رسالة الجهة المعنية، تمّ تعريفها وتحقيقها بما يتوافق مع المعايير المناظرة لها سواء قوميا أو عالميا، وأن مستوى جودة فرص التعلم والأبحاث والمشاركة المجتمعية تعتبر ملائمة وتستوفي توقعات مختلف أنواع المستفيدين من هذه الجهات⁽²⁾.

"فضمان الجودة مفهوم متعدد الأبعاد يشمل جميع وظائف وأنشطة التعليم العالي: التدريس، البرامج الأكاديمية، البحث العلمي، العاملين بالمؤسسة، الطلاب، المباني، التجهيزات المادية، الخدمات المصاحبة للعملية التعليمية والخدمات المجتمعية⁽³⁾، فضمان الجودة لا يتحقق عن طريق التركيز على عنصر أو نشاط دون آخر، وإنما يتحقق بتضافر واجتماع كل وظائف وأنشطة التعليم العالي، أي ضرورة إقامة أنساق من العلاقات مع كافة الأطراف المعنية بالجامعة.

3-2- مفهوم التدريس:

الديداكتيك مشتقة من الكلمة الإغريقية (Didaskein) ومعناها التعليم⁽⁴⁾، علم أو تعلم من أجل أن يتكوّن، وقد كانت الكلمة تدل على ضرب من الشعر التعليمي الذي كان يهدف إلى تسهيل التعلم عن طريق حفظ المعلومات المنظومة شعرا، كالمنظومات النحوية والفقهية⁽⁵⁾، أي كلمة التعليمية تطلق على نوع من الشعر التعليمي الذي يتناول شرح

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

معارف علمية تنظم شعرا، وكما نعلم أنه بالشعر يمكن "تذوق النصوص الفنيّة عن طريق جعل المتعلّم حساسا لموسيقى الشعر، للإيقاع اللفظي، للوزن في صورة عامة، للتوازن اللفظي، وللقفية"⁽⁶⁾ كل هذه العناصر تساهم في حفظ المعلومات والمعارف وبالتالي تسهيل تعليم العلوم مثل الألفيات في التراث العربي، بالإضافة إلى أنّ الشعر يحمل نوعا من الفنيّة، إذن فقد ارتبطت التعليمية بفنيّة الشعر التعليمي أي فنيّة التعليم.

أما في العصر الحديث، فقد انتقل مفهومها من الجانب الفنّي إلى الجانب العلمي وأصبح ذلك العلم الذي يهتم بالطرق والوسائل التي تساعد على تعليم اللّغة سواء كانت لغة المنشأ (لغة أصلية) أو لغة أجنبية⁽⁷⁾.

أما عن تعاريف التعليمية فقد اختلفت لانطلاقها من عدّة زوايا، فهناك من يركز على جانب المتعلّم، وهناك من يركز على المعلم، وآخرون يعرفونها بأخذ بعين الاعتبار المحتوى التعليمي، لكننا نركز على التعريف الذي قدّمه محمد الدريج في كتابه علم التدريس تحليل العملية التعليمية لشموله مختلف عناصر العملية التعليمية حيث يقول: "نقصد بعلم التدريس الدراسة العلمية لطرق التدريس وتقنياته ولأشكال تنظيم مواقف التعلم التي يخضع لها التلميذ قصد بلوغ الأهداف المنشودة، سواء على المستوى العقلي أو الوجداني أو الحسي-الحركي"⁽⁸⁾.

فعلم التدريس يركز على كل النشاطات التي تحصل داخل قاعة التدريس بين المدرس وطلابه وعلى الظواهر المتفاعلة التي تخص عملية التعليم قصد تحقيق الأهداف المنشودة، وهذا ما أكدّه بشير ابرير في مقاله تعليمية الخطاب العلمي حيث أبرز أنّ التعليمية تعني "الدراسة العلمية لطرائق التدريس وتقنياته، ولأشكال تنظيم حالات التعلم التي يخضع لها المتعلّم بغية تحقيق الأهداف المنشودة، سواء على المستوى العقلي أو الحسي الحركي"⁽⁹⁾، وقد عرفها ميلاري بأنّها "مجموعة طرائق وأساليب وتقنيات التعليم"⁽¹⁰⁾. فمن هذه التعاريف وغيرها نستشف أنّ التعليمية ترتبط بمختلف الظواهر التي تخص عملية التعليم فتخطط للأهداف التعليمية، وتدرس التفاعل بين العناصر الثلاثة، كما تهتم بدراسة الوسائل التعليمية وطرائق التدريس المساعدة على تحقيق تلك الأهداف.

3-3- علوم اللسان:

عرفت علوم اللسان عدّة دراسات واهتمامات منذ العصور القديمة، بدء من الجرجاني الذي حدّدها في اثني عشرة علما، جعل منها أصولا وفروعا، منها ما يختصّ بالمفردات كعلم اللغة والصرف والاشتقاق، ومنها ما يختصّ بالمركبات كعلم النحو والخط وقرض الشعر، وانتهاء بالقلقشندي الذي يحدّدها في عشرة علوم منها علم اللغة، علم الصرف، علم البديع، علم العروض، علم القوافي، علم الخط، علم البيان... ولقد حدّد ابن خلدون علوم اللسان في أربعة فروع وهي: علم اللغة، علم النحو، علم البيان، علم الأدب⁽¹¹⁾.

ولقد جاء في المقتضب أنّ علوم اللّغة عبارة اثني عشر علما مجموعة في قوله:

"نحو وصرف عروض ثمّ قافية وبعدّها لغة قرض وإنشاء
خط بيان مع محاضرة والاشتقاق لها الآداب أسماء"⁽¹²⁾

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

كما نجد أنّ علوم اللغة متمثلة أيضا في اللسانيات الاجتماعية، اللسانيات التطبيقية، اللسانيات النفسية... الخ أي ارتباط اللسانيات بالعلوم الإنسانية، إذ إنّ "علم اللغويات وثيق الصلة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، وعلم النفس وعلم الاجتماع والتربية والأنثروبولوجيا والفلسفة وغيرها..."⁽¹³⁾.

3-4- الجودة: المحتوى التعليمي، الوسائل وطرائق التدريس:

تتمثل جودة المحتويات التعليمية في توفر خصائص معينة فيها ووضوح غايتها وإمكانية تحقيقها وواقعيتها في تلبية رغبات المستفيدين (الطلاب، أولياء الأمور، المجتمع)، إلى جانب الاهتمام بجودة الطرائق والوسائل التعليمية⁽¹⁴⁾ التي تتمثل في "استعمال التقنيات المناسبة التي تتيح المناخ الابتكاري للطلاب من خلال المناقشة والحوار، وإعطاء فرصة أن يكون الطالب إيجابيا نشطا"⁽¹⁵⁾، كل هذه العناصر التعليمية يجب أن تكون أولويتها دائما العمل على تحقيق التحسن المستمر في عملية التدريس الموجهة إلى تحقيق التحسن في قدرات ومهارات الطلاب.

5- آليات ضمان جودة تدريس علوم اللسان:

في إطار مكونات ضمان الجودة وتحديث التدريس وتحقيق الأهداف نتيجة الاهتمام بالجودة، فإنه يمكن عرض كل مكون من تلك المكونات بمثابة آلية من آليات تحقيق الجودة، كما سيتم تحديد بعض الإجراءات القابلة للتنفيذ لتحقيق كل آلية من الآليات المقترحة.

وسنقتصر في هذا المقال على الآليات التالية:

- الآلية الأولى: تحقيق جودة المحتوى التعليمي
 - الآلية الثانية: تحقيق جودة الوسائل التعليمية
 - الآلية الثانية: تحقيق جودة طرائق وأساليب التدريس
- وفيما يلي نقدم شرحا مختصرا لكل آلية، مع إبراز إجراءات تحقيق كل منها.

5-1- الآلية الأولى: تحقيق جودة المحتوى التعليمي

وذلك من خلال الإجراءات التالية:

- الإجراء الأول:

تعديل اللوائح التي مضى عليها أكثر من ربع قرن، ومراجعة المقررات الحالية ومسمياتها وحذف ما أثبت التطبيق أنها ضعيفة الفعالية في تكوين الشخصية المهنية للطلاب، وتنقية محتوى المقررات التي يلزم بقاؤها من الحشو وتحديثها في ضوء ما توصلت إليه العلوم التأسيسية والمساعدة وما تراكم من التراث المعرفي للعملية التعليمية بعناصرها المتعددة في ارتباطها بالظروف المحلية ومتطلبات سوق العمل⁽¹⁶⁾. ويمكن أن يتم ذلك من خلال قيام أقسام الكليات بإعداد ملف لكل مقرر بمسماه ومحتواه ومراجعة هذا المحتوى دوريا حتى يكون أساسا للالتزام عضو هيئة التدريس به، خاصة في حالة تغير أستاذ المقرر.

- الإجراء الثاني:

الاهتمام بعلوم المستقبليات والحاسوب وتطبيقاته ونظم المعلومات واللغة وغير ذلك مما أفرزه الانفجار المعرفي العالمي وما وصلت إليه الإنسانية من تقنيات حديثة، مع الاهتمام بالثقافة العامة للطالب بما يحقق لديه توازنا بين ما يتعرض له من تأثيرات متعارضة في أحيان كثيرة نتيجة الثقافات السائدة والوافدة، بما يسهم في ترسيخ وتأسيس هويته الثقافية⁽¹⁷⁾.

- الإجراء الثالث:

مراجعة محتوى المناهج الدراسية في إطار خطة واحدة للتخصصات الدقيقة، ووضع إطار منهجي للمحتويات ونظم تطويرها في ضوء أهدافها، بحيث يتم تحديثها بصورة دورية عن طريق لجان متخصصة على أعلى مستوى⁽¹⁸⁾، أي "ضرورة اشتراك متخصصون في تصميم المنهج"⁽¹⁹⁾ نقطة إيجابية، مع متابعة التزام أعضاء هيئة التدريس بالمحتوى المتفق عليه ضمانا لتحقيق مستوى جودة أفضل، على أن يستند التطوير والتحديث إلى نتائج البحوث والدراسات التطبيقية، مع مراعاة التدرج في محتوى المقررات الممتدة خلال السنوات الدراسية، وأن تهتم تلك المقررات مع غيرها من المقررات بحاجات ومشكلات الطلاب أثناء فترة الدراسة ومرحلة إعدادهم وحاجاتهم بعد التخرج لمساعدتهم على ممارسة عملهم⁽²⁰⁾.

- الإجراء الرابع:

أن يراعى في المناهج التعليمية تلبية ومواجهة التحديات الجديدة وتزويد الطلاب بالمعرفة المعاصرة والمعلومات الحديثة لتلبية المهام المهنية، وأن تتوفر تلك المناهج على كافة المعارف المتعلقة بالجوانب التربوية والأخلاقية⁽²¹⁾.

5-2- الآلية الثانية: تحقيق جودة الوسائل التعليمية:

تتحقق جودة الوسائل التعليمية من خلال الإجراءات التالية:

5-2-1- إجراءات خاصة بأجهزة التدريس:

- أن تتوفر أجهزة حاسوب والعرض وبرمجيات مناسبة، وأن تكون متاحة للأساتذة لتساعدتهم أثناء عملية التدريس، وأن تكون متوفرة في جميع نواحي المؤسسة⁽²²⁾.

- أن توفر الجامعة أو القسم الدعم اللازم لأعضاء هيئة التدريس المستخدمين لتقنيات المعلومات والاتصالات⁽²³⁾.

- أن تتاح الفرص لهيئة التدريس لتقديم آرائهم فيما يتعلق بخطط شراء الأجهزة الحاسوبية والبرمجيات في المؤسسة، وصيانتها واستبدالها، وأن تُقام دورات تدريبية لكل الأساتذة والموظفين بما يضمن الاستخدام الفعال لأجهزة الحاسوب والبرمجيات المناسبة في مجال التدريس⁽²⁴⁾.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- أن تكون مقتنيات المؤسسة من أجهزة وأدوات ومصادر المعلومات كافية وفعالة لدعم البرامج التعليمية⁽²⁵⁾.

- أن يتم تحديد مصادر المعلومات والخدمات بناء على طبيعة البرامج الأكاديمية، وأن تكون تلك المصادر والخدمات فعّالة، من حيث النوعية، والتنوع، والحدّاث، لتكون قادرة على دعم تلك البرامج⁽²⁶⁾.

5-2-2- إجراءات خاصة بالمكتبة:

تتمثل في النقاط التالية⁽²⁷⁾:

- دعم مكاتب الكليات بالمراجع والدوريات العلمية المحلية والدولية، وتحديث محتوياتها بما يسهم في توفير المعلومات التي يحتاجها الأساتذة والطلبة.

- توفير قاعات مجهزة للقراءة، وتجهيز المكتبة بما ييسر عليهم تصوير الأجزاء المسموح بها لسهولة الاستفادة منها.

- تنظيم مواعيد عمل المكتبة بما لا يتعارض مع أوقات دراسة الطلاب، أو تدريبهم حتى يتسنى لهم متابعة ما يريدون، مع تزويد المكتبة بالعاملين المؤهلين لإرشاد الطلاب لسهولة حصولهم على المراجع المطلوبة.

- تزويد المكتبة بنسخ "ميكروفيلم" من رسائل الماجستير والدكتوراه وبحوث الأساتذة، وأجهزة العرض لإمكانية الرجوع لها كأساس تعليمي للطلاب والأساتذة، وعامل مساعد في إنجاز بحوثهم بدرجة أعلى من الجودة.

5-3- الآلية الثالثة: تحقيق جودة الطرائق وأساليب التدريس:

تتحقق هذه الآلية عن طريق تحقيق الإجراءات التالية:

- **الإجراء الأول:** العمل على تغيير أساليب التدريس، والتي تعتمد على قاعة المحاضرات التي يستعين فيها الأستاذ بالسطورة أو لا يستعين في أغلب الأحيان، والتي يكون فيها الأستاذ كمحاضر، هو العنصر النشط وذلك كأساس لعمله، وذلك بإتاحة المناخ الابتكاري للطلاب من خلال المناقشة والحوار والتركيز على القدرات التحليلية والتفكير النقدي وتفاعل الطلاب مع عناصر المحتوى الدراسي وعدم الاعتماد على التلقين وتخزين المعلومات بل إعطاء الطالب فرصة لأن يكون إيجابيا نشطا⁽²⁸⁾، ولن يكون كذلك إلا باتباع الطريقة التالية:

طريقة المناقشة:

تعتبر من الطرائق الناجحة أثناء التدريس، لأنها " تشجّع الطلاب على المشاركة بفاعلية من خلال تفاعل لفظي بين الطلاب أنفسهم أو بين الأستاذ وأحد الطلاب أو جميعهم من أجل اكتساب معلومات ومهارات واتجاهات مرغوب فيها "⁽²⁹⁾ حيث تجعل الطالب مركز الفعالية بدل المدرس، وفي هذا فهي تتصاع للفكرة التربوية الحديثة التي تؤكد على أنّ مركز الجاذبية في المجال التعليمي يجب أن يكون الطالب، وهذا الأمر يتوقف على المدرس الماهر، فهو الذي يستطيع حمل طلابه على أن يفكروا ويسألوا ما شاء لهم أن يسألوا منه، بحيث لا يشعرون بأيّة هيمنة رسمية للمدرس على الصف⁽³⁰⁾.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

وهذه الطريقة تقوم في جوهرها على الحوار، حيث يعتمد المدرّس على معارف المتعلّم وخبراتهم السابقة مستخدماً الأسئلة المتنوّعة وإجابات التلاميذ لتحقيق أهداف درسه. وهي اجتماع عدد من العقول حول قضية من القضايا ودراستها دراسة منظمة، بقصد الوصول إلى رأي في موضوع القضية.

المؤشرات الواجب اتباعها لضمان فعالية طريقة المناقشة:

لضمان نجاح طريقة المناقشة يجب الالتزام بما يأتي⁽³¹⁾:

- الإحاطة التامة بموضوع الدرس وما له صلة به والتهيؤ لأيّ استفسار من الطلبة.
- إعداد الأسئلة مسبقاً وتحديد الوقت الذي تطرح فيه على الطلبة.
- أن تكون الأسئلة واضحة ولا تتحمل أكثر من إجابة وأن ترتبط بموضوع الدرس.
- الحرص على أن يكون النقاش موجهاً نحو الهدف ولا يتاح للنقاش الخروج عن الموضوع.
- إشراك جميع الطلبة، وسماع جميع الآراء بتقدير واهتمام.
- حث الطلبة وتشجيعهم على النقاش والمشاركة في إبداء الرأي.
- تدريب الطلبة على العمل الجماعي والابتعاد عن النقاش غير المجدي.
- تعويد الطلاب على احترام آراء زملائهم مهما كانت ومناقشتها بعلمية وموضوعية.
- تهيئة أسئلة مثيرة وطرحها في الأوقات التي تستدعي جذب الانتباه.
- إشعار جميع الطلاب بأن مشاركتهم مهمة وتسهم في إثراء الدرس.
- إعطاء الوقت الكافي لكل كاتب للتعبير عن رأيه.
- تحديد الأدوار، أي دور الطالب ودور المدرس في الدرس.
- أن تقوم الطريقة على جهد منظم يكون التفاعل اللفظي عنصراً أساسياً فيه.

أسباب تفضيل طريقة المناقشة في التدريس:

إنّ كثيراً من البحوث التربوية والدراسات تميل إلى تفضيل طريقة المناقشة في التدريس للأسباب الآتية⁽³²⁾:

- تعتمد على المشاركة والتفاعل.
- تنمية القيم والاتجاهات والمستويات العليا في الجانب المعرفي (التحليل، والتركيب، والتقويم).
- تساعد على اكتساب مهارات الاتصال، وبخاصة مهارات الاستماع والكلام وإدارة الحوار وأنها تكسب المتعلّم أساليب النقاش وآدابه وتعوده على النظام واحترام الآراء. وأنها تتيح الفرصة للأفراد من ذوي الاستعدادات القيادية تنمية هذه الاستعدادات وصقلها.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- تساعد المتعلمين على تحليلهم لمشكلاتهم والتعامل معها، واستخلاصهم النتائج المترتبة على مناقشتهم، اتخاذ القرارات نحو ما يجب عليهم عمله، وهنا يؤدي المدرس دور القائد المساعد والمعدّل لا المستبد المملي على المتعلمين ما يجب عليهم أن يقولوه أو لا يقولوه، وأن يفعلوه أو لا يفعلوه.

إنّ طريقة المناقشة تجعل المدرس أكثر إدراكا لمدى انتباه المتعلمين وتقبلهم وعدم تقبلهم لموضوع المناقشة فيعمل على تعديله أو العدول عنه أو التعامل معه بكيفية أخرى أخذا في الاهتمام موضوع المناقشة الأساسي.

- الإجراء الثاني:

الاهتمام بتدريس حالات تطبيقية ومواقف ميدانية عن طريق الاعتماد على الأساليب التالية(33):

- ورش العمل
- التعليم الذاتي
- مجموعات البحث
- العصف الذهني
- المناقشة الجماعية.

وتستخدم هذه الأساليب في دراسة بعض المقررات، بما يحقّق استفادة أكبر للطلاب على استخدام تلك المواقف كأساس لتطوير الممارسة المهنية في المجالات المختلفة بما يؤدي إلى تنمية قدرات الطالب وبناء وصقل مواهبه، وتنشيط التعلّم الذاتي، وجعل الأستاذ ميسرا للمعرفة وليس ناقلا لها.

ونأخذ على سبيل المثال في طريقة الندوة:

طريقة الندوة:

تعتبر نوع من أنواع المناقشة(34) -ونجد هذا النوع من الطرائق في الجامعات خاصة- ويشترك فيها طرفان: الطرف الأول هو مجموعة من المختصين الذين يعرضون وجهات النظر المختلفة حول الموضوع المطروح في الندوة، حيث يقدّمون معلومات وأفكار قيّمة تعود بالفائدة على الطرف الثاني ألا وهو المستمع، لكن حتى تحقق هذه الطريقة أهدافها يجب أن تعدّ إعدادا جيّدا وتوجه على نحو سليم(35).

الإجراءات الواجب اتباعها لضمان جودة طريقة الندوة أثناء تدريس علوم اللسان:

حتى تتم هذه الطريقة بشكل مفيد وفعال، وتحقق نتائج إيجابية جيّدة يجب اتباع مجموعة من الإجراءات الآتية(36):

- تحديد أهداف الندوة.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- تحديد "نوعية المحتوى" ومظاهر النشاط والوسائل التعليمية.
- الاتفاق على أسلوب تتابع الندوة: بمعنى أن يجتمع المختصون مع رئيس الندوة ويجرى اتفاق على مجال الندوة وإطارها العام وأسلوب إدارتها، ومواضع طلب الكلمة وتحديد الزمن المخصص لمعالجة كل جانب من الندوة، فالندوة لا تتم بشكل عشوائي بل تتم في إطار منظم مع تحديد صاحب الكلمة الأولى والثانية... مع إعطاء الوقت المخصص والمحدد للتقديم، معالجة القضية المراد طرحها من طرف كل مختص.
- تعريف المستمعين المشتركين في الندوة ومجالها وخطتها، وتلقي الاستفسارات على المستمعين وتسجيلها ومناقشتها وإتاحة الفرص للجميع فيها، والتأكد من عدم إغفال أحد أو بعض الجوانب المتفقة عليها مسبقاً⁽³⁷⁾، فمن حق المستمع أن يتعرف على المختص الذي يتناقش معه في هذه الندوة، ومختلف أعماله العلمية، كما أن تحديد مجال وخطة الندوة مهم جدا حتى يتمكن المستمع من تقديم الأسئلة وتسجيلها ثم مناقشتها والإجابة عليها.
- ضرورة التعرف على الجوانب الإيجابية والسلبية بالندوة، وكذا الأهداف المحققة والمرسومة في البداية، وذلك عن طريق آراء المستمعين والتعرف على مدى التغيير الذي طرأ على الأداء⁽³⁸⁾.
- **الإجراء الثالث:** استخدام تكنولوجيا التعليم وإدخال التقنيات الحديثة والوسائل المتعددة ووسائل الإيضاح والعرض في توصيل وعرض المحتويات التعليمية، وإدخال نظام المشاريع البحثية لإكساب الطلاب القدرة على البحث وتنمية التفكير والحوار، وترسيخ مفهوم التعليم مدى الحياة تحقيقا لمستويات من الجودة لا تتحقق بالأساليب التقليدية، وفي هذا الصدد نتطرق إلى طريقة المشروع:
- طريقة المشروع:**
تعتبر طريقة المشروع من الطرائق الحديثة، إحدى المحاولات التي وضعت الأساس لبناء طرائق التعليم الحديثة⁽³⁹⁾، بالاعتماد على إدراك المعلم بأن هذه الطريقة في جوهرها متمركزة حول التلميذ، وما على المعلم إلا القيام بعملية الإشراف للتوصل إلى خطة نابع منهم وتشجيعهم على مزيد من المشاركة⁽⁴⁰⁾.
- المشروع هو "عمل ميداني يقوم به المتعلم يتسم بالعملية تحت إشراف المعلم أو المدرس على أن يكون هادفا ويقدم خدمة للمادة العلمية وأن يتم في بيئة اجتماعية، وطريقة المشروع هي أسلوب من أساليب التدريس"⁽⁴¹⁾، أي المدرس هو المشرف على الأعمال الميدانية المقدمة من طرف المتعلم على شكل مشروع باعتباره إحدى طرائق التدريس.

مجلة الآداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

"فطريقة المشروع هي إحدى الطرائق التي يقوم فيها المتعلم بنشاط ذاتي تحت إشراف المدرس، وهي تتماشى ومنهج النشاط إذ تجعل المتعلمين يحيون في المدرسة حياة طبيعية مبنية على نشاطهم الذاتي فيتعلمون عن طريق العمل"⁽⁴²⁾ فهي تعتمد على الأعمال الذاتية التي يقوم بها المتعلم بمتابعة المدرس، وتلك النشاطات الذاتية تمنح لهم روح التعلم والعمل والاعتماد على الذات. وتركز هذه الطريقة على انتقاء المتعلم لموضوع معين، ثم يتم تحديد الأفواج، وبعدها تخطيط المشروع، تنفيذه، تقويمه نقده.

خصائص ومميزات طريقة المشروع:

طريقة المشروع تعود الطالب الاعتماد على نفسه في التفكير، ويبحث بنفسه عن الجواب، مستعينا بتجاربه السابقة على التغلب على الصعوبات التي تعترضه، ولا يسمح لغيره بمساعدته إلا عند الضرورة القصوى، وهي من هذه الوجهة تعدّ للحياة الاستقلالية، ومواجهة المشكلات التي تتصل به في هذه الحياة، وتعدّ طريقة للتفكير المستقل، وإظهار مواهب الطلاب، وعلى المدرس أن يرشده إلى الطرائق الصالحة التي يمكنه الانتفاع بها علمياً، والسير معه بحسب مواهبه⁽⁴³⁾.
تجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من الطرائق يكسب الطالب القدرة على مواجهة الآخرين، والقدرة على تقديم درس مفيد بطلاقة التعبير وتوضيح أفكاره والدفاع عنها.

ملامح الجودة في طريقة المشروع:

وتبرز ملامح الجودة في طريقة المشروع في النقاط التالية⁽⁴⁴⁾:
- تتوفر على خصائص الموقف التعليمي الجيد حيث تمنح الحرية للطلبة في الاختيار والاقتراح والبحث.
- تغرس فيهم روح التفكير والبحث والإبداع والتقصي لإيجاد الإجابات لكل التساؤلات.
- القدرة على الإقناع وتقبل النقد واحترام وجهات النظر المختلفة.
- تبادل الآراء وتصحيح الأخطاء.
- تمنح فرصة التصرف الاستقلالي والإلقاء وحسن التدبير.
- تُظهر الجهد الحقيقي للتلميذ وتنمي فيه روح المسؤولية، والاعتماد على النفس في مواجهة الصعوبات والمشكلات.
- إذا كان مشروع الطالب جيداً وتقديمه كذلك، فإنّ تقدير وتثمين عمله، سيكون جيداً أيضاً، وذلك سيحفزه على العمل والبحث أكثر.
- **الإجراء الرابع:** تخفيض أعداد الطلاب بقاعات ومدرجات الدراسة، لأنّ هناك ارتباط واضح بين قلة عدد الطلاب وجودة أداء العملية التعليمية واستخدام أساليب تدريبية أفضل⁽⁴⁵⁾.

خاتمة:

يجب على المؤسسات الجامعية أن تتبنى فلسفة ضمان الجودة وتسعى للبحث عن السبل التي تحقق ذلك من أجل تحسين مستوى مخرجاتها علمياً وعملياً، تحقيق الأهداف التعليمية والوصول إلى التقدّم والتطور ، ولن يكون ذلك إلا بالبحث عن الآليات التي تضمن جودة التدريس، ومحاولة معرفة الإجراءات القابلة للتنفيذ، هذه الأخيرة إذا طبقت بشكل صحيح، فهي تسهم في إحداث تغييرات إيجابية ترفع مستوى أداء التدريس الجامعي.

التوصيات:

بناء على ما سبق فإن الباحثة توصي بما يلي:

- 1- نشر ثقافة ضمان جودة التدريس في كافة الكليات والأقسام، وبين الأساتذة والإداريين والطلاب والعاملين.
- 2- ضرورة تقويم المحتويات التعليمية لعلوم اللسان وإعداد تقارير عنها، لمعرفة مدى تحقق الأهداف.
- 3- أن تُتخذ الإجراءات اللازمة لتحقيق التحسينات الضرورية عندما يتم الكشف عن مشكلات متعلقة بضعف محتويات برامج علوم اللسان أو علوم أخرى تدرّس في المؤسسات الجامعية.
- 4- مراجعة المحتويات التعليمية وتحديثها بصفة دورية عن طريق لجان متخصصة ضمنا لتحقيق مستوى جودة أفضل.
- 5- ضرورة تحديث المحتويات التعليمية وفقا لنتائج البحوث والدراسات التطبيقية.
- 6- تزويد الطلاب بالمعارف والمعلومات المعاصرة.
- 7- تحسين البيئة الجامعية من خلال توفير القاعات التدريسية، وتجهيزها بمختلف الوسائل التعليمية.
- 8- استخدام الوسائل التعليمية المتطورة كأجهزة الحاسوب والعرض الضرورية لدعم المحتويات التعليمية.
- 9- دعم المكتبات بالمصادر و المراجع و الدوريات العلمية والمحلية والدولية.
- 10- العمل على تغيير طرائق التدريس من خلال التركيز على تلك التي تجعل الطالب محور العملية التعليمية كالمناقشة والحوار والابتعاد عن أسلوب التلقين.
- 11- الاعتماد على طريقة المشروع، لأنها تساعد الطالب على البحث والتقصي وانتقاء المعلومات وعرضها بطريقة صحيحة.
- 12- ضرورة البحث عن الآليات التي تضمن جودة تدريس علوم اللسان، واقتراح الإجراءات الضرورية لتطبيقها قصد النهوض بالتعليم نحو الأفضل.
- 13- إجراء المزيد من الدراسات المستقبلية حول ضمان جودة تدريس علوم اللسان بصفة خاصة والتدريس الجامعي بصفة عامة.

هوامش الدراسة :

- (1): خليل الرفاعي، أكرم النجداوي وآخرون، تحديد معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في أقسام المحاسبة في الجامعات الحكومية الأردنية، المؤتمر العربي الدولي الثاني لضمان جودة التعليم، 5/4 أبريل، الجامعة الخليجية، مملكة البحرين، ص1023.
- (2): وزارة التعليم العالي المصري، دليل الاعتماد وضمان الجودة في التعليم العالي، ج1، مصر، 2005، ص12.
- (3): حسن حسين البيلاوي، رشدي طعيمة وآخرون، الجودة الشاملة في التعليم العالي بين مؤشرات التميز ومعايير الاعتماد الأسس والتطبيقات، دار المسيرة، ط2، عمان، الأردن، 2006، ص36.
- (4): محمد الذريح، علم التدريس تحليل العملية التعليمية، دار الكتاب الجامعي، الرباط، 2003، ص15.
- (5): ربيعة بابلحاج، ملامح تعليمية اللغة عند ابن خلدون من خلال مقدمته، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2009/2008، ص22.
- (6): أنطوان صياح، تعلمية اللغة العربية، دار النهضة العربية، ج2، ص87.
- (7): بوقرة نعمان، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار، غنابة، 2006، ص17.
- (8): محمد الذريح، علم التدريس تحليل العملية التعليمية، ص15.
- (9): بشير ابرير، في تعليمية الخطاب العلمي، مجلة التواصل، ع8، 2001، ص70.
- (10): جابر عبد الرحمان جابر، سيكولوجيا التعلم، دار النهضة، القاهرة، 1994، ص31.
- (11): المجلة الثقافية لكل العرب، علوم اللسان عند عبد الرحمان ابن خلدون الحضرمي، www.aladabia.net/article-1-1-12993,2004.
- (12): نادية مرابط، علوم اللغة العربية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2011، ص62.
- (13): المرجع نفسه، ص ص 422، 423.
- (14): أسامة محمد سيد علي، الطريق للإصلاح إدارة الجودة الشاملة، دار العلم والإيمان، دسوق، 2013، ص184.
- (15): ماهر أبو المعاطي علي، الاتجاهات الحديثة في جودة تعليم الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، ط1، حلوان، 2013، ص116.
- (16): المرجع نفسه، ص388.
- (17): المرجع نفسه، ص389.
- (18): المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (19): محمد عوض الترتوري، أغادير عرفات جويحات، إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي والمكتبات ومراكز المعلومات، دار المسيرة، ط1، عمان، 2006، ص99.
- (20): ماهر أبو المعاطي علي، الاتجاهات الحديثة في جودة الخدمة الاجتماعية، ص389.
- (21): المرجع نفسه، ص ص 389، 390.
- (22): الهيئة الوطنية للتقويم والاعتماد الأكاديمي، معايير ضمان الجودة والاعتماد الأكاديمي لمؤسسات التعليم العالي، 2011، ص45.
- (23): المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (24): المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (25): هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي، دليل إجراءات ومعايير ضمان الجودة في المؤسسات الأردنية، 2009، ص51.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- (26): المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (27): ماهر أبو المعاطى علي، الاتجاهات الحديثة في جودة تعليم الخدمة الاجتماعية، ص ص 391، 392.
- (28): المرجع نفسه، ص ص 394، 395.
- (29): المرجع نفسه، ص 116.
- (30): محسن علي عطية، الشامل في تدريس المواد الاجتماعية، ص 112.
- (31): محسن علي عطية: الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية، دار الشروق، ط1، عمان، 2006، ص 116.
- (32): سعاد عبد الكريم الوائلي، طرائق تدريس الأدب والبلاغة والتعبير بين التَّنظير والتَّطبيق، دار الشروق، ط1، عمان، 2004، ص ص 66، 67.
- (33): ماهر أبو المعاطى علي، الاتجاهات الحديثة في جودة تعليم الخدمة الاجتماعية، ص 395.
- (34): حسن شحاتة، تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، الدار المصرية اللبنانية، ط4، القاهرة، 2004، ص ص 32، 33.
- (35): أحمد حسين اللقاني، المنهج: الأسس، المكونات، التنظيم، عالم الكتب، القاهرة، 2004، ص 181.
- (36): المرجع نفسه، ص 182.
- (37): المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (38): المرجع نفسه، ص 345.
- (39): حنا غالب، مواد وطرائق التعليم في التربية المتجددة، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، 1970، ص 347.
- (40): عادل أبو العزّ سلامة، تنمية المفاهيم والمهارات العلمية وطرق تدريسها، دار الفكر، ط1، عمان، 2004، ص 112.
- (41): محسن علي عطية، الكافي في تدريس اللغة العربية، ص 129.
- (42): المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (43): حسن شحاتة، تعليم العربية بين النظرية والتطبيق، الدار المصرية اللبنانية، ط4، القاهرة، 2004، ص ص 40، 41.
- (44): المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (45): ماهر أبو المعاطى علي، الاتجاهات الحديثة في جودة تعليم الخدمة الاجتماعية، ص 395.

الحركة الثقافية خلال العهد الزياني – تلمسان في القرنين السادس والسابع للهجرة.

الطالبة: فضيلة بوعياذ
بإشراف الأستاذ الدكتور: محمد زمري
جامعة تلمسان

ملخص:

هذه المقال الذي بين أيدينا يدخل ضمن الحركة الثقافية في الفترة الزيانية والتي عرفت بالتطور الثقافي والازدهار العلمي خلال القرنين السادس والسابع هجرية. وما شهدته من تنافس ثقافي بين بلدان المغرب العربي والشرق الأوسط والأندلس، وذلك كله بفضل جود ملوكها وكرمهم وسخائهم على طلبة العلم عامة وعلى العلماء خاصة. واستحضارهم الى بلاطهم الملكي الزياني من أجل الاستفادة من علمهم ومن نشر خيراتهم.

the article on our hand introduces the cultural movement what it had witnessed
thought and science flourished during the sixth and seventh hijri centuries ;
what it had certified as cultural competition from hwo eastern and western
conntries inaddition to andatousia all that is due to its generious kings on the
scientits and student then brought then to their zianid yard to benefit from their
knowledge.

تتمركز مدينة تلمسان في أقصى غرب الجزائر بين الحدود المغربية في الغرب و ولاية سيدي بلعباس في الشرق والنعمامة في الجنوب ، جالسة بين جنبات وادي تافنة ووادي ايسر لتتشرّف على سهل واسع الارتفاع ب 700 متر والذي يبدأ من جبال تلمسان 1200 م – 1800 م في الجنوب ، حتى التقاء الوادين ب 150 م عرضا على بعد 30 كم من البحر الأبيض المتوسط في الشمال (01) .

تقع تلمسان عاصمة الدولة الزيانية في سفح جبل بن ورنيد حيث أنها ترتفع على مستوى سطح البحر بنحو 830 مئوية ، تتمركز في أقصى الشمال الغربي ، حيث تعد حلقة وصل بين الشمال والجنوب وبين شرقها وغربها فهي مركز عبوري مهم آنذاك سواء في حربها أو سلمها وكذلك تجارتها وعلومها (02) . فقد بزغ نجم هذه الدولة العبد الوادية بعدما انكمش ضوء جارتها الشرقية بنو حماد ، وقد تعاقبت على هذه الدولة الزيانية أي المدينة اربع ممالك مسلمة كانت أولاها الأدارسة الذين كانت عاصمتهم فاس بالمغرب الأقصى من سنة 174 -790 م حاصرها ادريس الأول – أقادير – فاتحا ومسقرا بها ثم

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

جاءت دولة المرابطين الذين حكموها بين سنتي 461 هـ - 1069 م و 507 هـ - 1114 م فقد كان حاكمها يوسف بن تاشفين الذي كسر عقدة الأدارسة وأحاط بهم ، الى أن تأتي دولة الموحدين وترأسها عبد المؤمن بن علي فقام بالاستيلاء على هذه المدينة سنة 507هـ- 1114 م فكانت مدة حكمه 625 هـ - 1227 م فأخيرا جاء دور الدولة **العبدالودية** - دولة الزيانية - التي ترأسها يغمراسن بن زياد سنة 633 هـ - 1235 م كما أن بنوحفص - تونس - استعمروا تلمسان فترة وجيزة لكنهم خرجوا منها 639 هـ - 1241 م (03) . فقد اهتم الزيانيون منذ أن استقر سلطانهم في المغرب الأوسط على نشر العلم والثقافة وكان عهدهم الذي دام أكثر من ثلاثة قرون فازدهرت الحياة الثقافية في زمانهم ، وشهد للكثير من علماء تلمسان بالتقدم وكان هناك ظاهرة التنافس الثقافي بين بلدان المغرب الأقصى يقصدون تلمسان للترؤد من العلوم والمعارف والتلقي عن علمائها والمشاركة في الحياة الفكرية ويؤكد ذلك الامام المقرئ الجد : ففقرغت بحول الله عز وجل للقراءة فاستوعبت أهل البلد لقاء وأخذت عن بعضهم عرضاً ولقاء سواء المقيم القاطن أو الوارد الضاعن (05) . فأقبل أهل العلم من المغرب الأقصى على الاكتراع من ينابيع الثقافة بتلمسان والاستفادة من علمائها حتى صار لهم حصول الملكات في المباشرة والتلقين أشد احتكاما وأقوى رسوخا ، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها حسب تعبير ابن خلدون (06) . فان رجال دولة بني زيان تمكنوا من تدعيم الاستقلال المطلق فتألفت أنوار الحضارة الزيانية الإسلامية تألقا غريبا ، وأصبحت حاضرة من أهم وأعظم عواصم العلم والسيادة بالعالم الإسلامي قاطبة فنبع فيها عدد لا يشق له غبار من العلماء والأدباء والشعراء والباحثين وقد قصدها طلاب العلم وطلاب الشهرة والمكانة من كل جهات العالم العربي ، فتوطدت العلاقة بين كل البلدان المجاورة ، فأخذوا ينهلون من مائها العذب الصافي ويحصلون العلم الدقيق والمتناثر أوراقيه في كل ساحة الفكر والأخذ من مكتسباتها العلمية والتذوق من مناهلها العقلية والنقلية (07) .

يعد يغمراسن نابغة وقته ، فقد كان يجاور أصحاب العلم والعلماء ويقربهم الى منزلته ، ويغمرهم بالعطايا ، فقد كان يجالس العلماء ويبحث عنهم أينما كانوا ويستقدمهم الى بلده و يقابلهم بما هم أهله ، وقد التفت حوله الأدباء والشعراء والكتاب من الأندلس والمغرب فبسط عليهم رعايته ، وولى الكثير منهم مناصب الثقة والمسؤولية في بلاطه ، وعلى نهجه سار أحفاده من بعده (08) . فان العهد **العبدالوادي** الزياني يعتبر رغم الوقائع الحربية المتعددة والفتن الداخلية المتوالية للعصر الذهبي للمغرب الأوسط ، ففيه بلغت البلاد ذروة عزها وأوج مجدها ومنتهى رقيها وازدهارها في الحركة الثقافية وذلك يرجع للأسباب الآتية :

* تشجيع ملوك بني عبد الواد للعلم : فقد كان ملوك بني عبد الواد عموما وأبو حمو موسى الأول وأبو تاشفين عبد الرحمن الأول وأبو حمو موسى الثاني وأبو زيان محمد الثاني وأبو العباس أحمد العاقل خصوصا يشجعون العلماء والأدباء والفنانين وغيرهم ويقربونهم اليهم ويكرمونهم غاية الاكرام ويرحبون بالوافدين عليهم منهم ويجزلون لهم العطاء .

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

*المنافسة بين ملوك المغرب : كانت المنافسة شديدة بين ملوك البلاط الزياني والبلاط الزياني والبلاط الحفصي والمريني من جهة أخرى في تقريب العلماء والأدباء والفنانين من مجالسهم ، فهذه المنافسة جعلت ملوك تلمسان وتونس وبجاية وفاس وكذلك بنو الأحمر ملوك غرناطة من بلاد الأندلس يرحبون برجال العلم والأدب والفن في عواصمهم وينزلونهم المنزل اللائق بأمثالهم ويبدلون لهم الهبات والعطايا ويرفعون من شأنهم .

*بالإضافة الى انشاء المدارس ووقف الأوقاف عليها : فقد أنشأ بنو زيان في عهدهم عدة مدارس بتلمسان وكذلك بنو مريم في مدة استيلائهم عليها ووقفوا الأوقاف عليها كي تؤدي مهمتها كاملة من بينها هاته المدارس نذكر : المدرسة القديمة أو مدرسة ابني الامام (أبو حمو موسى الأول) ، والمدرسة التاشفينية (أبو تاشفين عبد الرحمن الأول و مدرسة سيدي أبي مدين ، مدرسة وزاوية سيدي الحلوي ، وكذلك المدرسة (أبو حمو موسى الثاني) ومدرسة سيدي الحسن بن مخلوف الراشدي المشهور بأبركان، وانشاء المكتبات العامة (09) . كما امتاز عصر بني زيان انتشار حركة المتصوفة بين جميع طبقات الشعب ، بما فيه طبقة الفقهاء ، فلقد عرف ملوك المغرب الأوسط من بني عبد الواد ذلك ابتداءً من مؤسس الدولة بنصرتهم للعلم وتأييدهم للعلماء وعرفوا أيضا بمشاركتهم للعامة في الاختفاء وبهم وبتبجيلهم ، فان كتب التراجم وكتب التاريخ ومنها على الخصوص كتاب " نظم الدر والعقيان " التي شيدها أولئك الملوك ، وبأخبار حفاوتهم بأهل العلم من سكان القطر والقادمين من الخارج أيضا وحضورهم لدروس الأساتذة منهم ، والخروج في جنازة من يموت منهم ، كما نقلت لنا ذلك لنا ذلك الكتب أخبار المهرجانات الشعرية التي كان ينظمها أكثر الملوك كل سنة عند حلول ليلة المولد النبوي ، وقد شارك بعضهم في تلك الحركة الفكرية والأدبية ، ونذكر منهم : أبا حمو الثاني الذي قال الشعر وخلف لنا كتابا مشهوراً في السياسة ، كما نذكر ابنه ابازيان ، وقد كانت دولته في فجر القرن التاسع (10). ومن مظاهر الحياة الفكرية في العهد الوادي ازدهار النثر الذي امتازت به رسائل ذلك العهد كما ازدهر الشعر ، وخصوصا الشعر المرتجل في المناسبات وساهم في تلك النهضة بقسط وافر مهاجرو الأندلس والمتفقون بحيث صار بلاط بني عبد الواد عامراً بالشعراء والأدباء ، وكانت الندوات الأدبية والعلمية تنعقد في كثير من الأحيان في قصر المشور في اطار فني يعتبر من بعض جوانبه نسخة من الحضارة الإسلامية بالأندلس ، وفي ميدان الفن فقد انتعشت الموسيقى الأندلسية بالنوبة الغرناطية منذ قدوم مهاجري الأندلس وكان العهد العبد الوادي عهد انتاج ثقافي وفير من خلال تلك العلاقات التي كانت تستهدف الحركة الثقافية من مزايا وسمات اكتسبتها الزيانية من خلال وفود العلماء عليها من شتى أقطار العالم الإسلامي وأيضاً من خلال الرحلات العلمية التي تجوب وتستهدف كل كل البلاد المجاورة (11) .

لقد اهتم مؤسس دولة بني عبد الواد الزيانية بالعلم و العلماء فقد أحاط نفسه بالأدباء و علماء الدين من كتاب ووزراء و قضاة و كانوا كلهم من البربر و الأندلس , في حين أن وزيره الأول أبا بكر محمد الغافقي (المتوفي سنة 636 هـ-1238هـ)

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون2017

جاء من الأندلس حيث شغل نفس المنصب لدى ملك غرناطة من بني نصر و كان عالما ضليعا في الادب و الشعر و الفقه.(12) و مما يلاحظ أن الطلية كانوا يتوجهون في طلب العلم بواسطة الرحلات، فاحتك علما، المغرب الأوسط بعلماء المغرب و المشرق العربيين فتأثرت بذلك الحياة الفكرية الثقافية بدولة بني عبد الواد، فصارت تلمسان مركزا علميا يضا هي مراكز الثقافة في كل من تونس و المغرب، و مما يشار إليه أنه كان يوجد بالمسجد الأعظم(13) مكتبتان عامتان في العهد العبد الوادي، و كانت كلتا هما حافظتين بالكتب النفيسة التي كانت يستفاد منها الطلبة، فالمكتبة الأولى أقامها أبو حمو موسى الثاني، أما المكتبة الثانية أنشأها السلطان أبو زيان محمد الثاني بن أبي حمو موسى الثاني حوالي 796 م و كانت هذه المكتبة بالقسم الأمامي من المسجد الأعظم. تميز شعراء العصر الزياني بمنحى خلقي في شعرهم، كما أحيا الزيانيون النظرية الخلقية الإسلامية العربية و خصيصةها هي النظم الخلقي في جل أغراض الشعر شريطة أن يكون رسالة دينية، و مستودعا من الحكم و المواعظ و الأخلاق فام يتجرد الشعراء في العصر الزياني من هذه النظرية، و لعل أبرز النوازع الخلقية التي أثارها الشاعر في هذا العصر هي الخير و الفضل و العلم و الاقتصاد و الايمان و الصدق و الصبر و التوكل و الإخلاص فكانت جعلتها شراكة تربط نظم معظم شعراء العهد و تدل بعض المصادر الأصلية على نفية من شعراء النزعة الأخلاقية في بدايات العصر الزياني حيث دونت لنا شعرا و التفلسف في نزعة خلقية يحث فيها الشاعر على معاني الكياسة و الحذف و الفطنة في ادراك الوجود، بل في ادراك الحق عن الصدق لا عن باطل و اجحاد و بلادة، فقد قال عن عاطفة تتم عن خلة الصدق و الايمان معا :

إذا نطق الوجود أصاخ قوم بأذان إلى نطق الوجود
و ذاك النطق ليس به انعجام و لكن دق عن فهم البلد
فكن فطنا تنادي من قريب و لأنك من ينادى من بعيد

بالإضافة الى كل هذا يوجد عالم عالم فقيه أديب عاش في القرن السابع الهجري، و صفه المازوني في نوازله بأنه الشيخ الفقيه الامام الأديب الكاتب أبي عبد الله أخذ عن الامام الشريف التلمساني و هو محمد بن يوسف القيسي الثغري اتسم شعره بالمح و الكرم و العدل.

قال الثغري في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم :

لك يا رسول الله كل دلالة لم تبق من شك لمن يتوهم
تلك المراتب لم يكن لنا لها الا الهاشمي الأكرم
يا خاتم المرسل الكرام و خير منه يبدأ به الذكر الجميل و يختم
لولا عطايه الجزيلة لم تكن تعلى الأكارم و المكارم تعلم (14)

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

كان التعليم في تلمسان يمر بمراحل مختلفة داخل مدن و قرى الدولة الزيانية , بوجود كم هائل من العلماء الذين أفنوا حياتهم في ذلك و من بين هذه المراحل نعدد :

المرحلة الأولى : يتعلم فيها الطالب القراءة و الكتابة و الحفظ أجزاء من القرآن و تجويده , و كانت تتم هذه المراحل داخل الكتاتيب و بعض زوايا المساجد غير مشهورة , و يكون عدد الطلبة فيها كثيرا , و عمر الطالب عند دخوله للكتاب يتراوح بين الخمس و الست سنوات , حيث يجتمع الطلبة بالكتاتيب و يتلون آيات القرآن بصوت واحد للتعلم كما يلم الطلبة ببعض علم الفقه و اللغة و النحو.

أما المرحلة الثانية : فتعد مرحلة متقدمة عن الأولى , يدرس فيها الطلبة علوم النحو و اللغة و الأدب و الفقه و تتم داخل المسجد , أو المدارس أو الزوايا , و عدد الطلبة فيها أقل من المرحلة الأولى و في المرحلة الأخيرة -الثالثة- يركز الطالب فيها على فرع معين من العلوم أو الآداب و تكون الدراسة في المدارس أو المساجد المشهورة مثل الجامع الأعظم , و يقل عدد الطلبة فيها من المرحلة السابقة , و عمر الطالب عند دخول المدرسة يكون بحدود العشرين عاما و تستمر ما يقارب عشرة أعوام , و بعد الانتهاء من المرحلة الثالثة يطوق الطالب البلاد للقاء العلماء المشهورين , و كثير منهم يرتحل إلى أقطار المغرب و الأندلس و الشرق ناهيك عن شئى أن التعليم بتلمسان في عهد الحقبة الزيانية يوجد نوعان : فالنوع الأول يكون حكومي , و يطلق عليه أحيانا التعليم الرسمي و هو تعليم تقوم به الدولة اتجاه الأفراد , و تأخذ الدولة على عاتقها بناء المدارس , و تعيين المدرسين و تحديد الجرايات للمدرسين و الطلاب , و في هذا النوع من التعليم تقوم الدولة بتدريس ما تريده و ترغب به , و تهتم الدولة بهذا النوع حتى يتم تخريج موظفين لها.

أما النوع الثاني : فيطلق عليه التعليم الحر , و يتم دون تدخل الدولة أو تكون سيطرتها عليها قليلة , و يتم داخل الزوايا و قرب قبور الأولياء و بعض المساجد , و قد نقل أحد المصادر عن العلامة عبد الله بن محمد التلمساني أنه انتقل للتدريس في الجامع الأعظم في تلمسان بمعنى ذلك انه ابتعد عن التدريس بمدارس الدولة ليدرس داخل المساجد بعيدا عن منهاج الدولة , و يكون الطلاب بهذا النوع من التعليم لديهم علم و معرفة بالمذاهب أشمل من النوع الأول , و مما يلاحظ على الحركة الثقافية في هذا العهد أن سلاطينها شجعوا هذه الحياة العلمية و ذلك من خلال مجموعة من الطرق المتعددة منها :

بناء المدارس الخاصة للتدريس , وبناء منازل للمدرسين و الطلاب قرب المدارس و تعيين الجرايات للمدرسين و الطلاب , و حتى يشجع السلاطين الزيانيون على الحركة الثقافية داخل تلمسان قاموا بتحديد جرايات لكل مدرس و طالب , و تم تخصيص الأوقات لذلك , مثل مثل اقطاع سلطات يغمراسن للعالم التنسي سنة 666 هجرية الموافق ل 1267 ميلادية اقطاعات بنواحي تلمسان حتى يصرف على نفسه , و ترتيب السلطات أبو حمو موسى الثاني الجرايات و الأوقات على المدرسة التي أقامها في تلمسان لصالح الطلاب و المدرسين , و كذلك بحث السلاطين الزيانيون عن المدرسين الأكفاء و محاولة استقطابهم للتدريس داخل تلمسان , فقد اهتم السلطان يغمراسن بذلك عندما طلب من العالم أبي إسحاق بن يخلف التنسي سنة 680 هجرية الموافق 1281 ميلادية

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

القدوم و التدريس بالجامع الأعظم بالمدينة قائلا له : "ما جئتكم إلا راغبا منك أن تنقل إلى بلدنا تنشر فيها العلم و علينا ما تحتاج" , و كان يذهب بنفسه لحضور دروسه في الجامع الأعظم , مما يوضح اهتمامه بالعلم و العلماء و قيام السلطان أبي حمو موسى الأول بتعيين و لدي الامام للتدريس بمدرسة أقامها لهم داخل تلمسان , و كذلك قيام السلطان أبا حمو موسى الثاني بمحاولة استقدام العلامة ابن خلدون عبد الرحمن , فقد كتب له بخط يده "الحمد لله على ما انعم , و الشكر على ما وهب , ليعلم الفقيه المكرم أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون حفظه الله على أنك تصل إلى مقامنا الكريم لما اختصاصكم به من الرتبة المنيعة و المنزلة الرفيعة و هو حكم خلافتنا و الانتظام في سلك أوليائنا اعلمناكم بذلك".

فقد كرر السلطان أبو حمو موسى الثاني مرة ثانية سنة 769 هجرية يستحثه القدوم لتلمسان و التدريس فيها أو استلام منصب , و كان يهدف السلطان من تقريب ابن خلدون اليه استئلاف القبائل العربية و خاصة رياح لقرب ابن خلدون من تلك القبائل , و كان ابن خلدون يستقبل تلك الرسائل و يرد عليها بلطف , و بعد ذلك أرسل شقيقه يحيى لخدمة الدولة الزيانية و و كذلك قيام السلطان أبي حمو موسى الثاني بتعيين العالم أبو عبد الله الشريف الادريسي بالمدرسة اليعقوبية و هو في تلك الفترة من أعلم أهل عصره (15).

وكذلك من بين الطرق التي شجعت الحركة الثقافية بتلمسان في العهد الزياني و كانت في أوج ازدهارها و رقيها هي مشاركة السلاطين للعلماء بالاحتفالات في الأعياد و المناسبات و اجراء المسابقات الثقافية و خاصة الشعرية مع العلماء , فقد شارك السلاطين الزيانيون علما , تلمسان في مسابقات ثقافية مثل التي كانت تجري داخل القصر السلطاني -المشور- أيام الاحتفالات بالأعياد النبوية , حيث شارك السلطان الأدباء في مسابقات الشعر , و خاصة السلطان أبو حمو موسى الثاني و و مساهمته في تأليف الكتب مما اثرى الحركة الثقافية بالمدينة , كما اهتم السلطان أبو زيان بن أبي حمو بالمناسبات العلمية بين العلماء , و قرر أن تجرى المسابقة داخل قصره(16), فلقد قال التنسي أنه " لم تخل حضرته من مناظرات و كلف بالعلم حتى صار نهج لسانه و روضه أجفانه فلم تخل حضرته من مناظرة (17).

لم يقتصر تقدير سلاطين تلمسان للعلماء بتلمسان في حياتهم , بل تعداه إلى الموت فقد كان الملوك يمشون في جنازات العلماء و الفقهاء , مثلما مشى السلطان الواثق في جنازة العلامة قاسم بن سعيد العقباني سنة 854 هجرية , و كذلك السماح يدفن العلماء في المقابر السلطانية -الملكية- ووصل احترام سلاطين تلمسان للعلماء و أصحاب الثقافة بأن يوصلوا بأن يدفنوا بجانب العلماء , مثلما أوصى السلطان يغمراسن أن يدفن قرب العالم التنسي , كما اهتم المدرس أذاك بتلمسان في نشر المذهب المالكي الذي ترغب به الدولة , و اعداد الطلاب ليكونوا مؤهلين ليتقلدوا الوظائف الدينية و الشرعية و استلام الدواوين في الدولة , و فتح الطريق أمام الطلاب لبلوغ أعلى مناصب الدولة , بالإضافة الى نشر المعرفة بين الافراد و المجتمع كما أطلق على المدرس في تلك الحقبة ألقاب متعددة تعبر عن مكانته و مدى احترام الناس و تقديرهم له ,

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

و بذلك كانت له مكانة عالية , و من هذه الألقاب كان يسمى المدرس الشيخ و العالم , المحدث , الفقيه , فقيه العلم , البارع , الزاهد , القاضي , الحافظ , المفسر , المجتهد , من أهل الاداب , من أهل النحو , الشاعر , العارف , الأستاذ , والفاضل , هذه كلها القاب كان يسمى بها المدرس أثناء تلك الفترة , و كان له احترام و تقدير فقد حصل على جراية شهريه و سكن قرب مكان التدريس , و ايتنى لهما السلطان أبو حمو موسى الأول دارين , و بالنسبة إلى الطلبة فقد كانت حالتهم خاصة , فهناك الجرايات المخصصة لهم و المساكن موفرة , كما شكل الطلاب طبقة خاصة , داخل مجتمع تلمسان , و لهم زيهم الخاص الذي يرتدونه داخل تلك المنطقة و لقد تنوع الطلبة بين طلبة من الاعراب المحيطة بتلمسان أو طلية من سكان المدينة أو الذين يطلق عليهم الحضر , و تكون عملية التفريق بين الطلبة من خلال الزي الذين يرتدونه (18).

ومن مظاهر الحياة الفكرية في العهد الزياني العبد الوادي ازدهار النثر و الشعر , و أيضا عثر على بعض الرسائل الموجودة بدور الوثائق الاسبانية , و على الخصوص أرسلسمن قبل أمراء الدولة الزيانية تدل على المستوى الأدبي الرفيع التي كانت تمتاز به في تلك الحقبة و ما وصلت اليه من مستوى ثقافي فائق التقدير على العكس الرسائل التي أرسلت من قبل شيوخ القبائل البربرية و العربية (19).

فعند نزوح الأندلسيين إلى تلمسان أتوا بعلمهم و آدابهم , وقد رحب بهم السلطان يغمراسن وهذا ما صرح به ابن خطاب بأن السلطان يغمراسن فضل أن يسكن الأندلسيين مدينة تلمسان على جميع المدن الأخرى فيقول " و اطلع على أغراضهم السديدة في اختيار حضرته السعيدة للسكن على سائر البلاد , فلو حظ منهم النية و اعتبرها و أظهر عليهم مزياء مالهم من هذه و أذن ايده الله لهم و لمن شاء من أهل تلمسان (20).

و كان بلاط السلطان يغمراسن يزخر بالكتاب و الشعراء , فهذا الشاعر الأندلسي أبو بكر بن عبد الله ابن داود بن خطاب (21), كان مرسلا بليغا و كاتبا مجيدا وشاعرا مجيدا (22), وكان هذا شاعر الاندلس الذي عينه الملك يغمراسن كاتبا في قصره و مجلسه يتولى تحرير جميع رسائله إلى كل الجهات خاصة تونس و المغرب و الأندلس و ذكر ابن خلدون عن هذا الشاعر أن رسائله كانت شهيرة في بلاطات الامارات الإسلامية (23). و هذا ما أشار عليه التاريخ و سجله في كتبهم بأن هناك عدة رسائل و قصائد أنشأت لملوك بني زيان (24). فالقرن السابع الهجري كان يعرف حركية كبيرة في مجال الثقافة و الفكر , انطلقت مع دولة الموحدين و تواصلت مع العهد الزياني العبد الوادي , و قد كان الطابع الديني يسمو عليها و يغلب في أشعارهم و أقوالهم , مما أدى إلى انتشار و ظهور و ازدهار العلوم الدينية سواء النقلية أو العقلية , و من تم انحدار أو خروج طبقة الأعلام المتخصصين أو المتمكنين في جميع تلك الفروع الدينية سواء في الفقه أو في التصوف أو الكلام أو المنطق و الأصول (25).

ومما لا يعقل عنه أنه للدولة الزيانية فضل كبير في اثناء الفكر الثقافي لكن ناهيك عن أمر وهران منذ عهد الموحدين كانت المدينة آنذاك في تلك الفترة تزخر بالعلم والعلماء ,

فقد ترك الموحدون أثراً عربياً إسلامياً أكثر مما تركته أية دولة سبقتهم خلفوا وراءهم مدرسة خاصة بهم في فن العمارة والتلوين والزخرفة عكس النضيج الفكري الذي وصلت إليه الفنون الإسلامية العربية في هذه المرحلة المتأخرة من تاريخ ازدهار الحضارة العربية الإسلامية ، وانعكس ذلك في المساجد العديدة التي بناها الموحدون ، فيعتبر العهد الزياني العصر الذهبي للمغرب الأوسط ففيه بلغت البلاد ذروة عزها وأوج مجدها ومنتهى رقيها وازدهارها وكان الطلبة في عهد الزيانيين يرتحلون الى العواصم العلمية الكبرى لطلب العلم وهذا بالعديد من المدن الشرقية والغربية كفاس ومراكش وغرناطة وتونس والقاهرة وبغداد وحتى الحرمين الشريفين ، كما شهد التعليم تطوراً كبيراً باستحداث طريقة فعالة في تلقين العلوم ، ولضمان المستوى الرفيع للعلماء ، كانت الاجازة في عهد الزيانيين لا تعلم الا لمن يستحقها ، فقد جعل الزيانيون من تلمسان عاصمة العلم والمعرفة ، فتأثرت الحياة الفكرية في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني بالنزاعات السياسية والمذهبية التي طابعته بطابعها ، وغذت الأجيال المتتالية بما كانت تحمله في طياتها من قيم وأفكار ، وكانت الحياة الفكرية ، الى عصر الموحدين تكاد تنحصر في العلوم الدينية ، من تفسير وحديث وفقه ، فجاء العهد الزياني فاشتهر الكثير من العلماء في مجال العلوم الدينية خاصة بداية القرن السابع وحتى منتصف القرن الثامن الهجري ، وقد جمع بعضهم بين العلوم الدينية والشعر فكان بذلك الشعر مصدراً للواقع السياسي والاجتماعي والديني للأمة ، هناك عوامل عديدة وكثيرة تضافرت لتجعل من أهل تلمسان في العهد الزياني العبدالوادي يميلون الى الزهد أيضاً ويجدون في ذلك الملاذ في العباد والصالحين ، فطغت واقع معاش تميزه الأوضاع التي آلت اليها (26).

ومن الملاحظ أنه كانت الحالة الفكرية في العواصم المغربية متشابهة الى حد ما وخطة منها تلمسان وفاس ، اذ كانتا في بعض الفترات تحت حكم واحد ، اما بشكل مباشر أو غير مباشر ، زد على ذلك أن أهل العلم في العاصمتين كانوا على تواصل مستمر ورغم أن هذا العصر كانت فيه فتن واضطرابات وحروب مما سبب ضعف الدولة وانحلالها الا أن الحركة الحضارية بما فيها الذي نحن بصدد دراستها – المجال الثقافي – كانت متصلة وفعالة في كل من تلمسان وفاس وهذا راجع الى عدة أسباب في ذلك منها : أن كلتا المدينتين كانتا عاصمة سياسة تحتضن السلطان وحاشيته ، وينفق الأموال الطائلة الباهضة على تعميرها بالمرافق العمرانية وكذلك تشجيع التنافس العلمي بين الدولتين وانتشار الجاليات الأندلسية من بلادها هروبا من القهر والظلم والاستبداد حاملة معها اشعارات علمية ثقافية وأيضاً وجود صلات فكرية بين علماء المغربيين الأوسط والأقصى (27).

كما وجد في العصر الزياني العلوم العقلية التي برز فيها العلماء من بينهم : بن إبراهيم العبدري التلمساني المشهور بالأبلي ولد سنة 681 هجرية الموافق 1282 م اشتهر بفنون المعقول وأبو عبد الله محمد بن النجار شيخ التعاليم في تلمسان وأبو الحسن علي بن أحمد المشهور بابن الفحام وآخرون اشتهروا في هذا العلم . فالحركة الثقافية اليت ظهرت في تلمسان لم تقتصر أثرها في الداخل فقط بل تعداها الى الخارج سواء كانت هناك علاقات ثقافية بين تلمسان وفاس وبجاية والأندلس أي المغرب والأندلس والمشرق الإسلامي

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

وذلك بسبب وجود الفتاوي التي كانت تصدر من علماء المدينة ويتم تطبيقها في المغرب الإسلامي أو الأسئلة الواردة لعلماء المدينة للإجابة عليها وخاصة في الأمور الشرعية من جميع أنحاء المغرب ، وكذلك المؤلفات والكتب التي كانت تصدر عن علماء المدينة وتدرس في مختلف الحواضر الإسلامية وخاصة كتب الشروح على القوائد والكتب الفقيهية ، بالإضافة الى انتقال علماء تلمسان للتدريس في حواضر المغرب ، فلم يبخل علماء المدينة ينشر علمهم وثقافتهم على طلاب العلم المسلمين في مختلف المدن الإسلامية فكان العلماء يهاجرون من تلمسان نحو مدن المشرق أو مدن المغرب ، ويأخذون عن علمائها ، وفي نفس الوقت يمنحون ماعندهم لطلاب هذه المناطق ويعود معظمهم بعلم أوسع لتلمسان ، ومثال ذلك العالم عبد الله الشريف الذي ذهب ودرس في غرناطة وعفيف الدين التلمساني (690هـ-1291م) الذي توفي في دمشق ، فقد شارك علماء تلمسان بنشر الحركة العلمية في المنطقة من خلال تنقلهم بين مدن المغرب الإسلامي وقد جاء هذا التنقل لأسباب منها نشر العلم : فقد غادر قسم من العلماء المدينة نحو مدن أخرى بهدف نشر علمهم ، على عادة العلماء في تلك الفترة ، فمنهم من عاد الى المدينة ومنهم من لم يعد ، فمن العلماء التلمسانيين الذين غادروا تلمسان وعادوا اليها : العالم الفقيه أبو عبد الله محمد بن حسن بن محمد اليحصي المعروف بابن الباروني ، الذي أخذ علمه من تلمسان ثم غادرها الى فاس وأخذ عن علمائها ، ثم عاد الى تلمسان وتوفي فيها سنة 734 هـ الموافق ل 1335 م ، كما كانت هناك ظروف سياسية جعلت بعض العلماء يغادرون تلمسان زمن السلاطين الزيانيين ومثل هذا الاتجاه أبو عبد الله محمد بن خميس التلمساني الذي غادر تلمسان سنة 703 هـ الموافق ل 1304 م بعد خلافة مع السلطان الزياني ورجل الى غرناطة وتوفي فيها سنة 708 هـ الموافق ل 1309 م وكذلك العالم الأبلي الذي غادر تلمسان بعد رفضه عرض السلطان أبوحمو موسى الأول استلام ضبط أموال الدولة الزيانية وعندما شعر أن السلطان سوف يجبره على ذلك غادر المدينة الى فاس وبقي فيها لحين وفاته سنة 757 هـ الموافق ل 1357 م لقد دأب الشعراء القدماء والمحدثون على التغني بتلمسان اعجابا بمفاتها وامجادها فهذا ابن خميس الشاعر الصوفي التلمساني دائم الحنين الى مدينته تلمسان فيقول أبياتا شعرية فيها :

تلمسان جادتك السحاب الرواح ***** وأرست بواديك الرياح اللوواح .
وسح على ساحات باب جياها ***** ملث بصافي تربها ويصافح .
يطير فؤادي كلما لاح لامع ***** وينهل دمعي كلما ناح صادح (29)

- 01- سير أعلام تلمسان , عبد الحق حميش, دار التوفيقية ,المسيلة ط1, 2011, ص25.
- 02- ينظر: جماليات المكان في حاضرة تلمسان , مسعود بن ساري , منشورات بن سنان , الجزائر , ط1 , 2011 , ص53.
- يغمراسن بربري الأصل من قبيلة زناتة.
- 03- أوراق تلمسانية , سعد بوفلاحة , منشورات بونة , الجزائر , ط1 , 2011 ص22,ص23.
- 04- تاريخ مملكة تلمسان في عهد بني زيان , عبدلي لخضر , دار الأوطان , ط1 , 2011, د.ب , ص452.
- 05- الإحاطة في أخبار غرناطة , لسان الدين ابن الخطيب , تحقيق و تقديم محمد عبد الله عنان , ج1, دار المعارف , مصر , د.ت, ص194.
- 06- المقدمة , ابن خلدون , منشورات دار الكتاب , بيروت 1968, ص 106.
- 07- مآثر تلمسان ماضيا و حاضرا , نخبة من الأساتذة و المؤرخين , تعليق محمد بوزواوي , القافلة للنشر و التوزيع , الجزائر , 2011, ط1, ص103.
- 08- تلمسان بعيون عربية , فوزي مصمودي , دار السيل , الجزائر , ط1 , 2001, ص213.
- 09- باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان , عاصمة دولة بني زيان , الحاج محمد بن رمضان شاوش , ديوان المطبوعات الجامعية , الجزائر , 1995, ص401.
- 10- جوانب من حياة في المغرب الأوسط , محمود بوعباد , الشركة الوطنية للنشر و التوزيع , الجزائر , 1982, ص35.
- 11- المرجع السابق : تاريخ مملكة تلمسان في عهد بني زيان , عبدلي لخضر , ص540.
- 12- الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي , الفرديل , ترجمة عبد الرحمن بدوي دار الغرب الإسلامي , بيروت , ص311.
- 13- المرجع السابق : باقة السوسان في التعريف بحاضرة , تلمسان , الحاج محمد بن رمضان ص 485.
- 14- مجلة القضاء المغاربي ع6-7 , محمد مرتاض, مخبر الدراسات الأدبية و النقدية و أعلامها في المغرب العربي , 2011, ص223.
- 15- تلمسان في العهد الزياني , بسام كامل عبد الرزاق شقدان , رسالة ماجستير , جامعة النجاح الوطنية , فلسطين , 2002, ص233, ص235.
- 16- المرجع نفسه , ص 241.
- 17- تاريخ دولة الأدارسة , من كتاب نظم الدرر العقتان , عبد الله التنسي , تحقيق و تقديم عبد الحميد حاجيات , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر , ط1 , 1984 , ص236.
- 18- تعريف الخلف برجال السلف , ج2 أبو القاسم محمد الحفناوي , تحقيق محمد أبو الأجنان وعثمان طبيخ هوسة الرسالة , بيروت , المكتبة العتيقة , تونس ط1 , 1982 ص92
- 19- تاريخ الدولة الزيانية ج2 مختار حساني , دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع , الجزائر , ط1 , 2007 , ص202 .
- 20- تلمسان في العهد الزياني , ج2 عبد العزيز فيلالي , موفم للنشر والتوزيع , الجزائر , 2002 , ص175 .

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- 21- تاريخ بن زيان ملوك تلمسان ، محمد بن عبد الله التنسي ،تح محمود بوعياذ ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985 ، ص 125 .
- 22- تاريخ ابن خلدون المسمى : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، عبد الرحمان بن خلدون ، ج7 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1992، ص93 .
- 23- مدن الفن الشهيرة ، تلمسان ، جورج مارسي ، دار النشر التل ، الجزائر ، ط 2004 ص 44.
- 24- تاريخ الأدب الجزائري ، محمد الطمار ، تقديم عبد الجليل مرتاض ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2006 ، ص282 .
- 25- ابن خميس شعره ، طاهر توات ، دار الثقافة ، الجزائر ط1، 2007 ، ص 31 .
- 26- المرجع السابق ص 31.
- 27- جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 9:6هجري / 12-15 م من خلال كتاب المعيار الونشريسي ، أطروحة الدكتوراه ، بلبشير عمر ، جامعة وهران ، 2010 ، ص15 .
- 28- المرجع السابق ، تلمسان في العهد الزياني ، عبد العزيز فيلاي ، ص 252 .
- 29- أوراق تلمسانية سعد بوفلاقة ، منشورات بونة ، الجزائر ، ط1 ، 2011 ، ص 210.

التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب العربي من خلال الرحلة

العياشية (ماء الموائد)

الطالب :بناهض عبد الكريم
اشراف الدكتور: والي دادة عبد الحكيم
كلية الآداب واللغات جامعة تلمسان

الملخص:

قامت الرحلة العربية بدور هام في إذابة الجليد بين شقي العالم الإسلامي مشرقه ومغربه ، وقد دونت هذه الرحلات خلاصة هذا الإلتقاء والتوافق وخصوصا الرحلات التي انطلقت من المغرب العربي والتي كانت وجهتها الحجاز(الرحلة الحجية) ،وتعد رحلة أبي سالم العياشي أحد أهم هذه الرحلات لتجسيدها مفهوم التواصل الحضاري بدقة من خلال حلقات العلم التي عقدها الرحالة بمختلف دول الشرق ،بالإضافة الى الإجازات العلمية التي حصل عليها أو التي أجازها لغيره،من منطلق العالم المنفتح الذي وضع الأسس العلمية مقياسا للحكم على مختلف الظواهر التي تعترضه.
الكلمات المفتاحية: الرحلة – الحج- التواصل –الحضارة –الإجازة.

The Summary

The Arabic trip played an important role in melting ice between two parts of the Islamic World in its eastern and western. Trips had made a summary about the connection and the agreements. Especially, the trips that came from the Northern African Countries to Ell- Hedjaz (the pilgrimage trip). The trip of Abe Salem Ell- Aiachi was one of the important trips that made the concept of the civilian connection, more exactly through circles of science which trippers were made it in different eastern countries. . In addition to this, the scientific journeys that he gained or he gave it for another from opened world; it put the scientific essential pillars as a measure to judge on the different phenomena which obstruct him.

مقدمة:

ارتبط وجود الناس على سطح الأرض بالحركة والتنقل فيفضلهما تمكن من الحصول على قوته والإبتعاد عن الأماكن الخطرة ، فهو في رحلة مستمرة يبحث من خلالها عن واقع أفضل لحياته في جميع مجالاتها . وبعد استقراره وتحسن ظروف حياته لم يتخل عن الرحلة والسفر وهذا يعود لغريزة إنسانية أصيلة وهي حب الإستكشاف واختراق الأفاق.
لقد أصبحت الرحلة مع مرور الزمن ضرورة تعتبر من أهم الوسائل التي أرخت لتاريخ البشرية وفتحت عيونه على عوالم أخرى ، وقد حرص الرحالة فيما بعد على تدوين خلاصة مشاهداتهم وما لاقوه أثناء أسفارهم ، فجاءت أعمالهم حافلة بالمعلومات

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

التاريخية والحضارية ، نذكر من هؤلاء على سبيل المثال الرحالة -هيرودوت - وهو ميروس .- ومن العرب اشتهر ابن بطوطة وابن خلدون. والإدريسي واليعقوبي والعبدي حتى غدت الرحلة فنا قائما له مبادئه وخصوصياته.

إن التراث العربي الجغرافي غني بالدراسات عن مختلف بقاع العالم ويرجع الفضل في ذلك إلى الرحلات التي قام بها العلماء من العرب والمسلمين ، إذ كرسوا حياتهم لتقصي الحقائق والمعلومات عن سائر البلدان فهي تعتبر قناة من قنوات التواصل بين الشعوب قديما وحديثا. وفي هذا الصدد نركز على نوع من الرحلات ألا وهو الرحلات المغاربية الحجازية ونختار منها رحلة أبي سالم العياشي - ماء الموائد- وفق إشكال مفاده: ماهو دور الرحلة العياشية في التواصل الحضاري مع المشرق العربي؟.

مفهوم الرحلة - لغة واصطلاحا:

جاء في معجم مقاييس اللغة ما مفاده "رحل : الرأء والحاء واللام أصل واحد يدل على مضي في سفر , يقال : ر يرحل رحلة , ورحل رحيل : ذو رحلة , إذا كان قويا على الرحلة , والرحلة الإرتحال , وقولهم لما ابيض ظهره من الدواب : أرحل , فهو من هذا أيضا لا يشبه بالدابة التي عليها رحل , ويقال أرحلت الإبل = سمنت بعد هذا والراحلة : المركب من الإبل سواء كان ذكرا أو أنثى.(1)

أما الجوهري في معجمه صحاح العربية عرفها كما يلي :

'رحل , الرحل : مسكن الرجل وما يستصعبه من الأثاث , والرحل أيضا رحل البعير ... والجمع رحال , ومنه قولهم في القذف بابن ملقي أرحل الركبان ... ورحلت البعير أرحلة رحلا , إذا شددت على ظهره الرحل , قال الأعشى :

رحلت سمية غدوة جمالها غضبي عليك فما تقول بجمالها ويقال رحلت له نفسي إذا صبرت على أذاه , ورحل فلان وارتحل وترحل بمعنى والاسم الرحيل , أبو عمر : الرحلة بالضم الوجه الذي تريده "(2) , أما المفهوم الإصطلاحي فهي "مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباع المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة , وقد يتعرض البعض فيها لوصف ما يراه من عادات وأخلاق وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها او يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة أو يجمع بين كل هذا في أن واحد">(3) وأما أحمد الفاضل فقدم تعريفا آخر حيث يقول " هي فن عريق من الفنون النثرية التي ضمنها كتابها أخبار اسفارهم وسياحتهم ومغامراتهم البرية والبحرية وما انطوى عليه من غرائب وعجائب وما قاسوه في ثنايا تلك الرحلات من الفظائع والأهوال وما شاهدوه في البلدان والأصقاع والمناطق التي دخلوها من أحوال ساكنيها وعاداتهم وتقاليدهم الإجتماعية ونظمهم السياسية ومظاهر عمرانهم "(4) وتنقسم الرحلة حسب الهدف المنشود الى : الرحلة السياحية- الرحلة العلمية - الرحلة الخيالية - الرحلة الفهرسية - الرحلة الإستكشافية - الرحلة الحجية أو الحجازية...الخ(5).

تعتبر الرحلات الحجازية أهم أنواع الرحلات لأن مقصدها كان أسمى ألا وهو أداء فريضة الحج ، وقد كان المغاربة سباقون إلى هذا النوع من الرحلة وأخذت شهرتها على ايديهم . فقبل الحديث عن الرحلة الحجازية وجب ان نعرف ماهو الحجاز " الحجاز معناه

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون2017

الحد او الفصل ، ولفظ الحجاز عرف قديما منذ أن كان سكان شبه الجزيرة العربية يعيشون أشتاتا يعمهم التفكك السياسي ولا تجمعهم دولة ،فهم مجموعة من القبائل إستقرت في مناطق معينة غير واضحة الحدود مع تمتع بعض مدنه بالإستقرار مثل مكة والمدينة (6) ".....

وللحجاز مكانة متميزة في تاريخ الإسلام،"ففيه ظهر الإسلام وتثبيتت أركان دولته واستقرت قاعدته وفيه عاش الرسول صلى الله عليه وسلم كل حياته وقضى الخمسين سنة الأولى من عمره في مكة المكرمة حين نزل عليه الوحي... ثم أصبحت قاعدة الإسلام الأولى ومركز المسلمين ومنها بدأت الدولة تتوسع حتى شملت الحجاز... وفي الحجاز تقع الكعبة التي يحج إليها المسلمون من شتى بقاع العالم .." (7) لهذه الأسباب اكتست أرض الحجاز هذه الأهمية بالنسبة للمسلمين ،فالرابط الروحي المتمثل في أداء فريضة الحج كان محفزا على هذا النوع من الرحلات إذن فالرحلة الحجازية هي التي يكون "الباعث إليها زيارة البقاع المقدسة وعلى رأسها مكة والمدينة مهبط الوحي بالإضافة إلى زيارة المسجد الأقصى وزيارة الأولياء والصالحين ، مما يدفعهم ذلك إلى تسجيل ما يشاهدونه وما يرونه خلال السفر ويصوغون ذلك في قوالب فنية تخلد رحلاتهم وذكرياتهم" (8)، فالحج هو المحرك لهذه الرحلة وأثناء ذلك يحتك الرحالة بالعلماء ويزور الصالحين.

أبو سالم العياشي ورحلته ماء الموائد:

يعد أبا سالم العياشي من أبرز الشخصيات المغربية التي ذاع صيتها قديما وحديثا فهو "أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي ولد في أواخر شهر شعبان 1037هـ/1628م في قبيلة آيت عياش وهي قبيلة بربرية تتاخم بلاد الصحراء من أحواز سجلماسة ، ويعتبر أبو سالم العياشي من أبرز علماء الأسرة العياشية فهو الأديب والرحالة والفقير والصوفي والداعية الى تعاليم الإسلام السمحة والمحارب للبدع التي استشرت في المغرب في تلك الفترة ، تعلم بالزاوية العياشية ثم التحق بالزاوية الناصرية ثم جامع القرويين ،من أشهر مؤلفاته: إتحاف الاخلاء بإجازات المشائخ الإجماع واقتفاء الأثر بعد ذهاب الأثر-وقد قام برحلات ثلاث :الأولى في شهر ربيع النبوي 1053هـ/1643م والثانية أواخر ربيع النبوي 1064هـ/1658م والثالثة والأخيرة والموسومة:ماء الموائد وهي أفضل رحلاته دون فيها خلاصة تجربته في الحجاز" (9). وهي تضم شتى أصناف العلوم والمعارف.

وقد كان خط سير الرحلة حيث "انطلق من سجلماسة مرورا بالمغرب ثم الجنوب الجزائري فالجنوب التونسي فطرابلس فالقاهرة فالحرمين الشريفين ، ثم انتقل بعد ذلك الى أهم المدن الشامية غزة- الرملة - بيت المقدس - الخليل" (10)، يقول العلامة عبد الهادي التازي "وتعد رحلة العياشي من أهم الرحلات المغربية وأكثرها إنتشارا لأنها أكثر مادة وأكثر تنوعا ، وقد طفق الرحالون من اللاحقين ينقلون عنها دون أن يعودوا إلى مصادر أخرى... " (11)، وهذا ما أكد عليه في بداية رحلته حيث أقر بأنها لن تكون مجرد وسيلة للترفيه فقط وإنما ميدان خصب لشتى المعارف حيث يقول "وقصدي إن شاء الله من كتابة هذه الرحلة أن تكون كتاب علم لا كتاب سمر وفكاهة وإن وجد الأمران فيهما معا

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

فذلك أدعى لنشاط الناظر فيها "(12)، وقد راعى في رحلته مستوى القارئ وطموحه العلمي وهذا هو السر وراء التنوع المعرفي لهذه الرحلة. كان وراء هذه الرحلة رغبة قوية لدى أبي سالم لزيارة البقاع المقدسة رغم ألم الغربة والفراق الذي قد يعاينه أثناء ذلك فهو يعزي نفسه في بداية الرحلة بأبيات شعرية حيث يقول "

ذريني ارد ماء المفاوز أجنا حيث ماء للكرام معين
دعيني أكثر حاسديك برحلة إلى بلد فيها الرسول دفين"(13)

وإن من بين ما وضعه هدفا لرحلته«ما يشترك في معرفته عام الحاج وخاصهم من أوصاف المسالك وتعداد المراحل وأسماء البلدان وما يضاهاى ذلك مما لا تطمح إليه عيون الفضل وترتاح لذكرهم أهل النبل من لقاء المشائخ الفضلاء وحاضرة الأدباء والنبلاء ومباحثة الأذكياء وزيارة الأتقياء"(14)

دور الرحلة العياشية في التواصل الحضاري مع المشرق:

تعتبر الرحلة جسر للتواصل مع الآخر سواء كان هذا الآخر ينتمي إلى الحضارة نفسها أو إلى حضارة مغايرة فهي وثيقة أدبية تعرض بالوصف والمعاناة أحوال المجتمعات التي ارتحل صاحب الرحلة وتكشف عن طبيعة الوعي الإنساني بالآخر. إن مصطلح التواصل الحضاري ينقسم إلى شقين الأول التواصل : والذي نقصد به ربط علاقات بين شعوب مختلفة أو بين أفراد الشعب الواحد عن طريق الحوار والثاني الحضاري:نسبة إلى الحضارة التي مقياس رقي الدولة ، والحضارات البشرية« سلسلة متصلة الحلقات تأخذ كل واحدة منها بعضد الأخرى ولا يمكن ان تنفصل هذه الحلقات وإلا لوقف العلم وانتهى إلى حيث ينتهي الإتصال بينهما وذلك خلافا لما يراه شبنجلر من أن كل ثقافة في تركيب عضوي من نوع خاص لا صلة له بالثقافات التي جاءت قبله أو الثقافات التي تجيء بعده" (15) فانفتاح الحضارة على نفسها وغيرها يفي عنها التوقع والتعصب ،فكل حضارة تستفيد من السابقة لها . فأفراد الحضارة الإسلامية سابقا بنوا علاقاتهم مع الحضارات الأخرى على أساس التعارف الذي يتضمن تجاوز الذات من أجل بناء الجسور والتواصل مع الآخرين ، فهذه نظرة شمولية لعملية التواصل الحضاري في إطارها العالمي وقد أعطت الحضارة الإسلامية أنموذجا له من خلال انفتاحها على الحضارات المجاورة.

وهنا ينبغي الإشارة إلى نقطة مهمة وهي أن اتساع رقعة الحضارة العربية الإسلامية وخاصة في الجزء الغربي أي المغرب العربي، إذ أن هذه المنطقة كانت لاحقة في الفتح الإسلامي والفاثون الأوائل عندما جاءوا لهذه المنطقة تواصلوا مع ثقافة مختلفة وهي ثقافة السكان الأصليين الأمازيغ ، فقاموا بتعريبهم وأصبحت المنطقة فيما بعد قطبا حضاريا متميزا ..مما يجعل حتمية التواصل الحضاري بين المغرب والمشرق ضرورة ملحة حتى يتسنى تذليل نقاط الاختلاف بينهما. "ولا ريب أن الرحلات كانت بمثابة مصادر شاملة سجلت فيها جوانب مختلفة فيها يخص الجوانب الحضارية المختلفة على أزمنة متتالية،فالرحلة تتطلب اتساع المعارف وتنوعها،وهي تستند إلى التاريخ،ورصد

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

المظاهر الإجتماعية والإقتصادية والسياسية غير المألوفة، فهي ليست أداة معرفية فحسب بل تتعداها الى مهام حضارية،⁽¹⁶⁾ ومن النقاط التي ساهمت في التواصل الحضاري مع المشرق في الرحلة العياشيية نذكر

الفكر النقدي لدى العياشي :

أثناء اتصال العياشي بالمراكز العلمية على غرار مصر المدينة ..أثار انتباهه مجموعة من السلوكيات والمعتقدات الباطلة، فيحاول رد الأمور الى نصابها وخصوصا في قضايا الشريعة الإسلامية حيث يهتم بصحة الأحاديث التي من خلالها تصوب سلوكيات الناس وفقها⁽¹⁷⁾، فقد حرص على رد الكثير من المعتقدات الخاطئة والأفكار الضالة وفق منظور سني معتدل سواء ما تعلق منها بالديني او الاجتماعي او الاقتصادي ، رغبة منه في توحيد الصورة بكل موضوعية . وعلى هذا الأساس لم يكن النقد الذي وجهه العياشي لأجل النقد فقط بل كان الغرض إبراز نقاط الخلل في المجتمع الإسلامي بغرض إصلاحها، وهذا انطلاقا من رؤيته للعالم الإسلامي وكونه تحت لواء الاسلام الذي يجمع ولا يفرق.

وقد لجأ الرحالة في بعض الأحيان الى ما يسمى بالسخرية في مقام انتقادهم للظواهر المختلفة، أو العين الساخرة ، وهي "كمحسن بلاغي واستراتيجية خطابية تجعل من المحتمل أهم إنشغالاتها، وللإجابة عن كيفية تبيين المحتمل في الخطاب الساخر نشير مع سعيد علوش إلى أن السخرية تتمثل في منهج جدلي يعتمد على الإستفهام بمفهومه البلاغي، أو هي التعبير بلغة ذات نزوع متعارض"⁽¹⁸⁾، فمثلا يوظف العياشي هذا المحسن البلاغي فيقول حين خروجه من بلاد اوقروت "ولولا أن هذه القرية في مثل هذه المفازة ما حسن تسميتها قرية، إذ ليس فيها الا نخلات معدودة قد يبس أكثرها، وبقيت جدران تسفي عليها الرياح وحجرات من جريد النخل، وعرش من الجريد مرفوعة من الأرض بمقدار القامة يبس فيها ثمر ذلك النخل، إذ لا يقدرون على وضعه على الأرض لئلا يغلب عليه الرمل فيذهب أدرج الرياح..."⁽¹⁹⁾، فتعبيره الساخر لا يعبر عن ازدراء للمكان لكنه أسلوب يغلب عليه الطابع الأدبي المشوق ليعطي صورة عن المكان بوضوح.

أ-نقد المعتقدات الدينية:

لقد دون العياشي في رحلته أفكار تتناسب مع شخصيته العالمية الورعة ، فانتقد الضلالات التي سادت المجتمع الإسلامي شرقا وغربا رغبة منه في توحيد الرؤى الدينية بين المشرق والمغرب مما يفتح أفقا أوسع للتواصل بين القطبين ، نذكر على سبيل المثال مشهدا أثار انتباهه وهو بالديار التونسية حيث يقول "وماتت في الركب في تلك الليلة امرأة موسرة من أهل تونس وكانت لها محفة رفيعة تحمل فيها فلما ماتت أوسعوا في حفر قبرها ودفنوها بمحفتها وذلك غلو وبدعة وتضييع مال ، فان المحفة لها مال وقيمة وحضر أمير تونس وكبرائهم ولم ينكر ذلك أحد"⁽²⁰⁾ ، ويقر بأن هذه البدع ليست حكرا على مجتمع معين او بيئة معينة ، فلم يقدم أبا اسالم جهة من جهات العالم الاسلامي التي شملت رحلته باعتبارها مركزا صحيحا ومثالا صافيا للعلم والعمل أي انه لم يتحيز لمنطقة بل بدا متحليا بموضوعية التي ورائها شخصية الرحالة العالم⁽²¹⁾.

ويورد بعض جهالات العامة حيث يقول: "حكى لي بعض المجاورين أنه وُجد في بعض المواسم رجل مع امرأة في الحرم الشريف فحُملا إلى الحاكم فشهدت البينة أنها زوجته وقيل له: ما حملك على ما فعلت؟ فقال له: إنه لا ولد لنا فرجوت أن تحمل المرأة ببركة هذا الحرم فَعُذر بجهله ولم يعاقب"⁽²²⁾، مما يعتبره تعد صريح على أحد الحدود وتساهلا في تطبيق الاحكام الشرعية، وفي موضع آخر ينتقد بعض الائمة و جهلهم بقواعد خطبة الجمعة "...ودخلنا للمدينة لحضور صلاة الجمعة وصلينا بجامع يسمى جامع المالكية، وخطب الخطيب بخطبة أكثر فيها اللحن والخطأ والتحريف والتقديم والتأخير مع إدغام أكثر حروفها حتى كأنها همهمة، فكنت أتخوف ألا تصح لنا جمعة معه ان كانت صلاته كخطبته"⁽²³⁾

والملاحظ أن العياشي حريص على ذكر الأسباب الموضوعية وراء الإنتقادات التي يوجهها، ليس أن الغرض المرجو هو التقويم لا مجرد النقد فقط، وهذا يجعل منه شخصية مرنة يقبل الناس على شتى أفكارها بكل أريحية.

النقد الاجتماعي في الرحلة العياشية كحلقة تواصل:

كان للملمح الاجتماعي في الرحلة العياشية النصيب الأكبر بحكم معايشة العياشي لسكان المشرق وأهل الحجاز خصوصا، ويورد خصائص بعض المجتمعات من خلال معاينته لها، فيقول عن المجتمع المصري "وبالجملة فمصر أم البلاد شرقا وغربا لا تستغرب شيئا مما يحكى منها من خير

أو شر و مصداق ذلك ما حدثني بعض أصحابنا من التجار في سنة أربعة وستين قال: لما دخلت مصر في حدود الخمسين سكنت بعض الوكائل وكان من قدر الله ان اجتمعنا في محل واحد جماعة من فلان وفلان تجار وفلان طالب علم وفلان ممن يليق الى طريق الفقر وفلان ممن يميل إلى المجون... فيقول التاجر: ما رأينا مثل هذا البلد في التجارة فأهلها كلهم تجار، ويحكي خلال ذلك حكاية ما شاهد، ويقول الفقيه مثل ذلك والفقيه مصل ذلك وذو المجون مثل ذلك، وما ذلك إلا كثرة أجناس الناس فيها فمن طلب جنسا وجد منه فوق ما يظن، فيظن أن أهل البلد كلهم كذلك"⁽²⁴⁾، وقد مكث في الحجاز لفترة لا بأس بها، وقد كان حريصاً على الإشارة إلى الخلل الذي يعاينه حتى لو كان بسيطا، وقد أورد بعض العادات الاجتماعية المستحبة لسكان الحجاز كقوله: "مما أنعم الله به على أهل الحجاز هذا البن لأنهم ضعفاء فقراء في الغالب والناس يقدمون عليهم من الأفاق والإنسان لا بد له من طعام يقدمه لمن دخل عليه ولا قدرة لهم على تكلف ذلك لكل جديد يدخل عليهم..."⁽²⁵⁾، هذه الملاحظة تدل على احتكاك العياشي للمجتمع الحجازي وغوصه في أعماقه.

ويتحدث العياشي عن المرأة المدنية وميولها نحو البذخ والترف فيقول: "ولقد أخبرت أن للنساء عليهم عادة يسمونها الشخصخة وهو ما تشتري به المرأة ما تشتتبه من الأزهار وربما بلغ ذلك ريالاً كل يوم"⁽²⁶⁾، وهو يعيب عليها إسرافها في الزينة وفي الشكليات، ومن الآفات الاجتماعية الخطيرة التي سجلها العياشي نذكر آفة الرشوة التي وجدت في الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي ساد خلال القرن الحادي عشر

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

والتي مست جميع المهن بما فيها المهن الشرعية حيث يقول: "والحاصل أن المناصب الشرعية كلها في البلاد المشرقية حجازاً ومصرأً وشاماً من إمامة وخطابة وأذان وإقامة وقضاء وفتوى وشهادة.. إنما تُنال بالشراء من الولاية"⁽²⁷⁾، والواقع أن رحلة العياشي تقدم فكرة واضحة عن الواقع الاجتماعي في العالم الإسلامي مشرقه ومغربه خلال القرن الحادي عشر.

التواصل الصوفي في الرحلة العياشية:

يعد أبو سالم العياشي فقيهاً عالماً متبوعاً نهج التصوف وهذا يعود إلى نشأته الصوفية التي حصل عليها من الزاوية العياشية "وتقع الزاوية العياشية أو زاوية سيدي حمزة كما تسمى اليوم على ضفاف أحد روافد نهر زير جنوبي مدينة تيدلت، والملاحظ طبيعياً أنها محصنة بحدود جبلية تمثلها من الشمال الغربي السفوح الجنوبية الشرقية لجبل العياشي ومن الجنوب الغربي قمة جبل أفداي... أما طريقة الزاوية العياشية فكانت شاذلية وشيوخ محمد بن أبي بكر كلهم شاذليون وقد تأصلت هذه المبادئ لدى أبناء الزاوية العياشية وعلى رأسهم أبو سالم"⁽²⁸⁾، الذي سار على نهج الزاوية في طريقها الصوفية ولم يحد عنه.

تتجلى شخصية أبي سالم المتصوفة في كونه كان حرصاً على تنقية النفس والراقي بها إلى معالم الكمال والطهر وأبو سالم "متصوف قوي الشخصية له نظرية خاصة في الحياة وفي السعي إلى المناصب العليا وفي المال، وبعض هذه الاتجاهات واضح في سلوكه ومن خلال بعض رسائله ومؤلفاته ومن ذلك ما كتب إلى صديقه وتلميذه عثمان بن علي اليوسي من طرابلس واعظاً إياه بقوله: "إياك والاهتمام بالرزق والخوف من الخلق فإنهما أصل كل وهن في الدين وضعف في اليقين، فإن الأول يوجب الشك في المقدر وفتور في النفس..."⁽²⁹⁾، والعياشي يراعي في سلوكه الصوفي موافقة السنة رغبة منه في توحيد الرؤى حول الغاية من التصوف وجعل الكتاب والسنة مصدر التشريع ومحل الاتفاق وعدم الاحتكام إلى الأهواء المختلفة.

قام أبو سالم العياشي بدور إيجابي في الحركة الفكرية بين المغرب والمشرق "وقد مكنته تجاربه من جمع معلومات متنوعة عن أحوال البلدان التي زارها اجتماعياً وتاريخياً إلى جانب الحياة الفكرية التي مثلت المحور الأساسي في علاقته المشرقية"⁽³⁰⁾، ويتضح ذلك من خلال حرص أبي سالم على معرفة كل إنتاج جديد في ميدان التأليف فكان أول من أدخل كتاب (نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض) إلى المغرب بعد أن وعد المثقفين والمهتمين المغاربة بإحضاره"، في ربط لأواصر المعرفة بين القطرين مشرقه ومغربه.

إجازات أبي سالم ودورها في التواصل الحضاري

كان من اهتمامات أبي سالم أن يحصل على أكبر قدر من الإجازات من العلماء المشاركة والمغاربة، والإجازة هي "إحدى طرق التحمل والرواية عند المحدثين من أهل العلم لذا تنوعت في معناها وأدائها باعتبارها لا تخرجها عن معنى تحمل العلم عن الشيوخ في الجملة"⁽³¹⁾ وهي في اصطلاح العلماء إذن المحدث للطالب بأن يروي عنه كتاباً من كتب الحديث أو غيرها من دون أن يسمع منه أو يقرأ عليه وهذا أصل معناها عند

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

الإطلاق" (32)، ولا يصل طالب العلم لهذه المرتبة إلا بعد مجالسة العلماء لفترة طويلة يثبت من خلالها جدارته وأحقيقته بالإجازة، فهي شهادة اعتراف بالقدرة العلم والإجازة لفظاً ومعنى "للحفاظ على الإسناد واتصاله وتسلسل رجاله والإنتساب لكتب السنة وغيرها، فكانت معياراً لذلك وعنواناً على الطبقات واللقى والمعاصرة وغيرها من تحاسين الرواية وأفانين الإجازة .." (33)، فهي تعطي لطالب العلم الحق في الإجتهد في المسائل الفقهية .

كان مما يسعى إليه طالب العلم قديماً هو الإجازة، فكانت في الصدر الأول مقرونة بالعلم حلاً وترحالاً فلا يذكر العلم إلا ذكرت، ولا يعرف العالم إلا إذا عرفها، ولا يعرف الحق من الباطل إلا إذا صح سندها ... " (34)، فضلها يكمن في إثبات السند والتأكد من صحة المرويات ومالكها يملك الأهلية للقيام بهذه المهمة الجليلة .

فهي وسيلة من وسائل الأخذ والتحمل تكون بأشكال مختلفة شفوية وكتابية عامة وخاصة نثرية ونظمية ، ولا تنال إلا بعد استيفاء شروطها أملاً في ربط الصلات الثقافية بين الشرق والغرب ، ولأن ذلك يعتبر مظهراً من مظاهر النبوغ العلمي كانت الإجازات التي تحصل عليها كبيرة خصص لها فيما بعد كتاباً خاصاً سماه اتحاف الأخلاء بإجازات المشائخ الأجلاء ، وسوف نستعرض أهم هذه الإجازات التي حصل عليها العياشي .

نذكر من الشيوخ المشاركة الذين أجازوا أبا سالم الشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري وكان له اهتمام بالغ بالرواية وحفظ الأسانيد واستجاز محمد بن رسول الشهرزوري من أئمة الفقه المالكي بالمدينة المنورة" (35) كما أخذ عن "أحمد بابا التميمي ذكر العياشي أنه لقيه ببسكرة ولقنه الذكر وأجازه كما لقيه بالأسكندرية، كما أجازه الشيخ ياسين بن محمد بن غرس الدين الشافعي الأنصاري الخليلي من المدينة المنورة ، وعمر بن عبد القادر المشرقي وهناك العديد من الإجازات لعلماء مشاركة ومغاربة لا يتسع المقام لذكرهم" (36) .

هذه الإجازات المختلفة التي حصل عليها العياشي تتم عن رغبة في التوفيق بين علوم المشرق بحكم أسبقيته الحضارية و علوم المغرب باعتبارها منطقة لحقت الركب الحضاري، فهو لا يرى تعارضاً بينهما بل يرى التكامل في التوفيق بينهما، وهذا ما يفتح الطريق أمام المتفقيين في القطرين الى انتهاج نفس الاسلوب في التعامل .وقد أجاز العياشي العديد من طلبة العلم خاصة في المدينة ومصر .

دور أبي سالم في ربط الصلات بين المشرق والمغرب:

قام أبو سالم بدور إيجابي في حركة فكرية بين المغرب والمشرق وأضاف أثراً طيباً الى سلسلة العلاقات الثقافية بين البلدان الاسلامية المختلفة ،وقد مكنته تجاربه من جمع معلومات مختلفة عن أحوال البلدان التي زارها اجتماعياً وإقتضادياً وثقافياً ،إلى جانب الحياة الفكرية التي مثلت المحور الأساسي في علاقاته المشرقية خلال القرن 17 م ونستطيع أن نبرز مجالات هذه المشاركة من خلال الأمثلة التالية:

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون2017

أ-حرص أبو سالم على معرفة كل انتاج أدبي جديد في ميدان التأليف ،فكان أول من أدخل كتاب "نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض"،بعد أن وعد المثقفين والمهتمين المغاربة بإحضاره وسهر بنفسه على استنساخه.

ب- نقل أبو سالم عددا من رسائل الشيخ إبراهيم الكوراني في مسألة الكسب ،وقد أثارت مناقشات طويلة بين علماء فاس والمدينة المنورة ،وألف من أجل الرد على أقوال الشيخ الكوراني ،كل من الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي وولد عمه السيد المهدي بن أحمد الفاسي وتلطفا في إظهار مخالفتها لأرائه ،بينما تشدد بعض المغاربة وانتصروا لآراء علماء فاس"

ج- أثارت مسألة التبغ ضجة في المغرب منذ مستهل القرن 17م،فسجل أبو سالم الكلام حول الموضوع ،فالشيخ صفي الدين القشاشي أحد رجال العلم بالمدينة ،يميل إلى كراهية استعمال الدخان ،في حين أن الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني يتصدى لمن يميل الى الإباحة وقد ألف من أجل ذلك رسالة سماها (محدد السنان في نحور إخوان الدخان)."⁽³⁷⁾ هذا الأخذ والرد في المسائل العلمية والفقهية المثارة آنذاك يدل على نشاط فكري كان للرحالة يد طولى فيها ،فأبو سالم كان حريصا على غلق الفجوة الثقافية بين المشرق والمغرب العربي ن خلال مراسلاته ومناظراته المختلفة.

ما يمكن استخلاصه بعد استعراض الدور الذي قام به أبو سالم العياشي في التواصل الحضاري مع المشرق مايلي:

أن الرحلات المغاربية الحجازية كانت بحق جسرا عبرت من خلاله ثقافة المغرب الى المشرق العربي ونقلت ثقافة المشرق إلى المغرب العربي، فقد مدت جسور التواصل بين شقي العالم الإسلامي.

لقد رأى أبا سالم العياشي أنه من الواجب على العالم الحقيقي أن يطلب العلم من معينه الأصلي ومن الشيوخ ذوي السبق ، فكانت رحلته حافلة بالمسائل العلمية المختلفة ،حيث جمع بين علوم المغاربة والمشاركة خصوصا في المجال الفقهي والصوفي، حتى أنه خصص من وقته للتدريس في البلاد المشرقية،في تواصل حضاري حقيقي بين المغرب والمشرق العربي.وما الإجازات التي أجازها لغيره خير اثبات لهذا الدور.

أن الرحلة العياشية حافلة بالعديد من المسائل العلمية المختلفة التي تحتاج الى من يميظ اللثام عنها ،والمجال مفتوحا أمام الباحثين للقيام بهذا الدور.

هوامش الدراسة :

- 1 - أبو الحسن احمد ابن فارس-مقاييس اللغة- تحقيق عبد السلام محمد هارون-دار الفكر - دط -دت مادة رحل.
- 2 - أبو نصر الجوهري - الصحاح- تحقيق أحمد عبد الغفور عطار- دار العالم للملايين - بيروت -دط 1987- ج 6 مادة رحل.
- 3 - مجدي وهبة وكامل المهندس- معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب- مكتبة لبنان - ط2 1984- ص17.
- 4 - أحمد الفاضل - تاريخ وعصور الأدب العربي - دار الفكر اللبناني -
- 5 - عواطف يوسف تواب - الرحلات المغربية والأندلسية- الرياض - دط -1996 ص 30.
- 6 - ينظر حسين نصار - أدب الرحلة - الشركة المصرية العالمية للكتاب- ط1 1990.
- 7 - صالح أحمد العلي - الحجاز في صدر الإسلام - مؤسسة الرسالة -بيروت - ط1- 1990 ص 07
- 8 - مرجع نفسه ص 08.
- 9 - أبو سالم العياشي- اتحاف الأخلاء بإجازات المشانخ الأجلاء- دار الغرب الإسلامي - ط1 1999م- ص25.
- 10 - مصدر سابق ص:25.
- 11- ينظر عبد الهادي التازي-رحلة الرحلات-
- 12- أبو سالم العياشي- الرحلة العياشية-تحقيق سعيد الفاضلي -دار السويدي للنشر والتوزيع-الإمارات-ط1 2006 ص02.
- 13 - المصدر نفسه ص:52-53.
- 14 - المصدر نفسه ص:53.
- 15 - سعيد الدين صالح- التواصل الحضاري والحفاظ على الذاتية- دار الصحوة للنشر والتوزيع- ط1 2005 ص:24-25.
- 16 - ينظر عواطف بنت محمد يوسف نواب-كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز-دار الملك عبد العزيز-الرياض 2008-ص 20-21.
- 17 - ينظر الحسن الشاهدي- ادب الرحلة بالمغرب في العهد المريني- منشورات هكاظ- ج 1 دطدت ص 587.
- 18 - عبد النبي ذاكر- العين الساخرة - المركز المغربي للتوثيق والبحث في أدب الرحلة - ط1- مارس 2000م- ص :10-11.
- 19 - ابوسالم العياشي- الرحلة العياشية -ج 1 ص 107.
- 20 - المصدر السابق- ص :15.
- 21 - المصدر نفسه ص 15.
- 22 - المصدر نفسه ص 18.
- 23 - المصدر نفسه -ص-114.
- 24 - مصدر سابق-ص: 222.

مجلة الآداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- 25 - المصدر نفسه ص:122.
26 - المصدر السابق ص: 22
27 - المصدر نفسه 282.
28 - أبو سالم العياشي - اقتفاء الاثر بعد ذهاب الاثر - تحقيق نفيسة الذهبي- منشورات كلية الآداب والعلوم- الرباط - ط1- 1996م- ص 21- 22.
29 - المصدر السابق ص56.
30 - أبو سالم العياشي - الرحلة العياشية ص: 115.
31 - ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي- الوجازة في الاثبات والاجازة - فهرسة الملك فهد الوطنية - الطائف - ط - 1428هـ- ص21.
32 - المرجع نفسه - ص 22.
33 - المرجع نفسه - ص 22.
34 - المرجع نفسه ص 27.
35 - ابو سالم العياشي - اتحاف الاخلاء ياجازات المشانخ الاجلاء- ص 68 69
36 - المصدر نفسه ص:69.
37 - ينظر ابو سالم العياشي- اقتفاء الاثر بعد ذهاب الاثر - ص 57-58-59.

بعض مظاهر التقابل الثقافي من خلال الترجمة عربي/انجليزي.

مقال من إعداد الدكتور: سعيد بن عامر
جامعة تلمسان – ملحقة مغنية.

ملخص المقال:

يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على بعض مظاهر التقابل الثقافي بين اللغتين العربية و الانجليزية، و ذلك بغية الإجابة عن التساؤل الذي مفاده: "إلى أي مدى يكمن الاختلاف أو التشابه بين العربية و الانجليزية باعتبار الحدود المعرفية للغتين لاسيما في مجال الميتالغوي؟". و نحاول من خلال بعض النماذج و الأمثلة أن نكشف النقاب عن هذا التباين معتمدين بعض إجراءات الترجمة عربي/انجليزي من: تكافؤ – تحويل – تأقلم – ترجمة حرفية و غيرها، و ذلك عبر دراسة تقابلية متصلة باللسانيات التطبيقية أو فيما يعرف بعلم اللغة التطبيقي، ميرزوين دور المترجم في مهمة نقل النتاج اللغوي من مجتمع إلى آخر باستناده إلى موسوعته الترجمية و الخاصة بلغة المنطلق و لغة الهدف، فإنه و من البديهي لا يستطيع فعل ذلك بعمى ثقافي.

كلمات مفتاحية:

لسانيات تطبيقية – لسانيات تقابلية – ترجمة – ثقافة – إجراءات الترجمة – النظرية الكلاسيكية – نظرية التفوق.

The summary of the research:

This research aims at shedding light on some features of cultural contrast in between Arabic and English in order to reply the question that says: "To which extent are both of the Arabic and English languages similar or different from sense of their epistemological borders mainly in the field of Metalinguistics. We do try to explicit this dimension through some chosen samples and examples by referring to some of the translation Arabic/English procedures such as: Equivalence – Modulation – Adaptation and word by word translation. This through a contrastive study linked to applied linguistics in its practical side. We try to show the role of the translator who makes the transfer of the source text into the target one.

For such a deal, he/she must have a great knowledge about the culture of both languages since he can't anyway translate with a cultural blindness.

Key-words: Applied linguistics – Contrastive linguistics – Translation – Culture – Translation procedures – The classical theory – The theory of success.

I. الجانب النظري:

تقديم: إن الأمر الذي لا يغرب عن أحد هو أن حقل الترجمة لاسيما الإجرائي أو التعليمي، يعد فضاء تتلاقى فيه اللغات و تتقاطع، فهو إذا الميدان الخصب لاستثمار التجربة العالمية في مجال اللسانيات التطبيقية بعامة و اللسانيات التقابلية خاصة. ذلك بغية ترقية طرائق تعليم اللغات و من ثم تعليم الترجمة.

و من هنا فالإشكال المطروح هو كالاتي: "كيف استطاعت اللسانيات التطبيقية عموما و التقابلية خصوصا أن تؤثر في تعليمية اللغة الأجنبية؟ و كذا كيف استطاعت أن ترفع من مستوى الترجمة؟

و لربط العلاقة بين اللسانيات التطبيقية بالترجمة عبر اللسانيات التقابلية يجدر بنا أن نعرف و لو بإيجاز و في المقام الأول اللسانيات التطبيقية.

1- تعريف اللسانيات التطبيقية:

تعرف كثير من المعاجم الخاصة بالمصطلحات هذا التخصص بأنه عبارة عن استخدام منهج النظريات اللغوية و نتائجها في ظل بعض المشكلات ذات الصلة باللغة في ميادين غير لغوية، لذا فحقل هذا العمل شديد الاتساع يضم تعليم اللغات الأجنبية و تعليم اللغة الوطنية و أمراض الكلام و الترجمة و صناعة المعاجم و الأسلوبية و المعلوماتية... و غيرها. فاللسانيات التطبيقية مصطلح يدل على تطبيقات متنوعة لعلوم اللغة في ميادين علمية و يستغل اللغة في حل مشكلات علمية و لغوية مثل تعليم اللغة و غيرها. و لقد سلكت اللسانيات في جيلها الثاني مسارا طويلا عرف تشعب الدراسات و أفرز العديد من التخصصات التي شملها الجانب التطبيقي الذي جاء حتما للاستثمار في النتائج التي تمخضت عن اللسانيات النظرية، و من جملة هذه الفروع التي عدت في الحقيقة مصادر اللسانيات التطبيقية، نجد اللسانيات التقابلية.

2- تعريف اللسانيات التقابلية:

إنها كما أشرنا إليه أنفا إحدى فروع اللسانيات التطبيقية، أخذت مسارها العلمي في الولايات المتحدة الأمريكية خاصة ابتداء من سنة 1950. و كانت في بداية الأمر عبارة عن إجراء مقارنة دقيقة بين لغتين على المستوى الصوتي و التركيبي و الدلالي، و ذلك بغية إبراز أوجه الاختلاف و التمايز بينهما، و من ثم وضع طرائق تعليمية لتذليل الصعوبات التي تعترض المتعلم للغة الأجنبية التي تختلف كل الاختلاف عن لغته الأم.

و يعد كل من "لادو و فرايز" Ladu et Freiz من رواد التحليل التقابلي و مع ظهور أعمالهما، عرفت اللسانيات التقابلية نجاحا كبيرا في سنوات الخمسينات و الستينات في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم تبعها في ذلك جامعات أخرى أوروبية و كانت تعرف باسم علم اللغة التطبيقي مثل اليابان و ألمانيا.

و للسانيات التقابلية أهمية بالغة في البحث عن كيفية تحقيق صنف شمولي في اللغة (أ) و كيفية وجوده في اللغة (ب). و يتم ذلك من خلال دراسة النتائج المتحصل عليها بعد نهاية التطبيق.

و لعل "دي سوسور" كان محقا عندما قال: "إنه لا يوجد في اللغة إلا الاختلافات". و بناء على ذلك، فإن اللسانيات التقابلية بعدها فرعا من اللسانيات التطبيقية لها شرعية الحضور الإلزامي في حقل الترجمة لتقديم إجراءات علمية و عملية كافية للكثير من التساؤلات التي تثيرها إشكالية التداخل بين الألسن. و للسانيات التقابلية أربع نظريات و هي:

(1) النظرية الكلاسيكية Classical theory و تعمل على إيجاد أوجه التشابه و الاختلاف بين اللغات.

(2) نظرية التحويل Theory of transfer.

(3) نظرية التفوق Theory of success.

(4) نظرية تحليل الأخطاء Theory of error analysis.

أما فيما يخص بحثنا هذا فعمدنا إلى النظرية الكلاسيكية من أجل إبراز أوجه التشابه و الاختلاف بين اللغة العربية و اللغة الانجليزية، و ذلك في المجال الميتاألسنى و بخاصة الثقافي، مركزين على أوجه الاختلاف التي نحسبها كثيرة و ذلك لأسباب كثيرة بالنظر لتباعد الثقافتين أصلا و فصلا، بالرغم من تجاورهما على المستوى النظامين كما سنبينه لاحقا.

3- دور اللسانيات التقابلية في عملية الترجمة:

تضطلع اللسانيات التقابلية بمهمة لسانية تطبيقية و تعليمية إجرائية هادفة في مؤسسات تعليم اللغات، إذ لها حضور فعلي في تحضير المحتويات التعليمية و تكوين الاختبارات و التمارين ذات التصحيح المسبق، و التي لها علاقة مباشرة بالاختلافات و ما يعرف بنقاط الارتكاز بين اللغات.

تسعى اللسانيات التقابلية إلى وضع منهجية متميزة لترقية التلاقي بين اللغات، منهجية قابلة للتطبيق في كل حالات التعدد اللغوي سواء تعلق الأمر بالترجمة أم بتعليم اللغة الأجنبية.

4- علاقة الترجمة بالثقافة:

ترتبط بالترجمة بالمتاقفة من زاوية تواصلية حيث تتخذ الترجمة شكل أداة للتواصل الثقافي سواء بين ثقافتين من نفس الأسرة أم من أسرتين مختلفتين. كما ترتبط الترجمة بالمتاقفة من جانب معرفي ابيستيمولوجي فتغدو فعلا معرفيا يساهم في إثراء الثقافات بناء على جدلية الأخذ و العطاء.

و ترتبط معها كذلك من زاوية إيديولوجية لأنها تتحول إلى فعل يدعم الغزو الثقافي بسلطة القوة أي كان نوعها اقتصادية، سياسية، عسكرية أو تكنولوجية.

فالترجمة في هذا المقام تتجاوز ما هو ذاتي شخصي إلى ما هو مجتمعي، فترتقي إلى مستوى الإجابة عن الأسئلة المطروحة على المشهد الثقافي و الحضاري و المعرفي لمجتمع ما، حيث الحاجة إلى ثقافة الآخر و التي تعتمد على فعل الترجمة من أجل مواكبة التحديث و التغيير، فتصبح الترجمة بهذا المنظور بمثابة قناة تواصلية تقلص المسافة بين الشعوب من خلال الاطلاع على منجزاتها و خبراتها.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

و لعل التعبير العام القائل: "العالم قرية صغيرة" أصبح من الأدبيات التي أفرزتها عولمة الإعلام، فيه يمكن ملامسة كل مستويات الاندماج و الانفتاح التي أضحت تمس كل المجتمعات و منه الانفتاح الثقافي. و بما أن الثقافة بمعناها الإثنوغرافي الواسع هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة، و العقائد، و الفن، و الأخلاق، و القانون و العرف و كل القدرات و العادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع، فإن الكثير من مكونات هذه "الثقافة" يتعذر انخراطه في نسق تفاعلي بين ثقافتين مختلفتين الأمر الذي يستوجب خلق وسيط يساهم في إيجاد جسور التفاعل و التقارب بينها، الأمر الذي يختم الاعتماد على المثاقفة.

و لعل الوسيط الأنجع هو المترجم الذي يجب أن يبحث عن الإجراءات الكفيلة بإنجاح العملية الترجمية إلى أبعد الحدود.

و من أبرز هذه الإجراءات ما جاء به كل من "فييني" و "درابلينيه" J.P Vinay and J. Darbelenet في كتابهما المعنون " Stylistique Comparée du Français et de L'anglais" أي مقارنة أسلوبية بين الفرنسية و الانجليزية.

و هو ما اعتمدها في محاولة إسقاط بعض الإجراءات على دراستنا المتعلقة بالمقارنة بين اللغة العربية و الانجليزية في مجال ثقافي معرفي، آخذين بعض النماذج للتمثيل لا للحصر.

و من جملة هذه الإجراءات المعتمدة في الترجمة نذكر: التكافؤ بنوعيه المطلق و النسبي Equivalence – التطبيع Modulation (التحويل أو القولية) – التأقلم Adaptation – الترجمة بتصرف أو التكيف.

II. الجانب التطبيقي:

تقديم:

قبل أن نتطرق للأمثلة التي تبرز أوجه التشابه أو الاختلاف بين اللغتين العربية و الانجليزية لاسيما في المجال الثقافي، يجدر بنا أن نشير إلى بعض الملاحظات الهامة التي من شأنها أن تبرز العلاقة بينهما. فإنه و بحكم العديد من الدراسات التقابلية التي أجريت على اللغتين و على مستويات مختلفة، تبين أنه ثمة تجاوز كبير بينهما، لا من حيث النظام فحسب و لكن حتى من حيث الجينات الوراثية التي تخضع للتأصيل ثم للتحويل على مستوى الكلمات في جذورها ثم في فروعها.

ملاحظة: يقال على أن "جذور الانجليزية في العربية"، و قد أنجزت و قدمت أعمال بحثية كثيرة في ذلك.

و من الأمثلة ما يلي:

- كلمة: **نطفة** عربية، تحولت إلى Nativa اليونانية ثم إلى Native الانجليزية.
- كلمة: **كحول** عربية، تحولت إلى Alcohol انجليزية.
- كلمة: **حلوا** بمعنى أقدموا تحولت إلى Hello.
- كلمة: **حوزة البيطار** عربية تحولت إلى Hospital انجليزية.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

و فيما يلي نورد جملة من الأمثلة التي اخترناها للكشف عن حقائق هذا التجاور أو الاختلاف بين العربية و الانجليزية في المجال الثقافي الابيستيمولوجي.

▪ الإجراء الأول: الترجمة الحرفية: Word by word translation

أو الكلمة بالكلمة و هذا الإجراء غير مجدي في غالب الأحيان إلا أنه يدخل ضمن الترجمة المباشرة التي تبقى السلاح المبدئي للمبتدأ. فعند الترجمة لا تراعي المعنى و ترتيب الكلمات في الجملة، إنها ترجمة عمياء.

أمثلة:

(1) مثال جاء به "تشومسكي"

Green ideas sleep furiously ← الأفكار الخضراء تنام نائمة.

التعليق: تركيب سليم لكن المعنى غير واضح.

(2) كتب سعيد كتابه على في في ← Happy wrote his book on in in

التعليق: تركيب خاطئ و معنى غامض فالكتاب هنا يقصد به الزواج أو القران أما "في في" فهو اسم الفتاة و "سعيد" اسم الرجل و ليس الصفة سعيد أو فرحان.

أمثلة أخرى:

• خطر على بالي ← Danger on my mind

• لم أهرب قط ← I don't escape a cat

• السلطة المطلقة ← Divorced salad

• كفيل ب ← As an elephant

• قدر ظروف في ← Evaluate my envelopes

• لا يمت لي بصلة ← He does not die to me with onion

و كثير من الأمثلة التي تصب في مجال الثقافة من أكل و شرب و لباس و عادات اجتماعية و طقوس دينية و سلوكيات تعاملية بين أفراد المجتمع الواحد. و في هذا الصدد نورد الأمثلة الآتية بالتفصيل و التعليق.

▪ الإجراء الثاني: التكافؤ بنوعيه المطلق و النسبي Equivalence:

1. اللغة الاصطلاحية: و ما تتضمنه من تشبيهات و استعارات و كنايات و أمثلة و

حكم و ألغاز و غيرها.

أ. التشبيهات: بما فيها الضمني و البليغ.

أمثلة:

- سهل كشراب الماء ← As easy as ABC

- مشغول كالنمل ← As busy as a Bee

- سريع كالغزال ← As swift as an Eagle

- مفترس كالنمر ← As fierce as a Tiger

- شجاع كالأسد ← As brave as a Lion

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- هادئ كالحمل ← As cool as cucumber
 - عنيد كالبعل ← As stubborn as a Mule
 - وافق شن طبقة ← As like as two peas
- تعليق:** نلاحظ الكلمات التي تحتها سطر في العربية و الكلمات التي تحتها سطرين في الانجليزية مما يبين نوع التكافؤ هل هو مطلق كاملا أم ناقص نسبي.

ب. ثوابت Idioms:

- قبض عليه متلبسا بجريمة ← He was caught red handed
 - جرت الأمور كعقارب الساعة ← It went like clock work
 - كان على شفة حفرة من النار ← His life hangs by a thread
 - لا تحشر أنفك ← Keep your fingers crossed
 - يكاد يطير من الفرح ← He is as a dog with two tails
 - or- He jumped to his feet with joy
 - لقد أوقع بي أو لقد نصب لي كميناً ← He stood me up
- ج. أمثال و حكم:** و يكون المثل بمثابة تكافؤ تام أو مطلق إذا اشتمل على العناصر الآتية:

الوضعية Situation – الأدوات Devices – التأثير Impact – المعنى المراد
The meaning – الكلمات و العبارات المستعملة The used words and .expressions

● **أمثلة :** Proverbs :

- لقد أثلجت صدري ← You warmed my heart
- مصائب قوم عند قوم فوائد ← One man's meat is another man's poison
- ذاك الشبل من ذاك الأسد ← As father as son
- قل لي من تعاشر أقول لك من أنت ← Men are known by the company they keep

- الأفعال أصدق من الأقوال ← Actions speak louder than words
 - الصديق عند الضيق ← A friend in need a friend in deed
- تعليق:** يلاحظ في الأمثلة الفرق بين اللغتين في اختيار الأدوات سواء كلمات أو عبارات من أجل إيصال المعنى الذي يبقى في الأخير واحد و لكن يرتبط بخصوصية كل لغة على حدة لاسيما في موروثها الثقافي.

■ **الإجراء الثالث: التحويل بأنواعه.**

أ. التحويل من نوع قلب الرموز:

- يقات من عرق جبينه ← He earned an honest dollar

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- مات شهيدا ← He died as an hero
- من لا يرحم لا يرحم ← As a dog in the manger
- سدد الله خطانا ← May our project come to a success
- اشترى كوكا كولا بالجملة ← By Coca Cola by the carton
- ب. التحويل من نوع الجزء بالكل أو الكل بالكل أو الجزء بالجزء:
أمثلة:
- تبرع بدمك ← Give a pint of your blood
- كتاب الدروس ← School book
- لقد قرأت الكتاب صفحة صفحة ← I read the book from cover to
cover
- قضى الليلة في العراء ← He slept in the open
- تأمين شامل من أ إلى ي ← Assurance from A to Z
- و لعل آخر إجراء يمكن أن تختم به مقالنا هذا هو التأقلم أو التكيف، بحيث يسمح للمترجم أن يتصرف في تعامله مع النص الأصلي (المنطلق) و ذلك بالعمل على المحافظة على المعنى الحقيقي للرسالة بأدوات لغوية تتماشى مع نظام اللغة الهدف و كذا مع موروثها الثقافي و الحضاري و الاجتماعي.
- أمثلة:
- الجارة ← The girl (woman) next door
- الحياة وراء البحر دائما أفضل ← Life is always greener behind the
hill
- جندي احتياطي ← Private soldier
- لقد أفرحتني حين كنت في غاية التعاسة ← You made me glad when I
was blue
- طريق كثير المنعرجات ← winding road
- حذاري الطلاء حديث ← We paint
- باشر الأكل ← Help yourself
- علم أمريكا ← The old glory
- أثينا الشمال ← Athens of the north (Edinburgh)
- البيضاء ← Algiers
- لغة الضاد ← Arabic language
- البقرة الحلوب ← Petrol and gas

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

ملاحظة: يدخل هذا الإجراء في ترجمة العديد من التعابير المسكوكة الاصطلاحية و التي تشمل المجاز بأنواعه من محسنات بديعية كالكناية و الاستعارة و الرمز و غيرها.
▪ **بعض الإضافات:** تختف العربية عن الانجليزية في بعض المظاهر الثقافية و التي منها:

1. في الأكل و مواقيته:

في انجلترا يتناول ما يعرف بـ: Thick or clear و يأخذ عند منتصف النهار At midday و هو ما يعادل The high tea في شمال انجلترا، أي عبارة عن قهوة المساء عندنا على الساعة الرابعة زوالاً.
أما العشاء فغالبا ما يكون عند الساعة السادسة مساءً 6 o'clock Dinner لذلك يوم الأحد يقدم العشاء إلى الواحدة زوالاً و ذلك في بلدان أمريكا الشمالية و يسمى بـ: Sunday dinner

أما الانجليز فهم معروفون بتناولهم لما يسمى بـ: Breakfast فهو يعادل الغذاء Lunch في أمريكا بما يحتويه من مأكولات إضافية مكملة كالجبن و البيض و المعجون و اللحم المشوي و العصير و غيرها، لذا يقال: Breakfast in London, lunch in New York

2. في بعض خصوصيات اللغة:

في العربية نستعمل تسميات لأفراد العائلة بانتساب القرابة الدموية فنقول: ابن الأخ – ابنة الأخت – ابن العم – ابن العممة – ابن الخال – ابنة الخالة – بنت العم – ابن الأخت، و في الانجليزية لا نجد سوى: Cousin – uncle – ant – niece - nephew

3. في استعمال مسميات الأشياء:

مثلا في الحيوانات: لا نجد ما يعادل أنثى القط أي القطعة، ففي الانجليزية يستعمل الضمير She للدلالة على المؤنث فنقول: She-cat
أما بالنسبة للحمار: Donkey و الأنثى هي أثنان فيقابلها: حمار Jack-ass و الأنثى أثنان Jenny-ass

العنزة المؤنث ← Nanny goat

التيس المذكر ← Billy goat

أما بالنسبة لتسمية الحصان و السيف فنجد العربية ترمز إلى الحصان بثنتى الألقاب منها: الأدهم – الكميت – الفرس – الجواد – الراكبة – الراحلة – الحصان و يعادلها كلمة:

Horse

و بالنسبة للسيف فله العديد من الأسماء منها: الأبيض – اللامع – الصاقل – الأغر – الحاسم – المسلول و غيرها، و يقابلها كلمة: Sword.

خاتمة:

صفوة القول أن العربية غنية بموروثها الثقافي و مخزونها الاشتقاقي و الدلالي فهي بمنظور نظرية التفوق التقابلية تتفوق على الانجليزية بسبب عواملها الانزياحية و تراثها الأصيل.

إنها لغة تفعلة و إعراب و قوالب أسلوبية تجعلها قابلة على الانفتاح للتجاور مع اللغات حتى و إن كانت من غير أسرتها. بيد أنه و لخصوصية المجال الثقافي يبقى التقابل أكثر منه اختلاف منه تشابه.

قائمة المراجع و المصادر:

1- المراجع و المصادر بالعربية:

- أحمد مومن، اللسانيات نشأة و تطور.
- الفاسي الفهري، اللسانيات و اللغة العربية، بيروت، 1988.
- عبده الراجحي، مدخل إلى علم اللسانيات الحديث، فقه اللغة في الكتب العربية، بيروت، 1979، ص:14.
- صفاء خلوصي، فن الترجمة، دمشق، سوريا، ص:17-18.
- فارديناند دي سوسور، دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي و محمد الشاوش و محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985، ص:17-18.
- فالتر بنيامين، المترجم و مهمته، ترجمة حسين الموازي، في مجلة فكر و فن، عدد 79، مركز غوته الألماني، 2004، ألمانيا، ص:21.
- محمد الديدايوي، الترجمة و التواصل، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1998، ص:124.
- اللسانيات التقابلية و الترجمة – مقاربات تجريبية – بالجامعة الكاثوليكية (Delourain).
- اللسانيات، مجلة في علم اللسان البشري تصدرها جامعة الجزائر، معهد العلوم اللسانية و الصوتية، ع4، سنة 1974.

2- المراجع و المصادر الأجنبية:

- Saussure Ferdinand, cours de linguistique générale, 1990, p:17-26.
- Simpson J (1979)
- Venay J. et Darblenet J., stylistique comparée entre l'anglais et le français (Canada), 1977.
- قواميس عربية و أجنبية:

- رمزي البعلبكي، معجم للمصطلحات اللغوية، ص:288.
- Dictionnaire de didactique des langues, librairie Hachette (1976), Paris, R. Galisson et D. Cost.
- Linguistique contrastive et didactique de l'anglais ; revue de linguistique et de didactique, Nancy, n°17, 1 Mars 1999, Paul Adolf.

تأثير اللججة في المهارات اللغوية وطرق علاجها

الباحثة : آمنة شنتوف
وحدة البحث-تلمسان-

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى حصر اضطرابات النطق الوظيفية التي يعاني منها الطفل وهو في المرحلة الابتدائية من التعليم والعوامل المسببة لهذه الاضطرابات النطقية الوظيفية والبحث عن انعكاساتها على التلميذ في بيته وفي المدرسة خصوصا والإعاقات التي تسببها له في مساره التعليمي.

الكلمات المفتاحية:

التلميذ-التواصل-النطق-التعلم-اللججة.

Résumé:

L'objectif de cette étude est de limiter les troubles de la parole fonctionnels rencontrés par l'enfant au stade primaire de l'éducation Et les facteurs qui causent ces troubles fonctionnels de la parole et la recherche de leurs implications sur l'élève à la maison et à l'école, en particulier les handicaps causés par le cours de l'éducation.

Mots-clés:

Étudiant-communication-prononciation-apprentissage-gourmandise.

مقدمة:

مير الله بني البشر بهذه اللغة المنطوقة عن سائر المخلوقات فهي مصدر قوة الإنسان وتفردته ووسيلة للتفاهم مع أبناء مجتمعه والتعبير عن رأيه ووصف مشاعره وعرض أفكاره وتلخيص المعاني المعقدة من الحالات والمواقف التي تجول بخاطره. وهذه اللغة المنطوقة مع أهميتها وقوتها إلا أنها تعتبر من أعقد مظاهر السلوك، فقد تحدث بعض الاضطرابات التي تؤثر على الكلام وتجعله عسيراً ويؤكد علماء علم النفس وعلم التربية على أهمية مرحلة الطفولة وأهمية الوفاء بمتطلباتها الحسية والعقلية والنفسية والاجتماعية فالطفل الذي لا يستطيع التعبير عن نفسه وعمّا يدور بين الآخرين أو التواصل معهم بسبب اضطرابات نطقية مما يؤدي به إلى الوقوع في الكثير من المشكلات مثل: تجاهل الآخرين له، سخرية زملائه من كلامه وغيرها من المشكلات.

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

ولعلّ تأثير هذه الاضطرابات يكون أشدّ خطورة على الطفل عندما يدخل المدرسة وهي كثيرة من بينها التلعثم عند الطفل الذي اخترته عنوانا لبحثي محاولة إبراز أعراض هذا الاضطراب النطقي وما مدى تأثيره على حياة الطفل وتعلمه ؟

1/ مفهوم اضطراب النطق:

ويتمثل في صعوبة يجدها المصاب بالنطق بمجموعة من الأصوات المعزولة وتكون الأصوات الساكنة أكثر عرضة من الأصوات المتحركة وذلك لأن عملية إدراكها تتطلب أكثر دقة وهذه الاضطرابات النطقية تتمثل في أخطاء ثابتة ومنظمة في طريقة نطقها والحركات الخاطئة المصاحبة للنطق تفسر بأن هناك إنتاج لصوت خاطئ يأتي ليأخذ مكان الصوت العادي الطبيعي للأصوات الساكنة الذي كان من المفروض أن ينتج (1).

ويعرفها إبراهيم الزريقات قائلا: "اضطرابات النطق تشير إلى صعوبات في مظاهر الإنتاج الحركي للكلام أو عدم القدرة على إنتاج أصوات كلامية محددة" (2) وتعرفها حورية باي: "بأنها التباس يكون على مستوى أصغر وحدة لسانية وهي الصوت" (3)

أما كايلا فقال عنها أنها: "ذلك الاضطراب الذي يحدث نتيجة وجود أخطاء في إخراج أصوات الكلام من مخارجها وعدم تشكيلها بصورة صحيحة" (4)

2/ مظاهر اضطرابات النطق:

ممارسة الكلام تشمل إخراج الأصوات وفقا لأسس معينة بحيث يخرج كل صوت متمايز عن الآخر وفقا للمخرج وطريقة التشكيل والرنين وبعض الصفقات الأخرى، ثم تنظم الأصوات طبقا للقواعد المتفق عليها في الثقافة المحيطة بالطفل لتكون الكلمات والجمل وال فقرات ... وهكذا يتصل الكلام

أ/التشويه والتحريف:

يتجسد التشويه في نطق الصوت بطريقة تقربه من الصوت العادي غير أنه لا يماثله تماما فيتضمن بعض الأخطاء ونجد هذا التشويه عند الأطفال والكبار ويحدث هذا في حالة تأخر الكلام عند الطفل في عمر الثالثة والرابعة والخامسة وفي حالة ازدواجية اللغة لدى الصغار أو بسبب طغيان لهجة على أخرى، وقد يطلق على ذلك الكلام الطفلي فينطق الطفل بعض الكلمات على النحو التالي:

خلاص _____ هلاس _____

روح _____ أوح _____

مدرسة _____ أسة _____

صحة _____ إحة(5) _____

ب/الحذف:

يتمثل في حذف الطفل لصوت أو عدّة أصوات من أصوات التي تتضمنها الكلمة وبالتالي ينطق جزءا من الكلمة فقط فلا يكون كلامه مفهوما ويكون غير واضح وغالبا ما تتركز عمليات الحذف في نهاية الحروف الساكنة

ج/الإبدال:

وهو عيب يتصل بطريقة نطق الحروف وتشكيلها...وقد تشمل العيوب الإبدالية إبدال حرف واحد بآخر ويطلق عليها الإبدال البسيط أو الجزئي وفيه يكون الكلام واضحا عدا إبدال هذا الحرف وقد يصل إلى إبدال حروف كثيرة أو إبدال شامل أو شديد يأخذ أكثر من مظهر في نفس الكلمة الواحدة لدرجة تجعل فهمنا للكلام غير ممكن مثل:

ذ _____ ظ

ط _____ ت

م _____ ن

ق _____ ج

بالإضافة إلى ذلك فمن العيوب الإبدالية الأكثر شيوعا ما يعرف بالثأثة وهو يركز على إبدال حرف "السين" إلى حرف آخر ومن أبرز أشكاله :

*إبدال حرف السين إلى شين: ويرجع مرور تيار الهواء في تجويف ضيق بين اللسان وسقف الحلق في حالة نطق السين ويسمى الثأثة الجانبية

*إبدال حرف السين إلى تاء أو دال

ومن حالات إبدال السين استعانة المصاب بالتجاويف الأنفية في محاولة إخراج حرف السين حتى يقتضي إخراجها على نحو سليم الاستعانة بالشفاه

وفي كثير من الأحيان تحدث الثأثة بسبب تبديل الأسنان في عمر ما بين 5 و7 أو بسبب عدم انتظام الأسنان من حيث الكبر أو الصغر أو عدم التطابق، القرب والبعد وخاصة الأضراس الطاحنة والأسنان القاطعة، أو لوجود انشقاق في الشفة العليا وقد تحدث نتيجة لعوامل الخوف الشديد أو الانفعال وعدم النضج الانفعالي لدى الطفل أو لعامل التقليد للإخوة أو الآباء الذين يتميزون بنطق معين به عيوب مما يؤدي إلى تثبيت عيوب النطق لديه⁽⁶⁾

د/الإضافة

يتضمن هذا الاضطراب إدخال صوت زائد على الكلمة وقد يسمع الصوت الواحد وكأنه يتكرر مما يجعل الكلام غير واضح أو غير مفهوم مثل: سسلام عليكم⁽⁷⁾

اللججة:

اختلف العلماء والباحثون في تحديد مفهوم التلعثم وتحديد المصطلح العلمي له سواء باللججة أو بالتهته أو التلعثم أو التأتأة وغيرها إلا أنه يمكن القول بأن هذا العيب يتميز بالتوقف وبالمد أو بتكرار الكلمات أو المقاطع ويصاحب ذلك بعض التقلصات في عضلات الوجه وهذه التقلصات من الوسائل التي يحاول المتلجج بواسطتها أن يعاون نفسه على بدء الكلام أو إخفاء العيب الكلامي، وكلمة تهته تعني التردد في الكلام وهي كلمة دارجة أصبحت تستخدم لكل أنواع الصعوبات في النطق للدلالة على التلعثم والتردد في الكلام⁽⁸⁾

4/انعكاسات اللججة على المهارات اللغوية للطفل:

لا تؤثر اللججة أبداً على نسبة ذكاء التلميذ فمعظم المتلججين يكون ذكاؤهم متوسط أو أعلى من المتوسط كما دلت الأبحاث على أن نسبة الذكاء تكون أقل بدرجة بسيطة من غيرهم الذين لا يعانون من التأتأة⁽⁹⁾

ويؤكد إبراهيم رشيد أن الأداء في المدرسة يتأثر بنسبة بسيطة وذلك بسبب الصعوبة التي يواجهها التلميذ أثناء الكلام والمضايقات التي يتعرض لها من قبل زملائه في المدرسة لا علاقة بين اللججة والأداء الدراسي فمعظم المتأثرين متفوقين دراسياً إلا في بعض المهارات منها:

*عسر القراءة :

في كثير من الأحيان نجد هذا التلميذ يقلص مساهماته في القسم وذلك في محاولة لإخفاء حقيقة نطقه فلا يكثر من طرح الأسئلة كما أنه لا يناقش ولا يحاول إثبات رأيه كما أن هناك فرق كبير بين أدائه الشفهي والتحريري.

*دروس اللغة الأجنبية:

قد تشكل هذه الدروس مشكلة حقيقية للطفل المتلعثم خصوصاً وأن هذه الدروس تكون في البداية شفوية بشكل كامل بخلاف الدروس الأخرى حيث يشجع الطفل على المشاركة في الصف فإن في دروس اللغة الأجنبية تكون مشاركة الطفل أمراً أساسياً.

5/طرق علاج التلعثم:

أ/العلاج النفسي:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن العلاج النفسي يساعد الفرد على تحسين حالته النفسية بصورة عامة كما يستبصر بأسباب مشاكله عامة وتلعثمه بصفة خاصة .
فذهب البعض إلى أن اللججة لها علاقة بكبت الحاجة والحرمان الذي يتعرض له الفرد خلال طفولته وما يقترن بذلك من مشاكل نفسية تسبب اللعثة، وذهب البعض الآخر إلى أن عملية الكلام عامة وخفض درجة معاناته وتوتره وقلقه وما يبذله من جهد أثناء اللعثة

ب/طريقة السيكودراما:

وتتضمن هذه الطريقة قيام مجموعة من الأفراد الذين يعانون من اضطرابات سواء نفسية أو كلامية بتمثيل مسرحية تنطوي على أحداث تعبر عما يعانونه بالفعل حتى ولو كانت أشياء تخيفهم ويحجمون عن ممارستها ويشاهدون الآخرين يمارسونها أمامهم مما يتيح لهم التعبير عن انفعالاتهم والتنفيس وبالتالي التخلص من الصراعات والمشاكل الكامنة خلف اضطراباتهم⁽¹⁰⁾

ج/فنية التظليل:

يعتمد هذا الأسلوب على ملاحظة أن الطفل المتلعثم يميل إلى الكلام بطلاقة عندما يقوم بتقليد أسلوب محرف لكلام شخص آخر وترتكز هذه الطريقة على اقتفاء الطفل المتلعثم ومحاكاته وتقليده لكلام المعالج فيكرر ما يقوله المعالج بحيث يكون كلام الطفل متزامنا مع كلام المعالج في نطق كل كلمة وتتم عملية التظليل بأن يقرأ المعالج من كتاب بصوت عال وبسرعة عادية للنطق ثم يتبعه نطق الطفل المتلعثم في الحال مرددا ما قاله بصوت مرتفع أيضا وهذه الطريقة تسمى بفنية التظليل وذلك لأن الطفل المتلعثم يكاد يكون في ظل المعالج من خلال ترديده السريع لما يقوله المعالج على أن تكون مادة القراءة بمعدل سرعة مناسبة لكل من الطفل المتلعثم والمعالج وإذا فقد الطفل المتلعثم أي كلمة أثناء التردد فيستمر في الكلام ويتابعه دون توقف أو انقطاع.

د/علاج تشكيل الطلاقة :

يهدف هذا البرنامج إلى تعليم الشخص المتلعثم طرقا يستطيع من خلالها أن يزيد من الكلام الطلق المستخدمة في هذا المنهج تنظيم العلاج بشكل تسلسلي يمكن من خلاله إنتاج الطلاقة أو عقاب التلعثم في الكلام ومع تقدم المتلعثم في المحافظة على الطلاقة في الكلام فإن المعالج يسعى إلى زيادة درجة تعقيد الكلام من الطرق الأخرى في منهج تشكيل الطلاقة في الكلام هي تغيير أنماط كلام المتلعثم من خلال البطء في الكلام وعندما تتحقق الأهداف العلاجية في العيادة أي تحقق الطلاقة فيخطط لتعميم هذه الخبرات الناجحة خارج العيادة في بيئة الطفل المحيطة به⁽¹¹⁾

ه/تمارين خاصة بالتدريب على علاج التأتأة:

تمارين الاسترخاء:

ومن أفضل هذه التمارين أن تستلقي في مكان هادئ ثم تغمض عينيك وتفتح فمك قليلا، وتتأمل في شيء طيب أو يمكنك أن تستمع إلى شريط من القرآن بصوت خافت ثم تأخذ شهيقا إلى أن يمتلأ صدرك هواء أو بقوة أو شدة وبيبء والمدة المفضلة للشهيق هي 45-60 ثانية ثم بعد ذلك يمكنك أن تكتم الهواء بصدرك لمدة 15 ثانية ثم يأتي إخراج الهواء أو

نتائج البحث:

- تشكل اضطرابات النطق عوائق كثيرة للطفل نذكر منها :
- * صعوبة التعامل مع أقرانه ومعلميه وأقربائه
 - * تولّد هذه الاضطرابات ضغوطات نفسية للطفل تؤرق حياته
 - * تتأثر لغة الطفل فيفقد سلامة اللغة وفصاحتها خاصة في التعبير الشفهي والمشاركة داخل القسم مما يضعف نتائجه في هذا المجال ويصبح رصيده اللغوي يميل إلى الفقر.
 - * لا تشكل هذه الاضطرابات خطورة على المواد العلمية مثل الرياضيات والعلوم والتكنولوجيا لأنها مواد تحتاج إلى ذكاء وهذه الاضطرابات كما ذكرنا سابقا لا تؤثر في هذا الجانب.
 - * غرس الثقة بالنفس في هذا الطفل يجعله يعيش حياة عادية في كل جوانبها مما يسهل عليه التعلم .
 - * الاهتمام بهذه الفئة في وقت مبكر من قبل الأسرة وحتى المعلم قبل أن تصبح هذه الأمراض تلازمها بصفة دائمة.
 - * عدم إشعار الطفل بما يعانيه وجعله عقدة تصعب معيشته .
- التوصيات:** في ضوء نتائج الدراسة تمكن من وضع عدد من التوصيات.
- 1/ المدرسة كمؤسسة تربوية وما فيها من مدرسين مؤهلين على أساس علمي تربوي يمكنهم من اكتشاف حالات عيوب الكلام لدى التلاميذ مبكراً و العمل على سرعة إرسالها أو تحويلها لأخصائي أمراض التخاطب بالوحدة العلاجية و المدرسية.
 - 2/ تعيين أخصائيات نفسيات في المدارس مدربات على استخدام مقاييس شدة التلعثم ، ومقاييس أخرى كمقاييس النمو اللغوي وغيرها من المقاييس ، وكذلك مدربات على التوجيه و الإرشاد الوالدي لتتمكن من إرشاد الأمهات خاصة في حالة وجود مشكلات لغوية لدي أبنائهم عدم القدرة على التعبير (تأتأة ، تلعثم ، صعوبة في النطق أو أي مشكلات نفسية أخرى).
 - 3/ التخطيط لبرامج تربوية لإعداد الأسر وتدريبهن على التفاعل مع أبنائهم ، على أمل تحسين مستوى الأداء اللغوي ، وبالتالي المعرفي و الاجتماعي لدى أبنائهم ، وما يترتب على هذا من مهارات اجتماعية و شخصية لدى الأبناء.
 - 4/ تفعيل دور المرشحات بالمدارس من خلال تدريبهن على كيفية توجيه و إرشاد الأمهات في التعامل مع أطفالهم الذين يعانون من مشكلات النطق.
 - 5/ تشجيع الباحثين لإجراء المزيد من البحوث في مجال اضطرابات الكلام والنطق ، وذلك لندرة البحوث التطبيقية في المجتمع الجزائري في هذا المجال .

هوامش الدراسة :

- 1 - أحمد خولة:الأرطفونيا علم اضطرابات اللغة والكلام والصوت -الجزائر -دار هومة -دط- 2008،ص:30
- 2 - إبراهيم عبد الله فرج الزريقات :اضطرابات الكلام واللغة :التشخيص والعلاج ،دار الفكر ط1
- 3 - حورية باي : علاج اضطرابات اللغة المنطوقة والمكتوبة عند أطفال المدارس العادية -دبي- دار القلم ،ص:32
- 4 - حسام عباس سلام:أثر برنامج مقترح لتنمية الإدراك الصوتي لدى تلاميذ المرحلة الأولى ابتدائي- محلة العلوم التربوية -ع1-2014،ص:90
- 5 - حسن مصطفى عبد المعطي : الاضطرابات النفسية في الطفولة والمراهقة التشخيص والعلاج ص:168
- 6 - المرجع نفسه
- 7 - محمد فيصل الزراد:اللغة واضطرابات الكلام،السعودية،دار المريخ،دط-1990،ص:231
- 8 - طارق موسى زكريا:اضطرابات الكلام عند الطفل -كفر الشيخ- دار العلم والإيمان-دط- 2009،ص:28
- 9 - إبراهيم رشيد :نمانية إبراهيم رشيد الأكاديمية ،ص:12
- 10 - يحي حسن القطاونة :فاعلية برنامج تدريبي في علاج التلعثم وأثره في مستوى الثقة بالنفس لدى الأطفال المتلعثمين،ص:249
- 11 - المرجع نفسه،ص:249
- 12 - إبراهيم رشيد:نمانية إبراهيم الرشيد ،ص:4
- 13 - يحي حسن القطاونة: فاعلية برنامج تدريبي في علاج التلعثم ، ص :05
- 14 - المرجع نفسه.

أعمال بيتر نيومارك من منظور تعليمية الترجمة
The contribution of Peter NEWMARK to Translation
Didactics

ملیكة باشا

m-traduire@hotmail.fr

المركز الجامعي أحمد زبانة - غليزان

ملخص:

يتحدث هذا المقال عن اسهامات الباحث بيتر نيومارك في مجال تعليمية الترجمة، من خلال تجربته الواسعة في ميدان التدريس، محاولا التمييز بين مفهومي تلقين الترجمة، والتدريس عن الترجمة، معرجا على أهمية الترجمة في باب تعليمية اللغات.
الكلمات المفتاحية: تعليمية الترجمة – بيداغوجيا اللغات – العملية التعليمية – مناهج الترجمة – بيتر نيومارك.

Abstract:

This paper discusses the contribution of Peter Newmark to translation didactics, with regard to the set of principles, suggestions, hints and guidelines drawn from his large experience in teaching translation. It attempts also to shed light on the distinction between teaching translation and teaching about translation, without forgetting the importance of translation in languages teaching.

Key words: Translation didactics – pedagogy of languages- learning – translation methods – Peter Newmark.

المقال:

تؤدي الترجمة دورا غامضا في مجال بيداغوجيا اللغات⁽¹⁾ فهناك من يعتقد بأنها – باعتبارها نشاطا مكملا مع الصور – تعتبر أساس التعليم الجيد للغات الأجنبية لأنها تمنح الضمان لعملية الاستيعاب، وتقصي التداخلات Interferences التي تشوش فكر الطلبة وتعرقل عملية التعليم⁽²⁾، وهناك من يرى فيها الحاجز أمام هذه العملية وأن شرط تعلم اللغة الأجنبية، يتمثل في إبعاد اللغة الأم ومعها الترجمة بطبيعة الحال، وتتخلص هذه الطريقة في إنتاج نصوص باللغة الأجنبية، دون المرور بوسيط لغوي، وبهذا تُنفى الترجمة في هذه المرحلة، وحتى الشرح يكون باللغة الأجنبية المدروسة مع اجتناب استعمال كلمات لا تنتمي إليها لتفادي ما نسميه بالتداخلات، فالترجمة لا تظهر إلا في نهاية الحصة لكي يتم التأكد من مدى فهم الدارسين⁽³⁾؛

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

كما أن هنالك أساليب أخرى للتدريس متمثلة في الطرق السمعية البصرية Méthodes audio-visuelles والتي تهدف أيضا إلى إقضاء اللغة الأم من حصص تعليم اللغات الأجنبية؛ لكن ذلك يعد أمرا صعبا، ولنقل مستحيلا لأن الدارس يملك رصيذا قبليا في ذهنه، ومخزونا لغويا أصليا، يجعله يقابل في كل مرة، ما يأخذه من اللغة الأخرى، مع ما لديه، وخاصة إذا تعلق الأمر بالقواعد النحوية، إذ يلاحظ وجودها في لغته الأم وكأنه يقوم بترجمتها ضمنا وبصفة تلقائية.

وقد اهتم ج.ر. لادميرال Ladmiral بالعلاقة التي تربط الترجمة ببيداغوجيا اللغات ورأى بأن التمارين الترجمية التي تتم في المؤسسات البيداغوجية تأتي على شكلين معروفين بثنائية (Thème & Version) بحيث:

Thème – هو تمرين الانتقال من : اللغة الأم – إلى – اللغة الأجنبية

Version – هو تمرين الانتقال من : اللغة الأجنبية – إلى – اللغة الأم (4)

واعتبر التمرين الأول (من اللغة الأم إلى اللغة الأجنبية) تمرين صعب وخطير، لأن قدرات الدارس في اللغة الأجنبية، تعد غير كافية لتسمح له بتركيب نص في غير لغته الأم، وإن حدث وأجري، فإن ذلك سيكون على سبيل اختبار قدراته النحوية: كأن يتدرب على كيفية التعامل مع الفئات النحوية في اللغة الأجنبية ؟ وكيف يركب جملة فيها ؟ أما التمرين الثاني (من اللغة الأجنبية إلى اللغة الأم) فيتم أثناءه، التأكد من مدى فهم الدارس للنص الذي قُدّم له في لغة غير لغته، وهو أيضا تمرين أسلوبى، تظهر من خلاله القدرات الفردية على التعبير المتميز في اللغة الأم.

واقترح Peter Newmark بيتر نيومارك خمسة تطبيقات للترجمة في مجال تعليمية اللغات في مرحلة متقدمة:

1- الترجمة من اللغة (أ) إلى اللغة (ب) ومن اللغة (ب) إلى اللغة (أ) باعتبارها وسيلة لتحسين الكتابة في اللغة الهدف.

2- نفس التطبيق ولكن لغاية أخرى متمثلة في إثراء القاموس المفرداتي للطالب في مجال (المترادفات، الأضداد، والحقول الدلالية...)، والقدرة على إجراء الإبدالات النحوية بمرونة أكبر بين اللغة المصدر واللغة الهدف.

3- هناك من يرى في التطبيق نفسه، هدفا آخر يبغى تحقيقه، يتمثل في استعراض آليات اللغة الأجنبية، انطلاقا من ترجمتها بطريقة حرفية، وبالتالي دراستها وتثبيتها.

4- ترجمة توصيلية⁽⁵⁾، يتم من خلالها، نقل النص إلى اللغة الهدف بالطريقة التي تخدم القارئ حيث يُبَسِّطُ أسلوب الكاتب الأصلي ويكتسب طابعا عاما لغرض تسهيل عملية التواصل مع هذا القارئ.

5- ترجمة دلالية⁽⁶⁾ يتم من خلالها المحافظة على أسلوب مؤلف النص الأصلي ونقله كما هو في اللغة الهدف ويظهر ذلك في الإبقاء على الاستعارات الأصلية، والمستجدات، والكلمات التي تحمل معنى خاصا أراده لها صاحبها، وعلامات الوقف؛ وبعبارة أخرى أن يترك النص غائرا في ثقافة اللغة الأصل.⁽⁷⁾ وأضاف لادميرال تمارين أخرى تركز على الترجمة من بينها:

La re-traduction : Traduction en retour * الترجمة بالتراجع

على أن يكتب النص على ورقة ويترجم من قبل تلميذ أول من لغة (أ) إلى لغة (ب) يقوم بتمريره إلى تلميذ ثان ليعيد ترجمته من لغة (ب) إلى لغة (أ) – أي ترجمة الترجمة - وهكذا ينتقل النص بين مجموع التلاميذ في ترجمة متواترة شرط أن لا يتم الاستفسار عن المراحل السابقة التي مر بها، ومع نهاية التمرين تكون هناك مقارنة بين مجموع النصوص المتحصل عليها (النص الابتدائي، الأصلي ونص الخروج، النهائي). إن هذا التمرين ممتع يتم في شكل لعبة، ويُشرك جميع التلاميذ.

La critique des traductions * نقد الترجمات

تتم من خلاله المقارنة بين النص الأصلي والنص المترجم، أو حتى المقارنة بين مجموع الترجمات لنص واحد.

La contra-duction * تلخيص النص المكتوب في اللغة المصدر باستعمال اللغة الهدف

وهو تمرين يُمكن من فهم النص الأصلي وتحليله قبل المرور إلى الترجمة في مرحلة تالية.⁽⁸⁾

وقد حاول نيومارك من خلال كتابه: « About translation » أن يفرق بين ثلاثة مفاهيم أساسية في الميدان البيداغوجي المتعلق بالترجمة، بحيث فصل بينها وفصل كلا منها مخافة الوقوع في لبس الأسماء والتسميات، لأنه وكما يكرره دائما من خلال أعماله، يصرح بأن الترجمة مجال بحث واسع وعميق تكتسب فيه الحقائق، طابعا زئبقيا تظهر لتعود وتختفي مرة أخرى، وعلى الخائض فيه أن يتنبه لها ويعمل، في كل مرة، على إظهارها وتحديد ملامحها.

وتتمثل هذه المفاهيم التي يعتبرها نيومارك مجالات دراسة مستقلة عن بعضها البعض – رغم تقارب تسمياتها - في:

- الترجمة وتعليمية اللغات، الذي سبق وأن ناقشناه في البداية.
- تعليمية الترجمة. عنصرنا التالي
- التدريس عن الترجمة، وبعبارة أخرى تلقين مبادئ الترجمة في دروس الترجمة.

تعليمية الترجمة عند بيتر نيومارك

يرى نيومارك بأن الهدف الأول والأخير لتعليمية الترجمة هو أن تلقي الضوء على مفهومي: التدريس والدراسة على الترتيب وبعبارة أخرى: كيف يتم تلقينها ؟ وكيف تتم

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

دراستها ؟ وهنا يظهر عنصران هامان في الحلقة، يشكلان الثنائية الأساسية في الميدان البيداغوجي، ونحن نقصد: (المدرس/الدارس) أو (الأستاذ / الطالب)

● ماذا يشترط في مدرس الترجمة ؟

هذا ما حاول نيومارك أن يجيب عنه من خلال مشواره في التدريس الذي يتعدى العشرين سنة وتجربته مع الطلبة في مقياس مبادئ الترجمة ومناهجها.

وينطلق من فكرة أنه على مدرس الترجمة أولاً أن يتحلى بمهارات المترجم المحترف الأربعة والمتمثلة في:

1- الإدراك اللغوي العالي في التعبير الشفهي والكتابي، الذي يمكنه من التعامل مع أي مستوى من مستويات اللغة وتحديد التراكيب المجازية وشيآت المعاني بسهولة، والكتابة في ذات اللغة ببراعة فائقة.

2- المعرفة الواسعة بلغة العمل وثقافتها.

3- الإحاطة الكاملة بالمفهوم الذي يعالجه النص، الذي يعتمد ترجمته (موضوع العمل).

4- إتقان لغتين أجنبيتين أو ثلاث مع إدراج العامل الثقافي لها.⁽⁹⁾

ولكن مدرس الترجمة يفوق المترجم مسؤولية، كونه يتعهد مصير مجموع الطلبة الذين يدرسه، وبالتالي يفرض عليه ما لا يفرض على غيره، فهو زيادة على ما قيل يجب أن يكون:

- ذا شخصية قوية، تجعله مالكا لزام حصصه مع الطلبة.

- ذا معرفة ثقافية واسعة.

- متعهدا في البحث في أحد هذه المجالات على سبيل المثال: الترجمة والثقافة، الترجمة والمجتمع، الترجمة الآلية، علم المصطلحات، طرائق الترجمة، أو نقد الترجمات...⁽¹⁰⁾

و في باب تحضير الدروس، يقول نيومارك إنه على مدرس الترجمة أن ينظم حصصه، حيث يقوم بإعلام طلبته عن المواضيع التي يعالجونها ضمن البرنامج خلال الطور الدراسي، بل ويذكرهم في كل مرة عن الموضوع الواحد الذي سيقومون بمناقشته في الحصة المقبلة، كما عليه أن يزودهم بأسماء أهم المراجع الحديثة وأماكن اقتنائها، زيادة على أنواع القواميس والمعاجم المناسبة لهم وكيفية التعامل معها والبحث فيها و لا سيما المتخصصة منها في المتلازمات اللفظية، أسماء العلم، والتعبير الاصطلاحية.

كما يجب أن يكون مدرس الترجمة مواظبا في عمله، محترما مواعيده، مقسما عناصر درسه على مدار الحصة المخصصة له دون أن يخرج عنها⁽¹¹⁾.

وفي حديثه عن بعض مبادئ التدريس الأساسية في حقل الترجمة يقول نيومارك:

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

- يجب على الأستاذ أن يُحَضِّر درسا لليوم بحيث يتم التطرق إلى نقطتين في الترجمة أو أكثر من ذلك، هذا يتوقف على سير الدرس، ومدى استيعاب الطلبة.
 - و عليه أن يبدأ بطرح أسئلة حول النص كأن يقول: ما هو موضوع النص؟ أو عمّ يتحدث النص؟ ويشترط أن تكون الإجابة دالة وواضحة، على أن يحاول الطالب فهم المعنى العام للنص، ويكوّن جملة بمعزل عن العنوان الأصلي له، إذ أن هناك من الطلبة من يتجه صوبا إلى العنوان فيترجمه إلى اللغة الهدف، ويقترحه جوابا مثلا وهنا يكمن الخطأ على حد تعبير نيومارك.
 - يمكن أن يغير المدرس رأيه حول ترجمة وحدة ما من النص، لكن يفترض أن لا يتكرر ذلك مرات عديدة كي لا يؤثر هذا التصرف على الطلبة ونظرتهم للأستاذ مُدْرَسًا وإلى المادة في حد ذاتها، كأن تراودهم شكوك حول صحة ما يعطى إليهم مثلا.
 - يجب أن يحيط المترجم بالمعنى كليا فلا ربما وجد عنوانا، اسما يرغب الطالب في التعرف عليه، فلم لا يُضاف على شكل معلومة في الهامش من باب العلم بالشيء.
 - يجب أن يبحث المدرس عن أمثلة عديدة، ويحاول تركيب نماذج تكون مُعولاً له في سير الدرس.
 - لا ينبغي أن يأخذ المدرس ترجمة ويقدمها لطلبته على أنها النص الأصلي، وإن حدث ذلك يستحسن أن يستثمره على شكل تطبيق في النقد.⁽¹²⁾
- هذا ويرى نيومارك أن نسبة نجاح حصة الترجمة تتوقف على:

- 1- شخصية المدرس نفسه بنسبة 65 %
 - 2- خطة الدرس بنسبة 20 % التي يقوم ضمنها المدرس ببرمجة النصوص التي سيستعرضها بحيث يجب أن تتوزع بين الأنواع الأدبية، المؤسسية، والعلمية (التكنولوجية) وحتى بالنسبة لاختيار مصادر النصوص، ينبغي أن ينوع بين المجالات، الأبحاث، المقالات الصحفية، الكتيبات والمختصرات، والمؤلفات الأدبية والفنية للحصول على أكبر قدر ممكن من مستويات اللغة⁽¹³⁾
 - 3- الآليات الموظفة لإجراء الحصة بنسبة 15 %⁽¹⁴⁾
- إلا أنه يرجع ويقول إن ذلك يبقى فقط رأيا، وأن المدرس كفيل بإيجاد الطريقة التي تعينه على إجراء حصصه بحيث تكون مناسبة لطلبته.

وما يلاحظ على " نيومارك المدرس " أنه يتميز بنفاذ الصبر - إذ لا يعتبره عيبا بالمرة بل مزية، والعييب كله في نقيضه - فالحلم مع الطلبة - في رأيه - يشجع الكسل واللافعالية، ويحاول هذا الأخير أن يقدم من خلال الحصة أكبر قدر ممكن من المعلومات وأن يتناقش مع الدارسين حول ما أمكن من القضايا المتعلقة بالترجمة، منتقلا من زاوية إلى أخرى بسرعة دون أن يهمل التساؤلات الموجهة إليه فهو يقول: " بإمكانني الإجابة على أي سؤال يطرح علي توا دون تماطل وفي أي مرحلة من مراحل الدرس حتى وإن كان يخرج عن نطاقها " ⁽¹⁵⁾ ويصرح غير بعيد متحدثا عن طريقته الخاصة في العمل بأنه يدون مجموعة كبيرة من النقاط المتعلقة بقضايا الترجمة على دفتره الشخصي قبل دخوله

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

قاعة الدرس لغرض التذكير، وتنظيم العمل، ويحضر معه قاموسا لكي يبين لطلبته بأنه أمر عادي، وأداة ضرورية للمترجم ولا عيب في استعماله فهو يعتبر وسيلة التذكير والتأكد أحيانا، بل غالبا حتى في حالة صاحب السلطة في القسم: المدرس ! كما يسجل الأسئلة التي لم يستطع الإجابة عنها بشمولية لضيق الوقت أو لعدم تأكده منها، على دفتره كي تكون نقطة انطلاقه في الحصة التالية.

ويرى بأن العمل الرئيسي للمدرس لا يكمن في الترجمة والاختيار والتعليم، واستثمار النصوص فقط، بل عليه أن يعلم طلبته أمرين هما بالأهمية بما كان يتمثلان في:

- تسجيل الملاحظات Note-taking

- المراجعة Revision (16)

ويشجع نيومارك طلبته على اقتناء دفتر للملاحظات، يسجلون عليه النقاط المختلفة التي يأخذونها في الحصة: والتي تتعلق بالجوانب (المعجمية، النحوية والثقافية) وينظمونها ضمن تصنيفات يضعونها في شكل عناوين لأبواب ولنقل على سبيل المثال: الابدالات / الترادف / المستجدات / أسماء العلم / المصطلحات المؤسسية... لتسهيل عملية المراجعة والتثبيت.

أما بالنسبة للمراجعة، فهو يؤكد عليها إذ يعتبرها أهم مرحلة من مراحل الترجمة، وأطولها، إذ يقدر الوقت المخصص لها بنصف أو بثلاثي الوقت الإجمالي الذي تتم فيه الترجمة الكاملة، ويرى أن المراجعة يمكن أن تتم على وجهين اثنين هما:

● قراءة النص المترجم بمعزل عن النص الأصلي.

● المقارنة الدقيقة بين النص الأصلي والنص المترجم. (17)

وبما أن النص نصوص، فعلى مدرس الترجمة أن يضع لكل نص الخطة المناسبة له من أجل دراسته مع الطلبة وكل نص بالنظر إلى الموضوع الذي يعالجه والمجال الذي ينتمي إليه، يحتاج إلى خطة خاصة به، مختلفة عن باقي النصوص الأخرى. كما عليه أن يتأكد من فهم الطلبة لهذا النص من كل الجوانب: موضوع النص، مقاصد المؤلف، وطبيعة جمهور القراء؛ عليه أيضا أن يوضح معنى كل جزء من أجزاء النص، من الفقرات والجمل إلى الكلمات والمورفيمات.

واختيار الأسئلة وصياغتها فن في حد ذاته، إذ يعتمد على قدرة المدرس على معرفة ما يحتاجه الطلبة وما يفيدهم خلال تدرجهم في الدراسة، وهذا يتطلب منهجية معينة، كيف:

- نطرح الأسئلة الهادفة، التي لا يجب أن تخرج عن إطار الدرس والموضوع؟

- نجتنب الأسئلة الغامضة التي تحتمل التأويل على عدة أوجه وتشتت فكر الدارس؟

- نضرب السؤال الذي يجعل الطالب يهتم، يفكر، ويتجاوب مع موضوع الحصة؟

مجلة الاداب اللغات.....العدد الرابع و العشرون 2017

ومن الخصائص التي يعتبرها نيومارك فريدة عند مدرس الترجمة هو أن يعرف كيف؟ ومتى؟ ينتقل من الخاص إلى العام، وبعبارة أخرى، كيف ينطلق من حالة واحدة مدروسة ويعمل على تعميمها على كل اللغة، فمن النموذج يأتي إلى المبدأ المعمم⁽¹⁸⁾، ويستشهد في هذه المرحلة بمثال ليجسد وجهة نظره بوضوح، فيقول: إنه إذا حدث وصادف المترجم المدرس حالة إبدال في النص: من

(اسم + صفة) – إلى (ظرف أو صيغة ظرفية + صفة) مثلما هو الحال فيما يلي:

D'une importance extrême → Extremely important

(ذا أهمية بالغة)¹⁹

Nom + adj

adv + adj

لا يجب أن يترك هذا النموذج دون أن يذكر بأن هذا النوع من التحويل مألوف وشائع عندما نترجم عن اللغات الرومانسية⁽²⁰⁾، كما عليه أن يرفق تعقيبه بأمثلة أخرى تثبت القول السابق وتوضحه أيضا، على أن يتم تدخل المدرس قصيرا وسريعا في مثل هذه حالات، حتى لا يكون ذلك على حساب ترجمة النص التي تمثل الهدف الأول والأخير لحصة الترجمة من اللغة (أ) إلى اللغة (ب) أو العكس.

هذا ما يقودنا بعد كل هذا إلى الحديث عن درس آخر ذا " أهمية بالغة " بالنسبة لطلبة الترجمة ونحن نقصد المقياس الترجمي الذي نتكلم فيه " عن الترجمة ":

التدريس عن الترجمة

إنه مقياس أساسي في برنامج الترجمة، يتأثر ويؤثر في كل المقاييس الأخرى في

ذات المجال، ونحن نقصد: " مبادئ ومناهج الترجمة " Principles and methods of

translation ويتمثل الهدف من هذا الدرس في تحسيس الطلبة بإشكاليات الترجمة في كل

مستوى من مستويات النص إلى غاية وصولها إلى الكلمة، والتي تخضع لمجموعة

العوامل السياقية التي تضع أمام المترجم عددا من الحلول تخرجه من المشاكل الترجمية

التي وقع فيها وتمكنه من تضييق الفرجة بين اللغتين: الأصل والهدف.⁽²¹⁾

ونظرا لأهمية هذا المقياس وصعوبته، فإن مسؤولية المدرس تتضاعف وتتعد في

الوقت ذاته، إذ عليه أن يكون ذا شخصية قوية، مقنعة، تفرض نفسها خلال الحصص

التعليمية مع الطلبة، كما عليه أن يتمتع بصوت جهوري يُدوي القاعة، ويمتلك إستراتيجية

مدروسة لجلب الانتباه والدعوة إلى المشاركة في المناقشة، عليه أن يستخدم كل الآليات

المناسبة للوصول إلى الشرح الوافي، المفصل والاستدلال بالمراجع و عناوينها وخاصة

الحديثة منها - حتى يكون الطالب علي واجهة التطورات ويحصل على المعلومة من

منبعها - مع الاستشهاد المستمر بالأمثلة المتنوعة في المجالات التي تنتمي إليها واللغات

التي تمسها، لأننا نتحدث عن مجال معرفي يخلو من الحقائق المطلقة، ويستند فقط على

الافتراضات، ووجهات النظر التقريبية، النسبية التي تحتمل الشك، الصدق والكذب؛

فتحتاج إلى من يؤكد مدعما إياها بالحجج والبراهين، أو يأتي على نفيها مقدما

البديل...إنها " الترجمة "

من أجل ذلك يرى نيومارك أنه لا بد أن تكون لمدرس هذا المقياس:

- تجربة خاصة في ميدان تدريس الترجمة.
- القدرة على الترجمة من لغتين أجنبيتين أو أكثر.
- معرفة واسعة في مجال اللسانيات، وعلم الدلالة على وجه التحديد.
- المهارة الفائقة على الكتابة في اللغة الهدف.⁽²²⁾

فالمدرس كونه مترجما بالدرجة الأولى لا شك وأنه يتبع نظرية ترجمة معينة في عمله وحتى مع طلبته، فهو يبدي لا محالة ميلا سواء نحو نص اللغة المصدر⁽²³⁾، أو آخر نحو نص اللغة الهدف⁽²⁴⁾ لكن يتوجب عليه في هذه الحالة احترام الرأيين وعدم إهمال أحدهما عن الآخر كما ينبغي عليه المقاربة بينهما في كل مرة أثناء المناقشة لأن في تلك المقاربة يتمثل الهدف الأسمى للترجمة: الأمانة العلمية ولو كان ذلك صعب المنال على كل حال؛ ومن أجل ذلك يقترح نيومارك على أساتذة الترجمة في المدارس الخاصة والجامعات أن يجتمعوا في كل سداسي قصد مقارنة آرائهم ونظرياتهم في الترجمة ببعضها البعض، وكى تكون طرقهم في التدريس أكثر مرونة.

أما عن اقتراحه بالنسبة للطلبة فهو يرى بأنهم بحاجة من وقت لآخر إلى الخروج عن نطاق الدروس نوعا ما وذلك بالانفتاح على العالم الخارجي والإطلاع على ما هي عليه الترجمة في الواقع؟ وما هي مجالات تطبيقها؟ وذلك عن طريق تنظيم زيارات لوكالات الترجمة في القطاعين الخاص والعام وتخصيص دورات تكوينية وتدريبية لصالحهم بهذه المكاتب، لكي يروا ما ينتظرهم في الخارج من مسؤوليات على أرض الواقع ومن هنا يمكن للطالب أن يختار توجهه انطلاقا من هذا المستوى، زيادة على تنظيم الملتقيات التي من الممكن أن يشارك فيها المترجمون المحترفون، والمترجمون الأحرار، ومترجمو الأعمال الأدبية والفنية، والعلمية للحديث عن مهنتهم، وانشغالاتهم، و الاستفادة بخبرتهم الطويلة والثرية في ميدان الترجمة التطبيقية.

يحتاج الطالب إلى الموجه، المتمثل في شخص الأستاذ، مدرس " الترجمة " الذي يمكنه من الوصول إلى الحقائق المعرفية لوحده دون أن يقدمها له جاهزة، يمكنه من تنمية حسه النقدي مع ما يعطى له، فيتساءل ويتجاوب مع الدروس المقدمة إليه ويطرح " أسئلة " ويخبرنا نيومارك أن مقياس نجاح الدرس، هو تجاوب الطلبة مع موضوع الحصة وتساؤلهم الذي إن دلّ على شيء فإنه يدل على اهتمامهم وتفاعلهم،⁽²⁵⁾ وفي عبارة مختصرة، تعبر عن نفسها، حاول هذا الباحث وهو يتحدث عن تجربته الشخصية، أن يبين وظيفة المدرس وواجب الطالب، فقال إن الوظيفة الأساسية للمدرس تتمثل في رفع مستوى الطلبة، بينما من واجب الطالب أن يكافح باستمرار كي يكون في كل يوم أحسن مستوى من اليوم الذي مضى، مبينا بأنه ليس ثمة طريقة أفضل من أن نطلع الطالب على مستواه وتطوره بتقريب أعماله بطريقة دقيقة " بالأرقام " واجتباب الطرق التي يعتبرها غامضة مثل التقييم بالحروف⁽²⁶⁾ (A - B - C..) لأنها لا تظهر تطور المستوى بوضوح.⁽²⁷⁾

إن التدريس عن الترجمة في مقياس الترجمة يتضمن النقاش حول الترجمات، والتنقل من الأمثلة إلى المبادئ العامة ومنها إلى الأمثلة مرة أخرى وأثناء الحصة، يجب أن يهيئ الأستاذ الجو الملائم ليجلب انتباه الطلبة ويستهوئهم ويجعل منهم عنصرا فاعلا، فيوسعون أفكارهم ويتعلمون كيفية الاعتماد على أنفسهم في عملية البحث: فالأستاذ موجه فقط !

هوامش الدراسة:

Voir : Hafedh BRINI / On language, Translation and Comparative Stylistics/ In: Meta, XLV,3,2000-The contribution of translation to language teaching

تسمى الطريقة الازدواجية Bilingual في تدريس اللغات.
وهي الطريقة المباشرة Direct في تدريس اللغات.

J.R .LADMIRAL, Traduire : Théorèmes pour la traduction, Paris :
petite bibliothèque Payot, 1987, pp 42&43

تتمثل الترجمة التوصيلية Communicative translation في نقل المعنى السياقي الدقيق للأصل بطريقة تجعل المضمون واللغة على نحو مقبول ومفهوم لدى القراء، وهو منهج ترجمة جاء به نيومارك، يطبق على النص ككل، ويسعى إلى أن يترك في قارئ نص اللغة الهدف أثرا مماثلا لذلك الذي تركه الأصل في قرانه.

تسعى الترجمة الدلالية Semantic translation إلى نقل المعنى السياقي الدقيق للأصل بقدر ما تسمح به البنى التراكيبية والدلالية للغة الثانية، وتشكل ما سابقتها (الترجمة التوصيلية) الثنائية التي اقترحها بيتر نيومارك في باب الترجمة التطبيقية، باعتبارها قابلة للتطبيق على أكبر عدد ممكن من النصوص، بحسب وظائفها وأغراضها.

P-NEWMARK, About translation, Multilingual Matters, 1991, p51

J.R .LADMIRAL, op.cit, pp (46-48)

P-NEWMARK, About translation op.cit, p130

Ibid, P138

Ibid, P130

P-NEWMARK, More paragraphs on translation, Multilingual Matters, 1998, p22

Ibid, P136

P-NEWMARK, About translation, op-cit, p130

Ibid, P131

Ibidem

Ibid, P105

Ibid, pp (13-135)4

لقد قمنا بتغيير المثال اللفظي المقابل لحالة الإبدال مع العلم أن النموذج الذي اعتمد عليه نيومارك: « d'usage courant » ص 135 من المرجع السابق نفسه.

(الأسبانية (الكتالونية و القشتالية)، والبرتغالية، والفرنسية، والاطالية، والرومانية.

P-Newmark / About translation, op-cit, p139

Ibid, P140

Sourcerers : (source-oriented) ومنهم بيتر نيومارك

Targeteers : (target-oriented)

P-Newmark / About translation, op-cit, p141 & 142

American System P-Newmark /About translation, op-cit, p142